

مُعَانِي الْقُرْآنِ وَاعْتِبَارُهُ

لِلنَّجَّاحِ

أَبِي إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ السَّرِيِّ

المتوفى سنة ٣١١ هـ

شَرْحٌ وَتَحْقِيقٌ

رَكُورَ عَبْدِ الْجَلِيلِ عَبْدِ مَلِكِ بْنِ

الجزء الأول

عالم الكتب

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للمدار

الطبعة الأولى

١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

2

مُعَانِي الْقُرْآنِ وَالْعِلْمِ



بيروت - المزرعة، بداية الإيمان - انطابق الأول - صرب ٨٧٢٣
تلفون: ٣٠٦١٦٦ - ٣١٥١٤٢ - ٣١٣٨٥٩ - برقيًا: تابعليكي - فلكس: ٢٣٢٩٠





الزَّجَّاج



أبو إسحق إبراهيم بن السَّريِّ بن سَهْل، غلب عليه اسم الزَّجَّاج لَّأنه كان أول حياته يحترف خِرَاطَةَ الزَّجَّاج، فهو لقب مهنته، كان دخله من هذا العمل ضئيلاً لا يكاد يتجاوز الدرهمين وربما كان درهماً واحداً أو درهماً ونصف الدرهم^(١)، وتآقت نفسه مع ما هو فيه مِنْ إِقْلَال، إلى التَّعَلُّم ومَعْرِفَةِ اللُّغَةِ فاتصل بمجلس ثعلب، وظلَّ يستفيد منه حتى وفد المبرد على بغداد واتخذ له حَلَقَةً في المسجد فانتقل الزجاج إلى حلقة المبرد وترك ثعلباً.

كان المبرد لا يُعَلِّم إلا بأجر ولا يبذل لتلاميذه من علمه إلا بقدر ما يدفعون له من المال^(٢)، وكان يُتَنَظَّر بهذا أن يكون حظ الزجاج من تعليم أستاذه ضئيلاً جداً، لكنه عرض أن يدفع للمبرد درهماً واحداً كل يوم، ما امتدت حياتهما، سواء احتاج إلى التعلم أو استغنى عنه، ويمنحه المبرد في مقابلة ذلك من العلم أقصى ما يبذل من التعليم، وقبل المبرد ما عرضه الزجاج، فلزمه، وكان يخدمه في أموره مع ذلك^(٣)، وكان هذا تلميذاً ذكياً مجداً استطاع أن يَحْصُل في زمن قصير على قدر واسع من المعلومات، واكتسب إلى جانب ذلك ثقة أستاذه، وكان من تلاميذه المقرَّبين إليه. وقد

(١) في انباه الرواة: درهم ودانقان أو درهم ونصف.

(٢) كان لا يعلم مجاناً، ولا بأجرة إلا على قدرها (انباه الرواة) ١/ ١٥٩ - ٦٠.

(٣) تاريخ بغداد.

وفى كل منهما لصاحبه، وظل الزجاج يدفع لأستاذه هذا الأجر، ولما اتسع رزقه بذل له عطاءً أكثر وبعث إليه بالهدايا الثمينة، وظل يرعاه في آخر حياته ويرفق به في كبره حتى انتقل المبرد إلى جوار ربّه راضياً عن تلميذه.

ثراء الزجاج :

عاش الزجاج طوال أيام تعلّمه على هذه العيشة الضئيلة المقلّة ثم أخذت أخلاف الرزق تدرّ عليه وأسباب الحياة تنفسح له حتى صار من الأثرياء.

وأول ما كان من أسباب ثرائه، أن بعض بني مارقة^(١) - وهم قبيلة عربية كانت تسكن العراق قريباً من نهر الصّراة، ببغداد - كانوا في حاجة إلى معلم لأولادهم واستعانوا في ذلك بالمبرد، إذ كان من المعلمين الذين لهم شهرة وله تلاميذ يحسنون القيام بهذا العمل. ورجا الزجاج أستاذه أن يُسميه لهم ففعل - فكان ذلك أوّل يساره وكان يُنفذ للمبرد من هناك ثلاثين درهماً كل شهر ويزيده ما يستطيع من الهدايا.

ثم إن الوزير عبيد الله بن سليمان طلب مؤدباً لابنه القاسم وسأل المبرد أن يختاره له، فاختار الزجاج، وكتب الوزير إلى بني مارقة يستنزلهم عنه فوافقوا، وأصبح الزجاج مؤدب القاسم وتوثقت أواصر المودة بينهما ورسخت قدم الزجاج في بيت الوزارة.

تمنى الزجاج على القاسم إذا أصبح وزيراً مكان أبيه أن يمنحه عشرين ألف دينار، وتولى القاسم الوزارة مكان أبيه^(٢) ولكنه تهيب منح الزجاج هذا

(١) في تاريخ بغداد وانباء الرواة: «بني مارقة»، بالميم، والذي في كتب التراجم الأخرى مارقة بالقاف.

(٢) كانت خلافة المعتضد من سنة ٢٧٩ إلى سنة ٢٨٩، نحو عشرة أعوام، وقد مات عبيد الله بن وهب والد القاسم سنة ٢٨٨، وحزن عليه الخليفة لما كان له عنده من مكانة، واستورز ابنه =

المبلغ خشية من الخليفة المعتضد، وتهيب الزجاج أن يسأله، ولكن الوزير أخبره أنه على ذكر من وعده ثم وجهه إلى طريق آخر. وهو أن يتوسط إليه في قضاء حاجات الناس، فيقدم رقاعهم إليه ويأخذ منهم جُعلاً على وَسَاطَتِهِ وزاد القاسم، - وهذا مما يؤسف له - أن قال للزجاج... «ولا تمتنع عن مسألتني شيئاً، تخاطب فيه صحيحاً كان أو محالاً، إلى أن يحصل لك مال النذر»^(١) بل رُبَّما وجهه الوزير إلى مُمَّاكَسَةِ ذوي الحاجات وسؤالهم المزيد من الأجر^(٢)، وبهذا حصل الزجاج على المبلغ الذي أراد في مُدَّة وجيزة، بل حصل على أكثر منه ولكنه كان كلما سأل الوزير أجاب أنه لما يحصل بعد على العشرين ألفاً حتى اكتمل لديه ضعفه. ولكن الوزير مع هذا منحه ثلاثة آلاف من عنده هو صلة له، وأمره أن يظل فيما هو عليه من تقديم الرقاع والوساطة لطلاب الحاجات كيلا يحسب الناس أن صلته بالوزير قد قُطِعَتْ أو أن مكانته عنده قد تغيرت، . وقال له: أعرض على على رسمك وخذ بلا حساب^(٣).

أثرى الزجاج من هذا الطريق وحصل في نحو عام واحد على ما يزيد على أربعين ألف ديناراً، وهو طريق غير مشروع، ومع ذلك استمر فيه وهو في هذا الثراء.

ثم هَمَّ له أن يتصل بالخليفة المعتضد أيضاً ويناديه.

وكان سبب هذا الاتصال أن أحدَ جُلَسَاءِ الخليفة من الكتاب وهو محمد

= القاسم جبرا لمصابه (الكامل ٨٥/١١) وكان القاسم كيساً حاذقاً ذا فضل وكرم، وفيه تواضع ومهابة، ووزر بعد المعتضد للمكتفي، وتدل مكانته العلمية على مدى ما أفاد من الزجاج.

(١) ياقوت ١٣٣/١.

(٢) نفسه.

(٣) نفسه، والانباه أيضاً ١٦١/١.

ابن يحيى بن عباد - الذي يعرف باسم محبرة^(١) النديم، وكان حسن الأدب، ألف للمعتضد كتاباً جامعاً في اللغة، سماه جامع النطق، تأسى فيه بالخليل ابن أحمد في كتاب العين، وعمله جداول على حروف الهجاء، فاستعصى فهمه على الخليفة وطلب من القاسم بن عبيد الله أن يتطلب من يفسره، واعتذر عن ذلك كل من ثعلب والمبرد لكبر سنّهما، وأحيل الكتاب على الزجاج فقام به وسَمَّى شرحه «الثنائي» أو «مَا سُمِّي من جامع النطق» - وهي نسخة واحدة كتبت للخليفة وحده.

وقد أجاز المعتضد الزجاج على هذا الكتاب، وجعله من ندمائه فأصبح له رزق في الندماء، ورزق في الفقهاء، ورزق في العلماء، ثلثمائة دينار كل شهر.

وبهذا أصبح الزجاج من ذوي المكانة والثراء.

خلق الزجاج:

يوصف الزجاج في كتب التراجم بأنه كان من أهل الدين والفضل حسن الاعتقاد جميل المذهب، وكان من أتباع أحمد بن حنبل مؤثراً لمذهبه حتى كان آخر ما قاله وهو على فراش الموت: «اللهم احشرنى على مذهب أحمد ابن حنبل»^(٢). وفي كتابه «معاني القرآن» مواضع كثيرة تُفصِّح عن قوة إيمانه وثبات عقيدته، واستعداده للدفاع عن الإسلام، كما يبدو تورعه في تحذيره من قراءة لم ترد وإن كانت اللغة تجيزها.

ويذكر مترجموه دليلاً على حسن خلقه أيضاً أنه اختصم مرة مع رجل يدعى مسينيد^(٣) فشتمه الزجاج وسبه، فكتب إليه مسينيد بهذه الأبيات:

(١) في أنباه الرواة: ١٦٤: محمد.

(٢) ياقوت ١/ ١٣٠.

(٣) في أنباه الرواة وتاريخ بغداد «مسينة».

أبى الزجاج إلا شتم عِرْضِي لينفعه فائِمة وضره^(١)
وأقسم صادقاً ما كان حرُّ ليطلق لفظه في شتم حُرَّة^(٢)
ولو أني كررت لفَرَّ مني ولكن للمُنون عليّ كره
فأصبح قد وقاه الله شري ليوم لا وقاه الله شره
فلما اتصل هذا الشعر بالزجاج قصده راجلاً واعتذر إليه وسأله أن يعفو
عنه ويسامحه .

هذا الحدث - في الواقع - يدل على خلق مسينيد أكثر مما يدل على
حسن أخلاق الزجاج . فظاهر من هذا الشعر أن الزجاج شتم الرجل وأطلق
لسانه في سب عرضه، وشتم أمه، ولكن الرجل رد نفسه عن النيل من الزجاج
أو عقوبته بالمثل، فعَل ذلك خشية من الله، مؤثراً أن يدع صاحبه ليوم
الحساب حيث ينتقم الله تعالى له .

وبهذا الشعر أيقظ في نفس الزجاج عاطفة الخوف من الله والحياء من
الناس، فهو قد ذكر قُدْرته على الانتقام ولكن ذكره الموت جعله يؤثر العفو،
وذكر أن الزجاج على العكس من ذلك ارتكب إثم شتمه وأصبح عُرضَةً للانتقام
الله في يوم الحساب ولو أن الزجاج لم يعتذر إليه بعد هذا كله لأصبح قاله
سوء على لسان الناس، فكان لا بد أن يعتذر اعتذاراً لا يمحو فقط سوء فعله،
بل يحمل الناس على الثناء عليه، ولكن إذا كان الاعتذار والرجوع إلى الحق
فضيلة، فأفضل منها عدم التردّي فيما يعتذر منه .

ويؤخذ على الزجاج أيضاً شره المادي وقبوله المال من طريق غير
شريفة . فوساطته للناس في قضاء حاجاتهم لم تكن إلا نوعاً من الرشوة، تواطأ

(١) كسبه الشتم إثمًا ومضرة .

(٢) شتم الزجاج أم مسينيد . ويروى البيت : لينطق لفظه .

عليها هو والوزير، وشجعه الوزير عليها سواء كانت حقاً أو باطلاً، وقد جمع منها مبلغاً ضخماً واستمر عليها حتى بعد أن أئثرى.

وإذا أغضينا عن عدم شرعية التعاقد بينه وبين المبرد باعتباره نوعاً من التعاون العلمي دفعت الحاجة الزجاجة إليه، فإننا نجد الزجاج أخل مرة بهذا العقد، فشغلته شؤون الوزير عن بر أستاذه وانقطع عنه مدة، وكان المبرد قد أسن وأصبح في حاجة لهذا العون، فاستدعى الزجاج وسأله: أَيْكُونُ حَسَدُ الْإِنْسَانِ مِنْ غَيْرِ نَفْسِهِ قَالَ: لَا، قَالَ الْمَبْرِدُ فَمَا مَعْنَى قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ﴾ (١).

ولم يستطع الزجاج أن يجيب، وقال المبرد إذن فاعلم أنه قد بقي عليك أشياء كثيرة لم تتعلمها (٢).

وعاد الزجاج إلى بر أستاذه.

فهو إذن أهمل أستاذه إذ شعر أنه استقل بنفسه واستغنى عنه، ثم دفعه شعوره بالحاجة إليه إلى برّه. والمبرد بدوره لا يريد أن ينال من عطفه على سبيل الصدقة، ولا حتى طلباً للوفاء بما تعاقدوا عليه، ولكنه أشعره بنقص علمه واستمرار حاجته للاستفادة من أستاذه.

عصره:

عاش الزجاج في القرن الثالث الهجري، وفترة من أول القرن الرابع -

(١) البقرة من الآية ١٠٩.

(٢) انظر هذه القصة في أنباه الرواة ١ - ١٦٤، وطبقات النحويين البصريين للزبيدي، وفيه أن الزجاج أجاب أن حسد الإنسان قد يهيجه عليه شخص آخر، وقد ينبعث من نفسه وهذه الطائفة يثور حسدهم من أنفسهم لا من شيء خارجي، وانظر الآية. في معاني القرآن ص (١٩٣) من هذا الجزء) فهناك وجهة أخرى.

وهذا الزمن الذي عاش فيه يعتبر من أخصب العصور الفكرية في التاريخ العربي، نضجت فيه ثمار العلوم في مختلف أنواعها - وغني بعلماء كثيرين ذوي شهرة واسعة في شتى ميادين العلوم، ولا نزال إلى وقتنا الحاضر نعيش على هذا التراث الفكري الذي خلفه هؤلاء العلماء الأفاضل.

كانت العلوم الأجنبية التي ترجمت إلى اللسان العربي قد دُرست وهُضمت وتفاعلت مع الثقافة العربية، فَغَذَّت أفكار العرب ومدت عقولهم بزيادة جديد من النقد والتفكير، على هذه الثقافة الوافدة اعتمد رجال الكلام في جَدْلهم وافتراساتهم العقلية، كما اعتمد عليها رجال الفرق فيما فَرَعُوهُ من مسائل وتقارَعُوا به من أدلَّة وحُجَج حتى الذين كانوا بِمَبْعَدَةٍ عن موضوعات الفلسفة وفروعها، لم يكونوا بعيدين عن التأثر بها ولا سالمين من أساليبها، بل نجدها قد هجمت على رجال البحث اللغوي ففرعوا بوحيها النحو وفلسفوه حتى نجدهم يكتبون في «علل النحو»^(١) ويشرحون مَسَائِله تشريحاً لا علاقة له بكيفية النطق وإنما يبحث في أسباب الحركة وتعليلها بحثاً لم يخطر للأولين ببال.

وبوجه عام يمكن أن نميز بين مدرستين مختلفتين، إحداهما تلك التي درست علوم اليونان وثقافتهم عن طريق مباشر واتصل بها نتاجهم الفكري وموضوعات أبحاثهم وهم رجال الفرق والكلام، والأخرى مدرسة العرب المُخْلِصِ الذين كانوا يقفون جهدهم العلمي ودرسهم على اللغة العربية وما يتصل بدرسها من قواعد النحو والتصريف، وأشعار العرب وحكمهم وأمثالهم وتفسير القرآن الكريم وما تحويه آياته من غوامض اللغة ودقيق مسائل الإعراب.

(١) كتاب للزجاجي مليء بالعلل النحوية الثانوية التي نفرد منها الآن.

والفرق بين المدرستين عظيم جداً، يكفي لكي نَتَبَيَّنَهُ أَنْ نَقْرَأَ كِتَاباً مِثْلَ حَيَوَانَ الْجَاحِظِ وَكَامِلِ الْمَبْرَدِ، فَالْأَوَّلُ إِلَى جَانِبِ مَا حَوَى مِنْ غَزِيرِ الْأَفْكَارِ وَوِاسِعِ الْمَعْلُومَاتِ وَعَمِيقِ الْبَحْثِ، مِثْلِيٌّ أَيْضاً بِالشَّعَارِ وَفَرَائِدِ الْحُكْمِ وَشَوَارِدِ الْأَمْثَالِ وَحَيْثُمَا قَرَأْنَا مِنْهُ نَجِدُهُ يُوْجِهُنَا إِلَى فِكْرَةٍ أَوْ يَمْدُنَا بِمَعْلُومَاتٍ، أَمَّا الْمَبْرَدُ فَقَدْ شَغَلَهُ إِعْرَابُ الْأَبْيَاتِ وَشَرَحَ مَا بِهَا مِنْ أَسَالِيبِ الْبَيَانِ وَمَوَازِنَةِ قَوْلٍ بِقَوْلٍ وَبَيَانٍ فَاضِلٍ الْأَقْوَالِ وَمَفْضُولِهَا عَنْ أَيِّ شَيْءٍ آخَرَ مِنَ الْبَحْثِ.

وَيَتَعَرَّضُ كُلُّ مِنَ الْكِتَابَيْنِ لشرح آيات قرآنية، فيوردها هذا استدلالاً لِرَأْيٍ أَوْ احْتِجَاجاً عَلَى آخَرٍ أَوْ اسْتِنْتِجَاجاً لِفِكْرَةٍ، بَيْنَمَا يوردها الْآخَرُ لِحَلِّ مُشْكَلَةٍ إِعْرَابِيَّةٍ أَوْ تَأْيِيدِ وَجْهَةٍ نَظَرٍ نَحْوِيَّةٍ أَوْ تَصْدِيقاً لِأَسْلُوبٍ تَعْبِيرِيٍّ وَهَكَذَا.

منهج الدراسة العربية :

وإلى هذا الوقت كانت دراسة النحو قد انتهت، وَقَوَاعِدُ النُّطْقِ قَدْ جُمِعَتْ وَبُوِّتَتْ، فَاتَّجَهَ النُّحَوِيُّونَ إِلَى تَشْرِيحِ عِلْمِهَا وَتَحْلِيلِ جُزْئِيَّاتِهَا، فَلَمْ يَكُنْ هَمُّهُمْ أَنْ يُبَيِّنُوا كَيْفَ تَنْطِقُ كَلِمَةٌ أَوْ كَيْفَ تَكْتُبُ وَإِنَّمَا يُبَيِّنُونَ لِمَ كَانَتْ هَكَذَا وَلَمْ تَكُنْ كَذَلِكَ. وَكَانَتِ الْمَدْرَسَتَانِ الْكَبِيرَتَانِ فِي النُّحُوِّ قَدْ تَقَارَبَتَا كَثِيراً - نَذْكُرُ مِنْ تَقَارُبِهِمَا سَبَبَيْنِ إِثْنَيْنِ نَرَاهُمَا أَكْثَرَ أَهْمِيَّةٍ مِنْ غَيْرِهِمَا.

أُولَهُمَا: قَدُومُ الْعُلَمَاءِ الْبَارِزِينَ مِنْ نَحْوِيٍّ الْبَصْرَةِ وَالْكُوفَةِ جَمِيعاً إِلَى بَغْدَادَ، بَعْدَ أَنْ أَصْبَحَتْ مَقَرَّ الْخِلَافَةِ وَبِهَا الْوُزَرَاءُ وَالْقَوَادُّ وَالْأَثَرِيَاءُ وَكُلُّهُمْ يَنْشُدُ مُعَلِّمِينَ لِأَوْلَادِهِمْ، وَكَانَ الْمَبْرَدُ إِمَامَ النُّحُوِّ الْبَصْرِيِّ وَثَعْلَبُ إِمَامَ النُّحُوِّ الْكُوفِيِّ يَجْلِسَانِ مَعاً فِي الْمَسْجِدِ لِكُلِّ حَلَقَتُهُ وَمِنْ حَوْلِهِ تَلَامِيذُهُ وَرَبَّمَا جَمَعَ التَّلَامِيذَ بَيْنَ الْأُسْتَاذِينَ وَأَوَى الْوَاحِدُ مِنْهُمْ إِلَى هَذِهِ الْحَلَقَةِ فَتَرَةً وَإِلَى الثَّانِيَةِ فَتَرَةً أُخْرَى.

وَمِنْ هَذَا التَّزَاوُجِ نَشَأَتْ مَدْرَسَةٌ حَدِيثَةٌ بَغْدَادِيَّةٌ تَجْمَعُ مَزَايَا الْمَدْرَسَتَيْنِ أَوْ

تتخذ لها مذهباً خاصاً لا هو بصري خالص ولا هو كوفي خالص، ولا هو خال من أي منهما وإنما هو مذهب مستقل تكونت لِنَاتُهُ منهما جميعاً. وهذا يعلل لنا نشأة الأفكار الجزئية المستقلة لدى ناشئة هذا العصر من أمثال الزجاج، وابن السراج، والزجاجي ومعاصريهم.

والأمر الثاني هو رحلة الأخفش - سعيد بن مسعدة - إلى الكوفة، فقد رَحَلَ أولاً لينتقم لأستاذه سيويه من الكسائي فلما أقام هناك تأثر هو جزئياً بمذهب الكوفيين كما غَدَى أفكار الكوفيين بمذهب سيويه ووجهات نظره النحوية. ولهذا نجد الأخفش يتخذ لنفسه مذهباً خاصاً هو غالباً مذهب وسط بين المدرستين، وقد دَرَسَ الأخفش كتاب سيويه هناك وكان الكسائي نفسه ممن تلقوه عنه سرّاً، وكافأه على درسه بمكافأة سخية، وعندما مات الفراء كان كتاب سيويه تحت وسادته.

وكتاب سيويه كان حينئذ عمدة الدراسة النحوية، ولا بد لدارس النحو من قراءته، وكان المبرّد يقول لمن يسأله أن يقرأ هذا الكتاب عليه: هل ركب البحر؟! استعظماً له، ولم يخل واحد من النحويين المعروفين من عمل في هذا الكتاب، من شارح له أو شارح لشواهد أو نُكته، أو الرد عليه ومعارضته في بعض مسائله، أو الانتصار له وهلّم جرّاً. وكان ذلك مما قرب بين المذهبين.

دراسة جديدة:

بجانب ذلك اهتم النحويون بدراسات نحوية ولغوية خاصة، من ذلك شرح أبواب معينة من النحو لما بها من غموض وصعوبة مثل باب المقصور والممدود، وباب التأنيث والتذكير، وباب ما لا ينصرف وهكذا. . . أبواب مُعَيَّنة يدرُسُها أكثر من نحوي اهتماماً بها. وفي دراسة اللغة همهم بجانب جمع

للغة تبويبٌ مسائلها وإيجادُ محوَرٍ لمجموعات منها ترتبط به وتتلور حوله، مثل خلق الإنسان، وخلق الفرس، والأنواء، والإبل، وهكذا، والمقصود منها تعريف الناشئة بهذه اللغويات وتسهيل درسها عليهم.

ثم تأتي الدراسة القرآنية، فنجد أكثر من نحوي يؤلف «معاني القرآن» وبدأت هذه الدراسة القرآنية «بمجاز القرآن» لأبي عبيدة. ثم زاد عليه الأخفش سعيد بن مسعدة وهذبه وأصلح منه وقال الكتاب لمن أصلحه، ومن الأخفش أخذ كل من الكسائي والفراء كتابه معاني القرآن، على ما بينها من اختلاف في الشرح والترتيب وكتب قطرب، محمد بن المستنير بحثاً قرآنية طريفة اتجه فيها إلى الدفاع عن القرآن مثل الرد على الملاحدة، ولكن بحوثه بوجه عام لغوية ونحوية، وكان لكتاب الفراء شهرة خاصة لأنه أول كتاب مطول جمع إلى شرح اللغويات والمسائل النحوية شرح معاني الآيات. ورد على أبي عبيدة كثيراً مما أخطأ فيه. واقتصر بعضهم على إعراب القرآن أو إعراب ما هو مشكل فيه من الآيات. واستمرت هذه الحركة بكل جوانبها إلى العصر التالي فنجد المدرسة التالية تهتم بهذه البحوث نفسها كما فعل أبو جعفر النحاس وابن الراوندي بمصر وهما من تلاميذ الزجاج.

وإذ كانت حركة النحو قد انتهت إلى هذا الحد، اتجه العلماء وجهة نحوية ولغوية جديدة قادها أبو علي الفارسي وتلميذه ابن جني^(١) وهي دراسة الصَوْتِيَّات العربية والربط بين روايات اللغة وقراءات القرآن، ونشطت هذه الحركة في القرن الرابع.

وبحوث اللغويين والنحويين في القرن الثالث كانت ترتبط بقراءات القرآن ورواياته، وكان للنحويين الأوائل قراءات أكثرها فيما وراء القراءات العشر. فعني هؤلاء بتخريجها وتوجيه إعرابها.

(١) ومن مشهور في هذا العصر في القراءات ابن مجاهد وابن الأنباري وابن خالويه.

وقد كانت دراسة القرآن مِنْ حيث روايته أَحَدَ الأسس الهامة في دراسة اللغة في هذا العصر، وبعض النحويين - مثل الكسائي وأبي عمرو - لهم قراءة سبعة، والكسائي أخذ عن المفضل الضبي الراوي القاص المشهور.

ورواية الأشعار وقص الأخبار تمثل ركناً من الدراسة اللغوية وهي حركة بدأت قبل ذلك وكان لها أثرها دائماً في الثقافة اللغوية والنحوية جميعاً. ولم يكن القصاص ممن يعتمد عليهم في الحديث ولا يعتبرون مصدراً موثقاً به في شؤون الدين. لكنهم كانوا مصدراً هاماً في الأدب واللغة، وكانت هذه المعلومات مما يُكوّن به الناشئ وتتطلبها مجالس الخلفاء والكبراء وتعمّرُ بها الأندية الأدبية والمساجد جميعاً.

عصر المناظرات:

كان احتشاد العلماء من مختلف الجهات وفي مختلف العلوم مدعاة للتنافس فيما بينهم، فكثرَت المناظرات بين العلماء كل يريد إظهار تفوقه وميزة المذهب أو الطائفة التي ينتمي إليها، وحقاً كانت المناظرات موجودة من قبل، ولكن شاعت في هذا العصر شيوعاً يسوغ لنا أن نسميه عصر المناظرات، كانت قصور الخلفاء وبيوت الوزراء والكبار من رجال الشعب وحوانيت الوراق، مجالس علم ومقامات للتناظر بين العلماء، وكان الناس يهتمون بنتائج هذه المناظرات اهتماماً يذكّرنا بالنقائض التي راجت في العصر الأموي^(١). وتحفظ كُتُب التاريخ مثلاً كثيرة من هذه المناظرات، بين أصحاب المذاهب الفقهية ورجال الكلام والنحويين واللغويين، ولعل هؤلاء كانوا أكثر من غيرهم، إذ كان منهم المؤدّبون لأولاد الخلفاء والوزراء، وكل يريد أن يظهر على نظيره لينال بشهرته خطوة أكثر ومكانة أرسخ وأجراً أعظم.

وقد جمع الزجاجي - تلميذ الزجاج - طائفة من هذه المناظرات في كتابه

(١) لم تكن النقائض تأخذ مأخذ الجد كهذه المناظرات.

«مجالس العلماء»، وفي كتب التراجم والتاريخ كثير منها، وكما أن بغداد نمت علماء المصرين - البصرة، والكوفة - وقربت بين مذهبيهما، أبرزت مذهبها هي أيضاً وأذكت روح التنافس بين علمائهما وشجعتهم على الإكثار من المناظرات.

كان ثعلب كبير نحوي الكوفة قد سبق إلى بغداد ثم جاء بعده المبرد كبير نحوي البصرة في عصره، ولم يكن ثعلب مستريحاً لقدوم المبرد لأنه نازعه مكانته، ثم زاده استياءً أن من تلاميذه من تحوّل من مجلسه إلى مجلس المبرد كما فعل الزجاج نفسه حتى ختته أبو علي الدينوري، كان يخرج من بيته ومعه محبّته ليقرأ كتاب سيويه على المبرد^(١)، وكان ذلك يغيظ ثعلباً، وكان يعاتب أبا علي فلا يلتفت إليه. إذ كان يرى المبرد أعلم بكتاب سيويه من ثعلب، لأن المبرد قرأه على علماء قد درسوه أما ثعلب فعرف الكتاب من قراءته الخاصة^(٢).

وأينما وجد هذان العالمان في مكان ثارت بينهما أسباب المناظرة وطلب الحاضرون مناظرتهم^(٣)، وكان المبرد يميل إلى مناظرة ثعلب بينما كان هذا يروغ منه ولا يميل إلى مناظرته^(٤)، ذلك أن المبرد كان فصيح العبارة حلو الكلام جيد التراكيب ولم يكن ثعلب مع علمه موصوفاً بالبلاغة، وكان في كتبه لا يخرج عن طباع العوام في كتبهم، ومذهبه في حديثه مذهب العلميين^(٥).

وقد جر التنافس بينهما إلى خصومة بين أتباعهما. وقد أورد ياقوت طرفاً من

(١) انظر الانباه ح ١ - ١٤٤. ومعجم الأدباء ١٢٠/٥.

(٢) ياقوت: ١٢٠/٥ - ١٢١.

(٣) البغية ١١٥، وياقوت ٥ - ١٣٦، ١٩ - ١٢٠٠.

(٤) ياقوت ١٩ - ١١٨، الانباه ١ - ١٤٥.

(٥) الانباه ١ - ١٤٥.

خصومة الزجاج وثلعب نفسه، كما أورد الزجاجي في مجالس العلماء شيئاً من هذا.

ذكر الزجاج نقداً لفصيح ثعلب أورد فيه عشرة مآخذ على هذا الكتاب^(١). قال ياقوت إن العلماء باللغة لم يسلموا للزجاج بها. وقد ألفوا تأليف في الانتصار لثعلب. ومن العجيب أن الزجاج نفسه وقع في بعض الأخطاء التي أخذها على ثعلب فقد أخذ عليه أنه قال: عرق النساء، والصواب أن يقال النساء فقط كما قال عمرو القيس.

فأثبت أظفاره في النساء^(٢).

وكان النحويون أشهر في المناظرات وكان لهم مكان خاص يجتمعون فيه للتناظر، وكان الجرمي لكثرة ميله إلى المناظرة يسمى النباح.

ولكنه في تفسير الآية: ﴿كل الطعام كان حلاً لبني إسرائيل﴾ قال إن يعقوب عليه السلام كان به عرق النساء.

ولم تكن هذه المناظرات كما هو واضح، يراد بها تحقيق مشكلة علمية أو الوصول إلى الحقيقة فيما اختلفت فيه المذاهب ولكن كان الهدف الأساسي هو الظفر بالشهرة والغلب على الخصم بوجه ما. فذلك طريق الشهرة وطريق الرزق ومفتاح الثراء، ومناظرة سيويه والكسائي مشهورة معروفة^(٣) ولم يكن الغرض منها إلا القضاء على سيويه، حتى ليقال إن الأعراب الذين حُكِّمُوا للفصل في هذه الخصومة لم يقولوا شيئاً سوى أن قالوا: الحق ما قال الكسائي.

ومن يقرأ هذه المناظرات يجد بها كثيراً من المغالطات، زورها، صاحبها

(١) ياقوت ١ - ١٣٩. وانظر فيما يأتي ص ٤٤٣.

(٢) عجزه: فقلت هبّت ألا تنتصر.

(٣) أنظرها في مجالس الزجاجي.

ليورط بها خصمه ويكسره أمام الناس ويظفر هو ببطولة المعركة وشرف الانتصار، وهو انتصار يجوز على العامة، ولا يثبت للنقد والتمحيص.

وكان من عادة ثعلب إذا وَقَدَ أَحَدُ الْعُلَمَاءِ عَلَى مَسْجِدِ بَغْدَادَ أَنْ يَبْعَثَ بَعْضَ تَلَامِيذِهِ لِيَسْأَلُوهُ وَيُعْجِزُوهُ لِيَبْقَى لَهُ هُوَ وَحْدَهُ مَكَانَتُهُ الْعُلْيَا وَيَسْتَبَدَّ بِالشَّهْرَةِ الْوَاسِعَةِ فِي بَغْدَادَ، وَقَدْ فَعَلَ ذَلِكَ مَعَ الْمَبْرَدِ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ الزَّجَّاجَ ضَمَنَ مِنْ أَرْسَلَ لِيَحَاجُّوهُ وَيُظْهِرُوا نَقْصَهُ عَنْ تَلَامِيذِ ثَعْلَبٍ وَلَكِنَّ الْمَبْرَدَ بَهَتَهُمْ بِسَعَةِ عِلْمِهِ وَقُدْرَتِهِ عَلَى الْجَدَلِ وَتَفْرِيعِ مَسَائِلِ الْعِلْمِ فَتَحَوَّلَ الزَّجَّاجُ إِلَيْهِ وَتَرَكَ مَجْلِسَ ثَعْلَبِ^(١).

فَمَعَ سَعَةُ النِّشَاطِ فِي هَذِهِ الْحَرَكَةِ هَدَأَتْ سَرِيعاً بَعْدَ هَذَيْنِ الْعَالِمِينَ. ثَعْلَبُ وَالْمَبْرَدُ. وَتَحَوَّلَ النُّحُو وَجْهَةً أُخْرَى كَمَا ذَكَرْنَا. وَبُوفَاتُهُمَا انْتَهَتْ مَرَحِلَةً مِنْ مَرَاكِلِ التَّطَوُّرِ التَّارِيخِيِّ لِعِلْمِ النُّحُو.

ثقافة الزَّجَّاجِ:

الزَّجَّاجُ مِنَ الْمُعَلِّمِينَ تَلْمِيْذُ لثَعْلَبٍ وَلِلْمَبْرَدِ، وَأُسْتَاذُ لَابْنِ السَّرَاجِ، وَأَبِي عَلِيٍّ الْفَارَسِيِّ، وَالْحَسَنِ بْنِ بَشَرَ الْأَمْدِيِّ، وَغَيْرِهِمْ، وَمَدْرَسَةُ الْمُعَلِّمِينَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ كَانَتْ تَقُومُ عَلَى دَرَسَاتٍ مُعَيَّنَةٍ قَوَامُهَا دَرَسَةُ اللُّغَةِ وَرَوَايَةُ الْأَشْعَارِ وَالْأَخْبَارِ وَمَا إِلَى ذَلِكَ مِمَّا وَصَفْنَاهُ آنِفًا، فَهِيَ تُمَثِّلُ الدَّرَسَةَ الْعَرَبِيَّةَ الْبَحْتَةَ، وَكِتَابَ سَيَبَوِيهِ - كَمَا ذَكَرْتُ - رُكْنُ أُسَاسِيٍّ فِي هَذِهِ الدَّرَسَةِ، وَالزَّجَّاجُ وَاحِدٌ مِنْ هَؤُلَاءِ، وَكُلُّ مِيزَتِهِ أَنَّهَ مِنْ نَابِغِي مَدْرَسَةِ الْمَبْرَدِ، وَلَا أَتَرَدَّدُ أَنْ أَقْدِمَهُ عَلَى الْأَخْفَشِ رَاوِي الْكَامِلِ. وَكَانَ مِنْ جَمَاعَةِ الْمُعَلِّمِينَ أَمْثَالِ الْفَرَاءِ مَنْ تَأَثَّرَ بِالثَّقَافَةِ الْأَجْنِبِيَّةِ وَشَارَكَ فِي بَحُوثِ الْكَلَامِ، وَلَكِنَّ الزَّجَّاجَ لَمْ يَكُنْ لَهُ حِظٌّ يَذْكُرُ مِنْ هَذِهِ الثَّقَافَةِ

(١) انباه الرواة ٣/ ٢٤٩.

اللهم إلا ما تسرب إلى ذهنه من طريق غير مباشر.

وفي هذا الميدان الخاص يتفوق الزجاج في درس اللغة تفوقاً ملحوظاً، واستشهاداته الشعرية في «معاني القرآن» تدل أيضاً على سعة روايته للشعر، وقد تعمق دراسة النحو وانفرد بمذهب خاص له فيه، ولم يدرس قراءات القرآن ورواياته ولكنه أَلَمَّ بقراءات اللغويين ومعظمها من الشواذ، لهذا نجده يتردد في غير موضع فيقول يجوز في هذه الآية كذا وكذا إن كان قُرئ به. أو هذا ما تجيزه اللغة ولا تقرأن به حتى ثبتت رواية صحيحة أنه قرئ به وهكذا.

وقد ذكر أنه اعتمد في القراءات التي أوردها على ما روى عن أبي عبيد القاسم بن سلام.

وكثير من المعلمين لم يكن الزجاج قوياً العبارة حسن الأسلوب فعبارته تلتوي في كثير من الأحيان وتركيبها تنقصه الناحية الفنية فقد تطول وتكثر متعلقاتها، وقد يقدم ما يستحق التأخير، وقد يؤدي المعنى بعبارة طويلة حيث يمكن أن يؤدي بأقل منها، ولكن يخفف من حدة هذا النقد أن عبارته تستقيم في أكثر الأحيان ولا بأس عليه أن ضعف في هذه الناحية وقد قوي في نواحٍ أخرى - ثم إن كثرة المعلمين كانوا كذلك، فكان أبو عبيدة لا يقيم بيت الشعر وكان ثعلب يكتب كما يكتب العوام، ويخطئ في بعض عباراته^(١).

ولا يوازن الزجاج بثعلب ولا بالمبرد، فيبدو كل منهما أوسع منه قراءة ودرساً، كما يُبدوان أحسن تعبيراً وأقدر على الكتابة منه، ومن يوازن بين كتابته وكتابة ثعلب في فصيحته أو في مجالسه، أو ما كتبه المبرد في كامله يجد الفرق واسعاً بين كتابتهما وكتابة الزجاج. والجزء التفسيري الذي تركه المبرد في كتاب

(١) انظر ياقوت ١١٧/٥.

الكامل يعطي صورة ما عما كتبه في كتابه «مَعَانِي الْقُرْآنِ»، وهو أسلوب يمتاز - ولا ريب - عن أسلوب الزجاج، والموازنة أيضاً بين كتابي «خلق الإنسان» لكل من الأصمعي والزجاج تظهر صورتين مُتباينتين، فكتاب الزجاج جافٌ يخلو من الروح الأدبي لم يرد فيه غير بيت واحد أو بيتين من الشعر، فهو متن لغوي يسرد الكلمات سرداً، بينما كتاب الأصمعي غنيٌّ بالأمثال والشواهد الأدبية مما يجعل دراسته شيقة حبيبة للقارئ.

والزجاج مع هذا ليس فقيراً في النوادر والأخبار، فله كتاب النوادر الذي يحوي - فيما نظن - كثيراً من الطرف والأخبار النادرة، وقد كان الزجاج من ندماء المعتضد والمكتفي، كما كانت له مكانته لدى الوزير أبي عبيد وابنه القاسم.

ومهما يكن من شيء فهو نحوي كبير ولغوي كبير، وله تلاميذه ومدرسته كما له أثره في ثقافة عصره.

بقي شيء آخر نشير إليه:

جاء في معجم الأدباء أن الزجاج حين عهد إليه أن يفسر جامع النطق استعار كتب اللغة من ثعلب والسكري لأنه كان ضعيف العلم باللغة^(١).

وهذا وصف خطير، لا نجد ما يسوغه، فإن المبرد حين اعتذر عن تفسير هذا الكتاب لكبر سنه أقترح أن يقوم الزجاج به^(٢)، وهو لا يقترحه إلا لعلمه بكفايته له، وقد قام به الزجاج خير قيام، أما استعارته كتب اللغة فلا تعني ضعفه. لهذا قد تعني هذه الكلمة أنه لم يكن لديه كتب لغة، أو أنه كان أقل من هذين الأستاذين.

(١) ح ١ - ١٥٠.

(٢) نفسه ١٤٩.

معاني القرآن :

قد يكون هذا الكتاب أهم آثار الزجاج، وكتاب التراجم يضعونه دائماً في رأس القائمة من كتبه، وربما ذكروا قبله «ما فسرهُ من جامع النطق» ولكن هذا الأخير لم ينسخ منه غير نسخة واحدة خصصت للخليفة. فلم يكن النفع بها عاماً، والاسم الكامل لهذا الكتاب هو «معاني القرآن وإعرابه» مما يؤذن أن إعراب القرآن قسيم للمعنى في عمله، وفي المقدمة قال: هذا كتاب إعراب القرآن ومعانيه، فقدم الإعراب على المعنى، ونجده يؤكد ذلك مرة أخرى إذ يقول:

«وإنما نذكر مع الإعراب المعنى والتفسير لأن كتاب الله ينبغي أن يتبين ألا ترى أن الله يقول: ﴿أَفَلَا يَتَذَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ فَحُضِّنَا عَلَى التَّذَبُّرِ وَالنَّظَرِ، ولكن لا ينبغي لأحد أن يتكلم إلا على مذهب اللغة أو ما يوافق نقله أهل العلم^(١)...».

فالإعراب إذن مقصد أساسي للزجاج والمعنى يبنى عليه، وما لم يتوقف على إعراب ينقل ما قال المفسرون فيه، فيقول مثلاً: والذي في التفسير، أو وقال المفسرون، فيكون عمله هو الرواية لا غير. ويختم عبارته بقوله: والله أعلم.

استغرق الزجاج في تأليف هذا الكتاب نحو ستة عشر عاماً، بدأ يمليه سنة ٢٨٥ هـ وانتهى منه في سنة ٣٠١ هـ، أي قبل وفاته بنحو عشرة أعوام. أملاه وهو في القمة من نضجه الفكري وتمكنه اللغوي، ولم تذكر رواية للكتاب ولا سبب لتأليفه، ولعله فعل ذلك قُرْبَى إلى الله تعالى أو إجابة لرغبة بعض تلاميذه، ويبدو أنه درسه غير مرة، لأننا نجد تبايناً جوهرياً بين النسخة - ك -

(١) ص ١٨٥.

والنسخ الأخرى في تقديم بعض العناصر أو الآيات، وفي تغيير كثير من الألفاظ والعبارات مما فهمنا معه أنه كان إملاءً آخر. يبدو كذلك أن الكتاب تدوول كثيراً يدل على ذلك اختلاف كتابة النسخ التي توصلنا إليها، وبعض هذه النسخ مشحون بالتعليقات والتفسيرات خصوصاً النسخة «ر» التي حصلنا عليها من المعهد البريطاني فإنها تحمل من هذه التعليقات ما يعادل الكتابة الأولى.

ومنهج الزجاج في تفسيره: أن يبدأ عقب ذكر الآية القرآنية، باختيار ألفاظ منها ليحللها على طريقته هو في الاشتقاق اللغوي، فيذكر أصل الكلمة والمعنى اللغوي الذي تدل عليه، ثم يورد الكلمات التي تشاركها في حروفها أو بعضها ليردها جميعاً إلى أصل واحد، ويستشهد على رأيه بما يؤيده من كلام العرب شعراً أو غير شعر، وقد يستطرد فيشرح الأمثلة التي يستشهد بها ثم يعود لإعراب الآية إن كان فيها ما يحتاج إلى إعراب، وفي هذا المقام يناقش النحويين الآخرين فيرد رأيهم أو ربّما يؤيده، وفي هذا الصدد يورد قراءات اللغويين، وهي غالباً قراءات شاذة مما وراء العشرة، كما يورد القراءات المشهورة ليبين المعنى على هذه القراءات فيقبله أو يرده، وقد يقف عند حرف من حروف اللغة مثل «لن» أو «بل» أو «لا»... فيشرحه شرحاً نحويّاً حتى يستوفيه ثم يقول: فهذا جميع ما قال النحويون في هذا.

والزجاج بغدادي أدنى إلى مذهب البصريين - لأنه تلميذ المبرد - فهو في شرحه يجري غالباً على مذهب أهل البصرة، ولكن في بعض الأحيان يؤثر مذهب الكوفيين ويجري عليه^(١) ثم له هو مذهبه الخاص الذي كثيراً ما يكون مرفوضاً من الآخرين^(٢)، وعلى أي حال هو معتمد على نفسه كل الاعتماد

(١) انظر مثلاً ص ٧١.

(٢) انظر فيما سبق إعرابه إياك.

فيما يتعلق باللغويات والأعاريب، أما ذكر المعنى الذي لا يتوقف على شرح لغوي فقد قلنا: إنه يرجع فيه إلى المفسرين، وكثيراً ما يلجأ إلى القرآن نفسه فيستعين بآية على شرح أخرى.

ويعنى الزجاج بعد هذا أن يؤكد أن القرآن معجزة، ووجهة إعجازه عنده أن النبي تحدّى به الكتابيين وأنبأهم بما في كتبهم مع أنه أمّي لم يكن يقرأ كتب السابقين ولم يجلس إلى معلم يستفيد منه هذه المعلومات، فذلك إذن وحي من الله تعالى. كرّر الزجاج هذا في غير موضع من هذا الكتاب، ولكنه لم يلتفت إلى بلاغة التعبير وما في الآيات القرآنية من تركيب فني خاص يعجز البشر أن يعملوا مثله، ولا بأس عليه في هذا لأنه رجل نحو لا رجل بلاغة. أو هو معلم لا كاتب.

ولا يلتفت كثيراً إلى ذكر أسباب نزول الآيات ولكنه لا يغفله عندما يدعو الأمر إلى ذلك، كما يستعين أيضاً بالأحاديث ووقائع التاريخ، ولكن هذه كلها مكملات ثانوية بجانب المقصد الأهم وهو الشرح اللغوي.

ويعنى الزجاج بتفسير القرآن بالقرآن، فيستشهد على المعنى الذي يشرحه في آية بما يذكر في آية أخرى قد تكون أوضح وأبين مما تدل عليه الآية التي يشرحها، وهو في هذا الصدد قوي بارع واستشاداته قوية في دلالتها على ما يريد.

أما من ناحية ما ورد في شأن الآيات من أسباب النزول فلا يذكره إلا بشيء من التحفظ، فيقول روي في التفسير كذا وكذا أو قال المفسرون، وما أشبه ذلك فيخلي نفسه من مسؤولية صحة القول أو عدم صحته ويحملها الذين رووه، والأحاديث التي أوردها قليلة جداً.

وفي غير موضع من الكتاب يشير إلى قيمة الأساس اللغوي والنحوي في

فهم نصوص القرآن، فالتفسير الذي لا يعتمد على فهم اللغة لا قيمة له - أو
بعبارة أخرى لا يمكن فهم الآية إلا بعد فهم تركيبها اللغوي والتَّهْدِي إلى
إعرابها، ومعرفة ما لها من معانٍ واستعمالات في اللسان العربي.

وهذا الأساس في الواقع قِيمٌ جداً، وقد يوجه إلى معانٍ فرعية لم تلتفت
إليها أذهان المفسرين، وقد انتفع به المستشرقون خصوصاً «فتشر» و«جولدزهر»
في بحوثهما القرآنية وفي الوقت الحاضر يتجه الباحثون في التفسير القرآني إلى مثل
هذه النزعة، إذ يرون أنَّه لا بدّ من استيعاب المعاني التي تفيدها الجملة أو
الكلمة ثم اختيار ما يناسب سياقها ولحاقها.

وفي هذا الاختيار قد تختلف وجهات النظر، ولكن قد يكون الوجهان أو
الوجه التي اختيرت كلها صحيحة.

ولعل من ينهج هذه الطريقة يجد عوناً كبيراً في كُتُب الزجاج ومن جرى
مجراه من اللغويين.

قيمةُ هذا التفسير:

أشرت من قبل إلى أن الكتاب كان مُتداولاً بكثرة، في حياة الزجاج وبعد
موته وكان ممن تلقاه عنه من تلاميذه أبو علي الفارسي، وقد ولد الفارسي سنة
٢٩٠ هـ، أي أن عمره عندما أتم الزجاج كتابه كان نحو عشرة أعوام ويدل هذا
على أن الزجاج ظل يقرأ كتابه حتى أواخر أيام حياته وأن الطلاب يحرصون على
قراءته من وقت مبكر من عمرهم^(١). وقيمة الكتاب اللغوية هي التي اجتذبت
إليه الأنظار، وقد قرر الزمخشري في كشافه أنه اعتمد على الزجاج في دراسته
اللغوية^(٢) وفي بعض الأحيان ينقل من الزجاج نقلاً كاملاً غير أنه عادةً يُغضّي

(١) توفي الزجاج سنة ٣١١ هـ على أكثر الأقوال، فيكون عمر أبي علي نحو عشرين سنة.

(٢) انظر الكشاف ٢ - ٧٣.

عن الناحية الاشتقاقية فيختصر الشرح اللغوي^(١)، واتكأؤه عليه ظاهر في إعرابه فواتح السور^(٢).

ومن المفسرين المتأخرين الذين اعتمدوا عليه البغوي ومحمد بن الخازن فكل منهما كان يرجع إلى رأيه لا في اللغة فقط بل في جوانب أخرى من التفسير. والبغدادي - صاحب «خزانة الأدب» - يذكر في مقدمة كتابه أنه اتخذ معاني القرآن للزجاج أصلاً من الأصول التي رجع إليها^(٣)، وابن منظور في لسان العرب يورد دائماً رأي الزجاج، ونقولُه عنه مأخوذة من معاني القرآن وهو لا ينقل عنه اللغة فقط بل ينقل الرأي والشواهد الشعرية أيضاً.

ومن ميزات الكتاب: أنه راجع المفسرين السابقين من النحويين واللغويين وأشار إلى قراءاتهم وما يتجه عليها من معان قرآنية، وكان هؤلاء اللغويون قبل الزجاج قد كتبوا عدداً من الكتب مختلفة المنهج والطريقة في التفسير وكل منها يسمى «معاني القرآن»^(٤)، وكلُّ أعرب الآيات وفقاً لمذهبه النحوي والمدرسة التي ينتمي إليها وحلل الكلمات تحليلاً لغوياً وفقاً لمعلوماته الخاصة، وبعض هؤلاء هم أن يوضح الآيات التي يبدو بينها تضارب في المعنى، وبعض هم أن يشرح المعاني المجازية وهكذا^(٥) وقد أشار الزجاج إلى هؤلاء وناقش آراءهم عندما دعا الأمر إلى ذلك، ونظراً لما لكتاب سيبويه وآرائه من أهمية لدى النحويين واللغويين في عصر الزجاج، عُني بعرض هذه الآراء كما عني بآراء الخليل بن

(١) انظر الآية ﴿إِنَّ اللَّهَ يَبْشُرُ بِحَيِّ﴾.

(٢) انظر ج ١ ص ١٢، ١٥، ٧١، ٧٦٧ وأنظر أيضاً في كتاب سيبويه الباب الذي عقده لهذه الحروف (٢٥٦ ج ٣ ت. هرون).

(٣) انظر ج ١ ص ٣.

(٤) انظر ضحى الإسلام ح ٢ ص ٥٠ - ٥٥، ص ١٤٦ وانظر الفهرست ص ٥٠.

(٥) نفسه، وابن النديم ص ٥٠.

أحمد، لأنه أستاذ سيوييه، ولأن الزجاج متأثر بكتاب «العين» وجارٍ على منهجه^(١). ومن المهم أيضاً أنه أورد أقوالاً لسيوييه لم يتضمنها كتابه، كما أن الزجاج نفسه أورد شروحاً لغويةً لُيَسَّتْ مذكورة في كتب النحويين. وهذا مما يزيد قيمة الكتاب من الوجهة النحوية. أما هذه الخلاصة اللغوية التي جاءت في هذا التفسير فإنها قِيَمَةٌ حقاً، ولا يحصل عليها بكل هذه السهولة وبكل هذا الوفاء من الكتب الأخرى.

والزجاج - على أي حال - عالم لغوي كبير وكتابه أثر جيد له. ومن الذين عُنوا بهذا الكتاب تلميذا الزجاج في مصر «أبو جعفر النحاس» و«ابن الراوندي»، وكل منهما دَرَسَهُ واستفاد منه، وكانت نسخة «ابن الراوندي» مرجعاً تصحح عليه نسخ الناسخين، فالكتاب إذن قرئ وتداول، على أيدي هذين العالمين المصريين، وهو أثر آخر للزجاج في ثقافة المصريين.

ويبدو في الكتاب استفادة الزجاج من مجاز «أبي عبيدة»، وأخذة كثيراً من شواهد، ولكنه على أي حال له منهجه الخاص وطريقته التي تميزه عن سائر المفسرين اللغويين.

و«ابن جرير الطبري» - شيخ المفسرين - مستفيد بدوره منهما معاً ومن غيرهما من مفسري هذه المدرسة، غير أنه ناقش «أبا عبيدة» كثيراً وسفَّهه، وإن كان «الطبري» عادة لا يذكر أسماء من يناقشهم.

وإذا كان الزجاج قد جعل همه الأول هو الناحية اللغوية متحملاً وحده مسؤوليتها، وألقى على المفسرين مسؤولية التفسير النقلي: فإنه لم يتخل عن الدفاع عن الإسلام وشرح بعض مسائله بإطالة كلما سنحت فرصة أو وُجِدَ

(١) انظر ضحى الإسلام - ٢ - ٣١٣.

داعٍ، فهو أفاض في شرح مسائل من الميراث ودافع ضدَّ الرافضة والشيعة دفاعاً يستحق التقدير، إذ لم يدع فيه لهما منفذاً ولا وجهة نظر يؤيدان بها أراءهما. ولكنه حتى في هذا الدفاع معتمد على اللغة واستخراج دقائقها. وقدرته على إفحام هؤلاء ترتكز على أسس من اللغة أكثر مما تعتمد على أي شيء آخر^(١).

(١) انظر آيات الميراث في سورة النساء.

مآخذ على الكتاب

أشرت من قبل إلى أهمية الكتاب وسعة انتشاره وتداوله، فلأذكر الآن ما يؤخذ عليه وهي مآخذ هينة على كل حال.

(١) الزجاج وأبو عبيدة:

كان أبو عبيدة لكثير من الأسباب بغيضاً لدى معاصريه سواء في ذلك علماء عصره أو غيرهم من الناس، وقد أخرج كتابه مجاز القرآن^(١) الذي عنه أن يبين فيه المعاني المجازية والتشبيهات وما وراء المعنى اللغوي، وقد جرى فيه على الطريقة اللغوية من شرح الكلمات والاستشهاد على شرحه بأشعار العرب وما أثار عنهم من لغة وأمثال، ولم ينل هذا الكتاب قبولاً لدى معاصريه بل عابوه وشنعوا على صاحبه، حتى الفراء المعروف بنزعة الفلسفية وتحرره العقلي غمزه في غير موضع من كتابه «معاني القرآن»، وجاء أبو عبيد القاسم بن سلام فشرع في كتابة تفسير قرآني - والقاسم كان جماعة حسن التصنيف لا كاتباً أصلي التأليف - فنقل كثيراً عن أبي عبيدة والفراء، ولكن أحمد بن حنبل كتب إليه أن: قد بلغني أنك تكتب كتاباً في القرآن أقمت فيه الفراء وأبا عبيدة أئمة يحتج بهما في معاني القرآن فلا تفعل.. فترك أبو عبيد الكتاب، وكان قد انتهى إلى الحج والأنبياء^(٢) فأخذه أبو إسحق إسماعيل بن الحسن فآتمه.

(١) أورد كل من: ابن النديم والقفطي وياقوت أسماء كتب تفسيرية لأبي عبيدة غير مجاز القرآن، ومال محققه الدكتور محمد فؤاد سازكين إلى أنه كتاب واحد. سمي بهذه الأسماء.

(٢) انظر طبقات القراء الورقة ٤٥.

أما الزجاجة فقد جرى أباً عبدة في بعض آرائه وضمن كتابه هذا ما لم يوافق العلماء أباً عبدة عليه، وقد أشرنا إلى ذلك في بعض مواضعه من تعليقنا، وزاد على ذلك أن وثقه وقال إنه ثقة لا يروي غير الصحيح، هذا مع أن الزجاجة كان حنبلي المذهب، وكان آخر ما دعا الله به أن يحشره على مذهب أحمد بن حنبل^(١).

هذه النزعة - من متابعة أبي عبدة ومخالفة ابن حنبل - تدل على مدى ما للزجاجة من حرية في الرأي واستقلال في الفكر، ولكن هذا لا يمنع أن ما جرى فيه أباً عبدة خطأ لا يقبل. وما تابعه فيه نقد من كثيرين خصوصاً من الفراء والأصمعي.

وقد نبهنا إلى بعض الأخطاء التي جرى فيها الزجاجة أباً عبدة، كما أشرنا إلى إستفادته من مجازه.

ومع هذا فالزجاجة له شخصيته وليس منبهاً أو مائعاً في أي من أسلافه، وقد تحاشى كثيراً من أخطاء أبي عبدة ولم يجاره في لغوياته التي انفرد بها وهي تجاري قواعد اللغة ولا تتفق ومذاهب التفسير، كما رد آراء أبي عبدة أحياناً وفندها فكان موقفه منه موقفه من اللغويين السابقين، ولا بأس من مجاراته في بعض الآراء وإن كانت شاذة لأن الزجاجة نفسه له آراء شاذة، وميزة الزجاجة أنه رجل متدين يخشى أن يقع في محرم إذا شذ في تفسيره، أما أبو عبدة فجريء معتمد على معلوماته اللغوية دون تقييد بشيء.

(ب) مذهب الزجاجة الاشتقاقي:

للزجاجة مذهب خاص في اشتقاق الكلمات وأخذ بعضها من بعض، فهو يرى أن كل لفظتين اتفقتا في بعض الحروف وإن نقصت حروف إحداهما عن

(١) ياقوت ١/ ١٣٠.

حروف الأخرى، فإنَّ إحداهما مأخوذة من صاحبتهَا، وقد أورد هذه القاعدة في كتابه «معاني القرآن» وجرى عليها^(١)، فكما ذكرت من قبل، يقف عند الكلمة فيذكر الكلمات المشتركة معها في الحروف أو في بعضها، ثم يوجد معنى جامعاً أساسياً لكل هذه المعاني التي جاءت في الكلمات العديدة.

وللزجاج كتاب يسمى «كتاب الاشتقاق» لم أقف عليه ولا أظنه موجوداً، ولكن يفهم من كتاب «معاني القرآن» ومن القاعدة التي كررها الزجاج وجرى عليها، أنه سلك في كتابه هذا المسلك. فتلك هي طريقته.

وجاء في المزهَر هذا المثال:

قال الزجاج شجرتُ فلاناً بالرمح، تأويله جعلته فيه كالغصن في الشجرة، وقيل للحلقوم وما يتصل به كأغصان الشجرة. وتشاجر القوم إنما تأويله اختلفوا كأغصان الشجرة، وكل ما تفرع من هذا الباب فأصله الشجرة^(٢).

وقد نقل ياقوت عن كتاب الموازنة لحمزة الأصفهاني^(٣) نقداً لمذهب الزجاج في الاشتقاق جاء فيه بعد ذكر القاعدة التي سبقت:

«... فيقول: الرَّجُلُ مشتقٌّ من الرَّجْلِ، والثَّوْرُ إنما سمي ثوراً لأنه يُشِيرُ الأرضَ، والثَّوْبُ إنما سُمِّيَ ثوباً لأنه ثَابٌ^(٤) لباساً بعد أن كان غَزْلاً، حسيبه الله. كذا قال، قال: وزعم أن القَرْنانَ^(٥). إنما سُمِّيَ قَرْنَاناً لأنه مطبق لفجور

(١) انظر ص ٢٠٢.

(٢) المزهَر ١٦٧.

(٣) هو حمزة بن الحسن المؤدب، له كتاب «الموازنة بين العربي والعجمي» قال القفطي لم يأت أحد بمثله، صنفه لعصد الدولة البويهية وكان حمزة شعوبياً، أنظر ترجمته في أنباء الرواة ح ١

- ٣٣٥.

(٤) صار وتحول ثوباً.

(٥) الديوث يقبل اقتران غيره بزوجه.

امراته، كالثور القرنان أي المطيق لحمل قرنه، وفي القرآن ﴿وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾^(١) أي مطيقين.

«قال: وحكى يحيى بن علي^(٢) ... أنه سأل بحضرة عبد الله بن أحمد^(٣) ... من أي شيء اشتق الجرجير، قال لأن الريح تُجَرِّجُهُ قال: وما معنى تجرجره، قال تجرره، قال ومن هذا قيل للحبل الجرجير، لأنه يجر على الأرض، قال والجرة لم سميت جرّة، قال: لأنها تُجَرُّ على الأرض، فقال لو جرت على الأرض لانكسرت».

ويعني ياقوت في نقله فيحكي أنه سئل عن الفصيل المُجَرُّ، فقال الزجاج لأنهم جروا لسانه، قال السائل فإذا جروا أذنه أيسمى مجراً؟ قال الزجاج هذا لا يجوز، قال نقضت العلة التي جئت بها.

ثم يحكي أن الزجاج سئل أيضاً عن اشتقاق القصعة فقال لأنها تقصع الجوع أي تكسره، قال ابن العلاف: يلزمه أن يقول الخَضَخَضُ مشتق من الخَضِيز^(٤) والعَصْفُور^(٥) مشتق من العَصْفُور ... والعذب من الشراب مشتق من العذاب، والخريف من الخروف ... والخنفساء من الفساء، والخنثى من الأنثى، والمخنث من المؤنث. ضَرَطُ إبليس على ذا من أدب^(٦).

ومن هذا نرى أن معاصري الزجاج بالغوا في نقده وألزموه قياساً في اللغة

(١) سورة الزخرف ١٤.

(٢) يحيى بن علي المعروف بابن المنجم النديم، أديب شاعر واسع المعلومات من ندماء المعتضد والمكتفي توفي سنة ٣٠٠ هـ.

(٣) ابن حمدون النديم.

(٤) الخضخض خرز أبيض، والخضيز المكان المترب المبلل.

(٥) نبت يستعمل لصبغه الأحمر، يقال عصفت الثوب.

(٦) انظر ياقوت ح ١ - ١٤٤ - ١٤٦.

لم يقل به، ثم افترضوا افتراضات بعيدة وآخذوه بها. والذي جَرَّ إلى هذا هو أن الزواج نفسه بالغ في مذهبه الاشتقاقي، ولكن مبالغته ما كانت تجرُّ إلى هذا كله.

بجانب ذلك نجد كبار اللغويين الذين سبقوا عصر الزواج لم يكونوا يهتمون بالاشتقاق كثيراً، فالأصمعي وأبو عبيدة لم يعرفوا اشتقاق منى أو على الأصح لم يتكفلوا لها اشتقاقاً وأبو حاتم لم يعرف اشتقاق «ثاون» اسم فرس^(١)، ولم ينقصهم ذلك شيئاً، ولكن نجد أبا الحسن الأخفش يجري في طريق الزواج نفسه فيقول: الدُّكَّانُ مشتق من الدُّكْدَك - وهي أرض فيها غُلْظٌ وانبساط، وناقَة دَكَّاءٌ إذا كانت مفترشة السنام أو مجبوتة^(٢).

وقد شغل الاشتقاق تفكير كثير من النحويين واللغويين وألف غير واحد منهم في اللغة كتاباً سُمي «الاشتقاق»^(٣) ونجد لهم اتجاهاً غير بعيد مما ذهب إليه الزواج، فيونس كان يقول: إن اللَّمَّةَ سميت لَمَّةً لأنها أَلَمْتُ بالأذنين^(٤)، وسأل أبو عمرو أعرابياً: لم سميت الخيل خيلاً فقال لأنها تمشي العِرْضَةَ ففسرها أبو عمرو بأن الخيل مأخوذ من الخِيْلَاءِ، كما قالوا: إِنْ مَنَى سُمِّيت مَنَى لما يمضي فيها من الدَّمَاءِ^(٥).

ونقل السيوطي عن ابن دحية: الاشتقاق من أغرب كلام العرب وهو ثابت عند الله تعالى بنقل العدول عن رسول الله ﷺ. وهي جمع المعاني الكثيرة

(١) المزهر ١٦٨.

(٢) نفسه، أي لا سنام لها.

(٣) من الذين تركوا كتباً بهذا الاسم الأخفش الصغير سعيد بن مسعدة، وأبو الحسن، والأصمعي، وقطرب، وأبو نصر الباهلي، وابن السراج والمبرد، ولعل كتاب ابن دريد أكبرها وأشملها، وانظر المزهر ١ - ١٦٩، وابن النديم ٦٨ - ٩٣.

(٤) طبقات النحويين (٥٠).

(٥) المزهر ١٦٥.

في الألفاظ القليلة. فمن ذلك قوله فما صح عنه، يقول الله أنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها من اسمي^(١) . . .

أما سبب إهمال الأولين له فيذكر فيه السيوطي أيضاً أن التفاريع الكثيرة عن الحروف القليلة تأتي بمعان بعيدة عن الأصل كما في الرضاب والضراب، وهي مأخوذة من الضَرْب^(٢).

وكذلك نجد اتفاقاً بين مذهب الزجاج وسيبويه^(٣)، ونجد تقارباً أو اتفاقاً أكثر بين الزجاج وابن دريد، لأن كلا الرجلين متأثر بكتاب العين، وعلى أي حال فالذي يؤخذ على الزجاج هو مبالغته في الاشتقاق، وتشدده في رد الكلمات المتشابهة إلى أصل واحد، حتى ولو كان الشبه ضعيفاً، أو كانت الحروف المشتركة قليلة، ثم لا ريب لدينا أن خصوم الزجاج بالغوا في نقده.

ويبدو أن الذي وجّه الزجاج هذه الوجهة هو مهنته التعليمية ورغبته في إيجاد رابط يجمع الكلمات الكثيرة تحت معنى واحد، لِيُسَهِّلَ على الدارسين إحاطتهم بهذه الكلمات، ثم إن اشتغاله بتفسير جامع النطق واهتمامه بكتاب العين، مما أوحى إليه بهذه الطريقة، وقد قدمنا مدى تأثره بهذا الكتاب حتى لا تكاد توجد له حكاية في اللغة إلاّ مِنْهُ^(٤).

وأياً ما كان فتفسيره تفسير لغوي لا يضيره حشد هذه اللغويات فيه، ولا غماري في أن كثيراً منها لا يمس النص القرآني، وحذفه لا يضير.

(ج) نقد الفارسي:

ألف أبو علي الفارسي - تلميذ الزجاج - كتاباً في نقد معاني القرآن سماه

(١) المزهر ١٦٤.

(٢) الرضاب: الريق، والضراب إتيان الفحل الناقة والضَرْب: العسل، والضريب الجليد.

(٣) انظر المزهر ١٦٨.

(٤) ضحى الإسلام - ٢ - ٢٦٨.

«الإغفال» ويسمى أيضاً «كتاب المسائل المصلحة من كتاب معاني القرآن»^(١).
جاء في مقدمته:

«هذه مسائل من كتاب أبي إسحاق إبراهيم بن السري في إعراب القرآن ذكرناها لما اقتضت عندنا من الإيضاح منها، للإغفال الواقع فيها، ونحن ننقل كلامه في كل مسألة من هذه المسائل بلفظه وعلى جملته، وعن النسخة التي سمعناها منه فيها، ثم نتبعه بما عندنا. وبالله التوفيق».

ثم مضى يسرد المسائل التي يريد شرحها وردّ الزجاج فيها مبتدئاً من ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ثم فاتحة الكتاب، ثم سورة البقرة وهكذا - عدا السور التي لا مأخذ فيها - وتبلغ صفحات الكتاب ٦٤٩ صفحة، فهو كتاب كبير.

والمأخذ التي رد أستاذة فيها بوجه عام مأخذ لغوية ونحوية، وأكثرها متعلق بما جاء في كتاب سيبويه، مما يدل على أن الفارسي أعمق دراسة لهذا الكتاب، وأدق في شرحه من الزجاج، ولكن هذا النقد لا يخلو من حدة وتحامل أحياناً، كتبه الفارسي وهو في شرح شبابه، وكان قد تلقى هذا الكتاب وهو في سن مبكرة، لأنه حتى وفاة الزجاج لم يكن بلغ العشرين من عمره.

ومن أمثلة نقده أن الزجاج ذكر في تفسيره ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ أنه يكره أن يذكر ما قاله النحويون في اشتقاق اسم الجلالة، فردّه الفارسي بأنه قد فعل ذلك في سورة الحشر عند تفسيره الآية: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ...﴾ الخ.

ثم خطئه في هذا الشرح. إذ حكى عن سيبويه رأياً منسوباً للخليل بن أحمد، وهو غير صحيح، ثم مضى الفارسي يشرح كلمة «الله» ويبين اشتقاقها، وما قال النحويون في ذلك.

(١) اطلعت على نسختين منه بدار الكتب والوثائق إحداهما بخط قديم وبرقم ٥٢ تفسير، والأخرى بخط حديث جميل وهي برقم ٦٩٩، وبها كلمات قليلة ناقصة. والكتاب مطبوع الآن.

فالتخطة راجعة إلى الحكاية عن سيبويه.

وفي الآية: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ﴾ ذكر الزجاج أن علة جزم لم الفعل أنها ردت إلى الماضي، وعلل نصب «أن» المصدرية للمضارع أنها كانت معه بمنزلة الاسم الصحيح، ثم قال الزجاج إن كل حرف لزوم الفعل وأحدث فيه معنى فله من الإعراب على قسط معناه.

نقض الفارسي هذه القواعد الثلاث، فذكر أنه يلزم على هذا أن «إذن» و«كي» لا تنصب لأنها لا تؤول مع الفعل بعدها بإسم. . ويلزم أيضاً أن «إن» الشرطية لا تجزم لأنها لا ترد المضارع إلى الماضي، وبأن السين وسوف لهما أثر في الفعل إذ يحضن المضارع للاستقبال ومع هذا لا أثر إعرابياً لهما^(١).

وقد عاد الفارسي لهذا النقد مرة أخرى عند ذكره الآية الكريمة: ﴿وَقَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارَ إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُودَةً﴾ فقد حكى الزجاج عن الخليل رأيين في «لن» أحدهما أنها تنصب كما تنصب «أن» وليس ما بعدها صلة لها أي لا تؤول معه بمصدر والثاني أن الأصل فيها «لأن» فحذفت الهمزة استخفافاً، وتخطئة الفارسي هنا أنه لم يرو عن الخليل إلا رأي واحد. .

نقد الفارسي كما ترى لا يرجع إلى نقد التفسير، وإنما يرجع إلى معارضة في علل نحوية، أو إلى نقد رواية. ومع هذا، ففي النقد الأول يلزم الفارسيّ الزجاج بقياس لغوي أو اطراد علة، وفي الثاني: لا يجادل أحد في أن «لن» تنصب المضارع ولا تؤول معه بمصدر، فالنقد يرجع إلى الرواية لا إلى القاعدة.

وبوجه عام درس الفارسي كتاب سيبويه أعمق من درس الزجاج وأدق وتعليقاته النحوية أدنى للقبول من آراء الزجاج.

(١) انظر ص ٦٧.

وكتاب «الإغفال» أو «المسائل المصلحة» قِيم بما يحوي من تشریحات نحویة ولغویة، ولكنه لا یغُضُّ من «معاني القرآن» ككتاب تفسیر.

وقد أشرنا فی التعليق على هذا الكتاب إلى كثير مما جاء فی الإغفال وأغضينا عما لا یمس جوهر الكتاب.

ولا ریب أن أبا علي بنی لنفسه بهذا الكتاب مكانة ومجداً، برده على هذا العالم الكبير، وقد تتبعه فی آرائه الخاصة التي انفرد بها مثل كاف الخطاب والهواء فی إیالك وإياه وغيرها من نحویات الزجاج.

ولا یستفید من كتاب الفارسي من لم یكن قرأ كتاب سیبویه ودرسه.

میلاد الزجاج ووفاته :

أكثر ما یذكره أصحاب التراجم ویملون إلیه أن الزجاج توفي سنة ٣١١ هـ. ولكن هناك أقوالاً أخرى فی سنة وفاته، قیل كانت سنة ٣١٠، وقیل ٣١٦، وقیل ٣٢٠ وقد آثرنا المشهور المتداول.

وفی معجم الأدباء أنه مات فی جمادی الآخرة سنة إحدى عشرة وثلاثمائة، وحكي أنه لما حضرته الوفاة سئل عن سنه فعقد أصابعه یشیر إلى أنه عمر سبعین عاماً. وإذن فهو قد ولد فی سنة إحدى وأربعین ومائتین.

وقد ألف عدداً من الكتب فی النحو واللغة والعروض والأدب، وصدرنا الكتاب بقائمة الكتب التي تركها.

وبعد فهذا هو الجزء الأول من معاني القرآن للزجاج وأسأل تعالی أن یعینني على إخراج بقية الكتاب وأن یجعل فی عملي ما أثاب علیه منه سبحانه وتعالی وهو حسبي ونعم الوکیل والحمد لله رب العالمین.

عبد الجلیل شلبي

القاهرة - ديسمبر سنة ١٩٧٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج:
هذا كتاب مختصر في إعراب القرآن ومعانيه، ونسأل الله التوفيق في
كل الأمور^(١).

قوله عز وجل: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾^(٢):
الجالب للباء معنى الابتداء، كأنك قلت: بدأت باسم الله الرحمن
الرحيم، إلا أنه لم يحتاج لذكر «بدأت» لأن الحال تنبئ أنك مبتدئ.
وسقطت الألف من باسم الله في اللفظ وكان الأصل: «باسم الله» لأنها^(٣)
ألف وصل دخلت ليتوصل بها إلى النطق بالساكين. والدليل على ذلك أنك إذا
صغرت الاسم قلت سمي والعرب تقول: هذا إسم، وهذا أسم، وهذا سيم.

قال الرازي:

باسم الذي في كل سورة سمة^(٤).

(١) هذه المقدمة ليست في ك، والمقدمة هناك هي: الحمد لله وبه نستعين، وهو حسبنا ونعم
المعين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله أجمعين.

(٢) ك: باسم الله فقط.

(٣) في الأصل لأنه.

(٤) في اللسان إسم وإسم، وسم وسم، وخرج «سيم» - بالكسر - على أنه لغة منه قال اسم بكسر
الهمزة، فطرح الألف وألقى حركتها على السين وهذا الرجز أنشده أبو زيد لرجل من كلب:
أرسل فيها بازلاً يقرمه وهو بها ينحو طريقاً يعلمه

وسمه أيضاً روى ذلك أبو زيد الأنصاري وغيره من النحويين، فسقطت الألف لما ذكرنا^(١).

وكذلك قولك: «ابن» الألف فيه ألف وصل، تقول في تصغيره «بني». ومعنى قولنا إسم: أنه مشتق من السمو، والسمو الرفع، والأصل فيه سمو - بالواو - على وزن جمل، وجمعه أسماء، مثل قنو وأقناء^(٢)، وحنو وأحناء^(٣). وأنما جعل الاسم تنويهاً باسم الله على المعنى، لأنَّ المَعْنَى تحت الإسم^(٤).

ومن قال: إنَّ اسماً مأخوذاً من «وسمت» فهو غلط، لأنَّا لا نعرف شيئاً دخلته ألف الوصل وحذفت فائوه، أعني فاء الفعل، نحو قولك «عِدَّة» و«زِنَة»، وأصله^(٥) «وعِدَّة» و«وزِنَة». فلو كان «اسم» وسمة لكان تصغيره إذا حذفت منه

= باسم الذي في كل سورة سمه

وروى الكسائي هذا الرجز عن بعض بني قضاة بضم السين «سمه». وقال ابن سيده: الضم في قضاة كثير. فالرجز شاهد على الكسر والضم جميعاً.

(١) ط: لما قلنا.

وأبو زيد الأنصاري، هو سعيد بن أوس من مشهوري نحاة البصرة، أخذ عن أبي عمرو بن العلاء، وكان سيبويه يسميه الثقة، وأخذ عن الكوفيين ولم يفعل ذلك غيره من البصريين، كما روى معظم كتابه «النوادر» عن المفضل الضبي، واشتهر أيضاً باللغة والغريب، ت ٢١٥ هـ ابن خلكان ١، ٢٦٠، طبقات النحويين ٦٥.

(٢) القنو - بالكسر والضم - والقناء - بالكسر - والفتح -: الكباسة وجمعه أقناء، وقني وقنن، وقنوان.

(٣) الجنو والحنو - بالكسر والفتح - كل ما فيه عوج من البدن وغيره وكل يجمع على أحناء، وجني، وحنني.

(٤) يجاري الزجاج أبا عبيدة في أن الاسم هو المسمى، وأبو عبيدة ذكر هذا في غير موضع من «مجاز القرآن» ورده كثيرون منهم الفراء والمبرد، وقسا عليه الطبري في رده أنظر مجاز أبي عبيدة ص ١٦ قال باسم الله إنما هو بالله. لأن اسم الشيء هو الشيء بعينه قال لبيد: إلى الحول ثم اسم السلام عليكما....

(٥) في الأصل: «وأصلها».

ألف الوصل «وُسَيْم»، كما أن تصغيرَ عدة وَصِلَة: وَصَيْلَة، وَوَصَيْلَة، ! ولا يُقدِر أحد أن يرى أَلِفَ الوَصْلِ فيما حذفتْ فاؤه من الأسماء.

وسقطت الألف في الكتاب^(١) من «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» ولم تسقط في «إِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ» لأنه اجتمع فيها مع أنها تسقط في اللفظ كثرة الاستعمال.

وزعم سيبويه^(٢) أن معنى الباء الإلصاق، تقول كتبت بالقلم والمعنى أن الكتابة ملصقة بالقلم، وهي مكسورة أبداً لأنه لا معنى لها إلا الخفض^(٣) فوجب أن يكون لفظها مكسوراً ليفصل بين ما يجزّ وهو اسم نحو كاف قولك كزید^(٤)، وما يجز وهو حرف نحو يزيد، لأن أصل الحروف التي يتكلم بها وهي على حرف واحد الفتح أبداً إلا أن تجيء علة تزيله لأن الحرف الواحد لا حظ له في الإعراب، ولكن يقع مبتداً في الكلام ولا يبتداً بساكن فأختير الفتح لأنه أخف الحركات، تقول رأيت زيدا وعمراً، فالواو مفتوحة، وكذلك فعمراً الفاء مفتوحة، وإنما كسرت اللام في قولك: «لِزِيدٍ» ليفصل بين لام القسم ولام الإضافة^(٥) ألا ترى أنك لو قلت: إِنَّ هَذَا لِزِيدٍ علم أنه ملكه، ولو قلت: «إِنَّ هَذَا لِزِيدٍ» علم أن المشار إليه هو زِيدٌ فلذلك كُسِرَت اللام في قولك لِزِيدٍ ولو قلت: إِنَّ هَذَا الْمَالُ لَكَ، وَإِنَّ هَذَا لَأَنْتَ فتحت اللام لأن اللبس قد زال^(٦).

(١) في الكتابة.

(٢) سيبويه، هو أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، مولى بني الحارث بن كعب، وكتابه «كتاب سيبويه» أم النحو، لم يسبقه كتاب مثله ولا استغنى عنه نحوي بعده، أخذ عن الخليل، وعيسى ابن عمر ويونس وغيرهم. وأخذ اللغة عن الأخفش الأكبر، ت ١٨٠، ونيف على الأربعين (البغية ٣٦٦ ابن خلكان ١ - ٤٨٧).

(٣) لا تؤدي معنى إعرابياً غيره.

(٤) الزواج يعتبرها أسماء. وهذا مذهبه.

(٥) الملكية.

(٦) حيث لا يحتاج الضمير إلى توكيد، ولا اشتراك فيه.

والذي قلناه في اللام هو مذهب سيبويه ويونس^(١) والخليل^(٢)، وأبي عمرو بن العلاء^(٣) وجميع النحويين المؤثوق بعلمهم.

وكذلك تقول: أَرِيدُ في الدار؟ فالألف مفتوحة وليس في الحُرُوف المبتدأة مما هو على حرفٍ (حرف)^(٤) مكسور إلا الباء ولام الأمر وحدهما^(٥) وإنما كسرتا لليلة التي ذكرنا، وكذلك لام الإضافة، والفتح أصلها.

وأما لام كي في قولك: جئتُ لَتَقُومَ يا هذا، فهي لام الإضافة التي في قولك «المالُ لِزَيْدٍ»، وإنما نُصِبَتْ تقوم بإضممار «أَنْ» أو «كَيَّ» الَّتِي في معنى «أَنْ»، فالمعنى: جئتُ لِقِيَامِكَ.

وما قلناه في اشتقاق «اسم» قول لا نعلم أحداً فسره قبلنا.

(١) يونس بن حبيب أبو عبد الرحمن الضبي - مولى لهم - من أهل جُبَل، أخذ عن أبي عمرو بن العلاء وأخذ عنه سيبويه والكسائي والفراء، وكان ثقة في روايته، عسير الحفظ قليل النسيان وكان يشبه بالقلة ضيقة الحلق ت ١٨٢.

ابن خلكان ١ - ١٥٥. البغية ٤٢٦.

(٢) الخليل: هو الخليل بن أحمد الفراهيدي، أزدى كان شاعراً لغوياً ذكياً لذكائه نوادر تروى، وهو واضع علم العروض وصاحب كتاب العين الذي أراد أن يجمع فيه اللغة كلها، ولكنه لم يكمله.

وهو أستاذ سيبويه وأكثر رواية سيبويه عنه توفي سنة ١٧٥ هـ عن ٤٤ سنة.

أنظر عنه أخبار النحويين البصريين ٣٠ والبغية ١ - ٢٤٣ وابن خلكان ١/٢١٦. وأنظر أمالي المرتضى ١ - ٩٤.

(٣) أبو عمرو، اسمه زيان (بالباء) من علماء البصرة وأحد القراء السبعة، أخذ عن عبد الله بن أبي إسحاق وكان أوسع منه علماً، وكان يقرئ بجامع البصرة أمام الحسن البصري. ثقة واسع الرواية والعلم ت ١٥٤ هـ غاية النهاية ١ - ٢٨٨.

(٤) ك فقط.

(٥) ط: إلا الباء ولام الأمر... وكذلك لام الإضافة، وإنما كسرت لليلة... الخ. ولام الإضافة هي لام الجر.

وأما قولك: ليضرب زيدٌ عمرًا، فإنما كسرت اللام ليُفرقَ بينها وبين لام التوكيد^(١)، ولا يبالى بشبهها بلام الجر لأن لام الجر لا تقع في الأفعال، وتقع لام التوكيد في الأفعال، ألا ترى أنك لو قلت: لتضرب وأنت تأمر لأشبه لام التوكيد إذا قلت: إنك لتضرب. فهذا جملة ما في الحروف التي على حرف واحد.

فأما اسم الله عز وجل فالألف فيه ألف وصل، وأكره أن أذكر جميع ما قال النحويون في اسم الله أعني قولنا «الله» تنزيهاً لله عز وجل^(٢).

وقوله عز وجل: ﴿الرحمن الرحيم﴾.

هذه الصفات لله عز وجل، معناه^(٣) فيما ذكر أبو عبيدة^(٤): ذو الرحمة، ولا يجوز أن يقال «الرَّحْمَانُ» إلا لله، وإنما كان ذلك لأن بناءً فعلان من أبنية ما يُبالغ في وصفه، ألا ترى أنك إذا قلت^(٥) غضبان فمعناه المُمْتَلِيء غضباً، فَرَحْمَانُ الَّذِي وَسَعَتْ رَحْمَتُهُ كُلَّ شَيْءٍ فَلَا يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ لغير الله رحمان، وخُفِضَتْ هذه الصِّفَاتُ لأنها ثناء على الله - عز وجل - فكان إعرابها إعراب اسمه، ولو قلت في غير القرآن: بسم الله الكريم والكريم، والحمد لله رب العالمين، ورب العالمين: جاز ذلك، فمن نصب رب العالمين فإنما ينصب

(١) هي ساكنة في الأصل، وكسرت لوقوعها أول الكلمة، فإن سبقت بحرف كانت ساكنة نحو وليتق الله ربه.

(٢) أخذ عليه أبو علي الفارسي أنه ذكر ذلك في آخر سورة الحشر وسيأتي ذلك.

(٣) معنى هذا اللفظ أو هذا التعبير.

(٤) أبو عبيدة: معمر بن المثنى أخذ عن أبي عمرو بن العلاء، وكان أجمع الناس لأخبار العرب وأيامهم ولكنه كان يكره العرب، ويتهم باليهودية، ترك كتباً كثيرة منها «مجاز القرآن» وهو تفسير لغوي موجز فيه كثير من المآخذ، ولكن الزجاج يعتمد عليه كثيراً وينقل أقواله، توفي أبو عبيدة

سنة ٢٠٨ هـ. ابن خلكان ٢ - ١٣٨ البغية ٣٩٥.

(٥) عبارة ك: ألا ترى غضبان معناه الممتلئ.

لأنَّه ثَنَاءٌ عَلَى اللَّهِ ، كَأَنَّهُ لَمَّا قَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ اسْتَدَلَّ بِهَذَا الِلفْظِ أَنَّهُ ذَاكِرُ اللَّهِ ،
فَقَوْلُهُ : رَبُّ الْعَالَمِينَ كَأَنَّهُ قَالَ أَذْكُرُ رَبَّ الْعَالَمِينَ ، وَإِذَا قَالَ رَبُّ الْعَالَمِينَ فَهُوَ
عَلَى قَوْلِكَ : هُوَ رَبُّ الْعَالَمِينَ : قَالَ الشَّاعِرُ : (١)

وَكُلَّ قَوْمٍ أَطَاعُوا أَمْرَ مُرْشِدِهِمْ إِلَّا نُمَيْرًا أَطَاعَتْ أَمْرَ غَاوِيهَا
الظَّاعِنِينَ وَلَمَّا يُظْعِنُوا أَحَدًا وَالْقَائِلِينَ لِمَنْ دَارَ نَخْلِيهَا

فَيَجُوزُ أَنْ يُنْصَبَ «الظَّاعِنِينَ» عَلَى ضَرْبَيْنِ : عَلَى أَنَّهُ تَابِعُ نُمَيْرًا ، وَعَلَى
الذَّمِّ ، كَأَنَّهُ قَالَ : أَذْكُرُ الظَّاعِنِينَ (٢) ، وَلَكَ أَنْ تَرْفَعَ تَرِيدُ هُمُ الظَّاعِنُونَ ، وَكَذَلِكَ
لَكَ فِي «الْقَائِلِينَ» النِّصْبُ وَالرَّفْعُ ، وَلَكَ أَنْ تَرْفَعَهُمَا جَمِيعًا ، وَلَكَ أَنْ تُنْصِبَهُمَا
جَمِيعًا ، وَلَكَ أَنْ تَرْفَعَ الْأَوَّلَ وَتُنْصِبَ الثَّانِي ، وَلَكَ أَنْ تُنْصِبَ الْأَوَّلَ وَتَرْفَعَ
الثَّانِي . لَا خِلَافَ بَيْنَ النُّحَوِيِّينَ فِيمَا وَصَفْنَا .

(١) هُوَ ابْنُ خِيَاطِ الْعُكْلِيِّ ، وَابْنُ بَيْتَانَ فِي كِتَابِ سَيَوِيهِ ٢ - ٢٤٩ وَرَوَايَتُهُمَا هُنَاكَ بَرَفَعِ الظَّاعِنِينَ ،
وَهُمَا أَيْضًا فِي الْإِنْصَافِ ٢٧٦ ، وَمَجَازُ أَبِي عُبَيْدَةَ ١ - ١٧٣ وَابْنُ الْبَيْتِ الثَّانِي فِي اللِّسَانِ (ظَعْن) .
(٢) الْأَوَّلَى أَنْ يَكُونَ التَّقْدِيرُ «أَدَمَ» .

ومن سورة الحمد

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ .
(معنى الحمد الشُّكْرُ والثناء على الله تعالى ^(١)).

﴿الحمد﴾ رفع بالابتداء، وقوله : ﴿لِلَّهِ﴾ إخبارٌ عَنِ الْحَمْدِ والاختيارُ في الكلامِ الرَّفْعُ، فأما القرآنُ فلا يُقرأُ فيه ﴿الحمد﴾ إلا بالرفع، لأنَّ السُّنَّةَ تتبع في القرآن، ولا يُلْتَفَتُ فيه إلى غير الروايةِ الصَّحِيحَةِ الَّتِي قَدْ قُرِئَ بِهَا الْقُرْآنُ المشهورُونَ بالضبط والثقة، والرفعُ القَرَاءَةُ، ويجوزُ في الكلام أن تقول «الْحَمْدُ» تريدُ أَحْمَدَ اللهَ الْحَمْدَ فاستغنيت عن ذكرِ «أحمد» لأنَّ حَالَ الْحَمْدِ يجب أن يكونَ عليها الخلقُ، أَلَّا أَنْ الرَّفْعَ أَحْسَنُ وأبلغ في الثناء على الله عز وجل ^(٢).

وقد روي عن قوم من العرب : «الحمد لله» و «الحمد لله»، وهذه لغة من لا يُلْتَفَتُ إليه ولا يتشاغل بالرواية عنه ^(٣).

وإنما تشاغلنا نحنُ برواية هذا الحرف لِنَحْذَرَ الناسَ من أن يَسْتَعْمِلُوهُ،

(١) في ك فقط.

(٢) قراءة النصب لها وجه من الإعراب ولكن المعنى فيها يختلف، فالجملة الاسمية تدل على أن الله وحده المستحق للحمد، أما الفعلية فتدل على إنشاء حمد من المتكلم، ولهذا قال الطبري

إن متعمدها يستحق العقوبة أنظر الطبري ١ - ١٣٨ - ١٣٩

(٣) لغة الجر. وانظر معاني الفراء ص ٣ ج ١.

أَوْ يَظُنَّ جَاهِلٌ أَنَّهُ يَجُوزُ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، أَوْ فِي كَلَامٍ، وَلَمْ يَأْتِ لِهَذَا
نَظِيرٌ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ. وَلَا وَجْهَ لَهُ.

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾.

قد فسرنا أنه لَا يَجُوزُ فِي الْقُرْآنِ إِلَّا ﴿رَبُّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ
الرَّحِيمِ﴾^(١) وَإِنْ كَانَ الرِّفْعُ وَالنَّصْبُ جَائِزَيْنِ فِي الْكَلَامِ، وَلَا يَتَخَيَّرُ لِكِتَابِ
اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا اللَّفْظُ الْأَفْضَلُ الْأَجْزَلُ.

وقرله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿الْعَالَمِينَ﴾ معناه كُلُّ مَا خَلَقَ اللَّهُ، كَمَا قَالَ: ﴿وَهُوَ
رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ وَهُوَ جَمْعُ عَالَمٍ، تَقُولُ: هَؤُلَاءِ عَالَمُونَ، وَرَأَيْتُ عَالَمِينَ، وَلَا
وَاحِدَ لِعَالَمٍ مِنْ لَفْظِهِ لِأَنَّ عَالَمًا^(٢) جَمْعٌ لِأَشْيَاءَ مُخْتَلِفَةٍ، وَأَنْ جُعِلَ «عَالَمٌ»
لِوَاحِدٍ مِنْهَا صَارَ جَمْعًا لِأَشْيَاءَ مُتَّفِقَةٍ^(٣).

وَالنُّونُ فُتِحَتْ فِي الْعَالَمِينَ لِأَنَّهَا نُونُ الْجَمَاعَةِ^(٤) وَزَعَمَ سَيِّبِيهِ أَنَّهَا
فَتَحَتْ لِيَفْرُقَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ نُونِ الْإِثْنَيْنِ، تَقُولُ: هَذَانِ عَالِمَانِ، يَا هَذَا، فَتَكْسِرُ
نُونَ الْإِثْنَيْنِ لِالْتِقَاءِ السَّاكِنَيْنِ، وَهَذَا يُشْرَحُ فِي مَوْضِعِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَكَذَلِكَ
نُونُ الْجَمَاعَةِ فَتَحَتْ لِالْتِقَاءِ السَّاكِنَيْنِ، وَلَمْ تَكْسِرْ لِثِقَلِ الْكَسْرِ بَعْدَ الْوَائِ وَالْيَاءِ
أَلَا تَرَى أَنَّكَ تَقُولُ «سَوْفَ» أَفْعَلُ فَتَفْتَحُ الْفَاءَ مِنْ «سَوْفَ» لِالْتِقَاءِ السَّاكِنَيْنِ،
وَلَمْ تَكْسِرْ لِثِقَلِ الْكَسْرِ بَعْدَ الْوَائِ وَكَذَلِكَ تَقُولُ: أَيْنَ زَيْدٍ فَتَفْتَحُ النُّونَ لِالْتِقَاءِ
السَّاكِنَيْنِ بَعْدَ الْيَاءِ.

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾.

الْقِرَاءَةُ الْخَفِضُ عَلَى مَجْرَى الْحَمْدِ لِلَّهِ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ وَإِنْ نُصِبَ - فِي

(١) ص (٤٣).

(٢) ك: عالم.

(٣) مثل عالم الأدب وعالم الكتب وعالم الإنسان أو الحيوان. أو الطيور. الخ.

(٤) عالمون ملحق بجمع المذكر السالم، وعالم اسم جمع.

الكلام - على ما نُصِب عليه «رَبُّ الْعَالَمِينَ وَالرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» جازَ في الكلام،
فَأَمَّا فِي (١) الْقِرَاءَةِ فَلَا أُسْتَحْسِنُهُ فِيهَا، وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ تُنْصِبَ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَمَالِكُ
يَوْمِ الدِّينِ عَلَى النَّدَاءِ فِي الْكَلَامِ كَمَا تَقُولُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ يَا رَبُّ الْعَالَمِينَ، «وَيَا
مَالِكَ يَوْمِ الدِّينِ» (٢) كَأَنَّكَ بَعْدَ أَنْ قُلْتَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ» قُلْتَ لَكَ الْحَمْدُ يَا رَبُّ
الْعَالَمِينَ وَيَا مَالِكَ يَوْمِ الدِّينِ.

وَقُرِئَ (مَلِكُ يَوْمِ الدِّينِ، وَمَالِكُ يَوْمِ الدِّينِ) (٣).

وَأَمَّا خُصَّ يَوْمُ الدِّينِ وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَمْلِكُ كُلَّ شَيْءٍ لِأَنَّهُ الْيَوْمُ الَّذِي
يُضْطَرُّ فِيهِ الْمَخْلُوقُونَ إِلَى أَنْ يَعْرِفُوا أَنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ، أَلَا تَرَاهُ يَقُولُ: ﴿لِمَنْ
الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ (٤) وَقَوْلُهُ:

﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا﴾ (٥) فَهُوَ الْيَوْمُ الَّذِي لَا يَمْلِكُ فِيهِ أَحَدٌ
لِنَفْسِهِ وَلَا لِغَيْرِهِ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا، وَمَنْ قَرَأَ ﴿مَالِكُ يَوْمِ الدِّينِ﴾ فَعَلَى قَوْلِهِ «لِمَنْ
الْمُلْكُ الْيَوْمَ». وَهُوَ بِمَنْزِلَةِ مَنْ الْمَالِكُ الْيَوْمَ (٦)، وَمَنْ قَرَأَ «مَالِكُ يَوْمِ الدِّينِ»
فَعَلَى مَعْنَى «ذُو الْمَمْلَكَةِ» فِي يَوْمِ الدِّينِ، وَقِيلَ إِنَّهَا قِرَاءَةُ النَّبِيِّ ﷺ.
وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَوْمَ الدِّينِ﴾.

الدِّينُ فِي اللُّغَةِ الْجَزَاءُ، يَقَالُ! كَمَا تَدِينُ تَدَانُ، الْمَعْنَى كَمَا تَعْمَلُ تُعْطَى،
وَتُجَازَى، قَالَ الشَّاعِرُ (٧):

(١) ط: وأما.

(٢) ب: ملك يوم الدين ومالك، ك: يا رب العالمين ويامالك.

(٣) ليست في ك.

(٤) ك الاثراه قال: والآية في سورة غافر ١٦.

(٥) الانفطار ١٩.

(٦) فاعل بمعنى الصفة المشبهة. أي هو الملك وحده في هذا اليوم.

(٧) يزيد بن عمرو بن نفيل الكلابي، وجه هذا الشعر إلى الحرث بن شمر الغساني وكان الحرث قد اغتصب ابنته وهو غائب، على عادته مع بني قيس بن عيلان، فلما عاد يزيد قال فيه هذا الشعر.

واعلم وأيقن أن مُلكك زائل واعلم بأن كما تدين تُدان
أي تجازى بما تفعل، والدين أيضاً في اللغة العادة، تقول العرب ما
زال ذلك ديني، أي عادتي. قال الشاعر^(١):

تقول إذا درأت لها وضيئي أهذا دينه أبداً وديني
وقوله عز وجل: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾.

معنى العبادة في اللغة الطاعة مع الخضوع، يقال هذا طريق مُعبد إذا
كان مُدلاً بكثرة الوطء، وبغير مُعبد، إذا كان مَطْلَباً بِالتَقَطُّرَانِ، فمعنى ﴿إِيَّاكَ
نَعْبُدُ﴾: إِيَّاكَ نطيع الطاعة التي نخضع معها، ومَوْضِعُ ﴿إِيَّاكَ﴾ نصبٌ بوقوع
الفعل عليه ومَوْضِعُ الكاف في ﴿إِيَّاكَ﴾ خفضٌ بإضافة «إِيَّا» إليها^(٢)، و«إِيَّا» اسم
للمُضْمَرِ المنصوب إلا أنه يُضاف إلى سائر المُضْمَرَاتِ، نحو: إِيَّاكَ ضَرَبْتُ
وإِيَّاهُ ضَرَبْتُ، وإِيَّاي حَدَّثْتُ، ولو قُلْتُ: «إِيَّا زَيْدٍ» كان قِيحاً^(٣) لأنه خُصَّ به
المُضْمَرُ، وقد رُوِيَ عن بعض العرب، رَوَاهُ الخليل: «إِذَا بَلَغَ الرَّجُلُ السِّتِينَ
فإِيَّاهُ وإِيَّا الشَّوَابَّ»^(٤).

= الكامل للمبرد ١ - ١٩٢ - المخصص ١٧ - ٩٥٥.

(١) المثقب العبدى شاعر جاهلي فحل اسمه عائذ بن محصن بن ثعلبة عاش زمن عمرو بن هند،
والبيت من نوثيته المعروفة، يصف ناقته بأنها أجهدت لكثرة الأسفار فهي تتخوف وتبزن كلما
رأته يتهاى للسفر.

الوضين: الحبل يشد به الرجل، درأته: مددته.

أنظر المفضلية ١١٩ - ص ٣٩٤.

(٢) هذا رأي الزجاج أما النحويون فعلى أن الكاف حرف خطاب وأيا وحدها ضمير. ويعزى
للخليل مثل هذا الرأي الذي ذكره الزجاج.

أنظر الأشموني وحاشية الصبان باب النكرة والمعرفة ج ١ - ٢٩.

(٣) هو ممنوع لا يجوز.

(٤) مثل عربي ينسب لعمر بن الخطاب، وهو يذكر في كتب النحو مثلاً للتحذير الشاذ، «إِيَّاهُ»
و«إِيَّا الشَّوَابَّ» منصوبان على التحذير شذوذاً وليس أي منهما مضافاً والشَّوَابَّ يقرأ بالنصب لا

ومن قال إن ﴿إياك﴾ بكماله الاسم، قيل له: لم نر اسماً للمضمر ولا للمظهر يُضاف وإنما يتغير آخره ويبقى ما قبل آخره على لفظ واحد^(١)، والدليل على إضافته قول العرب: «إِذَا بَلَغَ الرَّجُلُ السَّيِّئَ فَإِيَّاهُ وَإِيَّا الشَّوَابَ» يا هذا. وإجراؤهم الهاء في إِيَّاهُ مَجْرَاهَا فِي عَصَاهُ^(٢). وقوله عز وجل: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

الأصل في نستعين: نَسْتَعِينُ لَأَنَّهُ إِنَّمَا مَعْنَاهُ مِنَ الْمَعُونَةِ وَالْعَوْنِ. وَلَكِنْ السَّوَاءُ قُلِبَتْ يَاءٌ لِثِقَلِ الْكُسْرَةِ فِيهَا، وَنُقِلَتْ كَسْرَتُهَا إِلَى الْعَيْنِ، وَبَقِيََتِ الْيَاءُ سَاكِنَةً، لِأَنَّ هَذَا مِنَ الْإِعْلَالِ الَّذِي يَتَّبِعُ بَعْضُهُ بَعْضاً نَحْوَ أَعَانَ يُعِينُ وَأَقَامَ يُقِيمُ، وَهَذَا يُشْرَحُ فِي مَكَانِهِ شَرْحاً مُسْتَقْصِياً إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

قوله عز وجل: ﴿إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾.

معناه المنهاج الواضح قال الشاعر: ^(٣)

أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى صِرَاطٍ إِذَا اعْوَجَ الْمَنَاهِجُ مُسْتَقِيمٌ
أَيُّ عَلَى طَرِيقٍ وَاضِحٍ.

ومعنى ﴿إِهْدِنَا﴾ وهم مهتدون: ثَبَّتْنَا عَلَى الْهُدَى. كما تقول للرجل القائم: قم لي حتى أعود إليك، تعني: أثبت لي على ما أنت عليه^(٤).

= بالجر. والمثل يعني ابتعاده عن النساء جميعاً في هذه السن.

أنظر التصريح وحاشية الصبان على الأشموني باب التحذير.

(١) يريد أنه يقال إياك وإياهما وإياهم فتبقى إيا ويتغير ما بعدها وهو يعتبره جزءاً منها.

(٢) أي كأن يقال عصاك وعصاه وعصاي، وليس الأمر كما زعم لأن إياه ضمير فلا يأتي بعده ضمير مضاف إليه، أما عصا فيضاف للضمير وللظاهر يقال عصاه وعصا موسى.

(٣) هو جرير بن عطية الخطفي، الشاعر الأموي المعروف ت ١١٠.

أنظر الأغاني ٧ - ٣٥، والديوان ٥٠٧. ويروى البيت: إذا اعوج الموارد.

الموارد: جمع موردة ومورد، وهو مكان ورود الماء أو الطريق إليه.

(٤) يقال: قام له على حاجته إذا رعاها له.

وقوله عز وجل: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾.

صفة لقوله عز وجل: ﴿الصراط المستقيم﴾، ولك في عليهم ضم الهاء وكسرهما (تقول: الذين أنعمت عليهم وعليهم^(١)) وعلى هاتين اللغتين معظم القراء، ويجوز عليهم (بالواو^(٢)) والأصل في هذه - الهاء في قولك: ضربتهو يا فتى - ومررت بهو يا فتى - أن يتكلم بها في الوصل بواو^(٣)، فإذا وقفت قلت: ضربته ومررت به^(٣).

وزعم سيويه أن الواو زيدت على الهاء في المذكر كما زيدت الألف في المؤنث في قولك: ضربتها ومررت بها، ليستوي المذكر والمؤنث في باب الزيادة. والقول في هذه الواو عند أصحاب سيويه والخليل أنها إنما زيدت لخفاء الهاء وذلك أن الهاء تخرج من أقصى الحلق، والواو بعد الهاء أخرجتها من الخفاء إلى الإبانة، فلهذا زيدت، وتسقط في الوقف، كما تسقط الضمة والكسرة في قولك: أتاني زيد، ومررت بزيد، إلا أنها واو وصل^(٤) فلا تثبت لئلا يلتبس الوصل بالأصل. فإذا قلت: مررت بهو - يا فتى - فإن شئت قلت: مررت بهي فقلت الواو ياء لأنكسار ما قبلها، أعني الياء المنكسرة فإن قال قائل: بين الكسرة والواو الهاء، قيل الهاء ليست بحاجز حصين، فكان الكسرة تلي الواو، ولو كانت الهاء حاجزاً حصيناً ما زيدت الواو عليها. وقد قرئ فحسفنأ بهي وبادرهي الأرض^(٥)، وبهو وبادرهو الأرض، من قراءة أهل الحجاز، فإن قلت: فلان عليه مال، فلك فيه أربعة أوجه: إن شئت كسرت

(١) ليست في ك.

(٢) أي تمد في النطق.

(٣) بالإسكان.

(٤) عبارة ك: كما تسقط الضمة والكسرة في أتاني زيد. . . ولأنها واو وصل. ومعنى واو وصل أنها زيدت ووصلت بالكلمة وليست منها.

(٥) القصص ٨٢ - ٨١.

الهَاءُ^(١) وَإِنْ شِئْتَ أَثَبْتُ الْيَاءَ، وكذلك في الضَّمِّ إِنْ شِئْتَ ضَمَمْتَ الهَاءَ، وَإِنْ شِئْتَ أَثَبْتُ الْوَائِ، فَقُلْتُ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِ، وَعَلَيْهِ وَعَلَيْهِو (مَالُ^(٢)).

وَأَمَّا قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ﴾^(٣)، وَقَوْلُهُ:

﴿إِلَّا مَا دَمْتُ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾^(٤) فَالْقِرَاءَةُ بِالْكَسْرِ بِغَيْرِ يَاءٍ فِي «عَلَيْهِ» وَهِيَ أَجُودُ هَذِهِ الْأَرْبَعَةُ وَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَقْرَأَ بِمَا يَجُوزُ إِلَّا أَنْ تُثَبِّتَ بِهِ رِوَايَةُ صَحِيحَةٍ أَوْ يَقْرَأَ بِهِ كَثِيرٌ مِنَ الْقُرَاءِ، فَمَنْ قَالَ عَلَيْهِ مَالٌ (بِالضَّمِّ)^(٥) فَلِأَصْلٍ فِيهِ عَلَيْهِو مَالٌ، وَلَكِنْ حَذَفَ الْوَائِ لِسُكُونِهَا وَسُكُونِ الْيَاءِ وَاجْتِمَاعِ ثَلَاثَةِ أَحْرَفٍ مُتَجَانِسَةٍ، وَتَرَكَ الضَّمَّةَ لِتَدُلَّ عَلَى الْوَائِ، وَمَنْ قَالَ عَلَيْهِو فَإِنَّمَا أَثَبْتُ الْوَائِ عَلَى الْأَصْلِ، وَيَجْعَلُ الْهَاءَ حَاجِزًا، وَهَذَا أَوْعَفُّ الْوُجُوهِ لِأَنَّ الْهَاءَ لَيْسَتْ بِحَاجِزٍ حَصِينٍ، وَمَنْ قَالَ: عَلَيْهِ مَالٌ فَإِنَّمَا قَدَّرَ عَلَيْهِ مَالٌ فَقَلَبَ الْوَائِ يَاءً لِلْيَاءِ الَّتِي قَبْلَهَا، ثُمَّ حَذَفَ الْيَاءَ لِسُكُونِهَا وَسُكُونِ الْيَاءِ الَّتِي قَبْلَهَا، كَمَا قَلَبْتُ الْوَائِ فِي قَوْلِهِ: مَرَرْتُ بِهِ يَا فَتَى، وَمَنْ قَالَ: عَلَيْهِ مَالٌ^(٦) فَالْحُجَّةُ فِي إثْبَاتِ الْيَاءِ كَالْحُجَّةِ فِي إثْبَاتِ الْوَائِ أَلَّا تَرَى أَنَّ عَلَيْهِ مَالٌ أَجُودُ مِنْ عَلَيْهِو مَالٌ.

وَأَجُودُ اللَّغَاتِ مَا فِي الْقُرْآنِ وَهُوَ قَوْلُهُ عَلَيْهِ (قَائِمًا)^(٧) وَالَّذِي يَلِيهِ فِي الْجُودَةِ عَلَيْهِ مَالٌ بِالضَّمِّ، ثُمَّ يَلِي (هَذَا^(٧)) عَلَيْهِ مَالٌ ثُمَّ عَلَيْهِو مَالٌ بِإِثْبَاتِ الْوَائِ، وَهِيَ أَرْدَأُ الْأَرْبَعَةِ.

فَأَمَّا قَوْلُهُمْ «عَلَيْهِمْ» فَأَصْلُ الْهَاءِ فِيهَا وَصَفْنَا أَنْ تَكُونَ مَعَهَا ضَمَّةً، إِلَّا أَنْ الْوَائِ قَدْ سَقَطَ، وَإِنَّمَا تُكْسَرُ الْهَاءُ لِلْيَاءِ الَّتِي قَبْلَهَا، وَإِنَّمَا يَكُونُ مَا قَبْلَ مِيمِ

(١) أي بدون ياء.

(٢) ليست في ك.

(٣) الأعراف - ١٧٦.

(٤) آل عمران - ٧٥.

(٥) ليست في ك.

(٦) ك عليه.

(٧) ك فقط.

الإِضْمَارِ مَضمُوماً، فَإِنَّمَا أَتَتْ هَذِهِ الضُّمَّةُ لِمِمْ الإِضْمَارِ، وَقُلِبَتْ كَسْرَةً لِلْيَاءِ^(١).

وإِنَّمَا كَثُرَ «عَلَيْهِمْ» فِي الْقُرْآنِ «وَعَلَيْهِمْ» وَلَمْ يَكْثُرِ «عَلَيْهِمِ» و«عَلَيْهِمُو»^(٢) لَأَنَّ الضُّمَّةَ الَّتِي عَلَى الْهَاءِ^(٣) مِنْ «عَلَيْهِمْ» لِلْمِمْ، فَهِيَ أَقْوَى فِي الثَّبُوتِ، أَلَّا تَرَى أَنَّ هَذِهِ الضُّمَّةَ تَأْتِي عَلَى الْمِمْ فِي كُلِّ مَا لَحَقَتْهُ الْمِمْ، نَحْوَ عَلَيْكُمْ، وَبِكُمْ، وَمِنْكُمْ، وَلَا يَجُوزُ فِي عَلَيْكُمْ: «عَلَيْكُمْ» (بِكَسْرِ الْكَافِ)^(٤) لَأَنَّ الْكَافَ حَاجِزٌ حَصِينٌ بَيْنَ الْيَاءِ وَالْمِمْ، فَلَا تُقْلَبُ كَسْرَةً، وَقَدْ رَوَى عَنْ بَعْضِ الْعَرَبِ: «عَلَيْكُمْ» وَ«بِكُمْ» (بِكَسْرِ الْكَافِ)^(٥). وَلَا يَلْتَفِتُ إِلَى هَذِهِ الرِّوَايَةِ، وَأَنْشَدُوا^(٦).

وَإِنْ قَالَ مَوْلَاهُمْ عَلَى جُلٍّ حَادِثٍ مِنْ الدَّهْرِ رَدُّوا بَعْضَ أَحْلَامِكُمْ رَدُّوا (بِكَسْرِ الْكَافِ)^(٦) وَهَذِهِ لُغَةٌ شَاذَةٌ، وَالرِّوَايَةُ الصَّحِيحَةُ: فَضَلَ أَحْلَامَكُمْ، وَعَلَى الشَّدُوذِ أَنْشَدَ ذَلِكَ سَيَبُوه^(٧).

فَأَمَّا «عَلَيْهِمُو» فَأَصْلُ الْجَمْعِ أَنْ يَكُونَ بَوَاوٍ، وَلَكِنَّ الْمِمْ اسْتَغْنَى بِهَا عَنِ الْوَاوِ، وَالْوَاوُ تَثْقُلُ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ، حَتَّى إِنَّهُ لَيْسَ فِي أَسْمَائِهِمْ اسْمٌ آخَرُهُ وَآوُ

(١) مَا قَبْلَ مِمْ الإِضْمَارِ يَكُونُ مَضمُوماً، وَلَكِنْ كَسَرَتْ الْهَاءُ لِتَنَاسُبِ الْيَاءِ الَّتِي قَبْلَهَا لِأَنَّ الْهَاءَ حَرْفٌ حَلَقِيٌّ ضَعِيفٌ، وَلَمْ يَأْتِ هَذَا الْكَسْرُ فِي عَلَيْكُمْ لِأَنَّ الْكَافَ حَرْفٌ قَوِيٌّ.

(٢) ك: عَلَيْهِمُو مَعَ عَلَيْهِمِ.

(٣) فِي الْأَصُولِ: الَّتِي بَعْدَ الْهَاءِ.

(٤) لَيْسَتْ فِي ك.

(٥) لِلْحَطِيطَةِ جِرْوَلُ بْنُ أَوْسٍ. مَخْضَرُمٌ مَطْعُونُ النَّسَبِ سَيِّءُ الْخَلْقِ مِنْ أَشْهُرِ الْهَجَاثِينَ وَالْمَدَاحِينَ، أَخْبَارُهُ فِي الْأَغَانِي ٢ - ١٢٤، وَالْبَيْتُ مِنْ قَصِيدَةٍ جَيِّدَةٍ يَمْدَحُ بِهَا لَآيَ بْنَ شِمَاسٍ وَيَنْصُرُهُ عَلِيُّ الزَّرِيقَانِ بْنِ بَدْرِ، الدِّيَوَانُ ٧٢، الْخَزَانَةُ ١ - ٤٠٩ الْجُمُهرَةُ ١٥٣.

(٦) لَيْسَتْ فِي ك.

(٧) أَنْشَدَ الْبَيْتَ بِالْكَسْرِ.

قبلها حركة، فَلِذَلِكَ حُذِفَتِ الواو، فأما مَنْ قرأ «عَلَيْهِمُوا وَلَا الضَّالِّينَ» فقليل، ولا ينبغي أن يقرأ إلا بالكثير^(١) وإن كان قد قرأ به قوم فإنه أقل من الحذف بكثير في لغة العرب.

وقوله عز وجل: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾.

فيخفف (غَيْرِ)^(٢) على وجهين، على البَدَلِ مِنَ الَّذِينَ كَأَنَّهُ قَالَ: صراطُ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ، ويستقيم أن يكون ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ من صفة الذين، وإن كان ﴿غَيْرِ﴾ أصله أن يكونَ في الكلام صفة للنكرة^(٣)، تقول: مررت برجل غيرك، فغيرك صفةً لرجل، كأنك قلت: مررتُ برجل آخر، ويصلح أن يكون معناه: مررت برجل ليس بك وإنما وقع ههنا صفةً للذين، لأن «الذين» ههنا ليس بمقصود قصدهم^(٤) فهو بمنزلة قولك: «إِنِّي لأمرُّ بالرجلِ مثلك فأكرمه».

ويجوز نصب ﴿غَيْرِ﴾ على ضربين: على الحال وعلى الاستثناء فكأنك قلت: إلاَّ الْمَغْضُوبَ عَلَيْهِمْ، وحق ﴿غَيْرِ﴾ من الإعراب في الاستثناء نصب إذا كان ما بعد إلا منصوباً^(٥)، فأما الحال فكأنك قلتُ فيها: صراط الذين أنعمت عليهم لا مغضوباً عليهم.

وقوله عز وجل: ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾.

(١) ك: بالكسر.

(٢) ك: فيخفف على ضربين.

(٣) ط: وإن كان «غَيْرِ» إنما أصله في الكلام أن يكون.

(٤) القياس أن يقول «قَصْدُهُ» أي هذا اللفظ، وقد ذكر ضمير المذكر بعد عائداً على «الذين» لكنه نظر إلى معنى الذين فأعاد الضمير جمعاً وليس بجيد والغرض أن الذين هنا لا تدل على أشخاص معينين وإنما تدل على جنس عام، وبهذا العموم أشبهت النكرة.

(٥) تؤدي معنى «إلا» في إفادة الاستثناء وما بعدها يجز بالإضافة، وهي تأخذ حكم المستثنى.

فإنما عَطَفَ بالضالين على المغضوب عليهم، وإنما جاز أن يقع ﴿لا﴾ في قوله تعالى: ﴿ولا الضالين﴾ لأن معنى ﴿غَيْر﴾ متضمن معنى النفي، يجيز النحويون: أنت زيداً غير ضارب، لأنه بمنزلة قولك أنت زيداً لا تضرب، ولا يجيزون أنت زيداً مثل ضارب، لأن زيداً من صلة ضارب فلا يتقدم عليه^(١).

وقول القائلين بعد الفراغ من الحمد، ومن الدعاء «آمين» فيه لغتان. تقول العرب: آمين، وآمين، قال الشاعر:

تباعد عني فطُحِلَ إذ دَعَوْتُهُ آمينَ فزاد الله ما بيننا بعداً^(٢)
وقال الشاعر أيضاً:

يا رَبُّ لا تسلبني حبّها أبداً ويرحم الله عبداً قال آميناً^(٣)
ومعناه: اللهم استجب، وهما موضوعان في موضع اسم الاستجابة كما أن قولنا: «صه» موضوع موضع سكوتاً^(٤).

وحققهما من الإعراب الوقف^(٥) لأنهما بمنزلة الأصوات إذ كانا غير مشتقين من فعل إلا أن النون فتحت فيهما لالتقاء الساكنين، فإن قال قائل: ألا كُسِرَتِ النُّونُ لالتقاء الساكنين، قيل: الكسرة تثقل بعد الياء، ألا ترى أن أين وكيف فتحتا لالتقاء الساكنين ولم تُكسرا لِثَقُلِ الكسرة بعد الياء.

(١) الأصل أنت مثل ضارب زيداً. ولا يفصل بينهما أيضاً.

(٢) البيت في اللسان (أمن) وفي الطبري والقرطبي في شرحهما هذه الآية.

(٣) البيت في اللسان «أمن» منسوباً لعمر بن أبي ربيعة، وفي فصح ثعلب ٨٧ لمجنون ليلي.

(٤) أي أنه اسم فعل أمر بمعنى استجب.

(٥) تبيين على السكون.

ومن سورة البقرة

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تبارك وتعالى : ﴿الم﴾ .

زعم أبو عبيدة معمر بن المثنى أنها حُرُوفُ الهجاءِ افتتاحُ كلام، وكذلك: ﴿المر﴾، و﴿المص﴾^(١)، وزعم أبو الحسن الأخفش أنها افتتاحُ كلام^(٢) ودليل ذلك أن الكلام الذي ذُكِرَ قَبْلَ السُّورَةِ قد تَمَّ.

وزعم قطرب أن: ﴿الم﴾ و﴿المص﴾ و﴿المر﴾ و﴿كهيعص﴾ و﴿ق﴾،

(١) أبو عبيدة يعتبرها أيضاً أسماءاً للسور، ففي «مجاز القرآن»: ألم افتتاح مبتدأ كلام شعار للسورة.

(٢) رأي الأخفش أنها حروف يستهل بها الكلام مثل «ألا».

والأخفش هو سعيد بن مسعدة، مولى آل مجاشع بن دارم، من أهل بلخ، سكن البصرة وقرأ على سيبويه وكان أسن منه وهو أنبغ تلاميذه، والوحيد الذي روى كتابه، ولولاه لضاع الكتاب، رحل إلى الكوفة ودرس الكتاب هناك، لكبار النحويين الكوفيين، منهم الجرمي، والفراء، والكسائي.

وترك الأخفش هذا عدة كتب في اللغة، وله «معاني القرآن» الذي يشير إليه الزجاج كثيراً
ت ٢٢١ هـ.

ويعرف بالأخفش الأوسط تمييزاً له من الأخفش الأكبر أبي الخطاب عبد الحميد أستاذ

سيبويه، والأصغر هو علي بن سليمان تلميذ المبرد، وراوي الكامل.

أخبار النحويين ٣٩. مراتب النحويين ٦٨.

البغية ٢٥٨. طبقات النحويين ٧٤.

نزهة الألباء ٩١.

(٣) قطرب هو محمد بن المستنير من تلاميذ سيبويه، كان يدلج إليه ليلاً فإذا استيقظ رآه على بابه،

و ﴿يس﴾ و ﴿نون﴾، حروف المعجم ذكرت لتدل على أن هذا القرآن مؤلف^(١) من هذه الحروف المقطعة التي هي حروف ا. ب. ت. ث. فجاء بعضها مقطّعا وجاء تمامها مؤلفاً ليدل القوم الذين نزل عليهم القرآن أنه بحروفهم التي يعقلونها لا ريب فيه.

ويروى عن الشعبي^(٢) أنه قال: لِلَّهِ فِي كُلِّ كِتَابٍ سِرٌّ وَسِرُّهُ فِي الْقُرْآنِ حُرُوفُ الْهَجَاءِ الْمَذْكُورَةِ فِي أَوَائِلِ السُّورِ.

ويروى عن ابن عباس ثلاثة أوجه في ﴿الم﴾ وما أشبهها، فوجه منها أنه قال:

أَقْسَمَ اللَّهُ بِهَذِهِ الْحُرُوفِ أَنَّ هَذَا الْكِتَابَ الَّذِي أَنْزَلَ^(٣) عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ هُوَ الْكِتَابَ الَّذِي عِنْدَهُ، عَزَّ وَجَلَّ لَا شَكَّ فِيهِ، وَالْقَوْلُ الثَّانِي عَنْهُ أَنْ: ﴿الر﴾، ﴿وَحَم﴾، ﴿وَنُون﴾، اسم للرحمن عَزَّ وَجَلَّ - مَقْطَعٌ فِي الْلفظِ مَوْضُولٌ فِي الْمَعْنَى، وَالثَّالِثُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: ﴿الم﴾ مَعْنَاهُ أَنَا اللَّهُ أَعْلَمُ، وَ﴿الر﴾ مَعْنَاهُ أَنَا اللَّهُ أَرَى،

= فقال له ما أنت إلا قطرب ليل، كان بارعاً في النحو واللغة ولكن ابن السكيت ضعف رأيه في اللغة واتهمه بالكذب. لقطرب عدة مؤلفات منها النوادر، والأضداد، والهمز - الخ. وكلها تدل على عمق وسعة علم، أما رأيه هذا فشائع بين المفسرين. أنظر الفهرست ٥٢، البغية ١٠٤ الوفيات ١ - ٤٩٤. (١) في الأصل المؤلف.

(٢) الإمام الشعبي هو عامر بن شرحبيل الحميري، راوية من التابعين ولد ومات بالكوفة، بعد أن جاوز الثمانين، روى عن عبد الله بن عمر، له مع عبد الملك والحجاج مجالس مروية في كتب الأدب، وهو أحد أئمة الأمصار الأربعة: سعيد بن المسيب بالمدينة ومكحول بالشام والحسن البصري بالبصرة. توفي سنة ١٠٥ هـ.

تاريخ بغداد ١٢ - ٣٣٤ ابن خلكان ١ - ٢٤٤.

(٣) لأن القرآن مكتوب في اللوح المحفوظ من قبل وما أنزل على رسول الله ﷺ مما هو مكتوب هناك لا شك فيه ولا تغيير.

و﴿المص﴾ معناه أنا الله أعلم وأفصل^(١) و﴿المر﴾ معناه أنا الله أعلم وأرى.
فهذا جميع ما انتهى إلينا من قول أهل اللغة والنحويين في معنى
﴿الم﴾ وجميع ما انتهى إلينا من أهل العلم بالتفسير.
ونقول في إعراب ﴿الم﴾ و﴿الر﴾ و﴿كهيعص﴾ وما أشبه هذه
الحروف .
هذا باب التهجي .

(١) أي أقضي .

هذا باب حروف التهجي

وهي : الألف والباء والتاء والثاء وسائر ما في القرآن منها .

فإجماع النحويين أنَّ هذه الحُرُوف مَبْنِيَّةٌ على الوقف لا تعرب ومعنى قولنا «مبنية على الوقف» أنك تُقَدِّرُ أن تسكت على كل حرف منها، فالنطق : ألف، لام، ميم، ذلك . والدليل على أنك تقدر السكت عليها^(١) جمعك بين ساكنين في قولك «لام» وفي قولك «ميم» . والدليل على أنَّ حروف الهجاء مَبْنِيَّةٌ على السكت كما بني العدُّ على السَّكْتِ : أنك تقول فيها بالوقف مع الجمع بين ساكنين، كما تقول إذا عددت واحد . اثنان . ثلاثة . أربعة . . . ولولا أنك تقدر السكت لقلت : ثلاثة ، بالتاء^(٢) كما تقول : ثلاثاً يا هذا . فتصير الهاء تاءً مع التنوين واتصال الكلام .

وحقها من الإعراب أن تكون سواكن الأواخر، زعم سيبويه أنك أردت أن المعجم حروف يُحكى بها ما في الأسماء المؤلفة من الحروف^(٣) فجرى

(١) ط، ب : ودليل ذلك .

(٢) أي وليس بالهاء والوقف .

(٣) أشبهت أسما الأصوات في أنها تعبر عن معاني أسماء، فسكنت وأراد أنها سكنت في هذا الموضع وما أشبهه، وقد تعرب كالأسماء المتمكنة وفي ك :

أنك أردت أن تقطع المعجم حروفاً تحكي بها ما في الأسماء المؤلفة من الحروف فجرت مجرى الخ .

مجري ما يحكى به نحو «غاق»، وغاق يا فتى، إنما حكى صوت الغراب^(١)،
والدليل أيضاً على أنها موقوفة قول الشاعر^(٢):

أَقْبَلْتُ مِنْ عِنْدِ زِيَادٍ كَالْخَرْفِ تَخْطُ رَجُلَايَ بِخَطِّ مُخْتَلَفٍ

تَكْتَبَانِ فِي الطَّرِيقِ لَامَ أَلِفٍ

كأنه قال: لَامَ أَلِفٍ، بسكون «لام» ولكنه ألقى حركة همزة «الف» على
الميم ففتحها.

قال أبو إسحق: وشرح هذه الحروف وتفسيرها أنها ليست تجري مجرى
الأسماء المتمكنة، والأفعال المضارعة التي يجب لها الأعراب وإنما هي
تقطع الاسم المؤلف الذي لا يجب الإعراب فيه إلا مع كماله، فقولك
«جَعْفَر» لا يجب أن تُعَرَّبَ منه الجيم ولا العَيْن ولا الفَاء ولا الرَّاء، دون
تكميل الاسم، فإنما هي حكايات وُضِعَتْ على هذه الحروف، فإن أجريتها
مَجْرَى الأسماء وحدثت عنها قلت: هذه كاف حسنة، وهذا كاف حسن،
وكذلك سائر حُرُوفِ الْمُعْجَمِ، فمن قال هذه كاف أنت لمعنى الكَلِمَةِ، ومن
ذَكَرَ فلمعنى الحرف، والإعراب وقع فيها لأنك تخرجها من باب الحكاية.

قال الشاعر!

كَافاً وَمِيمِينَ وَسِيناً طَاسِماً^(٣)

(١) ك: إذا حكى صوت الغراب.

(٢) هو أبو النجم العجلي، يصف حالة سكر له، وزياد هو صديقه الذي شرب عنده، يريد أنه كان
يتمايل فتخط رجلاه في الطريق ما يشبه «لام الف» وأبو النجم هو الفضل بن قدامة، من بني
بكر بن وائل كان رجازاً وشاعراً أوصف من العجاج وكان معاصراً له، أنظر الأغاني ٩ - ٧٧
والخزاة ١ - ٤٩.

والأبيات في اللسان «كتب» باختلاف قليل، وكتاب سيبويه ٢ - ٣٤ ط باريس.

(٣) كتاب سيبويه ٢ - ٣١ باريس، ابن يعيش ٦٩ - ٢١، ويروى طامساً.

وقال أيضاً:

كما بينت كاف تَلُوح وميمُها^(١)

ذَكَرَ طَاسِماً لَّأنه جَعَلَهُ صِفَةً لِلسَّيْنِ، وجعل السَّيْنِ في معنى الحرف وقال
تلوح، فَأَثَبَ الكاف، ذَهَبَ بِهَا مذهب الكلمة، قال الشاعر يهجو النحويين،
وهو يَزِيدُ بن الحكم^(٢).

إذا اجتمعوا على أَلِفٍ وواوٍ وياءٍ لاح بينهما جَدَالٌ
فَأَمَّا إِعرَابُ «أَبِي جَادٍ» و«هَوَزٍ» و«حُطَيٍّ»، فزعم سيوبه أَنَّ هذه
مَعْرُوفَاتُ الاشتقاق في كلام العرب، وهي مَصْرُوفَةٌ، تقول: عَلِمْتُ أَبَا جَادٍ
وَانْتَفَعْتُ بِأَبِي جَادٍ، وكذلك «هوز» تقول: نَفَعَنِي «هوز»، وَاَنْتَفَعْتُ بِهَوَزٍ،
(وكذلك حُطَيٍّ)^(٣)، «وَهْنٌ» مَصْرُوفَاتُ مَنْوَنَاتٍ. فَأَمَّا «كَلْمُونٌ»^(٤) و«سَعْفَصٌ»
و«قُرَيْشِيَّاتٌ»، فَأَعْجَمِيَّاتٌ تقول: هذه كَلْمُونٌ - يا هذا - وتعلمت كَلْمُونٌ
وَاَنْتَفَعْتُ بِكَلْمُونٍ، وكذلك «سَعْفَصٌ».

فَأَمَّا قُرَيْشِيَّاتٌ فَاسْمٌ لِلْجَمْعِ^(٥) مَصْرُوفَةٌ بِسَبَبِ الألف والتاء، تقول: هذه

(١) كتاب سيوبه ٣١/٢ وابن يعيش أيضاً وهو للراعي، وصدره:

أهاجتك أبيات أبان قديمها، وفي اللسان (كهف): أشاقتك أطلال تعفت رسومها.

(٢) ط: يزيد بن الحرث، وهو خطأ أو اختصار، وابن الحكم، ثقفني أسلم يوم فتح الطائف وله مع
الحجاج موقف معروف، وقد احتضنه سليمان بن عبد الملك، ولكنه انشق على الأمويين
وانضم إلى يزيد بن المهلب، أنظر الأغاني ١١ - ٩٦ الساسي ورغبة الأمل ٨ - ٤١ وجاء في
الخزانة ١/٣٥٥ أن البيت ليزيد بن الحكم كما نسب الزجاج وابن الأنباري والقالبي، وروى
الحريري في درة الغواص عن الأصمعي أنه قال: أنشدني عيسى بن عمر بيتاً هجاً به
النحويين. الخ.

(٣) ليست في ك.

(٤) ط وكلمون.

(٥) في الأصل وك: إسم للجمع، والغرض في الروايتين أنه إسم دال على جمع.

قَرِيشِيَّاتٌ - يا هذا وَعَجَبْتُ مِنْ قَرِيشِيَّاتٍ (يا هذا) (١).

ولقطرب قول آخر في ﴿الم﴾: زعم أنه يجوز: لما لغا القوم في القرآن فلم يتفهموه حين قالوا ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوَا فِيهِ﴾ (٢) أَنْزَلَ ذَكَرُ هَذِهِ الحروف، فسكتوا لَمَّا سمعوا الحروف طمعاً في الظفر بما يحبون ليفهموا (٣) - بعد الجروف - القرآن وما فيه، فتكون الحجة عليهم أثبت إذا جحدوا بعد تفهم وتعلم.

قال أبو إسحق: والذي اختاره من هذه الأقوال التي قيلت في قوله عز وجل: ﴿الم﴾ بعض ما يروى عن ابن عباس رحمة الله عليه. وهو أن المعنى: ﴿الم﴾ أنا الله أعلم، وأن كل حرف منها له تفسيره، والدليل على ذلك أن العرب تنطق بالحرف الواحد تدل به على الكلمة التي هو منها، قال الشاعر (٤):

قلنا لها قفي قَالَتْ قَافٌ لا تَحْسَبِي أَنَا نَسِينَا الإِجَافَ
فنطق بقاف فقط، يريد قالت أقف.
وقال الشاعر أيضاً:

نَادَوْهُمُو أَنْ الْجُمُوعَا، أَلَا تَا قالوا جميعاً كلهم: أَلَا فَا (٥)

(١) ليست في ط.

(٢) فصلت ٤١ - ٢٦.

(٣) أنزلت مقطعة ليسكتوا ويتأملوا فيفهموا كلمة طمعاً تعليل لأنزلت.

(٤) أبو وهب الوليد بن عقبة، أخو عثمان من الرضاعة، ولاه الكوفة فشرب وأم الناس سكران فعزله عثمان وحده، وقال هذا الشعر وهو في طريقه إلى المدينة، يخاطب الإبل، ويقول لا تظنيني أترفت ونسيت طرد الإبل أنظر الأغاني ١٨١/٤ ساسي، والأبيات في الخصائص ١ - ٣٠، ٨٠.

والصحابي ٩٤، وشرح شواهد الشافية ٢٧١، وكتاب سيبويه ٢ - ٦٢ باريس.

(٥) الكامل ١ - ٢٤٠ وشرح شواهد الشافية ٢٦٢، ٢٦٤، للقيم بن أوس.

تفسيره: نادوهموا أَنْ الْجُمُوعَا، أَلَا تَرْكَبُونَ، قالوا جميعاً: أَلَا فَارْكَبُوا،
فَإِنَّمَا نَطْقُ بَتَاءٍ وَفَاءٍ كَمَا نَطْقُ الْأَوَّلَ بِقَافٍ.

وَأُنْشِدُ بَعْضَ أَهْلِ اللَّغَةِ لِلْقِيمِ بْنِ سَعْدِ بْنِ مَالِكٍ:

إِنْ شِئْتَ أَشْرَفْنَا كِلَانَا فِدْعَا اللَّهُ رَبُّمَا جُهِدْهُ فَاسْمَعَا
بِالْخَيْرِ خَيْرَاتٍ وَإِنْ شَرًّا فَآيَ وَلَا أُرِيدُ الشَّرَّ إِلَّا أَنْ تَأْءَ
وَأُنْشِدُ النَّحْوِيُونَ:

بِالْخَيْرِ خَيْرَاتٍ وَإِنْ شَرًّا فَآيَ وَلَا أُرِيدُ الشَّرَّ إِلَّا أَنْ تَأْءَ
يُرِيدُونَ: إِنْ شَرًّا فَشَرُّ، وَلَا أُرِيدُ الشَّرَّ إِلَّا أَنْ تَشَاءَ.

أُنْشِدُ جَمِيعَ الْبَصَرِيِّينَ ذَلِكَ^(١)

فهذا الذي اختاره في هذه الحروف والله أعلم بحقيقتها.

فَأَمَّا ﴿ص﴾ فَقَرَأَ الْحَسَنُ^(٢): صَادٍ وَالْقُرْآنَ، فَكَسَرَ الدَّالَ، فَقَالَ أَهْلُ

= كتاب سيبويه ٢ - ٦٢ باريس، وجاء في اللسان (معي) أن الأبيات لحكيم بن معية التميمي،
وجاءت كما يلي:

إِنْ شِئْتَ يَا أَسْمَاءُ أَشْرَفْنَا مَعَا دَعَا كِلَانَا رَبَّهُ فَاسْمَعَا
بِالْخَيْرِ خَيْرَاتٍ وَإِنْ شَرًّا فَآيَ وَلَا أُرِيدُ الشَّرَّ إِلَّا أَنْ تَأْءَ
قال: وبانقلاب الياء إلى الألف يسلم قول حكيم من الأقواء، وجاء بعد ذلك: قال لقمان بن
أوس بن ربيعة بن مالك بن يزيد بن مائة بن غنم:

إِنْ شِئْتَ أَشْرَفْنَا كِلَانَا فِدْعَا وَأَعَادَ الْبَيْتَيْنِ كَمَا ذَكَرَهُمَا مِنْ قَبْلُ

(١) ك: أُنْشِدُ جَمِيعَ الْبَصَرِيِّينَ هَكَذَا.

(٢) الحسن بن أبي الحسن بن يسار، البصري، السيد الإمام أبو سعيد إمام البصرة في عصره، قرأ
على حطان بن عبد الله الرقاشي، عن أبي موسى الأشعري، وعلى أبي العالية، عن أبي عن
زيد بن ثابت وعن عمر، وقرأ عليه جماعة منهم أبو عمرو بن العلاء، وعيسى بن عمر،
ت ٢١٠ هـ.

غاية النهاية ت ١٠٧٤ ابن خلكان ١ - ١٦٠.

اللغة: معناه صاد القرآن بعملك، أي تَعَمَّدُهُ، وسقطت الياء للأمر ويجوز أن تكون كسرت الدال لالتقاء الساكنين إِذَا نَوَيْتَ الوصل. وكذلك قرأ عبد الله بن أبي إسحق^(١): «صادٍ والقرآن»، وقرأ أيضاً «قافٍ والقرآن المجيد». فالكسر في مذهب بن أبي إسحق لالتقاء الساكنين^(٢).

وقرأ عيسى بن عمر^(٣): «صادٍ والقرآن» - بفتح الدال - وكذلك قرأ «نونٍ والقلم» و«قافٍ والقرآن» - بالفتح أيضاً - لالتقاء الساكنين، قال سيبويه: إِذَا نَادَيْتَ أُسْحَاراً^(٤) والأُسْحَارُ اسمٌ نَبْتٍ - مشدّد الراء - قلت في ترخيمه: يا أُسْحَارُ أَقْبَلْ، ففَتَحْتَ لالتقاء الساكنين كما اخْتَرْتَ الفتح في قولك عَضُّ يا فتى فاتباع الفتحة الفَتْحَةُ كاتباع الألفِ الفَتْحَةُ ويجوز: يا اسحاراً أَقْبَلْ، فتكسّر لالتقاء الساكنين.

وقال أبو الحسن الأخفش: يجوز أن يكون صادَ وقافَ، ونونَ أسماءٍ للسور منصوبةً إلا أنها لا تُصَرَّفُ كما لا تُصَرَّفُ جملةُ أسماءِ المؤنث. والقول الأول أعني التقاء الساكنين، والفتح والكسر من أجل التثاقبِ أقيسُ، لأنه^(٥) يزعم أنه يُنصب هذه الأشياء كأنه قال: أذكر صاداً^(٦). وكذلك يبيّز في «حم»،

(١) عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي ولاء أول من بعج النحو ومد القياس وشرح العلل، ناظر أبا عمرو بن العلاء فقهرة، كان ينقد الفرزدق كثيراً، وكلّفت له خلافاً قليلة في القرآن خاصة من ذلك أنه كان يقرأ: الزانية والزاني، والسارق والسارقة بالنصب ت ١١٧ طبقان النحويين ٢٥ - ٢٧، أخبار النحويين ٢٠.

(٢) لأنه وصل الحرف بما بعده، والساكنان الألف والصاد.

(٣) عيسى بن عمر الثقفي أبو عمر مولى خالد بن الوليد نزل في ثقيف فنسب إليهم. إمام في النحو والعربية والقراءة، يقال إنه ترك نيفاً وسبعين مصنفاً. أخذ عن أبي عمرو بن العلاء وعبد الله بن أبي إسحق والحسن البصري وغيرهم ت ١٤٥ هـ. البغية ٣٧١.

(٤) في الأصل ناديت.

(٥) الأخفش.

(٦) أي وعدم الحذف أولى.

و«طس»، النَّصَبَ و«ياسين» أيضاً على أنها أسماءٌ للِسُّور.

ولو كان قرئ بها لكان وجهه الفتح لالتقاء الساكنين:

فأما ﴿كهيعص﴾ فلا تُبين [فيها] النون مع الصاد في القراءة وكذلك ﴿حم
عسق﴾ لا تبين [فيها] النون مع السين.

قال الأخفش وغيره من النحويين: لم تبين النون لقرب مخرجها من
السين والصاد.

فأما «نُونُ والقَلَمُ» فالقراءة فيها تبين النون مع الواو التي في «القلم»،
وبترك التبيين. إِنْ شئتَ بَيَّنْتَ وَإِنْ شئتَ لَمْ تُبَيِّنْ، فقلت «نُونُ والقَلَمُ» لَأَنَّ
النون بعدت قليلاً عن الواو^(١).

وأما قوله عزَّ وجلَّ^(٢) ﴿أَلَمْ يَلَمْ﴾ اللَّهُ ففي فتح الميم قولان أحدهما لجماعة من
النحويين وهو أن هذه الحروف مبنية على الوقف فيجب بعدها قطع ألف
الوصل فيكون الأصل: أ . ل . م . اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ. ثُمَّ طَرِحْتُ فَتْحَهُ
الهمزة على الميم، وسقطت الهمزة كما تقول: واحدٌ اثنان، وإن شئت قلت:
واحد اثنان فَالْقَيْتَ كسرة اثنين على الدال.

وقال قوم من النحويين لا يسوغ في اللفظ أن ينطق بثلاثة أحرف سواكنَ
فلا بدَّ من فتحة الميم في أَلَمْ اللَّهُ لالتقاء الساكنين (يعني الميم واللام والتي
بعدها)^(٤).

وهذا القول صحيح لا يمكن في اللفظ غيره.

(١) هذه عبارة ك وعبرة ط، ب: إِنْ شئتَ قلت نون والقلم [أي بتشديد الواو] وإدغام النون فيها.

(٢) ك فأما.

(٣) ك فيجب.

(٤) ليست في ك.

فأما من زعم أنه إنما ألقي حركة الهمزة فيجب أن يقرأ «ألم الله»^(١).
وهذا لا أعلم أجداً قرأ به إلا ما ذكر عن الرؤاسي^(٢)، فأما من رواه عن
عاصم فليس بصحيح الرواية^(٣).

وقال بعض النحويين لو كانت محركة للالتقاء الساكنين لكانت مكسورة،
وهذا غلط لو فعلنا في التقاء الساكنين إذا كان الأول منهما ياءً لوجب أن
تقول: كيف زيد وأين زيد وهذا لا يجوز، وإنما وقع الفتح لثقل الكسرة بعد
الياء^(٤).

وقوله عز وجل: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾.

زعم الأخفش وأبو عبيدة أن معناه هذا الكتاب قال الشاعر.

أقول له والرمح ياطر منته تأمل خفافاً إنني أنا ذلك^(٥)

(١) بكسر الميم للتخلص من التقاء الساكنين بعد حذف حركة الهمزة.

(٢) ط الا الرؤاسي.

وهو محمد بن الحسن بن أبي سارة يكنى أبا جعفر، أستاذ الكسائي والفراء وأول من وضع كتاباً
في النحو من الكوفيين، ويقال إن كل ما في كتاب سيبويه «قال الكوفي» إنما عنى به الرؤاسي
وله اختيار في القراءة وذكره الداني في غاية النهاية.

أخبار النحويين ١٣٥، نزهة الألباء ٦٥، البغية ٣٣.

(٣) عاصم بن أبي النجود شيخ القراء بالكوفة بعد أبي عبد الرحمن السلمي، جمع بين الفصحاة
والإتقان والتجويد والتحرير وحسن الصوت وروى عنه ربيه حفص ت ١٢٧ هـ.

ابن خلكان ١ - ٣٠٤. غاية النهاية ١٤٩٦.

(٤) هذه دفاع عن الرأي الذي سبق ذكره من أن الميم فتحت لالتقاء الساكنين، والمراد بالتقائهما
هنا الجمع بينهما.

(٥) هو خفاف بن ندبة (أمه) يخاطب مالك بن حماد سيد بني فزارة وقد قتله خفاف ثاراً لمعاوية بن
عمرو أخي الخنساء في خبر طويل مذكور في الأغاني ١٣ - ١٣٧ وباطر منته يلوي بدنه حتى
يتلاقى طرفاه كالحرير وأنظر أيضاً الأغاني ٢ - ١٢٩ والخزانة ٢ - ٤٧١ والجمهرة ١٢ بيروت.

قال المعنى إني أنا هذا. وقال غيرهما من النحويين: إن معناه القرآن ذلك الكتاب الذي وعدوا به على لسان موسى وعيسى (ص) (١) ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾ (٢) وكذلك قوله: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ، وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ، وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (٣).

فالمعنى هذا ذلك الكتاب.

ويجوز أن يكون قوله ﴿أَلَمْ ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾، فيقال «ذلك» للشيء الذي قد جرى ذكره، فإن شئت قلت فيه «هذا» وإن شئت قلت فيه «ذلك»، كقولك انفتحت ثلاثة وثلاثة فذلك ستة وإن شئت قلت هذا ستة، أو كقوله عز وجل في قصة فرعون: ﴿فَحَشَرَ فَنَادَى فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾ ثم قال بعد ذلك: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى﴾ (٤). وقال في موضع آخر: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ ثم قال: ﴿إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ﴾ (٥). وقال عز وجل ﴿أَلَمْ تَرَ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ﴾ (٦) فقال «ذلك» فجائز أن المعنى: تلك علامات الكتاب، أي القرآن متكلم به بحروف العرب. التي نعقلها على ما وصفنا في شرح حروف الهجاء.

وموضع «ذلك» رفع لأنه خبر ابتداء على [قول] من قال هذا القرآن ذلك

(١) ك عليهما السلام.

(٢) سورة البقرة (٢) - آية ٨٩.

(٣) سورة البقرة (٢) - آية ١٤٦.

(٤) سورة النازعات (٧٩) - الآيات ٢٣ - ٢٦، ومعنى ذلك: هذه الأحداث التي ذكرت.

(٥) سورة الأنبياء (٢١) - آية ١٠٦.

(٦) سورة الرعد (١٣) آية:

الكتاب . والكتاب رفع يسميه النحويون عطف البيان نحو قولك : هذا الرجل أخوك فالرجل عطف البيان أي يبين من الذي أشرت إليه ، والاسم من ذلك «ذا» والكاف زیدت للمخاطبة ولاحظ لها في الإعراب^(١) قال سيويه : لو كان لها حظ في الإعراب لقلت : «ذاك نفسه زيد»^(٢) وهذا خطأ - لا يجوز إلا «هناك نفسه زيد» .

(ولذلك «ذاك» يشهد أن الكاف لا موضع لها . لو كان لها موضع لكان جراً بالإضافة ، والنون لا تدخل مع الإضافة)^(٣) .

واللام تزداد مع ذلك للتوكيد ، أعني توكيد الاسم لأنها إذا زیدت أسقطت معها «ها» . تقول : ذلك الحق وذاك الحق ، وها ذاك الحق ، ويقبح هذلك الحق لأن اللام قد أكدت معنى الإشارة^(٤) . وكسرت اللام للالتقاء الساكنين ، أعني الألف من ذا واللام التي بعدها ، وكان ينبغي أن تكون ساكنة ولكنها كسرت لما قلناه^(٥) .

وكذلك يجب أن يكون موضع ذلك رفعاً فيمن جعل ذلك خبراً عن ﴿ألم﴾ .

وقوله عز وجل : ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ .

معناه لا شك فيه تقول : رابني فلان إذا علمت الريبة فيه وأرابني إذا أوهمني الريبة قال الشاعر^(٦) .

(١) ومن العجب أنه يعتبر الكاف في إياك ضميراً .

(٢) على أن نفس توكيد للكاف المضاف إليه .

(٣) هذه الفقرة في ك فقط .

(٤) المعروف عند جميع النحويين أنه لا يجوز ذكر هاء التنبيه مع اللام إلا رأيا رواه ابن هشام عن ابن معط ، وقال ابن مالك : واللام أن قدمت ها ممتنعه .

(٥) كان حق اللام أن تبنى على السكون وكسرت للالتقاء الساكنين .

(٦) هو الفرزدق وقيل الأعشى وقيل المتلمس وقيل غيرهم أي إذا أحدثت ما يريبه قال إنه مجرد =

أخوك الذي إن ربته قال إنما أَرَبْتُ وإن عاتبته لان جانبه
وموضع ﴿لا ريب﴾ نصب، قال سيوييه: «لا» تعمل فيما بعدها فتنصبه
ونصبها لما بعدها كنصب إن لما بعدها إلا أنها تنصبه بغير تنوين^(١) وزعم أنها
مع ما بعدها بمتزلة شيء واحد.

كأنها جواب قول القائل: هل من رجل في الدار، فمن غير منفصلة من
رجل، فإن قال قائل فما انكرت أن يكون جواب هل رجل في الدار^(٢)؟ قيل:
معنى «لا رجل في الدار» عموم النفي، لا يجوز أن يكون في الدار رجل ولا
أكثر منه من الرجال إذا قلت: «لا رجل في الدار»، فكذلك «هل من رجل في
الدار» استفهام عن الواحد وأكثر منه، فإذا قلت: «هل رجل في الدار» أو «لا
رجل في الدار» جاز أن يكون في الدار رجلان لأنك إنما أَخْبَرْتَ أنه ليس فيها
واحد فيجوز أن يكون فيها أكثر، فإذا قلت لا رجل في الدار فهو نفي عام
وكذلك ﴿لا ريب فيه﴾.

وفي قوله ﴿فيه﴾ أربعة أوجه، القراءة منها على وجه واحد ولا ينبغي أن
يُتَجَاوَزَ إلى غيره وهو ﴿فيه هدى﴾ بكسر الهاء (ويجوز في الكلام وفي القراءة
لو كان قرئ به)^(٣) «فيه هدى» بإثبات الواو، و «فيه هدى» بإثبات الياء،
وقد شرحنا هذه الأوجه في إعراب الحمد^(٤).

وهم وإنك لم تحدث شيئاً، وفي اللسان (راب) الرواية الصحيحة للبيت «أَرَبْتُ» أي أنا الذي
أحدثت الريبة.

(١) أي هو مبني على الفتح.

(٢) أي لماذا منعت هذا. يريد نصب رجل بعد هل.

(٣) هذه الجملة ليست في ك والعبرة هناك. وهو قوله فيه هدى، وفيه هدى بإثبات الياء وفيه
هدى... الخ.

(٤) انظر ص ٥٠ - ٥١.

فَأَمَّا قِرَاءَةُ « فِيهِ هُدًى » بِإِدْغَامِ الْهَاءِ فِي الْهَاءِ فَهُوَ ثَقِيلٌ فِي اللَّفْظِ، وَهُوَ جَائِزٌ فِي الْقِيَاسِ لِأَنَّ الْحَرْفَيْنِ مِنْ جَنْسٍ وَاحِدٍ إِلَّا أَنَّهُ يَثْقُلُ فِي اللَّفْظِ لِأَنَّ حُرُوفَ الْحَلْقِ لَيْسَتْ بِأَصْلٍ فِي الْإِدْغَامِ وَالْحَرْفَانِ مِنْ كَلِمَتَيْنِ، وَحُكِيَ الْأَخْفَشُ أَنَّهَا قِرَاءَةٌ.

وَمَوْضِعُ ﴿هُدًى﴾ نَصَبٌ، وَمَعْنَاهُ بَيَانٌ وَنَصْبُهُ مِنْ وَجْهَيْنِ أَحَدُهُمَا أَنَّ يَكُونُ مَنْصُوباً عَلَى الْحَالِ مِنْ قَوْلِكَ: الْقُرْآنَ ذَلِكَ الْكِتَابَ هُدًى وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ انْتَصَبٌ بِقَوْلِكَ: لَا رَيْبَ فِيهِ فِي حَالِ هِدَايَتِهِ فَيَكُونُ حَالاً مِنْ قَوْلِكَ لَا شَكَّ فِيهِ هَادِياً، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَوْضِعُهُ رَفْعاً مِنْ جِهَاتٍ: إِحْدَاهَا أَنْ يَكُونَ خَبِراً بَعْدَ خَبَرٍ كَأَنَّهُ قَالَ: هَذَا ذَلِكَ الْكِتَابَ هُدًى، أَيْ قَدْ جُمِعَ أَنَّهُ الْكِتَابَ الَّذِي وَعَدُوا بِهِ وَأَنَّهُ هُدًى كَمَا تَقُولُ: هَذَا حُلُوٌّ حَامِضٌ، تُرِيدُ أَنَّهُ قَدْ جُمِعَ الطَّعْمَيْنِ^(١) وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ رَفْعُهُ عَلَى إِضْمَارٍ هُوَ، كَأَنَّهُ لَمَّا تَمَّ الْكَلَامُ فَقِيلَ: ﴿أَلَمْ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ قِيلَ: هُوَ هُدًى.

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ رَفْعُهُ عَلَى قَوْلِكَ: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ كَأَنَّكَ قُلْتَ ذَلِكَ الْكِتَابُ حَقًّا، لِأَنَّ لَا شَكَّ فِيهِ بِمَعْنَى حَقٌّ ثُمَّ قَالَ: بَعْدَ ذَلِكَ: ﴿فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾.

وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾.

مَعْنَاهُ يَصْدُقُونَ، وَكُلُّ مُؤْمِنٍ بِشَيْءٍ فَهُوَ مُصَدِّقٌ بِهِ فَإِذَا ذَكَرْتَ مُؤْمِناً وَلَمْ تَقُلْ هُوَ مُؤْمِنٌ بِكَذَا وَكَذَا فَهُوَ الَّذِي لَا يَصْلَحُ إِلَّا فِي اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - ، وَمَوْضِعُ ﴿الَّذِينَ﴾ جَرٌ تَبَعاً لِلْمُتَّقِينَ وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَوْضِعُهُمْ^(٢) رَفْعاً عَلَى الْمَدْحِ كَأَنَّهُ

(١) عَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ لَا يَكُونُ مِنْ تَعَدُّدِ الْخَيْرِ لِأَنَّ الْكَلِمَتَيْنِ أَفَادَتَا مَعْنَى وَاحِدَةً، وَالْخَيْرُ الْمُتَعَدَّدُ كُلُّ كَلِمَةٍ فِيهِ تَفِيدُ مَعْنَى مُسْتَقِلًّا مِثْلَ وَهُوَ الْغُفُورُ الْوَدُودُ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ فَعَالٍ لَمَّا يَرِيدُ، وَقَدْ أَجَازَهُ بَعْضُ النُّحَوِيِّينَ وَلَكِنْ لَمْ يَسْلَمْ لَهُ. أَنْظِرِ الْأَشْمُونِي ح ١ - ١٦٣.

(٢) الْقِيَاسُ أَنْ نَقُولَ مَوْضِعُهَا أَوْ مَوْضِعُهُ أَيْ الْكَلِمَةُ أَوْ اللَّفْظُ وَعُودَ ضَمِيرِ الْجَمْعِ عَلَيْهَا لِأَوْجِهٍ ذَا قِيَمَةٍ

لما قيل هدى للمتقين قيل مَنْ هُمْ فقيل: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾، ويجوز أن يكون موضع الذين نصباً على المدح أيضاً كأنه قيل أذكر الذين.

﴿والذين﴾ لا يظهر فيهم الإعراب، تقول في النصب والرفع والجر: أتاني الذين في الدار ورأيت الذين في الدار ومررت بالذين في الدار، وكذلك الذي في الدار، وإنما منع الإعراب لأن الإعراب إنما يكون في آخر الأسماء، والذي والذين مبهمان لا تتمان إلا بصلاتيهما فلذلك مُنعتِ الإعراب.

وأصل الذي لَدِ على وزن عَمِ فاعْلَمْ، كذلك قال الخليل وسيبويه والأخفش وجميع من يوثق بعلمه.

فإن قال قائل: فما بالك تقول: أتاني اللذان في الدار ورأيت اللذين في الدار فتعرب كل ما لا يعرب في تثنيته نحو هذان وهذين وأنت لا تعرب هذا ولا هؤلاء، فالجواب في ذلك أن جميع ما لا يعرب في الواحد مشبه بالحرف الذي جاء لمعنى فإذا تثنيته فقد بطل شبه الحرف الذي جاء لمعنى لأن حروف المعاني لا تثني^(١) فإن قال قائل فلم منعته الإعراب في الجمع؟ قلت لأن الجمع الذي ليس على حد التثنية كالواحد، ألا ترى أنك قلت في جميع^(٢) هذا هؤلاء يا فتى فجعلته اسماً واحداً للجمع، وكذلك قولك الذين، إنما هو اسم للجمع كما أن قولك سنين يا فتى اسم للجمع فبنيته كما بنيت الواحد، ومن جمع الذين على حد التثنية قال: جاءني الذون في الدار، ورأيت الذين

= له، وهو ناظر فيه إلى معنى الكلمة، وفي القرآن ﴿وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم﴾ واختلفت فيه آراء المفسرين.

(١) يجاري الزجاج في هذا من زعم من الكوفيين أنها تثنية حقيقية، وأن الموصول المثني معرب، وجمهور النحويين من البصريين والكوفيين أنه اسم مبني جاء على هذه الصورة.
(٢) ط: جمع.

في الدار. وهذا لا ينبغي أن يقع لأن الجمع مستغنى فيه عن حد التثنية،
والتثنية ليس لها إلا ضرب واحد^(١).

ومعنى قوله: ﴿بِالْغَيْبِ﴾: ما غاب عنهم مما أخبرهم به النبي ﷺ من
أمر الغيب والنشور والقيامة وكل ما غاب عنهم مما أنبأهم به فهو غيب.
وقوله عز وجل: ﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾.

معناه يُتِمُّونَ الصلاة كما قال: - ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ وضمت
الياء من يؤمنون، ويقيمون، لأن كل ما كان على أربعة أحرف نحو أَكْرَمَ
وَأَحْسَنَ وَأَقَامَ وآمَنَ فمُسْتَقْبَلُهُ: يُكْرَمُ، وَيُحْسِنُ، وَيُؤْمِنُ وَيُقِيمُ «وإنما ضمت
أوائل المستقبل ليفرق بين ذوات الثلاثة نحو ضرب، وبين ذوات الأربعة نحو
دحرج»^(٢)، فما كان على ثلاثة فهو ضرب يَضْرِبُ أو تَضْرِبُ أو نَضْرِبُ^(٣)،
ففصل بالضممة بينهما فإن قال قائل: فهلا فصل بالكسرة؟ - قيل الكسرة قد
تدخل في نحو تَعْلَمُ وتَبَيُّضُ^(٤) ولأن الضمة مع الياء مستعملة، والكسرة لا
تستعمل مع الياء. فمن قال أنت تعلم لم يقل هو يعلم، فوجب أن يكون
الفرق بينهما بالضممة لا غير.

والأصل في يُقِيمُ «يُؤْقِمُ»^(٥) والأصل في يُكْرِمُ يُؤْكِرُ ولكن الهمزة

(١) أي هو ليس جمعاً حقيقياً حتى يعرب أعراب الجمع.

وهذا النطق كان في هذيل أو عقيل، وهو حتى في هذه الحالة ليس جمعاً حقيقياً، وهو على
أصح الآراء مبني.

راجع في التصريح والأشموني وحاشية الصبان باب الموصول. ح ١ - ١١١.

(٢) الأولى ليفصل بين ذوات الأربعة وغيرها.

(٣) ط ونضرب.

(٤) هي تلتة بهراء - بطن من تميم. يكسرون حرف المضارعة مطلقاً.

وهناك أفعال خاصة يكسر أول مضارعها عند جميع العرب عدا الحجازيين.

أنظر تاريخ آداب العرب للرافعي ح ١ - ١٤٠ ومراجعته.

(٥) الأصل فيه يؤقوم - لأنه واوي من قام يقوم.

حذفت لأن الضم دليل على ذوات الأربعة ولو ثبت لوجب أن تقول إذا أنبأت عن نفسك: أنا أوقوم وأنا أوكرم، فكانت تجتمع همزتان فاستقلتا، فحذفت الهمزة التي هي فاء الفعل، وتبع سائر الفعل باب الهمزة فقلت أنت تكرم ونحن نكرم وهي تكرم، كما أن باب يَعِدُ حُذِفَتْ منه الواو لوقوعها بين ياء وكسرة. الأصل فيه «يَوْعِدُ» ثم حذفت في تعد ونعد وأعد.

وقوله عز وجل: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾.

معناه يَصْدُقُونَ - قال عز وجل: ﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾ - إلى قوله - ﴿أَجَلٌ قَرِيبٌ فَأَصْذَقُ﴾^(١).

وقوله عز وجل: ﴿بِمَا أَنْزَلْتُ إِلَيْكَ﴾:

إن شئت خففت الهمزة في ﴿أَنْزَلْتُ﴾ - وكذلك في قوله^(٢) «إِلَيْكَ» وهذه لغة غير أهل الحجاز، فأما أهل الحجاز فيخففون الهمزة بين الواو والهمزة. قال سيبويه: وإنما فعل بالهمزة ذلك دون سائر الحروف لأنها بُعد مخرجها ولأنها نبرة في الصدر. وهي أبعد الحروف مخرجاً، وأما إِلَيْكَ وَإِلَيْهِمْ، وَعَلَيْكَ^(٣) وَعَلَيْهِمْ، فالأصل^(٤) في هذا «إِلَاكَ»: وَعَلَاكَ، وَإِلَاهُمْ وَعَلَاهُمْ كما تقول إلى زيد وعلى إخوانك، إلا أن الألف غُيِّرَتْ مع المضمرة^(٥) فأبدلت ياء ليفصل بين الألف التي في آخر المتمكنه وبين الألف التي في أواخر غير المتمكنه التي الإضافة لازمة لها، ألا ترى أن إلى وعلى ولدى لا تنفرد من

(١) سورة المنافقون (٦٣) ١٠، ١١ وبقيتها: ﴿مَنْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصْذَقُ﴾.

(٢) ليست في ك.

(٣) ك وعلىكم وعليهم.

(٤) في ك، ط. الأصل بدون فاء. وهو غير جائز بعد إما.

(٥) ك المضمرة.

الإضافة، ولذلك قالت العرب في كلا في حال النصب والجر: رأيت كليهما، وكليكما، ومررت بكليهما وكليكما - ففصلت بين الإضافة إلى المظهر والمضمر لما كان كلا لا ينفرد ولا يكون كلاماً إلا بالإضافة.

وقوله عز وجل: ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ﴾.

موضع ﴿أُولَئِكَ﴾ رفع بالابتداء، والخبر: ﴿عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ﴾، إلا أن أولئك لا يعرب لأنه اسم للإشارة، وكسرت الهمزة فيه لالتقاء الساكنين، وكذلك قوله ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾، إلا أن ﴿هُمُ﴾ دخلت فصلاً، وإن شئت كانت تكريراً للاسم، كما تقول زيد هو العالم، فترفع زيدا بالابتداء، وترفع ﴿هو﴾ ابتداءً ثانياً، وترفع العالم خبراً «لهو»، والعالم خبراً لزيد، فكذاك قوله ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(١) وإن شئت جعلت ﴿هو﴾ فصلاً وترفع زيدا والعالم على الابتداء وخبره، والفصل هو الذي يسميه الكوفيون عماداً.

(و «سيبويه» يقول إن^(٢) الفصل لا يصلح إلا مع الأفعال التي لا تتم نحو كان زيد هو العالم، وظننت زيدا هو العالم)^(٣).

وقال سيبويه دخل الفصل في قوله عز وجل: . . ﴿تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا﴾^(٤) وفي قوله: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾^(٥) - وفي قوله: ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ﴾^(٦). وفي قوله: ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ

(١) أي إعرابها كذلك.

(٢) ليست في ط.

(٣) العبارة كلها ليست في ب.

(٤) المزمّل ٧٣ - ٢٠.

(٥) آل عمران ٣ - ١٨٠.

(٦) سبأ ٣٤ - ٦.

عِنْدَكَ»^(١) وما أشبه هذا مما ذكر الله عز وجل^(٢).

وكذلك (لك)^(٣) في الكلام في الابتداء والخبر، وفي قولك كان زيد هو العالم ذكر^(٤) هو، وأنت، وأنا. ونحن، دخلت إعلماً بأن الخبر مضمون وان الكلام لم يتم^(٥)، وموضع دخولها إذا كان الخبر معرفة أو ما أشبه المعرفة. وأن «هو» بمنزلة «ما» اللغو في قوله عز وجل: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾^(٦) فإنما دخولها مؤكدة.

وقوله عز وجل: ﴿الْمُفْلِحُونَ﴾.

يقال لكل من أصاب خيراً مُفْلِحٌ - وقال عز وجل: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾^(٧) - وقال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾^(٨). والفلاح البقاء، قال لبيد بن ربيعة: (٩)

(١) الأنفال ٨ - ٣٢ وفي الآيات جميعاً أفعال ناسخة.

(٢) ك - مما جاء في كتاب الله عز وجل.

(٣) ليست في ك.

(٤) وإن هو.

(٥) ك «أن» موضع وفي ط وذكر هو.. ألخ أي يجوز أن تذكرها.

(٦) آل عمران ٢ - ١٥٩.

(٧) المؤمنون ٢٣ - ١.

(٨) الشمس ٩١ - ٩.

(٩) لبيد بن ربيعة العامري من قيس، من أشرف الشعراء المجيدين عمر نحو مائة وخمسة وأربعين عاماً. أدرك الإسلام وأسلم وهاجر، ثم نزل الكوفة على عهد عمر فأقام بها حتى مات أواخر خلافة معاوية.

قيل أنه لم يقل في الإسلام إلا بيتاً واحداً، والحق أنه قال شعراً غير كثير، وهو من أصحاب المعلقات. ومن الأجواد. وأخبره في الأغاني ج ١٤ - ٩٣. والبيت في ديوانه ١ - ١٨١ أيضاً: يريد نرجو البقاء بعد عاد وحмир، وأدخل بعض الرواة البيت في قصيدته التي أولها: أيا مَيَّ قومي في المآتم وانديبي فتي كان ممن يبتني المجد أروعا

نَحُلْ بِلاداً كُلها حُل قبلنا ونرجو الفلاح بعد عادٍ وتبعها
أي نرجو البقاء. وقال عبيد^(١):

أفلح بما شئت فَقَدْ يد رِك بالضعف وقد يُخدع الأريب^(٢)
أي أصب خيراً بما شئت، والفلاح: الأكار، والفلاحة صناعته، وإنما
قيل له الفلاح لأنه يشق الأرض، ويقال فلحت الحديد إذا قطعته.

قال الشاعر: ^(٣)

قد علمت خيلك أنني الصَّحْصَحُ إنَّ الحديد بالحديد يُفلح
ويقال للمكاري الفلاح، وإنما قيل له فلاح تشبيهاً بالأكار، قال
الشاعر^(٤)

لها رطل تكيل الزيت فيه وفلاح يسوق لها حماراً
وقوله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ
تُنذِرْهُمْ﴾.

(١) عبيد بن الأبرص شاعر جاهلي غاصر امرأ القيس وله معه ومع أبيه حجر مواقف تروى في أخبارهم. وهو من بني أسد الذين قتلوا حجراً. وقد عمر طويلاً وقتله النعمان في يوم يؤسه. وأخباره في الأغاني ١٩ - ٨٤.

(٢) ديوانه ٧ والجمهرة ١٠٠ - والأريب الفطن الذكي.

(٣) الصحصح والصحصحان الأرض الصلبة، أي قد علم قومك أنني صلب شديد. ولا يقطع الأقوياء إلا قوي مثلي. والبيت في اللسان (فلح) والقرطبي ١ - ١٥٨ والشطر الثاني في أمثال الميداني ١ - ٨ ولم يذكر أحد قائله.

(٤) هو عمرو بن أحمر الباهلي. شاعر إسلامي يكنى أبا الخطاب - ذكره ابن حجر في الإصابة ٦٤٦٦ - وقال يروي برواية جيدة أنه عمر، قيل هو أخو أبي ثعلبة الخشني الذي نزلت فيه الآية: ﴿ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله...﴾ وله ترجمة في المؤلف ٣٧ والبيت في اللسان والتاج «فلح».

﴿إِنْ﴾ تنصب الذين، وهي تنصب الأسماء وترفع الأخبار، ومعناها في الكلام التوكيد، وهي آلة من آلات القسم، وإنما نصبت ورفعت لأنها تشبه بالفعل، وشبهها به أنها لا تلي الأفعال ولا تعمل فيها، وإنما يذكر بعدها الاسم والخبر كما يذكر بعد الفعل الفاعل والمفعول إلا أنه قُدِّمَ المفعولُ به فيها ليفصل بين ما يشبه بالفعل ولفظه لفظُ الفعل وبين ما يُشَبِّه به وليس لفظه لفظُ الفعل، وخبرها ههنا جملة الكلام، أعني قوله: ﴿سواءٌ عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرتهم﴾.

وترفع سواء بالإبتداء، وتقوم ﴿أأنذرتهم أم لم تنذرتهم﴾ مقامَ الخبر كأنه بمنزلة قولك سواء عليهم الإنذارُ وتركه، وسواءٌ موضوع موضع مُستَوٍ، لأنك لا تقيم المصادر مقام أسماءِ الفاعلين إلا وتأويلها تأويل أسماءهم.

فأما دخول ألف الاستفهام ودخول أم التي للاستفهام والكلام خبرٌ فإنما وقع ذلك لمعنى التسوية والتسوية آلتها ألف الاستفهام وأم^(١) تقول: أزيد في الدار أم عمرو، فإنما دخلت الألف وأم لأن عِلْمَكَ قد استوى في زيد وعمرو، وقد علمت أن أحدهما في الدار لا محالة ولكنك أردت أن يُبين لك الذي علمت ويخلص لك علمه من غيره، فلهذا تقول: قد علمتُ أزيد في الدار أم عمرو، وإنما تريد أن تُسَوِّيَ عند من تخبره العلم الذي قد خلص عندك. وكذلك ﴿سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرتهم﴾، دخلت الألف وأم للتسوية.

فأما ﴿أأنذرتهم﴾ فزعم سيبويه أن من العرب من يحقق الهمزة، ولا يجمع بين الهمزتين وإن كانتا من كلمتين، فأما أهل الحجاز فلا يحققون واحدة منهما، وأما بعض القراء - ابن أبي إسحق وغيره - فيجمعون في القراءة بينهما، فيقرأون ﴿أأنذرتهم﴾، وكثير من القراء يخفف إحداهما، وزعم سيبويه أن

(١) أي أن الجملة ما زالت خبرية.

الخليل كان يرى تخفيف الثانية فيقول: ﴿أَنْذَرْتُهُمْ﴾^(١) فيجعل الثانية بين الهمزة والألف، ولا يجعلها ألفاً خالصة، ومن جعلها ألفاً خالصةً فقد أخطأ من جهتين: إحداهما أنه جمع بين ساكنين والأخرى أنه أبدل من همزة متحركة قبلها حركة ألفاً، والحركة الفتح، وإنما حقُّ الهمزة إذا حركت وانفتح ما قبلها: أن تُجْعَلَ بَيْنَ بَيْنَ، أعني بين الهمزة وبين الحرف الذي منه حركتها، فتقول في سأل: سال وفي رؤوف: رووف وفي بشس: بيس (بَيْنَ بَيْنَ)^(٢) وهذا في الحكم واحد وإنما تُحْكِمُهُ المشافهة.

وكان غير الخليل^(٣) يجيز^(٤) في مثل قوله تعالى: ﴿فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾^(٥) تخفيف الأولى.

وزعم سيبويه أن جماعة من العرب يقرأون: فقد جا أشراطها يحققون الثانية ويخففون الأولى، وهذا مذهب أبي عمرو بن العلاء وأما الخليل فيقول بتحقيق الأولى فيقول: ﴿فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾. قال الخليل: وإنما اخترت تخفيف الثانية لإجماع الناس على بدل الثانية في قولك آدم، وآخر، لأن الأصل في آدم: أدم، وفي آخر الآخر.

وقول الخليل أقيس، وقول أبي عمرو جيد أيضاً.

قال أبو إسحاق: الهمزة التي للاستفهام ألف مبتدأة: ولا يمكن تخفيف الهمزة المبتدأة ولكن إن أُلْقِيَ همزة ألف الاستفهام على سكون الميم من عليهم فقلت: «عَلَيْهِمْ أَنْذَرْتُهُمْ» جاز. ولكن لم يقرأ به أحد، والهمزتان في

(١) ليست في ك.

(٢) ك وهذا في كتاب الله واحد.

(٣) في الأصل وط وغيره كان يجيز.

(٤) ك يقول: فقد جاء أشراطها يخفف الأولى.

(٥) القتال ٤٧ - ١٨.

قوله: ﴿فقد جاء أشراطها﴾. همزتان في وسط الكلمة ويمكن تخفيف الأولى^(١).

فأما من خفف الهمزة الأولى قوله: ﴿أأنذرتهم﴾ (فإنه)^(٢) طرحها البتة وألقى حركتها على الميم، ولا أعلم أحداً قرأ بها والواجب على لغة أهل الحجاز أن يكون «عليهم أنذرتهم» فيفتح الميم، ويجعل الهمزة الثانية بين بين^(٣). وعلى هذا مذهب جميع أهل الحجاز، ويجوز أن يكون ﴿لا يؤمنون﴾ خبر إن، كأنه قيل: «إن الذين كفروا لا يؤمنون، سواء عليهم أنأنذرتهم أم لم تنذرتهم».

هؤلاء قوم أنبا الله «تبارك وتعالى» النبي ﷺ «أنهم لا يؤمنون كما قال عز وجل: ﴿ولا أنا عابد ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد﴾»^(٤).

فأما الهمزتان إذا كانتا مكسورتين نحو قوله عز وجل: ﴿على البغاء إن أردن تحصناً﴾^(٥) وإذا كانتا مضمومتين نحو قوله: ﴿أولياء أولئك﴾^(٦) فإن أبا عمرو يخفف الهمزة الأولى فيهما فيقول: ﴿على البغاء إن أردن﴾ وأولياء أولئك «فيجعل الهمزة الأولى من البغاء بين الهمزة والياء، ويكسرهما» ويجعل الهمزة في قولك أولياء أولئك (الأولى)^(٧) بين الواو والهمزة ويضمها.

وحكى أبو عبيدة أن أبا عمرو كان يجعل مكان الهمزة الأولى كسرة في ﴿البغاء إن﴾، وضمه في ﴿أولياء أولئك﴾. أبو عبيدة لا يحكي إلا ما سمع لأنه الثقة المأمون عند العلماء، إلا أنه لا يضبط مثل هذا الموضع لأن الذي قاله محال، لأن الهمزة إذا سقطت وأبدلت منها كسرة وضمه - على ما وصف -

(١) هذه الفقرة كلها في ب فقط.

(٥) النور ٢٤ - ٣٣.

(٢) ليست في ك.

(٦) الأحقاف ٤٦ - ٣٣.

(٣) أي لا تحقق ولا تحذف.

(٧) ك، ط فقط.

(٤) الكافرون ١١٨ / ٤.

بقيت الحركتان في غير حرف وهذا محال لأن الحركة لا تكون في غير محرّك.

قال أبو اسحق: والذي حكيناه آنفاً رواية سيويه عن أبي عمرو وهو أضبط لهذا^(١).

وأما قوله: ﴿السفهاء ألا﴾ وقوله: ﴿وإليه النُّشُورُ﴾. أأنتم من في السماء أنْ - فإن الهمزتين إذا اختلفتا^(٢) حكى أبو عبيدة أن أبا عمرو كان يبدل من الثانية فتحة وهذا خلاف ما حكاه سيويه. والقول فيه أيضاً محال لأن الفتحة لا تقوم بذاتها، إنما تقوم على حرف.

وجملة ما يقول النحويون في المسألة الأولى في مثل قوله: ﴿على البغاء إن﴾ أو ﴿أولياء أولئك﴾ ثلاثة أقوال على لغة غير أهل الحجاز. فأحد هذه الثلاثة - وهو مذهب سيويه والخليل - أن يجعل مكان الهمزة الثانية همزة بين، فإذا كان مضموماً^(٣) جعل الهمزة بين الواو والهمزة فقال: ﴿أولياء أولئك﴾ (وإذا كان مكسوراً جعل الهمزة بين الياء والهمزة، فقال: ﴿على البغاءين﴾. وأما أبو عمرو فقرأ على ما ذكرناه^(٤) وأما ابن أبي إسحق - ومذهبه مذهب جماعة من القراء - فيجمع بين الهمزتين، فيقرأ ﴿أولياء أولئك﴾ و﴿على البغاء إن أردن﴾ بتحقيق الهمزتين.

وأما اختلاف الهمزتين نحو ﴿السفهاء ألا﴾ فأكثر القراء على مذهب ابن أبي إسحق، وأما أبو عمرو فيحقق الهمزة الثانية في رواية سيويه، ويخفف

(١) أي إن الرواية هي تخفيف الهمزة وليس حذفها نهائياً كما روى أبو عبيدة.

(٢) في الأصل اختلفا.

(٣) أي إذا كان مكان الهمزة مضموماً.

(٤) هذه الزيادة لا بد منها ولم توجد في أية نسخة.

(٥) سبق آنفاً أنه يخفف الأولى فيهما.

الأولى فيجعلها بين الواو والهمزة، فيقول: ﴿السفهاء ألا﴾ (بين بين)^(١)، ويقول: «من في السماي أن» فيحقق الثانية، وأما سيبويه والخليل فيقولان: السفهاء ولا. فيجعلان الهمزة الثانية واواً خالصة وفي قوله: ﴿من السماءين﴾ ياء خالصة مفتوحة.

فهذا جميع ما في هذا الباب.

وقد ذكر أبو عبيد^(٢) أن بعضهم روى عن أبي عمرو أنه كان إذا اجتمعت همزتان طرحت إحداهما، وهذا ليس بثبت لأن القياس لا يوجب. وأبو عبيد لم يحقق في روايته، لأنه قال: رواه بعضهم، وباب رواية القراءة عن المقرئ يجب أن يقل الاختلاف فيه. فإن كان هذا صحيحاً عنه فهو يجوز في نحو ﴿سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم﴾، وفي مثل قوله: ﴿الذكرين حرم أم الأنثيين﴾ فيطرح همزة الاستفهام لأن أم تدل عليها.

قال الشاعر: (٣)

لعمرك ما أدري وإن كنت داريأ شعيث بن سهم أم شعيث بن منقر

(١) ليست في ك.

(٢) هو القاسم بن سلام الهروي - عالم كبير متفقه أديب. ولد بهراه وعمل بها مؤدباً ثم انتقل إلى بغداد وكان منقطعاً للأمير عبد الله بن طاهر يهديه مؤلفاته وينال من جوائزه. وألف كتاباً قيمة في الحديث، وعلوم القرآن والنحو وأدب القضاء، وقال عنه الجاحظ: لم يكتب الناس أصح من كتبه. له ترجمة في ابن خلكان ١ - ٤١٨، ٣٦٩ طبقات النحويين ٢١٧. غاية النهاية ١٧/٢ ونزهة الألباء ص ٩٣ - ٩٨ والأغاني ١١ - ١١ وابن الندايم ١١٧ والنجوم الزاهرة ٢ - ٢٣٩١ - ١٧ توفي سنة ٢٢٤ هـ.

(٣) الأسود بن يعفر التميمي: شاعر جاهلي مقل. كان أعمى مغموراً ذكره ابن سلام في الطبقة الثامنة مع خدّاش بن زهير والنمر بن تولب والمخبل. وشعث حي من تميم، وهو يرميهم بأنهم أدعياء دخلوا على بني تميم والبيت في المقاصد النحوية ٤ - ١٣٨ ونسب في الكامل ٢ - ١٨٧ ت أبو الفضل للأخطل. وأنظر شواهد المغني ٥١، وكتاب سيبويه ٢ - ٢٣، ٣٤ والخزانة ٤ - ٤٥٠، ٩٠٤.

وقال عُمرُ بْنُ أَبِي رَبيعَةَ: ^(١)

لَعَمْرُكَ مَا أَذْرِي وَإِنْ كُنْتُ دَارِيًّا بِسَبْعِ رَمَيْنَ الْجَمْرِ أَمْ بِثَمَانِ

البيت الأول أنشده الخليل وسيبويه، والبيت الثاني صحيح أيضاً.

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً﴾.

معنى ختم في اللغة وطبع (معنى) ^(٢) واحد. وهو التغطية على الشيء، والاستيثاق من ألاَّ يَدْخُلْهُ شَيْءٌ كما قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَمْ عَلَى قُلُوبِ أَقْفَالُهَا﴾ ^(٣) وقال جَلَّ ذِكْرُهُ ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ ^(٤). معناه غلب على قلوبهم ﴿مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ^(٥) - وكذلك ﴿طَبَعَ عَلَيْهَا بِكَفْرِهُمْ﴾ ^(٥) وهم كانوا يسمعون ويبصرون ويعقلون ولكنهم لم يستعملوا هذه الحواس استعمالاً يجزي عنهم فصاروا كمن لا يسمع ولا يبصر.

قال الشاعر:

أَصَمُّ عَمَّا سَاءَ سَمِيعٌ ^(٦)

وكذلك قوله جَلَّ وَعَزَّ: ﴿وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾.

هي الغطاء، فأما قوله: ﴿وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾ وهو يريد وعلى أسماعهم ففيه

(١) من قصيدة له أولها: بدا لي منها معصم حين جمرت. أنظر العيني ٤ - ٤٤٣، وهو في ديوانه البيت الثاني من القصيدة.

(٢) ليست في ك.

(٣) القتال ٤٧ - ٢٤.

(٤) المطففين ٨٣ - ١٤.

(٥) النساء ٣ - ١٥٥ وفي الأصول: طبع عليها.

(٦) في اللسان صمم. بدون نسبة. يريد أنه يتصام عما يسوءه وهو يسمعه، وكذا في الأمالي الشجرية ١ - ٦٤.

ثلاثة أوجه: فوجه منها أن السمع في معنى المصدر فَوُحِدَ، كما تقول: يعجبني حديثكم ويعجبني ضربُكم - فَوُحِدَ لأنه مَصْدَر. ويجوز أن يكون لما أضاف السمع إليهم دل على معنى أسماعهم، قال الشاعر: (١)

بها جيفُ الحسرى فأما عظامُها فبيضٌ، وأما جلدُها فصليب
وقال الشاعر أيضاً: (٢)

لا تُنْكِرِي القَتْلَ وَقَدْ سُبِينَا فِي حَلْقِكُمْ عَظْمٌ وَقَدْ شَجِينَا
معناه في حلوقكم، وقال:

كَأَنَّهُ وَجْهَ تَرْكِيْنٍ قَدْ غَضِبَا مُسْتَهْدَفٍ لَطْعَانٍ غَيْرِ تَذْيِيبِ (٣)

أما «غشاوة»، فكل ما كان مشتملاً على الشيء فهو في كلام العرب مبني على «فعالة» نحو الغشاوة، والعِمامة، والقِلادة والعِصَابَة، وكذلك أَسْمَاء الصناعات لأن معنى الصناعة الاشتمال على كل ما فيها نحو الخياطة

(١) هو علقمة الفحل - ابن عبدة - من تميم، شاعر جاهلي من الفرسان - كان معاصراً لامرئ القيس وخلفه على زوجه أم معبد في قصص معروف. ولهذا سمي الفحل. الأغاني ٧ - ١٢١ والبيت ضمن بائته. طحا بك قلب في الحسان طروب: وهي المفضلية رقم ١١٩، البيت ٢٢.

يصف الصحراء التي اجتازها إلى الحرث بن جبلة ممدوحه وبها جيف الإبل التي رذحت وماتت. فتصلبت بقايا جلدتها وذهب لحمها فبقي عظمها أبيض.

(٢) هو المسيب بن زيد بن مناة الغنوي، وأكثر رواية البيت: لا تنكروا يريد لا ينبغي أن ننكر ما بيننا من عداوة وبكل منا آثار الحرب. والشجى ما يعترض الحلق من العظم، ونحوه.

أنظر الشنتمري ١ - ١٠٧، ابن يعيش ١ - ٧٨١. اللسان (شجر).

(٣) البيت للفرزدق من قصيدة يهجو بها جريراً ويسب أمه.

وروايته: مستهدف لطنعان غير منجحر - والقصيدة رائية وليست بائية. يدعى أنه فعل بأم جرير - ويصف فرجها بالحمرة والامتلاء، وأن شفريه كوجهي تركيين. وهذا موضع الاستشهاد بالبيت. والتركي يعرف بحمرة الوجه، وإذا غضب كان وجهه أشد حمرة. أنظر الخزائن ٣ - ٣٦٩.

والقَصَاة، وكذلك على كل من استولى على شيء ما استولى عليه الفِعَالَة، نحو الحِلَاقَة والإِمَارَة. والرفع في ﴿غشاوة﴾ هو الباب وعليه مذهب القُرَاء، والنُّصَب جَائِز في النُّحُو على أن المعنى: «وجعل على أَبْصَارِهِمْ غِشَاءً»، كما قال الله عز وجل في موضع آخر: ﴿وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة﴾^(١). ومثيله من الشعر مما حمل على معناه قوله:

يَا لَيْتَ بَعْلُكَ قَدْ غَدَا مُتَقَلِّدًا سَيْفًا وَرَمَحًا^(٢)

معناه متقلداً سيفاً وحاملاً رمحاً. ويروي غَشُوَة، والوجه ما ذكرناه وإنما غَشُوَة رُدُّ إلى الأصل لأن المصادر كلها ترد إلى فَعَلَة، والرفع والنُّصَب في غَشُوَة مثله في غِشَاوة،

وقوله عز وجل: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾.

عنى بذلك المنافقين، وإعراب ﴿مِنَ﴾ الوقف إلا أنها فُتِحَتْ لالتقاء الساكنين سكون النون. من قولك مِّنْ وسكون النون الأولى من الناس، وكان الأصل أن يكسر لالتقاء الساكنين، ولكنها فُتِحَتْ لثقل اجتماع كَسْرَتَيْنِ - لو كان ﴿مِنَ النَّاسِ﴾ لثقل ذلك. فأما عن الناس فلا يجوز فيه إلا الكسر لأن أول «عن» مفتوح. و«مِنَ» إعرابها الوقف^(٣) لأنها لا تكون اسماً تاماً في

(١) الجاثية ٤٥ - ٢٣.

(٢) البيت لعبد الله بن الزبيري من شعراء الرسول ﷺ المدافعين عنه وهو قرشي من سهم، وكان هجاء في الجاهلية وهجا عشيرة قصي، ثم أسلم وكان يهجو المشركين ويدافع عن النبي. ورواية البيت ورأيت زوجك - الكامل ١٨٣، وابن يعيش ٢٢٤/١، ٥٠/٢ وذكره الطبري في غير موضع من تفسيره، وفي اللسان - قال - ورغبة الأمل ٣/٣٤. والخزانة ٥١/١.

(٣) السكون.

الخبر إلا بصلة، فلا يكون الإعراب في (١) بعض الاسم (٢).

فأما الإدغام في الياء في ﴿من يقول﴾ فلا يكون غيره، تقول ﴿مَنْ يَقُومُ﴾ فتُدْغِمُ بَغْنَةً وبغير غنة (٣).

وقوله عز وجل: ﴿وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾.

دخلت الباء مؤكدة لمعنى النفي، لأنك إذا قلت: «ما زيد أخوك» فلم يسمع السامع «ما» ظن أنك موجب فإذا قلت: «ما زيد بأخيك» و﴿ما هم بمؤمنين﴾ علم السامع أنك تنفي وكذلك جميع ما في كتاب الله عز وجل.

وقوله عز وجل: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾.

يعني به المنافقين أيضاً.

ومعنى ﴿يخادعون﴾: يظهرون غير ما في نفوسهم، والتَّيَّةُ تُسَمَّى أَيْضاً خِدَاعاً، فكأنهم لما أظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر صارت تَقِيَّتُهُمْ خِدَاعاً، وجاء بفَاعِلٍ لغير اثنين لأن هذا المثال يقع كثيراً في اللغة للواحد نحو عاقبت اللص، وطارقت النعل.

وقوله عز وجل: ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾.

تأويله أن الخداع يرجع عليهم بالعذاب والعقاب وما يشعرون: أي وما يعلمون أنه يرجع عليهم بالعذاب يقال ما شعرت به: أي ما علمت به و«كَيْتَ شِعْرِي» ما صَنَعْتَ: معناه ليت علمي.

(١) في الأصل من.

(٢) حيث أن «من» لا يتم معناها إلا بما اتصل بها فهي جزء اسم، لهذا لا يظهر عليها. إعراب، هذا كلامه، وهي مبنية للشبه المعنوي بالحرف، وإعرابها في مثل هذا الموضع أنها مبتدأ، ومن يقول خبر، أي وبعض الناس يقول.

(٣) المقرر في قراءة حفص عن عاصم أنه متى كانت النون ساكنة قبل الياء وهما في كلمتين أدغمت النون في الياء وشددت الياء بغنة. أما الإدغام بغير غنة فهو في اللام والراء.

وقوله عز وجل: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾.

معناه نفاق، وقد يقال السُّقْمُ والمرض في البدن وفي الدين جميعاً كما يقال الصحة في البدن والدين جميعاً.

فمعنى قوله: ﴿مرض﴾ قال أبو عبيدة: معناه شك ونفاق، والمرض في القلب يصلح لكل ما خرج به الإنسان عن الصحة في الدين.

وقوله: ﴿فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾.

فيه جوابان، قال بعضهم زادهم الله بكفرهم، كما قال عز وجل: ﴿بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾^(١). وقال بعض أهل اللغة: فزادهم الله بما أنزل عليهم من القرآن فشكوا فيه كما شكوا في الذي قبله، قال: والدليل على ذلك قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ﴾. إلى قوله: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ. وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ﴾^(٢) وهذا قول بين واضح - والله أعلم.

وقوله عز وجل: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

معناه مُوجِع يصل وجعه إلى قلوبهم، وتأويل أليم في اللغة «مؤلم». قال الشاعر: وهو عمرو بن معد يكرب الزبيدي^(٣).

(١) سورة النساء (٤) آية ١٥٥.

(٢) سورة التوبة (٩) من الآيتين ١٢٤، ١٢٥.

(٣) عمرو بن معد يكرب الزبيدي من مذحج، من مشهوري فرسان اليمن. أسلم حين دخل الإسلام اليمن وشارك في كثير من غزوات الإسلام ومات أواخر خلافة عمر. الأغاني ٢٥/١٤. أما البيت فيقال إنه من قصيدة قالها في امرأة كان قد عقد عليها ولم يدخل بها ف قيل له إن بها وضحاً، وهو داء تنفر منه العرب فطلقها فتزوجها آخر وتبين أن لا وضح بها. ويقال إن الشعر في أخته أم دريد بن الصمة، وكان الصمة سبهاها ولم يستطع عمرو استخلاصها. انظر الخزائن ٤٦٠/٣.

أَمِنْ رَيْحَانَةِ الدَّاعِي السَّمِيعِ يُورْقُنِي وَأَصْحَابِي هُجُوعٌ
معنى السميع المسمع .

وقوله عز وجل : ﴿بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ .

«ويقرأ»^(١) يُكْذِبُونَ . فمن قرأ ﴿يَكْذِبُونَ﴾^(٢) بالتخفيف فَإِنَّ كَذِبَهُمْ
قولهم أَنَّهُمْ مُؤْمِنُونَ ، - قال الله عز وجل : ﴿وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ وَأَمَّا يُكْذِبُونَ
بالثقل فمعناه بتكذيبهم النبي ﷺ .

وقوله عز وجل : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ
مُصْلِحُونَ﴾ .

مَعْنَاهُ لَا تَصُدُّوا عَنْ دِينِ اللَّهِ ، فَيَحْتَمِلُ ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ ضربين
من الجواب : أحدهما أَنَّهُمْ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُصْلِحُونَ ، والثاني أَن يَريدُوا أَنَّ هَذَا
الذي يسمونه إِفساداً هو عِنْدَنَا إِصلاح .

فَأَمَّا إِعْرَابُ ﴿قِيلَ﴾ فَأَخْرَجَهُ مَبْنِي عَلَى الْفَتْحِ ، وَكَذَلِكَ كُلُّ فِعْلٍ مَاضٍ
مَبْنِي عَلَى الْفَتْحِ ، وَالْأَصْلُ فِي ﴿قِيلَ﴾ قَوْلٌ وَلَكِنْ الْكُسْرَةُ نَقَلْتُ إِلَى الْقَافِ
لَأَنَّ الْعَيْنَ مِنَ الْفِعْلِ فِي قَوْلِكَ قَالَ نَقَلْتُ مِنْ حَرَكَةِ إِلَى سَكُونٍ ، فَيَجِبُ أَنْ
تَلْزِمَ هَذَا السَّكُونَ فِي سَائِرِ تَصَرُّفِ الْفِعْلِ . وَبَعْضُهُمْ يَرُومُ الضَّمَّةَ فِي قِيلَ ، وَقَدْ
يَجُوزُ فِي غَيْرِ الْقُرْآنِ :

قَدْ قَوْلَ ذَاكَ «وَأَفْصَحَ اللُّغَاتِ قِيلَ وَغِيضَ» ، ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا
رَبَّهُمْ﴾^(٣) ، وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ : قِيلَ ، وَغِيضَ ، وَسِيقَ تَرُومُ فِي سَائِرِ أَوَائِلِ مَا لَمْ
يَسْمُ فَاعِلُهُ الضَّمُّ فِي هَذَا الْبَابِ^(٤) .

(١) ك ويكذبون .

(٢) ليست في ك .

(٣) سورة الزمر (٣٩) - آية ٧٣ .

(٤) الروم : هو الإمالة بالضممة نحو الكسر ، فهناك إذن ثلاثة أوجه : الكسر والضم والروم .

وقوله عز وجل: ﴿قَالُوا أَتُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ﴾.

أصل السُّفَه في اللغة خِفَّةُ الحلم، وكذلك يقال ثَوَّبَ سَفِيهٌ إِذَا كَانَ رَقِيقاً بَالِياً.

وقوله عز وجل: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ﴾.

معنى ﴿أَلَا﴾ اسْتِفْتَاَح وَتَنْبِيْهُ، وقوله: ﴿هُمُ السُّفَهَاءُ﴾ يجوز أن يكون خبر إنَّ و﴿هُمُ﴾ فَضْلٌ، وهو الذي يسميه الكوفيون العماد، ويجوز أن يكون ﴿هُمُ﴾ إِبْتِدَاءً، والسُّفَهَاءُ خبر الإِبْتِدَاءِ، وهم السُّفَهَاءُ خبر إنَّ.

وقوله عز وجل: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾.

أَنْبَأَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا يُسِرُّهُ الْمُنَافِقُونَ مِنَ الْكُفْرِ ومعنى شَيَاطِينِهِمْ فِي اللُّغَةِ: مَرَدُّهُمْ، وَغَتَاتُهُمْ فِي الْكُفْرِ، وَيُقَالُ خَلَوْتُ إِلَيْهِ وَمَعَهُ، وَيُقَالُ خَلَوْتُ بِهِ، وَهُوَ عَلَى ضَرْبَيْنِ: أَحَدُهُمَا جَعَلْتُ خَلَوْتِي مَعَهُ، كَمَا قَالَ: خَلَوْتُ إِلَيْهِ (أَي جَعَلْتُ خَلَوْتِي مَعَهُ)^(١)، وَكَذَلِكَ يُقَالُ خَلَوْتُ إِلَيْهِ، وَيُصْلَحُ أَنْ يَكُونَ خَلَوْتُ بِهِ سَخَرْتُ مِنْهُ. وَنُصِبَ مَعَكُمْ كُنُصِبَ الظُّرُوفِ، تَقُولُ: إِنَّا مَعَكُمْ وَإِنَّا خَلْفَكُمْ مَعْنَاهُ إِنَّا مُسْتَقْرُونَ مَعَكُمْ وَمُسْتَقْرُونَ خَلْفَكُمْ. وَالْقِرَاءَةُ الْمَجْمَعُ عَلَيْهَا فَتَحَ الْعَيْنِ وَقَدْ يَجُوزُ فِي الْإِضْطِرَارِ إِسْكَانَ الْعَيْنِ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَقْرَأَ بِهَا، وَيَجُوزُ إِنَّا مَعَكُمْ لِلشَّاعِرِ إِذَا اضْطَرَّ قَالَ الشَّاعِرُ:

قَرِيشِي مِنْكُمْ وَهَوَايَ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَتْ زِيَارَتُكُمْ لِمَامَا^(٢)

(١) ليست في ك.

(٢) البيت للراعي النميري، وهو عبيد بن حصين من قبيلة نَمِير التي هجأها جرير. سمي الراعي لكثرة نعته الإبل وجودة وصفه إياها - أنظر الأغاني ٢٠ - ١٦٨. والبيت في التاج «مع» وكتاب سيبويه ٢ - ٤١ والشجري ١ - ٢٤٥ وهو من الشواهد النحوية الشائعة.

وفي قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿خَلَوْا إِلَى﴾ وجهان إن شئت أُسْكَنْتِ الْوَاوُ وخففت الهمزة وكسرتها فقلت: ﴿خَلَوْا إِلَى﴾ وإن شئت أَلْقِيَتِ الهمزة وكسرت الواو فقلت «خَلَوِي» وكذلك يقرأ أهل الحجاز وهو جيد بالغ، و«إِنَّا» الأصل فيه «إِنَّا» كما قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ﴾^(١) ولكن النون حذفت لكثرة النونات، والمحذوف النون الثانية من إنَّ، لأن في «إن» نونين الأولى ساكنة والثانية متحركة^(٢).

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾.

نحن مبنية على الضم، لأن نحن يدل على الجماعة، وجماعة الْمُضْمَرِينَ^(٣) يدل عليهم - إذا ثَبَّتَ الواحد من لفظه - الميم والواو، نحو فعلوا، وأنتم، فالواو من جنس الضمة، فلم يكن بدُّ من حركة ﴿نَحْنُ﴾ فحركت بالضم لأن الضم من الواو، ألا ترى أن واو الجماعة إذا حركت لإلتقاء الساكنين ضمت، نحو ﴿اشْتَرَوْا الضَّلَالَةَ﴾، وقد حركها بعضهم إلى الكسر فقال: «اشترُوا الضلالة»، لأن إجتماع الساكنين يوجب كسر الأولى إذا كانا من كلمتين، والقراءة المجمع عليها: ﴿اشْتَرَوْا الضلالة﴾ بالضم، وقد رُوي: «اشْتَرَوْا الضلالة» بالفتح، وهو شاذ جدًا.

﴿مُسْتَهْزِئُونَ﴾: القراءة الجيدة [فيه] بتحقيق الهمزة فإذا خَفَّفَتِ الهمزة^(٤) جَعَلَتِ الهمزة بين الواو، والهمزة فقلت «مستهزؤون».

فهذا الاختيار بعد التحقيق.

(١) سورة طه (٢١) - آية ٤٦.

(٢) خففت إن أما النون الثالثة فهي نون الضمير ولا يجوز حذفها.

(٣) الجمع الذي يعبر عنه بضمير.

(٤) المراد بالهمزة هنا المصدر أي النطق بالهمزة في الكلام.

ويجوز أن تُبدل من الهمزة ياءً فتقول: «مستهزيون» فأما «مستهزون»
فضعيف لا وجه له إلا شاذًا على [لغة] من أبدل الهمزة ياء فقال في
استهزأت: استهزيت. فيجب على [لغة] استهزيت [أن يقال] مستهزون.

وقوله عز وجل: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾.

فيه أوجه من الجواب: فمعنى استهزاء الله بهم أن أظهر لهم من
أحكامه في الدنيا خلاف ما لهم في الآخرة، كما أظهروا من الإسلام خلاف ما
أسروا.

ويجوز أن يكون استهزاؤه بهم: أخذه إياهم من حيث لا يعلمون، كما
قال عز وجل: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(١). ويجوز - والله أعلم -
وهو (الوجه)^(٢) المختار عند أهل اللغة أن يكون معنى يستهزيء بهم يُجازيهم
على هزئهم بالعذاب، فسمي جزاء الذنب باسمه كما قال عز وجل: ﴿وَجَزَاءُ
سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾^(٣) فالثانية ليست سيئة في الحقيقة، ولكنها سميت سيئة
لازدواج الكلام.

وكذلك قوله عز وجل: ﴿فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا
اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾^(٤) فالأول ظلم والثاني ليس بظلم ولكنه جيء في اللغة باسم
الذنب ليعلم أنه عقاب عليه وجزاء به.
فهذه ثلاثة أوجه والله أعلم.

وكذلك يجري هذا المجرى قوله عز وجل: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ

(١) سورة القلم (٦٨) - آية ٤٤

(٢) لك فقط.

(٣) سورة الشورى (٤٢) - آية ٤١.

(٤) سورة البقرة (٢) - آية ١٩٤.

خَادِعُهُمْ ﴿١﴾، ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ﴾ ﴿٢﴾.

وقوله عز وجل: ﴿وَيَمْدُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾.

معنى ﴿يَمْدُهُمْ﴾ يُمَهِّلُهُمْ، وهو يدل على الجواب الأول، و﴿في طُغْيَانِهِمْ﴾ (معناه) ﴿٣﴾ في غُلُوِّهِمْ وكفرهم، ومعنى يعمهُون في اللغة يتحIRON، يقال رجل عَمِيَّ وعَامِيَّ، أي متحير، قال الرازي: ﴿٤﴾

وَمَهْمَهُ أَطْرَافُهُ فِي مَهْمِهِ أَعْمَى الْهُدَى بِالْجَاهِلِينَ الْعَمَى

وقوله عز وجل: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَى﴾.

﴿أُولَئِكَ﴾ موضعه رفع بالابتداء، وخبره ﴿الذين اشتروا الضلالة﴾ ﴿٥﴾ وقد فسرنا «واو» اشتروا وكسرتها ﴿٦﴾ فأما من يبدل من الضمة همزة فيقول اشتروا الضلالة فغالط لأن الواو المضمومة التي تبدل منها همزة إنما يفعل بها ذلك إذا لزمتم ضممتها نحو قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أَقْبَتْ﴾ ﴿٧﴾، إنما الأصل وَقَّتْ وكذلك أدور ﴿٨﴾، إنما أصلها أدور. وضمة الواو في قوله: ﴿اشْتَرُوا الضَّلَالََةَ﴾

(١) سورة النساء (٣) - آية ١٤٢.

(٢) سورة الأنفال (٨) - آية ٣٠.

(٣) ليست في ك وط طغيانهم بدون في

(٤) هورؤية بن العجاج يصف مضلة وفي ديوانه ١٦٦.

ومنخفق من لُهلِه ولُهلِه من مهمه يجتنبه في مهمه

والمخفق الأرض يخفق عليها السراب واللهله الأرض البعيدة الأطراف والمهمه الأرض المقفرة الموحشة، والعمة جمع عامه وهو الحائر المختبط كالأعمى، وأعمى الهدى أي طريق الاهتداء به مبهمه خفية فالهداية به شاقة ويَجْتَنِبُهُ: يقطعنه.

(٥) ك فقط.

(٦) في ك وكسرها، وأنظر ص ٨٩.

(٧) سورة المرسلات (٧٧) آية ١١.

(٨) جمع دار.

إنما هي لالتقاء الساكنين، ومثله: ﴿تَبْلُوْنَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ﴾^(١) لا ينبغي أن تهمز الواو (فيه)^(٢).

ومعنى الكلام أن كل من ترك شيئاً وتمسك بغيره فالعرب تقول للذي تمسك به قد اشتراه، وليس ثم شراء ولا بيع، ولكن رغبته فيه بتمسكه به كربة المشتري بماله ما يرغب فيه.

قال الشاعر^(٣):

أخذتُ بالجمّة رأساً أزعرًا وبالشّايا الواضحات الدردرا
وبالطويل العمر عمراً أقصرًا كما اشتري الكافر إذ تنصرا

وقوله عز وجل: ﴿فَمَا رَبَحْتُ بِتَجَارَتُهُمْ﴾.

معناه فما ربحوا في تجارتهم، لأن التجارة لا تربح وإنما يربح فيها ويوضع فيها^(٤) والعرب تقول قد خسر بيعك وربحت تجارتك، يريدون بذلك الاختصار وسعة الكلام قال الشاعر^(٤):

(١) سورة آل عمران (٣) آية ١٨٦.

(٢) ط فقط.

(٣) لأبي النجم، الرأس الأزعر، القصير الشعر. والشايا الدردر غير المتكاملة التي سقط بعضها. يريد أنه استبدل بالشباب ونضارته شيخوخة وضعفاً وكان قد تزوج امرأة عجوزاً.

الخزانة ١ - ٤٨، والكشاف - الآية نفسها، وأنظر ترجمة أبي النجم بالأغاني ٩ - ٧٣ (بولاقي).

(٤) وضع في تجارته ضعة وضعة ووضع المعنى خسر وكوجل يوجل وأوضع بالضم خسر فيها وهو موضوع.

(٤) النابغة الجعدي شاعر مخضرم، كان ممن هجر الأوثان والمسكر والأزلام في الجاهلية، نبغ في الشعر بعد انقطاعه عنه مدة طويلة.

أبو مرحب كنية الظل، والظل متنقل، أي كيف تصاحب من لا يدوم على مودة وإنما هو متنقل غير ثابت؟

وقيل أبو مرحب: هو عرقوب الذي يضرب به المثل في الخلف. والبيت في كتاب سيبويه ١ - ١١٠ وأما القالي ١ - ١٩٢ واللسان (رحب. خلل).

وكيف تواصل من أصبحت خلالته كأبي مرحب

يريد كخلالة أبي مرحب، وقال الله عز وجل: ﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ
وَالنَّهَارِ﴾^(١) (والليل والنهار لا يُمكران)^(٢) إنما معناه بل مكرهم في الليل
والنهار.

وقوله عز وجل: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ
ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾.

هذا المثل ضربه الله - جلّ وعزّ - للمنافقين في تجملهم بظاهر الإسلام
وحقنهم دماءهم بما أظهروا فمثل ما تجملوا به من الإسلام كمثل النار التي^(٣)
يستضيء بها المستوقد وقوله ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ معناه، والله أعلم اطلاق
الله المؤمنين على كفرهم، فقد ذهب منهم نور الإسلام بما أظهر الله عز وجل
من كفرهم، ويتجوز أن يكون ذهب الله بنورهم في الآخرة، أي عذبهم فلا
نور لهم^(٤) لأن الله جلّ وعزّ قد جعل للمؤمنين نوراً في الآخرة وسلب
الكافرين ذلك النور، والدليل على ذلك قوله: ﴿انظُرُونَا نَقْتِسَبْ مِنْ نُورِكُمْ،
قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾^(٥).

وقوله عز وجل ﴿صُمُّ بَكْمٌ عُمِّي فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾.

رفع على خبر الابتداء، كأنه قيل: هؤلاء الذين قصتهم هذه القصة
(صُمُّ بَكْمٌ عُمِّي فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ)^(٦).

(١) سورة سبأ (٣٤) آية ٣٣.

(٢) ليست في ك.

(٣) ط الذي وهو خطأ.

(٤) ط فلا نور لهم على الحقيقة لأن.

(٥) سورة الحديد (٥٧) - آية ١٢.

(٦) ليست مذكورة في ك.

ويجوز في الكلام صمّاً بكماً عمياً، على: وتركهم صمّاً بكماً عمياً، ولكن المصحف لا يخالف بقراءة لا تُروى^(١)، والرفع أيضاً أقوى في المعنى، وأجزل في اللفظ.

فمعنى بُكْمُ أَنَّهُ بِمَنْزِلَةِ مَنْ وُلِدَ أَخْرَسَ وَيُقَالُ الْأَبْكَمُ الْمَسْلُوبُ الْفُؤَادَ، وَصُمَّ وَبُكِمَ وَاحِدُهُمْ^(٢) أَصَمَّ وَأَبْكَمَ، وَيَجُوزُ أَنْ يَقَعَ جَمْعُ أَصَمَّ صُمَّانَ، وَكَذَلِكَ أَفْعَلَ كُلَّهُ يَجُوزُ فِيهِ فَعْلَانُ نَحْوَ أَسُودَ، وَسُودَانُ^(٣) وَمَعْنَى سُدَّ وَسُودَانُ وَاحِدٌ، كَذَلِكَ صُمَّ وَصُمَّانُ وَعُرج وَعُرجَانُ وَبِكْمَ وَبُكْمَانُ.

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ﴾.

الصَّيْبُ فِي اللُّغَةِ الْمَطَرُ وَكُلُّ نَازِلٍ مِّنْ عَلُوٍّ إِلَى أَسْفَلٍ فَقَدْ صَابَ يَصُوبُ، قَالَ الشَّاعِرُ:

كَأَنَّهُمْ صَابَتْ عَلَيْهِمْ سَحَابَةٌ صَوَاعِقُهَا لَطِيرُهُنْ دَيْبٌ^(٤)

وهذا أيضاً مثل يضربه الله عَزَّ وَجَلَّ لِلْمُنَافِقِينَ، كَانَ الْمَعْنَى:

أَوْ كَأَصْحَابِ صَيْبٍ. فَجَعَلَ دِينَ الْإِسْلَامِ لَهُمْ مَثَلًا فِيمَا يَنَالُهُمْ مِنَ الشَّدَائِدِ وَالْخَوْفِ، وَجَعَلَ مَا يَسْتَضِيثُونَ بِهِ مِنَ الْبَرْقِ مَثَلًا لِّمَا يَسْتَضِيثُونَ بِهِ مِنَ الْإِسْلَامِ، وَمَا يَنَالُهُمْ مِنَ الْخَوْفِ فِي الْبَرْقِ بِمَنْزِلَةِ مَا يَخَافُونَهُ مِنَ الْقَتْلِ. وَالِدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾^(٥).

(١) أي ليس لها رواية وفي ك القراءة ترى لقراءة مسافة صغيرة تروى.

(٢) كذا، والصواب واحدهما. (٣) ك أسود وسود وسودان.

(٤) لعلقة الفحل من قصيدته: طحا بك قلب في الحسان طروب. صابت عليهم: صبت عليهم، يقول أصابتهم الصواعق التي لم يقو الطير على الفرار منها.

الفضلية ١١٩. البيت ٣٧، وديوان لعلقة ١٣٢، وستأتي شواهد أخرى من هذه القصيدة وسبقت ص ٤٧.

(٥) سورة المنافقون (٦٢) - آية ٤.

وقوله عز وجل: ﴿يَخْطِفُ أَبْصَارُهُمْ﴾.

فيه لغتان: يقال خَطَفَ يَخْطِفُ، وخَطَفَ يَخْطِفُ، واللغة العالية التي عليها القراءة «خَطَفَ يَخْطِفُ». وهذا الحرف^(١) يروى عن العرب والقراء، وفيه لغات تروى: عن الحسن «يَخْطِفُ أَبْصَارَهُمْ» بفتح الياء والخاء وكسر الطاء، «ويروى أيضاً» يَخْطِفُ بكسر الياء والخاء، والطاء، ويروى أيضاً لغة أخرى ليست تسوغ في اللفظ لصعوبتها، وهي إسكان الخاء والطاء. وقد روى سيبويه مثل هذا. رده عليه أصحابه وزعموا أنه غير سائغ في اللفظ وأن الشعر لا يجمع في حشوه بين ساكنين، قال:

وَمَسَّحِهِ مَرُّ عُقَابٍ كَاسِرٍ^(٢)

يبدل من الهاء حاءً ويدغم الحاء الأولى في الثانية، والسين ساكنة فيجمع بين ساكنين، فأما بعد يَخْطِفُ فالجيد يَخْطِفُ ويَخْطِفُ فمن قال يَخْطِفُ فالأصل يَخْطِفُ فأدغمت التاء في الطاء وألقت على الحاء فتحة التاء، ومن قال «يَخْطِفُ» كسر الخاء لسكونها وسكون الطاء، وَزَعَمَ بعض النحويين أَنَّ الكسر لالتقاء الساكنين ههنا خطأ وأنه يلزم من قال هذا أن يقول

(١) هذه الكلمة.

(٢) صدر البيت: كأنها بعد كلال الزاجر.

أنظر: كتاب سيبويه وشروحه ٢١٢ - ٢١٣، الرماني النحوي ٨٥، واللسان «كسر» يصف ناقة بالسرعة.

الشاهد في الشطر إدغام الحاء والهاء وقيس عليه إخفاء الحاء في يَخْطِفُ. ورد هذا لعدة أسباب منها أن السين - قبل الحاء ساكنة، وإدغام الحاء يقتضي سكونها ولا يمكن جمع حرفين ساكنين ومنها أن الحاء لا تدغم في الهاء، وكلاهما حلقي، ومنها ما ينشأ من كسر الوزن.

ورد ابن جني اعتراضات هؤلاء بأن سيبويه لم يرد الإدغام وإنما أراد تخفيف النطق بالحاء محتجاً بأن عالماً كبيراً كسيبويه لا يجهل استحالة هذا الإدغام وكسر الشعر - الخ. أنظر سر صناعة الإعراب ص ٦٣ - ٦٦، واللسان (كسر) وكتاب سيبويه ١١٣/٢ بولاق.

في يَعْضُّ يَعْضُ، وفي يَمْدُ يَمْدُ. وهذا خَلَطٌ غيرُ لازم^(١)، لأنَّه لو كَسَرَهَا هَهُنَا لالتبسَ ما أصله يَفْعَل ويَفْعُل بما أصله يَفْعِل، ويخطف ليس أصله غير هذا^(٢). ولا يكون مرة على يَفْتَعِل ومرة على يَفْتَعُل. فكسِرَ لالتقاء الساكنين في موضع غير ملبس^(٣) وامتنع في المُلبس من الكسر لالتقاء الساكنين، وألزم حركة الحرف الذي أدغمه لتدل الحركة عليه.

ومعنى خطفت الشيء في اللغة واختطفته أخذته بسرعة. وقوله عز وجل: ﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ﴾.

يقال ضاء الشيء يَضُو، وأضاء يضيء، وهذه اللغة الثانية هي المختارة، ويقال أَظْلَمَ وظَلَمَ، وأظْلَمَ المختار.

وقوله عز وجل: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ﴾

وقد فسرنا توحيد السمع^(٤)، ويقال أذهبته وذهبت به. ويروى^(٥) أَذْهَبَتْ به وهو لغة قليلة، فأما ذكر ﴿أَوْ﴾ في قوله: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي﴾... إلى ﴿أَوْ﴾ كصيب ﴿فَأَوْ دَخَلَتْ هَهُنَا لغير شك، وهذه يسميها الحداق باللغة «وَأَوْ الإِبَاحَةَ»^(٦) فتقول جالس القراء أو الفقهاء، أو أصحاب الحديث أو أصحاب النحو، فالمعنى أن التمثيل مباح لكم في المنافقين إن مثلتموهم بالذي استوفد ناراً فذاك مثلهم وإن مثلتموهم بأصحاب الصيب فهذا مثلهم، أو مثلتموهم

(١) لأنه خلط ما الأصل في حينه الكسر بما ليس كذلك. وفي ك خطأ لازم.

(٢) غير الكسر في أحد الوجهين.

(٣) لأن الأصل في العين الكسر.

(٤) ص ٨٢.

(٥) في ط ويرد، في ك وهو قليل.

(٦) أو هنا للتوزيع، أي يصلح مثلهم أن يكون هذه الحالة أو تلك، أما أو التي للإباحة فهي التي تأتي لشيء يتوهم منعه نحو ﴿كلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود﴾. صلوا في المساجد أو الخلاء.

بهما جميعاً فهما مثلاهم - كما أنك إذا قلت جالس الحسن أو ابن سيرين فكلاهما أهل أن يجالس - إن جالست الحسن فأنت مطيع وإن جمعتهما فأنت مطيع.

وقوله عز وجل: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾.

ويروى «أيضاً» حَذَرَ الْمَوْتِ، والذي عليه قُرْأُونَا ﴿حَذَرَ الْمَوْتِ﴾، وإنما نصت ﴿حَذَرَ الْمَوْتِ﴾ لأنه مفعول له، والمعنى يفعلون ذلك لحذر الموت، وليس نصبه لسقوط اللام، وإنما نصبه أنه في تأويل المصدر كأنه قال يحذرون حذراً^(١) لأن جعلهم أصابعهم في آذانهم من الصواعق يدل على حذرهم الموت، وقال الشاعر^(٢):

وَأَغْفِرْ عَوْرَاءَ الْكَرِيمِ ادِّخَارُهُ وَأَعْرِضْ عَنْ شَتَمِ اللَّئِيمِ تَكْرُمُهُ

والمعنى لادخاره - وقوله: وَأَغْفِرْ عَوْرَاءَ الْكَرِيمِ معناه وأدخر الكريم^(٣).

وقوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

معناه أن الله احتج على العرب بأنه خالقهم وخالق من قبلهم لأنهم كانوا مقرين بذلك، والدليل على ذلك قوله: ﴿وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ

(١) إذا قدر المحذوف يحذرون فالمصدر مفعول مطلق، وإنما تقديره يفعلون ذلك حذر الموت.

(٢) البيت لحاتم الطائي. ابن عبد الله ويكنى أبا سفانة وهي بنته التي عفا عنها رسول الله ﷺ لأجل أبيها ووصفته وصفاً مشهوراً في كتب الأدب. كان حاتم من الأجواد وكذلك أمه وبنته، والبيت في ديوانه ١٠٨ والخزانة ١ - ٤٦١ وأخبار حاتم بالأغاني ١٦ - ٩٦ (بولاق) والبيت يمثل به كثيراً وهو لهذا شائع منتشر.

(٣) بل تقديره لأدخره ولا أضيع مودته - فهو مفعول له.

اللَّهُ^(١) قيل لهم إن كنتم مقرين بأنه خالفكم فاعبدوه، ولا تعبدوا الأصنام - وقوله ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ معناه تتقون الحُرُمَاتِ بَيْنَكُمْ وَتَكْفُونَ عما تَأْتُونَ مِمَّا حَرَّمَ اللَّهُ، فأما لعل ففيها قولان ههنا، عن بعض أهل اللغة: أحدهما: معناها كي تتقوا، والذي يذهب إليه سيبويه في مثل هذا أنه ترج لهم كما قال في قصة فرعون ﴿لَعَلَّهُ يَذَّكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾^(٢) كأنه قال اذهبا أنتما على رجائكما وطمعكما والله عز وجل من وراء ذلك وعالم بما يؤول إليه أمر فرعون^(٣).

وأما إعراب ﴿يَا أَيُّهَا﴾ فأَيُّ اسمٌ مُبْهَمٌ مبني على الضم لأنه منادى مفرد والناس صفة لأي لازمة^(٤)، تقول يا أَيُّهَا الرجل أقبل، ولا يجوز يَا الرَّجُلَ لِأَنَّ «يَا» تَنْبِيْهُ بِمَنْزِلَةِ التَّعْرِيفِ فِي الرَّجُلِ فَلَا يَجْمَعُ بَيْنَ «يَا» وَبَيْنَ الْأَلْفِ وَاللَّامِ فَتَصِلُ إِلَى الْأَلْفِ وَاللَّامِ بَأَيٍّ.

وها لازمه لأي، لِلتَّنْبِيْهِ، وهي عوض من الإضافة في أي لأن أَصْلَ أي أن تكون مضافة في الاستفهام والخبر، وزعم سيبويه عن الخليل أن المنادى المفرد مبني وصفته مرفوعة رفعاً صحيحاً لأن النداء يطرد في كل اسم مفرد، فلما كانت الْبِنْيَةُ مطردة في المفرد خاصة شبه بالمرفوع فرفعت صفته، والمازني يجيز في يا أَيُّهَا الرجل النصب في الرجل، ولم يقل بهذا القول أحد من البصريين غيره، وهو قياس لأن موضع المفرد المنادى نصب فحملت^(٥) صفته على موضعه، وهذا في غير يا أَيُّهَا الرجل جائز عند جميع النحويين نحو قولك يا زيدُ الظريفُ والظريفُ، والنحويون لا يقولون إِلَّا يَا أَيُّهَا الرجلُ، يا أَيُّهَا

(١) وردت في سور كثيرة - أنظر الزخرف ٤٣ - ٨٧.

(٢) طه ٢٠ - ٤٤.

(٣) أي الترجي منهم لا من الله.

(٤) أطلق الصفة على التابع - إذ هي هنا بدل.

(٥) في الأصل فحمل أي - المازني.

الناس، والعرب لغتها في هذا الرفع ولم يرد عنها غيره، وإنما المنادى في الحقيقة الرجل، ولكن أي صلة إليه وقال أبو الحسن الأخفش إن الرجل أن يكون صلة لأي أقيس، وليس أحد من البصريين يتابعه على هذا القول^(١).

وقوله عز وجل: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا﴾.

معناه وطاءً، لم يجعلها حَزَنَةً غليظة لا يمكن الاستقرار عليها، وقوله: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَاءً﴾ كل ما علا على الأرض فاسمه بناءً، ومعناه إنه جعلها سقفاً، كما قال عز وجل: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا﴾^(٢)، ويجوز في قوله: ﴿جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ﴾ وجهان: الإدغام والإظهار، تقول: جعل لكم وجعل لكم الأرض، فمن أدغم فلاجتماع حرفين من جنس واحد وكثرة الحركات، ومن أظهر - وهو الوجه وعليه أكثر القراء - فلأنهما منفصلان من كلمتين.

وقوله عز وجل: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

هذا احتجاج عليهم لإقرارهم بأنه الله خالقهم، ف قيل لهم لا تجعلوا لله أمثالاً وأنتم تعلمون أنهم لا يخلقون والله الخالق - وفي اللغة فلان ند فلان، ونديد فلان.

قال جرير^(٣):

أَتَيْمًا تَجْعَلُونَ إِلَيَّ نِدًّا وَمَا تَيْمٌ لِذِي حَسْبٍ نَدِيدٌ

(١) هذا الخلاف لا يترتب عليه تغيير في النطق ولكن الأخفش يعتبر «أي» هي المنادي، والاسم التابع لها. والآخرين يرون بها أداة يمكن بها مناداة ما فيه «ال».

(٢) الأنبياء ٢١ - ٣٢.

(٣) جرير بن عطية الخطفي من كليب من يربوع، تميمي أيضاً كالفرزدق وهو يخاطب بهذا البيت عمرو بن لجا التميمي أحد الشعراء الذين هاجمهم جرير، وله في تميم أهاج كثيرة. وكان مهاجوه نحو ثمانين شاعراً. والبيت في ديوانه ١٦٥ وأنظر أخباره في الأغاني ٧ - ٣٥.

فهذه الآية والتي قبلها احتجاج عليهم في تثبيت توحيد الله عز وجل،
ثم احتج عليهم فيما يلي هذه الآية بتثبيت أمر النبي ﷺ فقال:

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾.

﴿في ريب﴾ معناه في شك، وقوله ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾ للعلماء فيه قولان أحدهما: قال بعضهم: ﴿مِنْ مِثْلِهِ﴾: من مثل القرآن - كما قال عز وجل: ﴿فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ مُقْتَرِيَاتٍ﴾^(١) وقال بعضهم ﴿مِنْ مِثْلِهِ﴾ مِنْ بَشَرٍ مِثْلِهِ، وقوله عز وجل: ﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

أي ادعوا من استدعيتم طاعته ورجوتهم معونته في الإتيان بسورة من مثله.

وقوله: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَأْتُوا النَّارَ﴾.

قيل لهم هذا بعد أن ثبت عليهم أمر التوحيد وأمر النبي ﷺ فوعدوا بالعذاب إن لم يؤمنوا بعد ثبوت الحجة عليهم، وجزم ﴿لَمْ تَفْعَلُوا﴾ لأن لم أحدث في الفعل المستقبل معنى الماضي فجزمته^(٢)، وكل حرف لزم الفعل فأحدث فيه معنى فله فيه من الإعراب على قسط معناه^(٣)، فإن كان ذلك الحرف «أَنْ» وأخواتها نحو لَنْ تَفْعَلُوا ويريدون «أَنْ يَطْفِئُوا». فهو نصب لأن أن وما بعده بمنزلة الاسم فقد ضارعت (أَنْ الْخَفِيفَةُ)^(٤) أَنْ الْمَشْدُودَةُ وما بعدها لَأَنَّكَ إِذَا قُلْتَ ظَنَنْتُ أَنَّكَ قَائِمٌ فمعناه ظننت قيامك، وإذا قُلْتَ أَرْجُو أَنْ تَقُومَ فمعناه أَرْجُو قيامك، فمعنى «أَنْ» وما عملت فيه كمعنى «أَنْ» المشددة وما

(١) هود ١١ - ١٣.

(٢) الماضي خاص بالأفعال ولم أكدت فعلية الكلمة - فكان لها الجزم لأنه خاص بالأفعال. وهذا أحد آرائه التي ردها الفارسي.

(٣) على حسب معناه وقدر تأثيره.

(٤) ليست في ك.

عملت فيه ، فلذلك نصبت «أَنْ» وجزمت «لَمْ» لأن ما بعدها خرج من تأويل الاسم ، وكذلك هي وما بعدها يخرجان من تأويل الاسم^(١) :

وقوله عز وجل : ﴿الَّتِي وَقودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ .

عرفوا عذاب الله عز وجل بأشد الأشياء التي يعرفونها لأنه لا شيء في الدنيا أبلغ فيما يؤلم من النار ، فقليل لهم إن عذاب الله من أشد الأجناس التي يعرفونها ، إلا أنه من هذا الشديد الذي يعرفونه ، ويقال إن الحجارة هنا تفسيرها حجارة الكبريت^(٢) وقوله ﴿وقودها﴾ الوقود هو الحطب ، وكل ما أوقد به فهو وقود ، ويقال هذا وقودك ، ويقال قد وقدت النار وقوداً^(٣) فالمصدر مضموم ويجوز فيه الفتح ، وقد روي وقدت النار وقوداً وقبلت الشيء قبولاً ، فقد جاء في المصدر «فَعُول» والباب الضم .

وقوله عز وجل : ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ .

ذكر ذلك للمؤمنين ، وما أعد لهم جزاءً لتصديقهم ، بعد أن ذكر لهم جزاء الكافرين ، وموضع أن نصب معناه بشرهم بأن لهم جنات .

فلما سقطت الباء أفضى الفعل إلى «أَنْ» فُنصِبَتْ^(٤) . وقد قال بعض النحويين إنه يجوز أن يكون موضع مثل هذا خفضاً وإن سقطت الباء من أن ، و﴿جَنَّاتٍ﴾ في موضع نصب بأن ، إلا أن التاء تاء جماعة المؤنث هي في الخفض والنصب على صورة واحدة كما أن ياء الجمع في النَّصْبِ وَالْخَفْضِ .

(١) أنظر المقدمة ورد الفارسي هذه القاعدة .

(٢) الأكثرون أنها الأصنام التي كانوا يعبدونها .

(٣) ك وقدت النار تقد وقوداً .

(٤) أي نصب المصدر المؤول .

على صورة واحدة، تقول رأيت الزيد بن ممرت بالزيد بن، ورأيت الهندات، ورغبت في الهندات.

والجنة في لغة العرب البُستان، والجنات البساتين، وهي التي وعد الله بها المتقين وفيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين.

قوله عز وجل: ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رِزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾.

قال أهل اللغة: معنى «مُتَشَابِه» يشبه بعضه بعضاً في الجودة، والحسن، وقال أهل التفسير وبعض أهل اللغة «متشابهاً» يشبه بعضه بعضاً في الصورة ويختلف في الطعم، ودليل المُفسِّر قولُه: ﴿هذا الذي رزقنا من قبل﴾ لأن صورته الصورة الأولى، ولكن اختلاف الطعم على اتفاق الصورة أبلغ وأعرف عند الخلق، لو رأيت تفاحاً فيه طعم كل الفاكهة لكان غايةً في العجب والدلالة على الحكمة.

وقوله عز وجل: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾.

أي أنهم لا يحتاجون إلى ما يحتاج إليه نساء أهل الدنيا من الأكل والشرب ولا يحضن، ولا يحتاجون إلى ما يتطهرون منه، وهن على هذا طاهرات طهارة الأخلاق والعفة، فمُطَهَّرَةٌ تَجْمَعُ الطَّاهَرَةُ كُلُّهَا^(١) لأن مُطَهَّرَةٌ أُبْلِغَ في الكلام من طاهرة، ولأن مطهرة إنما يكون للكثير، وإغراب أزواج الرفع بـ ﴿وَلَهُمْ﴾ وإن شئت بالابتداء، ويجوز في ﴿أَزْوَاجٍ﴾ أن يكون واحدتهن زوجاً وزوجة قال الله تبارك وتعالى ﴿اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾^(٢) وقال الشاعر^(٣):

(١) الطهارة الحسية والمعنوية.

(٢) الأعراف ٧ - ١٩.

(٣) البيت لعبدة بن الطبيب الشاعر المخضرم. حارب مع المثنى بن حارثة في فتح العراق، وكان في جيش النعمان بن مقرن وله قصائد جيدة في الفتوحات الإسلامية.

فبكى بناتي شجوهن وزوجتي والطامعون إلي ثم تصدّعوا
 وقوله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةٌ فَمَا
 فَوْقَهَا﴾.

إن قال قائل: ما معنى ذكر هذا المثل بعقب ما وعد به أهل الجنة وما
 أعد للكافرين؟ قيل يتصل هذا بقوله: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾ لأن الله
 عز وجل قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا﴾^(١).

وقال: ﴿مثل الذين اتخذوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ
 بَيْتًا﴾^(٢) فقال الكافرون: إن إله محمد يضرب الأمثال بالذباب، والعنكبوت.
 فقال الله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةٌ فَمَا
 فَوْقَهَا﴾.

[أَي] لِهَؤُلَاءِ الْأَنْدَادِ الَّذِينَ اتَّخَذْتُمُوهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ، لَأَنَّ هَذَا فِي
 الْحَقِيقَةِ مَثَلُ هَؤُلَاءِ الْأَنْدَادِ.

فأما إعراب ﴿بَعُوضَةٌ﴾ فالنصب من جهتين في قولنا، وذكر بعض
 النحويين جهةً ثالثة، فأما أجود هذه الجهات فأن تكون ما زائدة مؤكدة، كأنه
 قال: إن الله لا يستحي أن يضرب بعوضةً مثلاً، ومثلاً بعوضةً^(٣)، وما زائدة
 مؤكدة نجو قوله: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾^(٤) المعنى فبرحمة من الله

كان عبدة قبل الإسلام من اللصوص ولكنه ترفع عن الهجاء وعينته هذه أودعها نصائح أبنائه عند
 وفاته. ورواية البيت في المفضليات (١٤٨) البيت ٢٤. والأقربون إلى.
 يصف نفسه حين يموت ويدفن فيبكيه أقاربه ثم ينصرفون.

(١) الحج ٢٢ - ٧٣.

(٢) العنكبوت ٢٩ - ٤١.

(٣) يضرب بمعنى يجعل - وتكون «بعوضة» مفعولاً أول أو ثانياً.

(٤) سورة آل عمران ٣ - ١٥٩.

حَقًّا، فَمَا فِي التَّوَكُّيدِ بِمَنْزِلَةِ حَقٍّ إِلَّا أَنَّهُ لَا إِعْرَابَ لَهَا، وَالْخَافِضُ وَالنَّاصِبُ يَتَخَطَّاهَا إِلَى مَا بَعْدَهَا، فَمَعْنَاهَا التَّوَكُّيدُ، وَمِثْلُهَا فِي التَّوَكُّيدِ «لَا» فِي قَوْلِهِ: ﴿لَثَلَا يَعْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾^(١) مَعْنَاهُ لِأَنَّ يَعْلَمَ أَهْلَ الْكِتَابِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ «مَا» نَكْرَةً فَيَكُونُ الْمَعْنَى: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ شَيْئًا مَثَلًا»^(٢) وَكَأَنَّ بَعُوضَةً فِي مَوْضِعٍ وَصَفَ شَيْءًا^(٣)، كَأَنَّهُ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا شَيْئًا مِنَ الْأَشْيَاءِ، بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا. وَقَالَ بَعْضُ النُّحَوِيِّينَ: يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ مَا بَيْنَ بَعُوضَةٍ إِلَى مَا فَوْقَهَا، وَالْقَوْلَانِ الْأَوَّلَانِ قَوْلِ النُّحَوِيِّينَ الْقَدَمَاءِ. وَالِاخْتِيَارُ عِنْدَ جَمْعِ الْبَصْرِيِّينَ أَنْ يَكُونَ مَا لَغَوَا، وَالرَّفْعُ فِي بَعُوضَةٍ جَائِزٌ فِي الْإِعْرَابِ، وَلَا أَحْفَظُ مِنْ قَرَأَ بِهِ «وَلَا أَعْلَمُ» هَلْ قَرَأَ بِهِ^(٤) أَحَدٌ [أَمْ لَا] «فَالرَّفْعُ عَلَى أَضْمَارٍ هُوَ كَأَنَّهُ قَالَ مَثَلًا الَّذِي هُوَ بَعُوضَةٌ وَهَذَا عِنْدَ سَبَبِيهِ ضَعِيفٌ، وَعِنْدَهُ مَنْدُوحَةٌ، وَلَكِنْ مِنْ قَرَأَ ﴿تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ﴾^(٥) وَقَدْ قَرِئَ بِهِ - جَازٍ أَنْ يَقْرَأَ ﴿مَثَلًا مَا بَعُوضَةٌ﴾. وَلَكِنَّهُ فِي ﴿الَّذِي أَحْسَنَ﴾ أَقْوَى لِأَنَّ الَّذِي أَطْوَلَ، وَلَيْسَ لِلَّذِي مَذْهَبُ غَيْرِ الْأَسْمَاءِ، وَقَالُوا فِي مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾ (قَالُوا فِي ذَلِكَ)^(٦) قَوْلَيْنِ: قَالُوا فَمَا فَوْقَهَا: أَكْبَرُ مِنْهَا، وَقَالُوا فَمَا فَوْقَهَا فِي الصَّغِيرِ، وَبَعْضُ النُّحَوِيِّينَ يَخْتَارُونَ الْأَوَّلَ لِأَنَّ الْبَعُوضَةَ كَأَنَّهَا نِهَايَةٌ فِي الصَّغِيرِ فِيمَا يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ، وَالْقَوْلُ الثَّانِي مَخْتَارٌ أَيْضًا، لِأَنَّ الْمَطْلُوبَ هُنَا وَالْغَرَضُ الصَّغَرُ وَتَقْلِيلُ الْمَثَلِ بِالْأَنْدَادِ.

قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ يَعْنِي صَدَقُوا ﴿فَيَعْلَمُونَ﴾ أَنْ هَذَا الْمَثَلُ

(١) سُورَةُ الْحَدِيدِ ٥٧ - ٢٩.

(٢) ك. مَثَلًا شَيْئًا.

(٣) بَدَلُ أَوْ بَيَانٍ.

(٤) ك. وَلَا أَحْفَظُ مِنْ قَرَأَ بِهِ وَلَا قَرَأَ بِهِ أَحَدٌ أَمْ لَا.

(٥) سُورَةُ الْأَنْعَامِ ٦ - ١٥٤ - أَيُّ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي هُوَ أَحْسَنُ وَرَفَعَ بَعُوضَةً عَلَى هَذَا أَيْضًا - أَيُّ مَثَلًا.

هُوَ بَعُوضَةٌ.

(٦) مَا بَيْنَ الْقَوْسَيْنِ لَيْسَ فِي ب.

حق، وأما الَّذِينَ كَفَرُوا فيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا، أي ما أراد بالذباب والعنكبوت مثلاً؟ فقال الله عز وجل: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا﴾.

أي يَدْعُو إِلَى التَّضْيِيقِ بِهِ الْخَلْقَ جَمِيعًا فَيَكْذِبُ بِهِ الْكَفَّارُ - فَيُضِلُّونَ بِهِ.

﴿وما يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ يدل على أَنَّهُم الْمُضِلُّونَ بِهِ، ويَهْدِي بِهِ كَثِيرًا، يَزَادُ بِهِ الْمُؤْمِنُونَ هِدَايَةً لِأَنَّ كُلَّمَا أَزْدَادُوا تَضَدِّيقًا فَقَدْ أَزْدَادُوا هِدَايَةً وَالْفَاءُ دَخَلَتْ فِي [جواب] أَمَّا فِي قَوْلِهِ فَيَعْلَمُونَ^(١) لِأَنَّ أَمَّا تَأْتِي بِمَعْنَى الشَّرْطِ وَالْجَزَاءِ كَأَنَّهُ إِذَا قَالَ «أَمَّا زَيْدٌ فَقَدْ آمَنَ وَأَمَّا عَمْرُو فَقَدْ كَفَرَ»^(٢) فَالْمَعْنَى مَهْمَا يَكُنْ مِنْ شَيْءٍ فَقَدْ آمَنَ زَيْدٌ وَمَهْمَا يَكُنْ مِنْ شَيْءٍ فَقَدْ كَفَرَ عَمْرُو.

وقوله «ماذا» يجوز أن يكون «ما» و«ذا» اسماً واحداً يكون موضعهما نصباً، المعنى أي شيء أراد الله بهذا مثلاً، ويجوز أن يكون «ذا» مع «ما» بمنزلة الذي فيكون المعنى ما الذي أراده الله بهذا مثلاً؟ أو أي شيء الذي أراده الله بهذا مثلاً، ويكون ما هنا رفعاً بالابتداء، وذا في معنى الذي، وهو خَبَرُ الْإِبْتِدَاءِ، وإِعْرَابُ الْفَاسِقِينَ نَصْبٌ كَأَنَّ الْمَعْنَى وَمَا يُضِلُّ بِهِ أَحَدٌ إِلَّا الْفَاسِقِينَ.

وقوله عز وجل: ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾.

﴿عهد الله﴾ هنا - واللَّهُ أَعْلَمُ - مَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّينَ وَمَنْ اتَّبَعَهُمْ أَلَّا يَكْفُرُوا بِأَمْرِ النَّبِيِّ ﷺ، دليل ذلك قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ

(١) تقدير كلامه أن الفاء في فيعلمون دخلت في جواب أما.

(٢) ط «كان أما زيد»، ك «المعنى» بدون فاء.

وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَضْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَضْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا ﴿١﴾ .

فهذا هو العهد المأخوذ على كل من اتبع الأنبياء عليهم السلام «أن يؤمنوا بالرسول المصدق لما معهم» و- «إصري» - مثل عهدي . ويجوز أن يكون عهد الله الذي أخذه من بني آدم من ظهورهم . حين قال (٢) . . . «وَأَشْهَدُهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمُ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا» (٣) وقال قوم أن عهد الله هو الاستدلال على توحيده، وأن كل ذي تمييز يعلم أن الله خالق فعليه الإيمان به، والقولان الأولان في القرآن ما يصدق تفسيرهما .

فأما إغراب ﴿الَّذِينَ﴾ فالنصب على الصفة للفاسقين، وموضع قوله : ﴿أَنْ يُوصَلَ﴾ خفض على البدل من الهاء، والمعنى ما أمر الله بأن يوصل، وموضع ﴿أُولَٰئِكَ﴾ رفع بالابتداء و ﴿الْخَاسِرُونَ﴾ خبر الابتداء وهم بمعنى الفصل وهو الذي يسميه الكوفيون العماد، ويجوز أن يكون أولئك رفعا بالابتداء وهم ابتداء ثان، والخاسرون، خبر لهم و ﴿هُمْ الْخَاسِرُونَ﴾ خبر عن أولئك .

وقوله عز وجل : ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ .

فكونهم أمواتا أولا أنهم كانوا نطفاً ثم جعلوا حيواناً ثم أميتوا ثم أحيوا ثم يُرجعون إلى الله - عز وجل - بعد البعث كما قال ﴿مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِي﴾ (٤) أي مسرعين، وقوله، عز وجل ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ

(١) سورة آل عمران ٣ - ٨١ .

(٢) صدر الآية : ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ﴾ .

(٣) الأعراف ٧ - ١٧٢ .

(٤) سورة القمر ٥٤ - ٨ وكتابتها في القرآن إلى الداع .

سِرَاعاً ﴿ وَالْأَجْدَاثُ الْقُبُورُ. وَتَأْوِيلُ ﴿كَيْفَ﴾ [أَنْهَا] اسْتَفْهَامٌ فِي مَعْنَى التَّعَجُّبِ وَهَذَا التَّعَجُّبُ إِنَّمَا هُوَ لِلخَلْقِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ، أَيْ اعْجَبُوا^(٢) مِنْ هَؤُلَاءِ كَيْفَ يَكْفُرُونَ وَقَدْ ثَبَّتَ حُجَّةُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَمَعْنَى ﴿وَكُنْتُمْ﴾ وَقَدْ كُنْتُمْ^(٣) وَهَذِهِ الْوَاوُ لِلْحَالِ، وَإِضْمَارٌ قَدْ جَائِزٌ إِذَا كَانَ فِي الْكَلَامِ دَلِيلٌ عَلَيْهِ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ ﴿أَوْ جَاءَوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾^(٤) ﴿وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قَدْ مِّنْ دُبُرٍ﴾^(٥).

وقوله عز وجل: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً﴾.

مَوْضِعٌ مَا مَفْعُولٌ بِهِ^(٦) وَتَأْوِيلُهُ أَنَّ جَمِيعَ مَا فِي الْأَرْضِ مَنْعَمٌ بِهِ عَلَيْكُمْ فَهُوَ لَكُمْ. وَفِيهِ قَوْلٌ آخَرُ أَنَّ ذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

وقوله عز وجل: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾.

فِيهِ قَوْلَانِ: قَالَ بَعْضُهُمْ: ﴿اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾، عَمَدٌ وَقَصْدٌ إِلَى السَّمَاءِ، كَمَا تَقُولُ قَدْ فَرَّغَ الْأَمِيرُ مِنْ بَلَدٍ كَذَا وَكَذَا، ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى بَلَدٍ كَذَا، مَعْنَاهُ قَصْدٌ بِالْإِسْتَوَاءِ إِلَيْهِ، وَقَدْ قِيلَ (أَيْضاً)^(٧) اسْتَوَى أَيْ صَعَدَ أَمْرُهُ إِلَى السَّمَاءِ، وَهَذَا قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَالسَّمَاءُ لَفْظُهَا لَفْظُ الْوَاحِدِ، وَمَعْنَاهَا مَعْنَى الْجَمْعِ، وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ السَّمَاءُ جَمْعاً كَمَا أَنَّ السَّمَوَاتِ جَمْعٌ كَأَنَّ وَاحِدَهُ سَمَاءٌ وَسَمَاوَةٌ وَسَمَاءٌ لِلْجَمْعِ.

وَزَعَمَ أَبُو الْحَسَنِ الْأَخْفَشُ أَنَّ السَّمَاءَ جَائِزٌ أَنْ يَكُونَ وَاحِداً يَرَادُ بِهِ

(١) المعارج ٤٣/٧١.

(٢) هُوَ إِذْنٌ تَعَجُّبٌ، أَوْ الْمَوْقِفُ يَدْعُو إِلَى التَّعَجُّبِ.

(٣) تَقْدِيرٌ قَدْ لَأَنَّ الْفِعْلَ الْمَاضِيَ لَا يَصْلَحُ أَنْ يَكُونَ حَالاً.

(٤) النِّسَاءُ ٩٠/٤.

(٥) يُوسُفُ ٢٧/١٢.

(٦) فِي الْأَصْلِ مَفْعُولٌ بِهِ.

(٧) لَيْسَتْ فِي ك.

الجمع كما تقول «كثُر الدُّرْهُمُ والدينار في أيدي الناس»^(١).

والسماء في اللغة السقف ويقال لكل ما ارتفع وعلا قد سما يسمو، وكل سفة، فهو سماء يا فتى، ومن هذا قيل للسحاب لأنها عالية^(٢).

وقوله عز وجل: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾.

قال أبو عبيدة «إذ» ههنا زائدة^(٣)، وهذا إقْدَامٌ مِنْ أَبِي عبيدة لأن القرآن لا ينبغي أن يتكلم فيه إلا بغاية تجري إلى الحق و﴿إذ﴾ معناها الوقت، وهي اسم فكيف يكون لغواً، ومعناها الوقت؟ والحجة في ﴿إذ﴾ أَنَّ اللَّهَ تعالى ذكر خلق الناس وغيرهم، فكأنه قال ابتداء خلقكم إذ قال ربك للملائكة ﴿إني جاعل في الأرض خَلِيفَةً﴾. وفي ذكر هذه الآية احتجاج على أهل الكتاب بتثبيت نبوة النبي ﷺ أَنَّ خَبَرَ آدَمَ وما أمره الله به من سجود الملائكة له معلوم عندهم، وليس هذا مِنْ علم العرب الذي كانت تعلمه، ففي إخبار النبي ﷺ دليل على تثبيت رسالته إذ آتاهم بما ليس من علم العرب، وإنما هو خبر لا يعلمه إلا من قرأ الكتاب أو أوحى إليه به.

وتأويل قوله عز وجل: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾:

روي أن خلقا يقال لهم الجان كانوا في الأرض فأفسدوا وسفكوا

(١) وأيضاً «ال» الجنسية تفيد هذا المعنى.

(٢) أي قيل لها سماء لهذا.

(٣) ذكر أبو عبيدة هذا عند الآية: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ فقال: «معناه وقلنا، وإذ من

حروف الزوائد» وأنكر هذا كثير من المفسرين - منهم الطبري وأبو جعفر النحاس والمبرد.

وانظر فيما يأتي الآية: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ﴾.

أنظر مجاز القرآن ١ - ٣٦، ٣٧.

الدماء، فبعث الله ملائكتَه فأجلَّتْهم^(١) من الأرض، وقيل إن هؤلاء الملائكة صاروا سكان الأرض بعد الجان، فقالوا يا رب ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا يَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ ونحن نسبح بحمدك ونقدسُ لك ﴿

وتأويل استخبارهم هذا على جِهَةِ الاستِعْلَام وجهه الحكمة، لا على الإنكار، فكأنهم قالوا يا الله: إن كان هذا ظننا فَعَرَّفْنَا وجه الحق فيه، وقال قوم: المعنى فيه غير هذا [وهو] أن الله عزَّ وجلَّ أعلم الملائكة أنه جاعل في الأرض خليفة^(٢)، وأن من الخليقة فرقةٌ تسفك الدماء وهي فرقة من بني آدم، وأذن الله عزَّ وجلَّ للملائكة أن يسألوه عن ذلك وكان إعلامه إياهم هذا زيادةً في التثبيت في نفوسهم أنه يعلم الغيب، فكأنهم قالوا: أخلق فيها قوماً يسفكون الدماء ويعصونك؟ وإنما ينبغي إذا عرفوا أنك خلقتهم أن يسبحوا بحمدك كما نسبح، ويقدسوا كما نقدس، ولم يقولوا هذا إلا وقد أذن لهم. ولا يجوز على الملائكة أن تقول شيئاً تتظنى فيه، لأن الله تعالى وصفهم بأنهم يفعلون ما يؤمرون.

وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

أي أبتلي من تظنون أنه يطيع فيهديه الابتلاء، فالألف ههنا^(٣) إنما هي على إيجاب الجعل في هذا القول، كما قال جرير:

(١) في الأصل أجلتهم.

(٢) بالقاف - أي طائفة من الخلق.

(٣) يريد أن الهمة للتقرير والإثبات، وليست - هنا - استفهاماً إنكارياً. وتشبيهها بالاستفهام في بيت جرير إنما هو من جهة المعنى الناتج. لأن الهمة في الستم للإنكار وهو يفيد النفي. فينفي معنى ليس. ويبقى تقرير المضمون وهو «أنتم خير من ركب المطايا» أما هنا فالهمة للتقرير من أول الأمر أي أنك تجعل.

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا وَأُنْدَى الْعَالَمِينَ بَطُونٍ رَاحَ^(١)
 ومعنى ﴿يَسْفِكُ﴾ يَصُبُّ، يقال سَفَكَ الشَّيْءُ إِذَا صَبَّهَ وَمَعْنَى ﴿نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾
 نُبْرِئُكَ مِنَ السُّوءِ، وَكُلُّ مَنْ عَمِلَ عَمَلًا قَصَدَ بِهِ اللَّهَ فَقَدْ سَبَّحَ، يُقَالُ فَرَّغْتَ مِنْ
 تَسْبِيحِي أَيِ مِنْ صَلَاتِي، وَقَالَ سَيَبُوهُ وَغَيْرُهُ مِنَ النَّحْوِيِّينَ: إِنَّ مَعْنَى سُبْحَانَ
 اللَّهِ: بَرَاءَةُ اللَّهِ مِنَ السُّوءِ وَتَنْزِيهِهِ مِنَ السُّوءِ، وَقَالَ الْأَعَشَى^(٢):

أَقُولُ لِمَا جَاءَنِي فَخْرُهُ سُبْحَانَ مِنْ عِلْقَمَةَ الْفَاخِرِ
 المعنى البراءة منه ومن فخره.

ومعنى ﴿نُقَدِّسُ لَكَ﴾ أَيِ نَظْهَرُ أَنْفُسَنَا لَكَ، وَكَذَلِكَ مَنْ أَطَاعَكَ فَقَدَّسَهُ
 أَيِ نَظَّهَرَهُ، وَمِنْ هَذَا بَيْتُ الْمُقَدَّسِ، أَيِ الْبَيْتِ الْمُطَهَّرُ أَوِ الْمَكَانِ الَّذِي يَتَطَهَّرُ
 فِيهِ^(٣) مِنَ الذُّنُوبِ.

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ﴾
 قَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ عِلْمَ آدَمَ أَسْمَاءَ الْأَجْنَاسِ، وَعَرَضَ أَصْحَابَ الْأَسْمَاءِ مِنْ

(١) البيت لجرير من مدحته عبد الملك أول مرة دخل عليه - يصفهم بالفروسية والجلود.. والبيت شائع في كتب البلاغة وغيرها.

من قصيدته التي أولها: أتصحوأم فؤادك غير صاح:
 أنظر الأغاني ج ٧ ص ٦٧. والديوان ٩٧.

(٢) البيت للأعشى، يتحدث عن علقمة بن علاثة، وكان قد نَفَرَ عليه ابن عمه عامر بن الطفيل.
 وعلقمة صحابي قدم على رسول الله ﷺ وهو شيخ فأسلم. وولاه عمر بن الخطاب بعض
 أعماله، وروى حديثاً واحداً. ويقال إن النبي ﷺ نهي عن رواية هذه القصيدة وهي طويلة
 جيدة. تخرج صاحب الخزائن أن يرويها كلها: الخزائن ٢ - ٤٢. الديوان ١٠٦. اللسان: يسبح.
 وأنظر الأغاني ١٥ - ٥٠، وجمهرة أشعار العرب ٦٧ - ٦٨ (بيروت).

والأعشى هو أعشى قيس - ميمون بن قيس بن جندل من كبار الشعراء في الجاهلية أدرك الإسلام
 ولم يسلم، وكان قد أعد مدحة لرسول الله ﷺ فخاف أبو سفيان أثرها وجمعت له قريش مائة من
 الإبل وصدته عن الإسلام فرجع.

(٣) ك. به.

الناس وغيرهم^(١) على الملائكة، فلذا قال: ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ﴾ لأن فيهم من يعقل، وكل ما يعقل^(٢) يقال لجماعتهم «هم». و «هم» يقال للناس ويقال للملائكة ويقال للجن، ويقال للجان ويقال للشياطين فكل مميز في الإضمار «هم» هذا مذهب أهل اللغة.

وقد قال بعض أهل النظر: إن الفائدة في الإتيان بالأسماء أبلغ منها هي الفائدة بأسماء معاني كل صنف من هذه، لأن الحجة في هذا أن الخيل إذا عرضت فقل ما اسم هذه، قيل خيل، فأى اسم وضع على هذه أنبأ عنها، وإنما الفائدة أن تُنبئ باسم كل معنى في كل جنس، فيقال هذه تصلح لكذا. فهذه الفائدة البيّنة التي يتفق فيها أن تسمى الدابة والبعير بأي اسم شئت^(٣). والمعنى الذي فيها وهو خاصها معنى واحد وإن اختلفت عليه الأسماء والله أعلم.

وقوله عز وجل: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾.

قَرَأَتِ الْقُرَاءُ ﴿لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا﴾ بالكسر وقرأ أبو جعفر المدني (وحده)^(٤) «للملائكة اسجدوا» بالضم^(٥). وأبو جعفر من جلة أهل المدينة

(١) يجري الزجاج على أن المعنى عرض أصحاب الأسماء، مجازاة لأبي عبيدة في رأيه الذي ذكر من قبل. لأن «هم» ضمير العقلاء

(٢) ما تستعمل لعموم أنواع العاقل نحو ﴿فَانكحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾.

(٣) خلاصته أن معنى ذكر الأسماء كلها، يعني ذكر المعاني الجزئية التي تدل على العلم بدقائق الأشياء فلا يقال إنسان فقط، وإنما يقال جنين وطفل وأنثى . . . الخ. وكذلك ما يستعمل فيه كل نوع.

(٤) وحده ليست في ك.

وأبو جعفر هو يزيد بن القعقاع أحد القراء العشرة تابعي مشهور أخذ عن مولاه عبد الله بن عياش بن ربيعة المخزومي، وعبد الله بن عباس. وأبي هريرة وروى عنهم وكان يسمى القساري لأنه كان إمام أهل المدينة في القراءة وكان أقرأ معاصريه للسنة وكان يُقدّم على عبد الرحمن بن هرمز الأعرج، اشتهر بكثرة صومه وصلاته وله في هذا طرائف تروى. توفي سنة ١٣٠ هـ على الأشهر.

أنظر غاية النهاية ٢ - ٣٨٢ ت ٣٨٨٢.

(٥) نقل حركة الهمزة إلى التاء.

وأهل الثَّبِ في القَرَاءَةِ إِلَّا أَنَّهُ غَلَطَ فِي هَذَا الْحَرْفِ لِأَنَّ الْمَلَائِكَةَ فِي مَوْضِعِ خَفَضٍ فَلَا يَجُوزُ أَنْ يَرْفَعَ الْمُخْفُوضُ وَلَكِنَّهُ شَبَّهَ تَاءَ التَّائِيثِ بِكَسْرِ أَلِفِ الْوَصْلِ^(١) لِأَنَّكَ إِذَا ابْتَدَأْتَ قُلْتَ اسْجُدُوا. وَلَيْسَ يَنْبَغِي أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ بِتَوَهُّمٍ غَيْرِ الصَّوَابِ.

﴿وَإِذْ﴾ فِي مَوْضِعِ نَصَبٍ عَطَفَ عَلَى إِذِ الَّتِي قَبْلَهَا وَالْمَلَائِكَةَ وَاحِدَهُمْ مَلَكٌ، وَالْأَصْلُ فِيهِ مَلَأَكَ أَنْشُدَ سَيَبُويَه.

فَلَسْتَ لِأَنْتَسِيَّ وَلَكِنْ لِمَلَأَكَ تَنْزَلَ مِنْ جَوِّ السَّمَاءِ يَصُوبُ^(٢) وَمَعْنَاهُ صَاحِبُ رِسَالَةٍ، وَيُقَالُ مَأْلَكَةٌ وَمَأْلَكَةٌ وَمَأْلَكَ جَمْعُ مَأْلَكَةٍ قَالَ الشَّاعِرُ^(٣):

أَبْلَغُ النُّعْمَانُ عَنِي مَأْلَكاً أَنَّهُ قَدْ طَالَ حَبْسِي وَانْتِظَارِي
وَقَوْلُهُ: ﴿لَادِمٌ﴾ آدَمُ فِي مَوْضِعٍ جَرّاً إِلَّا أَنَّهُ لَا يَنْصَرِفُ لِأَنَّهُ عَلَى وَزْنِ أَفْعَلٍ: يَقُولُ أَهْلُ اللُّغَةِ إِنْ اشْتَقَّاهُ مِنْ أَدِيمِ الْأَرْضِ، لِأَنَّهُ خُلِقَ مِنْ تُرَابٍ، وَكَذَلِكَ الْأَدَمَةُ إِنَّمَا هِيَ مُشَبَّهَةٌ بِلَوْنِ التُّرَابِ. فَإِذَا قُلْتَ مَرَرْتَ بِآدَمٍ وَآدَمٍ آخَرَ، فَإِنَّ النُّحَوِيِّينَ يَخْتَلِفُونَ فِي أَفْعَلِ الَّذِي يَسْمَى بِهِ وَأَصْلُهُ الصِّفَةُ، فَسَيَبُويَه

(١) كَمَا تَأْخُذُ هِزَةَ الْوَصْلِ ضَمَّةُ الْحَرْفِ الثَّالِثِ فِي نَحْوِ اقْتُلُوا. اسْتَخْرَجَ.

وَأَنْظُرْ ص ٨١.

(٢) مِنْ بَائِيَةِ عُلُقَمَةِ السَّابِقَةِ.

(٣) هُوَ عَدِي بْنُ زَيْدِ الْعَبَادِيِّ مِنْ شُعْرَاءِ الْحَيْرَةِ خَالَطَ نَصَارَاهُمْ مِنْ صَغَرِهِ فَكَانَ مِتَّالِهَاً وَهُوَ شَاعِرٌ غَيْرُ مَكْثَرٍ قَالُوا إِنَّهُ كَسْهَيْلٌ مِنَ النُّجُومِ يَجْرِي مَعَهَا وَلَا يَمَارِضُهَا.

كَانَ النُّعْمَانُ بْنُ الْمُنْذَرِ قَدْ حَبَسَهُ فَكَتَبَ لَهُ عَدِي عِدَّةَ قِصَائِدَ يَسْتَعِظُفُ بِهَا، وَهَذَا الْبَيْتُ مِنْ إِخْدَى الْقِصَائِدِ الَّتِي وَجَّهَهَا إِلَيْهِ.

أَنْظُرِ الْأَغَانِي ٢ - ١٨ وَالْخَزَانَةَ ٣ - ٣٩٧ وَاللِّسَانَ (أَلَكْ) وَفِيهِ قَالَ سَيَبُويَه لَيْسَ فِي الْكَلَامِ مَفْعَلٌ، وَرَوَى عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَزِيدَ أَنَّ مَالِكاً جَمَعَ مَأْلَكَةً، وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنْ بَابِ أَنْقَحَلَ فِي الْقَلَّةِ قَالَ ابْنُ بَرِيٍّ وَمِثْلُهُ مَكْرَمٌ وَمَعُونٌ.

والخليل ومن قال بقولهما يقولون إنه يَنْصَرِفُ في النكرة لأنك إذا نَكَّرْتَهُ رددته إلى حال قد كان فيها يَنْصَرِفُ وقال أبو الحسن الأخفش إذا سَمَّيْتَ به رجلاً فقد أخرجته من باب الصفة، فيجب إذا نَكَّرْتَهُ أن تصرفه فتقول: مررت بآدمٍ وآدمٍ آخر.

ومعنى السجود لآدم عبادة الله عز وجل لا عبادة آدم، لأن الله عز وجل: إنما خلق^(١) ما يعقل لعبادته.

فإذا ابتدأت قلت: أَسْجُدُوا فضممت الألف، والألف لا حظ لها في الحركة، أعني هذه الهمزة المبتدأ بها. وإنما أدخلت للساكن الذي بعدها، لأنه لا يبتدأ بساكن، فكان حقها^(٢) الكسر لأن بعدها ساكناً، وتقديرها السكون، فيجب أن تكسر لالتقاء الساكنين، ولكنها ضُمَّت لاستثقال الضمة بعد الكسر، وكذلك كل ما كان ثالثه مَضْمُوماً في الفعل المستقبل نحو قوله ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾^(٣)، ونحو ﴿أَقْتُلُوا يُوسُفَ﴾^(٤) لأنه من «نَظَرَ يَنْظُرُ وَقَتْلَ يَقْتُلُ» وإنما كرهت الضمة بعد الكسرة لأنها لا تقع في كلام العرب - لثقلها - بعدها. فليس في الكلام مثل فَعُلَ ولا مثل إِفْعُلَ.

وقوله عز وجل: ﴿فَسَجِدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى﴾:

قال قوم إن إبليس كان من الملائكة فاستثنى منهم في السجود وقال قوم من أهل اللغة: لم يكن إبليس من الملائكة، والدليل على ذلك قوله: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾^(٥). فقليل لهؤلاء فكيف جاز أن يُسْتثنى منهم؟ فقالوا:

(١) كذا في جميع النسخ وأنظر الحاشية رقم ٣ ص ١٠٨.

(٢) ط حظها.

(٣) سورة النساء ٤ - ٥٠.

(٤) سورة يوسف ١٢ - ٩.

(٥) الكهف ١٨ - ٥٠.

إن الملائكة - وإياه - أمروا بالسجود، قالوا ودليلنا على أنه أُمِرَ معهم قوله: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى﴾، فلم يأب إلا وهو مأمور. وهذا القول هو الذي نختاره، لأن إبليس كان من الجن كما قال عز وجل، والقول الآخر غير ممتنع، ويكون ﴿كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾ أي كان ضالاً كما أن الجن كانوا ضالين فجعل منهم كما قال في قصته وكان من الكافرين، فتأويلها أنه عمل عملهم فصار بعضهم كما قال عز وجل ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾^(١).

وفي هذه الآية من الدلالة على تثبيت الرسالة للنبي ﷺ كما في الآية التي قبلها، و (التي)^(٢) تليها، لأنه إخبار بما ليس من علم العرب ولا يعلمته إلا أهل الكتاب، أو نبي أوحى إليه. وإبليس لم يُصرف لأنه اسم أعجمي اجتمع فيه العجيمة والمعرفة فمنع من الصرف.

وقوله عز وجل: ﴿وَكُلًّا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾.
الرَّغْدُ الكثير الذي لا يُعْنِيكَ^(٣).

وقوله عز وجل: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾.

أي: إِنْ عَمِلْتُمَا بِأَعْمَالِ الظَّالِمِينَ صِرْتُمَا مِنْهُمْ، ومعنى ﴿لَا تَقْرَبَا﴾ ههنا - لا تأكلا، ودليل ذلك قوله: ﴿وَكُلًّا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ أي لا تقرباها في الأكل. ﴿وَلَا تَقْرَبَا﴾ جزم بالنهي، وقوله عز وجل: ﴿فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ نصب، لأن جواب النهي بالفاء نصب، ونصبه عند سيبويه والخليل بإضمار أن، والمعنى لا يكن منكما قرب لهذه الشجرة فَكُونُ مِنَ الظَّالِمِينَ، ويجوز أن يكونَ فَتَكُونَا جزم على العطف على قوله وَلَا تَقْرَبَا فَتَكُونَا^(٤).

(٢) ليست في ك.

(١) سورة التوبة ٩ - ٦٧.

(٣) الذي لا يكلفك مشقة.

(٤) عطف الفعل وأداة النهي جميعاً أي لا تقربا ولا تكونا.

وقوله عز وجل: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا﴾ .

معناه أنهما أزلّا بإغواء الشيطان إياهما، فصار كأنه أزلَّهُما، كما تقول للذي يعمل ما يكون وصلة إلى أن يزلك من حال جميلة إلى غيرها: أنت أزللتني عن هذا، أي قبولي منك أزلني، فصرت أنت المزيل لي، ومعنى الشيطان في اللغة الغالي في الكفر المتبعّد فيه من الجن والإنس، والشطن في لغة العرب الخبل، والأرض الشطون: البعيدة، وإنما الشيطان فيعال من هذا، (وقد قرئ: فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ مِنْ زُلْتٍ وَأَزَلَّنِي غَيْرِي. وَأَزَلَّهُمَا مِنْ زَلْتٍ وَأَزَلَّنِي غَيْرِي، ولزلت ههنا وجهان: يصلح أن يكون فأزلهما الشيطان «أكسبهما الزلة والخطيئة»، ويصلح أن يكون فأزلهما نحاها» وكلا القراءتين صواب حسن)^(١).

وقوله عز وجل: ﴿وَقَلْنَا اهْبُطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ .

جمع الله للنبي ﷺ قصة هبوطهم، وإنما كان إبليس أهبط أولاً، والدليل على ذلك قوله عز وجل ﴿أُخْرِجَ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾، وأهبط آدم وحواء بعد فجمع الخبر للنبي ﷺ لأنهم قد اجتمعوا في الهبط وإن كانت أوقاتهم متفرقة فيه .

وقوله ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ إبليس عدو للمؤمنين من ولد آدم^(٢)، وعداوته لهم كفر، والمؤمنون أعداء إبليس، وعداوتهم له إيمان .

وقوله عز وجل: ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ أي مقام وثبوت^(٣)

وقوله ﴿إِلَى حِينٍ﴾ .

(١) هذه العبارة التي بين قوسين ليست في ك ولكنها ستأتي فيها بعد بشيء من التغيير .

(٢) ك من بني آدم .

(٣) أي هي مصدر ميمي، ويجوز أن تكون اسم مكان .

قال قوم: معنى الحين ههنا إلى يوم القيامة، وقال قوم: إلى فناء الأجل أي كل مستقر إلى فناء أجله، والحين والزمان في اللغة منزلة واحدة، وبعض الناس يجعل الحين في غير هذا الموضع ستة أشهر دليله قوله: ﴿تُوتَى أَكْلُهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾^(١).

وإنما ﴿كل حين﴾ ههنا جُعِلَ لمدة معلومة^(٢) والحين يصلح للأوقات كلها إلا أنه - في الاستعمال - في الكثير منها أكثر، يقال ما رأيتك منذ حين، تريد منذ حين طويل. والأصل على ما أخبرنا به. وقوله عز وجل: ﴿فَتَلَقَى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾.

الكلمات - والله أعلم - اعتراف آدم عليه السلام وحواء بالذنب لأنهما قالا: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٣) اعترفا بذنبهما وتابا.

وفي هذه الآية موعظة لولدهما، وتعريفهم كيف السبيل إلى التنصّل من الذنوب، وأنه لا ينفع إلا الاعتراف والتوبة، لأن ترك الاعتراف بما حرّم الله - عز وجل - حرام وكفر بالله^(٤) فلا بد من الاعتراف مع التوبة، فينبغي أن يفهم هذا المعنى فإنه من أعظم ما يحتاج إليه من الفوائد^(٥).

وقرأ ابن كثير: فتلقى آدم من ربه كلمات، والاختيار ما عليه الاجماع

(١) إبراهيم ١٤ - ٢٥.

(٢) أي كلمة حين في هذه الآية استعملت للمدة التي تثمر فيها الشجرة فهي لمعنى غير المعنى السابق.

(٣) سورة الأعراف ٧ - ٢٣.

(٤) لأنه استمال لما حرم، وإنكار أي شيء معلوم من الدين بالضرورة كفر.

(٥) جاء في ك بعد هذا: «وقال أبو إسحق: وقد قريء فأزالهما من زلت وأزالني غيري، وأزالهما من زلت وأزالني غيري. ولزلت ههنا وجه آخر: يصلح أن فأزالهما الشيطان كسبها الزلة والخطيئة، ويصلح أن فأزالهما ناحهما. الخ.

وقد تقدم ص ٨٣.

وهو في العربية أقوى، لأن آدم تعلم هذه الكلمات فَعِيلَ تَلَمَّى هذه الكلمات،
والعرب تقول تَلَقَيْتَ هذا من فلان، المعنى فَهَمِي قَبْلَهُ مِنْ لَفْظِهِ.

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَإِنَّمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ
عَلَيْهِمْ﴾.

الفائدة في ذكر الآية أنه عَزَّ وَجَلَّ أعلمهم أنه يبتليهم بالطاعة وأنه
يُجَازِيهِمْ بِالْجَنَّةِ عَلَيْهَا وَيَالنَّارِ عَلَى تَرْكِهَا، وَأَنَّ هَذَا الْإِبْتِلَاءَ وَقَعَ عِنْدَ الْهُبُوطِ
عَلَى الْأَرْضِ.

وإعراب ﴿إِنَّمَا﴾ في هذا الموضع إعراب حروف الشرط والجزاء، إلا أن
الجزاء إذا جاء في الفعل معه النون الثقيلة أو الخفيفة لزمتهما ما^(١) ومعنى
لزومها إياها معنى التوكيد، وكذلك معنى دخول النون في الشرط التوكيد.
والأبلغ فيما يؤمر العباد به التوكيد عليهم فيه^(٢).

وفتح ما قبل النون في قوله: ﴿يَأْتِيَنَّكُمْ﴾ لسكون الياء وسكون النون
الأولى^(٣)، وجواب الشرط في الفاء مع الشرط الثاني وجوابه وهو ﴿فَمَنْ تَبَعَ

(١) المعروف بين النحويين أن المضارع الذي يقع شرطاً إما يكون توكيده قريباً من الواجب. ومذهب
سيبويه ومن تابعه من المتأخرين - ومن متابعيه أبو علي الفارسي. أن التوكيد ليس بلامم ولكنه
أحسن ولهذا لم يقع في القرآن إلا كذلك، وقد جاء في الشعر كثيراً غير مؤكد وذهب المبرد والزجاج
إلى لزوم النون بعد إما، وزعموا أن حذفها: ضرورة -
أنظر الأشموني ج ٣ - ١٤٢.

أما إن بدون «ما» معها فتوكيد الفعل معها نادر وبهذا تتضح عبارة المؤلف «إلا أن الجزاء إذا جاء في
الفعل معه النون... لزمتهما ما» - وهو يستعمل كلمة الجزاء بمعنى الشرط - أي أنه إذا أكد الفعل
بعد إن وجب أن تكون معها ما، ولزومها إياها يدل على وجوب، التوكيد.

(٢) ك فالأبلغ.

(٣) المشهور بين النحويين أن المضارع الذي لم يتصل بضمير رفع ساكن إذا أكد بالنون بني على فتح
الآخر واعتبر مركباً معها تركيب أحد عشر، والزجاج يذكر هنا علة الفتح في ﴿يَأْتِيَنَّكُمْ﴾ بأنها =

هُدَايَ ﴿﴾ ، وجواب ﴿فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ﴾ (قوله) ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ .

و ﴿هُدَايَ﴾ : الأكثر في القراءة والرواية عن العرب ﴿هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ﴾
فالياء في هداي فتحت لأنها أتت بعد ساكن وأصلها الحركة التي هي الفتح
فالأصل أن تقول : هذا غلامِي قد جاء - بفتح الياء - لأنها حرف في موضع
إسم مضمّر^(١) منع الإعراب فألزم الحركة كما ألزمت «هُوَ» وحذف الحركة
جائز لأن الياء من حروف المد واللين، فلما سكن ما قبلها لم يكن بد من
تحريكها فجعل حظها ما كان لها في الأصل من الحركة وهو الفتح، ومن
العرب من يقولون : «هُدَيَّ وَعَصَيَّ»^(٢) ، فمن قرأ بهذه القراءة فإنما قلبت
الألف إلى الياء، للياء التي بعدها، إلا أن شأن ياء الإضافة أن يُكسر ما قبلها،
فجعل بدل كسر ما قبلها - إذ كانت الألف لا يكسر ما قبلها ولا تكسر هي -
قلبها ياءً . وطِيءٌ تقول في هُدًى وَعَصاً وَأَفْعَى وما أشبه هذا في الوقف هُدًى
وَعَصًى (وأفعى)^(٣) ، بغير إضافة، وأنشد أبو الحسن الأخفش وغيره من
النحويين^(٤) .

تَبْشِرِي بِالرَّفَةِ وَالْمَاءِ الرَّوًى وفرج منك قريب قد أتى
وبعض العرب يجري ما يجريه في الوقف - في الأصل - مجراه في

لتفادي إلتقاء الساكنين، الياء التي هي آخر الفعل والنون الأولى من نون التوكيد المشددة، وهو
تعليل غير كاف لأنه لو كان الفعل صحيح الآخر ما كان هناك سكون، وإذا عومل كالمعرب فجزم
فالمعتل يجزم بحرف العلة.

(١) ضمير جاء على حرف واحد فيأخذ حكم الحرف في أنه يفتح إذا جاء بعد ساكن.

(٢) هم هذيل، وعليه بيت أبي هذيل : سبقوا هوى وأعنفوا هواهم .

(٣) ليست في ك.

(٤) الروى الكثير . اللسان (روى) الرقة النعمة . والأصل في البيت النصر .

الوقف^(١) وليس هذا الوجه الجيّد. وزعم سيبويه أن الذين أبدلوا من الألف الياء، أبدلوها في الوقف ليكون أبين لها. وحكى أيضاً أن قوماً يقولون في الوقف حُبَلَوْ، وأفَعَوْ.

وإنما يحكي أهل اللغة والعلم بها كل ما فيها، لتمييز^(٢) الجيد المستقيم المطرد من غيره، ويجتنب غير الجيد. فالباب في هذه الأشياء أن يُنطق بها في الوصل والوقف بألفٍ، فليس إليك أن تقلب الشيءَ لِعلَّةٍ ثُمَّ تنطق به على أصله والعلّة لم تزل، فالقراءة التي ينبغي أن تُلزم [هي] «هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ» إلا أن تثبت برواية صحيحة «هُدَيَّ» فيقرأ بها. ووجهه من القياس ما وصفنا. فأما قوله: «هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ»^(٣)، وقوله: «إِلَيَّ مرجعكم»^(٤) فلا يجوز أن يقرأ هذا صراط عِلَائي، ولا ثُمَّ إِلَائي مرجعكم، لأن الوصل كان في هذا: «إِلَائي» و«عِلَائي» ولكن الألف أُبدِلَتْ منها مع المضمرات الياء، ليفصل بين ما آخره مِمَّا يَجِبُ أَنْ يُعْرَبَ وَيَتِمَّكِنَ، وما آخره مِمَّا لا يجب أن يعرب، فَقُلِبَتْ هذه الألف ياءً لهذه العلة.

وقوله عز وجل: «يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ».

نصب «بني إسرائيل» لأنه نداء مضاف، وأصل النداء النصب لأن معناه معنى «ناديت» و«دعوت» وإسرائيل في موضع خفض إلا أنه فتح آخره لأنه لا يَنْصَرَفُ، وفيه شيثان يوجبان منع الصرف، وهما أنه أعجمي وهو معرفة^(٥)، وإذا كان الاسم كذلك لم يَنْصَرَفُ، إذا جاوز ثلاثة أحرف عند

(١) عبارة غير جيدة - والمراد: بعض العرب يعطي الكلمة في حال الوصل ما تستحق أن تعطاه في حال الوقف.

(٢) في الأصل وط ليميز.

(٣) الحجر ١٥ - ٤١.

(٤) آل عمران ٣ - ٥٥.

(٥) يعني اجتمع فيه العلمية والعجمة.

النحويين، وفي قوله: ﴿نَعَمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ وجهان، أجودهما فتح الياء لأن الذي بعدها ساكن وهو لام المعرفة^(١) فاستعمالها كثيراً في الكلام فاختر فتح الياء معها لالتقاء الساكنين، ولأن الياء لو لم يكن بعدها ساكن كان فتحها أقوى في اللغة، ويجوز أن تحذف الياء في اللفظ لالتقاء الساكنين فتقرأ «نعمت التي» أنعمت بحذف الياء^(٢)، والاختيار إثبات الياء وفتحها لأنه أقوى في العربية وأجزل في اللفظ وأتم للشواب، لأن القارئ يجازي على كل ما يقرؤه من كتاب الله بكل حرف حسنة، فإن إثباته، أوجه في اللغة. فينبغي إثباته لما وصفنا، فأما قوله عز وجل: ﴿هَرُونَ أَخِي أَشَدُّ بِهِ أَزْرِي﴾^(٣) فلم يكثر القراء فتح هذه الياء، وقال أكثرهم^(٤) بفتحها مع الألف واللام.

ولعمري إن اللام المعرفة أكثر في الاستعمال، ولكني أقول: الاختيار «أخي أشد» بفتح الياء لالتقاء الساكنين، كما فتحوا مع اللام، لأن اجتماع ساكنين مع اللام^(٥) وغيرها معنى واحد وإن حذفت فالحذف جائز حسن إلا أن الأحسن ما وصفنا.

وأما معنى الآية في التذكير بالنعمة فإنهم ذكروا بما أنعم به على آبائهم من قبلهم، وأنعم به عليهم^(٦)، والدليل على ذلك قوله: ﴿إِذْ جَعَلْ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا﴾^(٧)، فالذين صادفهم النبي ﷺ لم يكونوا أنبياء، وإنما ذكروا بما أنعم به على آبائهم وعليهم في أنفسهم وفي آبائهم، وهذا المعنى موجود في كلام العرب معلوم عندها. يفاخر الرجل الرجل فيقول هزمناكم يوم «ذي قار»،

(١) يقصد اللام الساكنة في «التي».

(٢) كتبت في الأصول بإثبات الياء، وهو لا يستقيم.

(٣) سورة طه ٢١ - ٣١.

(٤) في ك وإنما أكثرهم يفتحها مع الألف واللام، - أي إذا كان بعدها ألف ولام.

(٥) ك ولام.

(٦) سورة المائدة - ٢٠.

(٧) في ط كأنه أنعم به عليهم.

ويقول قتلناكم يوم كذا، معناه قتل آبائنا^(١) آباءكم.

وقوله عز وجل: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾.

معناه - والله أعلم - قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنَهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ فتمام تبينه أن يخبروا بما فيه من ذكر نبوة محمد ﷺ وقد بينا ما يدل على ذكر العهد قبل هذا وفيه كفاية^(٢)

وقوله عز وجل: ﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُون﴾.

نصب بالأمر^(٣) كأنه في المعنى «أرهبوني» ويكون الثاني تفسير هذا الفعل المضمر، ولو كان في غير القرآن لجاز: «وَأَنَا فَارْهَبُون» ولكن الاختيار في الكلام والقرآن والشعر ﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُون﴾^(٤) حذفت الياء وأصله «فأرهبوني» لأنها فاصلة، ومعنى فاصلة رأس آية ليكون النظم على لفظ مُتَّسِق، ويسمى أهل اللغة رؤوس الآي الفواصل، وأواخر الأبيات: القوافي.

ويقال وَفَّيت له بالعهد فأنا واف به، وأوفيت له بالعهد فأنا موف به. والإختيار: أوفيت، وعليه نزل القرآن كله^(٥) قال الله عز وجل: ﴿وَأَوْفُوا

(١) في الأصل وقتل.

(٢) انظر ص ١٠٥، ١٠٦.

(٣) أي منصوب بفعل أمر محذوف يفسره الأمر المذكور أي أرهبوا إياي فأرهبوني، ولا يعمل فيه المذكور لأنه استوفى مفعوله وهو الياء بعد نون الوقاية ولأن ما بعد الفاء لا يعمل فيها قبلها. أنظر التصريح باب الاشتغال والأشموني ح ٢ - ٤٩: قال سيبويه لأن الفاء لا تقع في الخبر، وقال المبرد: إنها أشبهت الشرط فما بعدها لا يعمل فيها قبلها.

(٤) النصب أرجح لأن الفعل الذي شغل عن المفعول فعل أمر.

(٥) أي في العهد خاصة - وربما عاضه. وإبراهيم الذي وقى النجم ٥٣ - ٨٧ في بعض أوجهه. وإيفاء الكيل ليس منه وإنما هو من الإكمال والإتمام.

وجاء في القرآن: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾. «إني مُتَوَفِّيكَ ورافعك إلي» «ومن أوفى بعهده من الله» (من وقى).

﴿فَيُؤْفِقُهُمْ أَجُورَهُمْ﴾. «إنما يؤفَى الصابرون أجرهم» «وإنما تُوفون أجوركم يوم القيامة» وفي المزمع

بِعَهْدِي أَوْفِ بِعَهْدِكُمْ ﴿١﴾ وقال: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ﴾ (١) وقال: ﴿فَأَوْفُوا
الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ﴾ (٢) وكل ما في القرآن بالألف (٣) وقال الشاعر في «أُوفِيْتُ»:
«وُوفِيْتُ» فجمع بين اللغتين في بيت واحد:

أما ابنُ عوف فقد أُوفِيَ بدمته كما وَفَى بقلاص النجم حاديها (٤)
وقوله عز وجل: ﴿وَأَمِنُوا بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ﴾. ﴿وَلَا تَكُونُوا
أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾.

يعني القرآن، ويكون أيضاً، ﴿وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ بِكِتَابِكُمْ وَالْقُرْآنِ (٥)
إن شئت عادت الهاء على قوله لما معكم، وإنما قيل لهم ﴿وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾
لأن الخطاب وقع على حكمائهم فإذا كفروا كفر معهم الأتباع فلذلك قيل لهم:
﴿وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ فإن قال قائل: كيف تكون الهاء لكتابهم؟ قيل له

= ح ١ - ١٠٥، قال ابن خالويه في شرح الدرديرية «فإن سأل سائل فقال أوفى بعهده أفصح
اللغات وأكثرها فلم زعمت ذلك... لما كان وفى بعهده يجذبه أصلان من «وفى» الشيء إذا كثُر
و«وفى» بعهده، اختاروا أوفى إذ كان لا يشك ولا يكون إلا للعهد، فاختار أوفى فيما ترى لأنه
لا يحتمل إلا معنى واحداً. أما «وفى» فيحتمل - الوفاء بمعنى الكثرة والنماء، والوفاء بالعهد - فإثر
أوفى لهذا». وهو تعليل كما ترى، وقال المبرد «أوفى» أحسن اللغتين.

(١) النحل ١٦ - ٩١.

(٢) الأعراف ٧ - ٨٥.

(٣) الكلية غير تامة كما هو واضح.

(٤) الشاعر هو طُفَيْلُ الغَنَوِيِّ من شعراء قيس المشهورين ومن وصافي الخيل ويسمى طفيل الخيل.
لأنه يكثر من ذكرها ويدخله في مختلف أنواع شعره - ويمتاز شعره بين الجاهليين بالركة. أنظ
الأغاني ١٤ - ٨٨، والكمال ١ - ٣٥٠ ط التجارية.

والبيت في اللسان (عوف - قلص) وروايته ابن طوق. وفي الكامل «ابن أبيض، والقلاص عشرون نجماً
تأتي عقب الثريا يسوقها الدبران أي يأتي عقبها النجم المعروف بهذا الاسم. يريد أنه كما يلزم
هذا النجم أصحابه فلا يفارقها أبداً، فكذلك ابن عوف لا يفارق الوفاء، ولا يخلف ما وعد به.

(٥) الواو بمعنى - أو - أي تصلح لهذا ولذا في كلام المؤلف.

إنهم إذا كتموا ذكر النبي ﷺ في كتابهم فقد كفروا به كما أنه من كتم آية من القرآن فقد كفر به ومعنى ﴿لا تكونوا أول كافرين﴾ - إذا كان بالقرآن - لا مؤنة فيه، لأنهم يظهرون أنهم كافرون بالقرآن^(١). ومعنى ﴿أول كافرين﴾ أول الكافرين، قال بعض البصريين في هذا قولين: قال الأخفش معناه أول من كفر به، وقال البصريون أيضاً: معناه ولا تكونوا أول فريق كافر به أي بالنبي ﷺ وكلا القولين صواب حسن.

وقال بعض النحويين إن هذا إنما يجوز في فاعل ومفعول^(٢) تقول الجيش منهزم، والجيش مهزوم، ولا يجوز فيما ذكر: الجيش رجل، والجيش فرس، وهذا في فاعل ومفعول أبين، لأنك إذا قلت الجيش منهزم فقد علم أنك تريد هذا الجيش فنقطت في لفظه بفاعل لأن المعنى الذي وضع عليه الجيش معنى يدل على جمع، فهو فعال. ومفعول يدل على ما يدل عليه الجيش، وإذا قلت الجيش رجل فإنما يكره في هذا أن يتوهم أنك تقلله فأما إذا عرف معناه فهو سائغ: جيد، تقول: جيشهم إنما هو فرس ورجل، أي ليس بكثير، الأتباع فيدل المعنى على أنك تريد الجيش خيل ورجال^(٣)، وهذا في فاعل ومفعول أبين كما وصفنا^(٤).

وقوله عز وجل: ﴿أول كافرين﴾.

اللغة العليا والقدمى الفتح^(٥) في الكاف وهي لغة أهل الحجاز، والإمالة في الكاف أيضاً جيد^(٦) بالغ في اللغة لأن فاعلاً إذا سلم من حروف الإطباق

(١) لم يبين الحالة الثانية وهي عود الضمير على كتابهم. لأنه شرحها.

(٢) الأخبار بالمفرد عن الجمع.

(٣) أي بالقرينة، لا باللفظ.

(٤) كما تقول: الجيش قائم وسائر مهزوم ومسبوق.

(٥) أي بغير إمالة.

(٦) أي رأي أو نطق جيد.

وحروف المستعلية كانت الإمالة فيه سائغةً إلا في لغة أهل الحجاز، والإمالة لغة بني تميم وغيرهم من العرب، ولسان الناس^(١) الذين هم بالعراق جارٍ على لفظ الإمالة، فالعرب تقول: هذا عابد وهو عابد^(٢) فيكسرون ما بعدها إلا أن تدخل حروف الإطباق وهي الطاء والظاء والصاد والضاد، لا يجوز في قولك فلان ظالم: ظالم ممال^(٣)، ولا في طالب: طالب ممال، ولا في صابر صابر: ممال، ولا في ضابط: ضابط ممال، وكذلك حروف الاستعلاء وهي: الخاء والغين، والقاف، لا يجوز في غافل: غافل ممال ولا في خادم: خادم ممال، ولا في قاهر قاهر: ممال. وباب الإمالة يطول شرحه إلا أن هذا في هذا الموضع هو المقصود وقدرة الحاجة^(٤).

قوله عز وجل: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ﴾.

يقال لبست عليهم الأمر البس، إذا أعميته عليهم، ولبست الثوب البسه^(٥) ومعنى الآية: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ﴾، والحق ههنا أمر النبي ﷺ وما أتى به من كتاب الله عز وجل، وقوله بالباطل، أي بما يحرفون، وقوله عز وجل: ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي تأتون لبسكم الحق وتكتمانه على علم منكم وبصيرة. وإعراب ﴿وَلَا تَلْبِسُوا﴾ الجزم بالنبي، وعلامة الجزم سقوط النون، أصله تَلْبِسُونَ وَتَكْتُمُونَ، يصلح أن يكون جزماً على معنى ولا تكتموا الحق، ويصلح أن يكون نصباً وعلامة النصب أيضاً سقوط النون، أما إذا نصبت فعلى معنى الجواب بالواو، ومذهب الخليل وسيبويه والأخفش وجماعة من البصريين أن

(١) في ك: ولسان أهل العراق.

(٢) الأولى بفتح صريح والثانية بالإمالة.

(٣) كلمة «ممال» في الكلمات الأربع ليست في ك، وكان ينبغي أن تكون منصوبة.

(٤) هذا الذي ذكر هنا عن الإمالة، وفي ك باب يطول شرحه.

(٥) الأول كضرب يضرب والثاني كعلم يعلم.

جميع ما انتصب في هذا الباب فيإضمار أن كأنك قلت لا يكن منكم إلباس الحق وكتّمانه، كأنه قال وأن تكتموه، ودلّ تلبسوا على لبس كما تقول: من كذب كان شرًا، ودل ما في صدر كلامك على الكذب فحذفته.

وقوله عز وجل: ﴿اتَّامِرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾.

فالألف ألف استفهام، ومعناه: التقرير والتوبيخ ههنا، كأنه قيل لهم: أنتم على هذه الطريقة. ومعنى هذا الكلام - والله أعلم - أنهم كانوا يأمرُونَ أتباعهم بالتمسك بكتابتهم ويتركون هم التمسك به، لأن جحدهم النبي ﷺ هو تركهم التمسك به - ويجوز والله أعلم - أنهم كانوا يأمرُونَ ببذل الصدقة وكانوا يضمنون بها، لأنهم وُصفُوا بأنهم قست قلوبهم. وأكلوا الرِّبَا والسُّحْتَ، وكانوا قد نهوا عن الرِّبَا. فمنع الصدقة داخل في هذا الباب.

وقوله عز وجل: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾.

إن قال قائل لم قيل لهم: استعينوا بالصبر وما الفائدة فيها^(١) فإن هذا الخطاب أصله خطاب أهل الكتاب، وكانت لهم رئاسة عند أتباعهم ف قيل لهم: استعينوا على ما يُذهِبُ عنكم شهوة الرياسة بالصلاة لأن الصلاة يتلى فيها ما يُرغِبُ فيها عند الله، ويزهد في جميع أمر الدنيا، ودليل ذلك قوله: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾^(٢).

وقوله عز وجل: ﴿وَإِنَّا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾.

المعنى: إن الصلاة التي معها الإيمان بالنبي ﷺ كبيرة تكبر على الكفار وتعظم عليهم مع الإيمان بالنبي ﷺ. والخاشع المتواضع المطيع المجيب^(٣) (لأن

(١) في الاستعانة.

(٢) العنكبوت ٢٩ - ٤٥.

(٣) في ك المخبث.

المتواضع^(١) لا يبالي برياسة كانت له مع كفرٍ إذا انتقل إلى الإيمان^(٢).

وقوله عز وجل: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ﴾.

الظن ههنا في معنى اليقين، والمعنى: الذين يوقنون بذلك ولو كانوا شاكّين كانوا ضلّالاً كافرين، والظن: بمعنى اليقين موجود في اللغة، قال دريد بن الصّمة:

فَقُلْتُ لَهُمْ طُنُّوا بِالْفِي مُقَاتِلِ سَرَاتِهِمْ فِي الْفَارِسِيِّ الْمَسْرَدِ^(٣)
ومعناه أيقنوا. وقد قال: بعض أهل العلم من المتقدمين:

إن الظن يقع في معنى العلم الذي لم تشاهده، وإن كان قام في نفسك حقيقة وهذا مذهب، إلا أن أهل اللغة لم يذكروا هذا.

قال أبو إسحاق: وهذا سمعته من إسماعيل بن إسحاق القاضي رحمه الله^(٤) رواه عن زيد بن أسلم^(٥).

(١) ليست في ك.

(٢) أي لا يبالي بترك الرياسة وضياعها.

(٣) دريد شاعر مقل من بني جشم. كان من الفرسان وعمر حتى شهد الإسلام ولم يسلم. شهد حيناً ليستعان برأيه ولما انهزم المشركون قتله ابن الدغنة في غير معركة سنة ٨ هـ.

وهو في هذه القصيدة يرثي أخاه عبد الله، وأنظر القصيدة في حاسة أبي تمام، والمقاصد ٢ - ١٢٢ والأغاني ٩ - ٤ والقرطبي ١ - ٣٢١ اللسان ظنن. الشجري ٣ - ١١١ وأكثر رواية البيت: بألفي مدجج، والمدجج الشاكي السلاح والفارسي المصنوع في بلاد الفرس والمسرد المحبوك الحلق الجيد الصنع، والسراة السادة، وهو يقصد أنهم جميعاً - سراة أشداء.

(٤) هو إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل بن حماد من موالي آل جرير بن حازم كان إماماً في العربية والفقه على مذهب مالك انتهى إليه العلم بالنحو واللغة في زمانه، سمع عن كثيرين منهم محمد ابن عبد الله الأنصاري ومسدد بن مسرهد، وروى عنه كثيرون منهم عبد الله بن الإمام أحمد. ولي قضاء جانبي بغداد في عهد المتوكل وبقي حتى عزله المهدي حين غضب على أخيه حماد وجلده وعزل إسماعيل ولما ولي المعتمد أعاده فبقي قاضياً حتى مات ٢٨٢ هـ عن ثمانين عاماً. ترك مؤلفات في القرآن والحديث منها: القراءات وأحكام القرآن ومعاني القرآن. الغنة ١٩٢.

(٥) زيد بن أسلم بن ثعلبة بن عدي من بني حليف بني العجلان وقيل انه أوسي من بني عمرو بن

و (قوله) ^(١) ﴿أَنَّهُمْ﴾ ههنا لا يصلح في موضعها إنهم - بالكسر - لأن الظن واقع فلا بد من أن تكون تلييه . أن ^(٢) إلا أن يكون في الخبر لام ^(٣) .

ويصلح في ﴿أَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ الفتح والكسر ، إلا أن الفتح هو الوجه الذي عليه القراءة ، فإذا ^(٤) قُلْتُ : وإنهم إليه راجعون - في الكلام - حملت الكلام على المعنى كأنه «وهم إليه راجعون» ودخلت أن مؤكدة ^(٥) ، ولولا ذلك لما جاز أبطالك الظن مع اللام إذا قلت ظننت إنك لعالم .

ومعنى ﴿مُلاقَرَبَهُمْ﴾ ملاقون ربهم لأن اسم الفاعل ههنا نكرة ولكن النون تحذف إستخفافاً ، ولا يجوز في القرآن إثباتها لأنه خلاف المصحف ، ولا يجوز أن يقع شيء في المصحف مجمع عليه فيخالف ، لأن أتباع المصحف أصل أتباع السنة .

وقوله : ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ .

أذكرهم الله عز وجل نعمته عليهم في أسلافهم ، والدليل على ذلك قوله عز وجل : ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ والمخاطبون بالقرآن لم يروا فرعون ولا آله . ولكنه عز وجل ذكرهم أنه لم يزل منعماً عليهم لأن إنعامه على أسلافهم إنعام عليهم ، والدليل على ذلك : أن العرب وسائر الناس يقولون : أكرمْتُكَ

= عوف ، شهد بداراً وقتله طليحة وقيل : بل قتل يوم صفين . الاصابة ٢٨٧٠ .
(١) ليست في ك .

(٢) في موضع المفعول فلا بد أن تفتح .

(٣) لأنها حينئذ من المواضع التي يجب فيها كسر «إن» .

(٤) في ك فان .

(٥) يريد أن الجملة تكون مستأنفة إذا كسرت «أن» ، وهذا الاستئناف جائز حيث استوفت ظن مفعوليها . وكذلك إذا علقت بدخول لام التوكيد على خبر أن .

بإكرامي أخاك، وإنما الأثرة وصلت إلى أخيه، والعرب خاصة تجعل ما كان لأبائها فخراً لها، وما كان فيه ذم يعدونه عاراً عليها، وإن كان فيها قَدَم من آبائها وأسلافها.

وقوله عز وجل: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾.

يعني به يوم القيامة، وكانت اليهود تزعم أن آباءها الأنبياء تشفع لها عند الله فأبشسهم الله من ذلك.

وقوله عز وجل: ﴿وَلَا يُوْخِذُ مِنْهَا عَذْلٌ﴾.

العدل ههنا الفدية، ومعنى: ﴿لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ أي لا تجزي فيه، وقيل: لا تجزيه، وحذف «فيه» ههنا سائغ، لأن «في» مع الظرف محذوفة: تقول أتيتك اليوم، وأتيتك في اليوم، فإذا أضمرت قلت أتيتك فيه، ويجوز أن تقول أتيتك، قال الشاعر:

ويوماً شهدناه سليماً وعامراً قليلاً سوى الطعنِ النِّهالِ نوافله^(١)
أراد شهدنا فيه، وقال بعض النحويين: إن المحذوف^(٢) هنا الهاء لأن الظروف عنده لا يجوز حذفها - وهذا قول الكسائي. والبصريون وجماعة من الكوفيين يقولون: إن المحذوف «فيه».

وفصل النحويون في الظروف، وفي الأسماء غير الظروف فقالوا: إن الحذف مع الظروف جائز كما كان في ظاهره، فكذلك الحذف في مضمرة، لو

(١) البيت لرجل من بني عامر. وسليم وعامر قبيلتان من قيس بن عيلان، كان بينهما معارك في الجاهلية.

والطعن النِّهال: هو الدامي. والطعن إما اسم للضرب وإما اسم جنس جمعي لطةنة. انظر أمالي

ابن الشجري ١ : ٦ والكامل ١ - ٢١.

(٢) في الأصل المحذوفة.

قلت الذي سرت اليوم، تريد الذي سرت فيه جائز، لأنك تقول سرت اليوم وسرت فيه، ولو قلت: الذي تكلمت فيه زيد: لم يجوز الذي تكلمت زيد لأنك تقول تكلمت اليوم وتكلمت فيه، ولا يجوز في قولك تَكَلَّمْتُ في زيد تَكَلَّمْتُ زيدا.

وقوله عز وجل: ﴿تَقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةً﴾.

مرفوع لأنه اسم ما لم يسم فاعله، والاسم إذا لم يُسَمَّ من فعل به^(١) رُفِعَ لأن الفعل يصير حديثاً عنه كما يصير حديثاً عن الفاعل، وتقول: لا يُقْبَلُ منها شفاعَةٌ، ولا تُقْبَلُ، لأن معنى تأنيث ما لا يُنتَجُ^(٢) غير حقيقة، فلك في لفظه في الفعل التذكير والتأنيث، تقول: قبل منك الشفاعَة، وقد قُبِلَتْ منك [الشفاعة] وكذلك «فمن جاءه موعظةٌ» لأن معنى موعظة ووعظ، وشفاعة وشفع واحد، فلذلك جاء التذكير والتأنيث على اللَّفْظِ والمعنى^(٣) وأما ما يعقل ويكون منه النسل والولادة نحو امرأة ورجل، وناقة وجمال فيصح في مؤنثة لفظ التذكير، ولو قلت قام جارتك ونحرتك كان قبيحاً - وهو جائز على قبحه لأن الناقة وابنة تذلان على معنى التأنيث، فأجتزىء بلفظهما عن تأنيث الفعل^(٤)، فأما الأسماء التي تقع للمذكَّرين وأصحاب المؤنث فلا بد فيها من علم التأنيث لأن الكلام للفائدة، والقصد به الإبانة، فلو سُمِّيت امرأة بقاسم لم يجوز أن يقال جاءني قاسم، فلا يعلم أذكراً عُنِيَتْ أم مؤنثاً، وليس إلى حذف هذه التاء - إذا كانت فارقة بين معنيين - سبيل، كما أنه إذا جرى ذكر رجلين لم يجوز أن تقول: قد قام،

(١) أي الفاعل. الذي قام بعمله.

(٢) ما لا يلد، ونتج مما لزم صيغة المبني للمجهول.

(٣) ليست ت في ك.

(٤) في ك فالمعنى.

(٥) هذا رأي الزجاج خاصة. والنحويون على أن المؤنث الحقيقي الذي لم يفصل من الفعل لا بد أن تكون في فعلة علامة التأنيث.

ولا يجوز إلا أن تقول قاما، فعلامة التأنيث فيما فيه اللبس كعلامة التثنية ههنا.

وقوله عز وجل: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾.

موضع إذ نصب، كأنه «قال»^(١) واذكروا إذ نجيناكم من آل فرعون، وآل فرعون أتباعه ومن كان على دينه، وكذلك آل الأنبياء صلوات الله عليهم من كان على دينهم، وكذلك قولنا: صلى الله على محمد وآله: معنى آله من إتبعه من أهل بيته وغيرهم، ومعنى خطابهم ههنا تذكيرهم بالنعمة عليهم في أسلافهم كما وصفنا.

وقوله عز وجل: ﴿يَسْأَلُونَكَ سُوءَ الْعَذَابِ﴾.

معنى «يسألونكم» في اللغة يولونكم، ومعنى سوء العذاب، شديد العذاب، وإن كان العذاب كله سوءا، فإنما نُكرّر في هذا الموضع^(٢) لأنه أبلغ ما يعامل به مرعي^(٣)، فلذلك قيل سوء العذاب، أي ما يبلغ في الإساءة ما لا غاية بعده، وفسره بقوله: ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾ والقراءة المجمع عليها- ﴿يُذَبِّحُونَ﴾- بالتشديد- ورواية شاذة يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ، والقراءة المجمع عليها أبلغ، لأن «يُذَبِّحُونَ» للتكثير، ويذبحون يصلح أن يكون للقليل و(للكثير)^(٤) فمعنى التكثير ههنا أبلغ، و«أبناءكم» جمع ابن، والأصل كأنه إنما جمع بني وبنو ويقال: ابن بين البنوة، فهي تصلح أن تكون «فعل» و«فعل» كأنه أصله بناية، والذين قالوا بنون كأنهم جمعوا «بنا» وبنون، فأبناء جمع «فعل وفعل»، و«بنت» يدل على أنه يستقيم أن يكون فعلا، ويجوز أن يكون «فعل» نقلت إلى «فعل» كما نقلت أخت من فعل إلى فعل، فأما بنات فهو ليس بجمع بنت على لفظها، إنما ردت إلى أصلها فجمعت بنات على أن الأصل في بنت «فعله» كأنها مما حذفت لامه^(٥)،

(٢) ذكر السوء.

(١) ليست في ك.

(٤) في ك فقط.

(٣) أحد الرعية.

(٥) الأصل «بنوة» ولذا حذفت التاء في الجمع.

وَالْأَخْفَشُ: يختار أن يكون المحذوف من ابن الواو قال: لَأَن أَكْثَرَ مَا تَحْذِفُ الْوَائِي بِثَقْلِهَا. والياءُ^(١) تَحْذِفُ أَيْضاً لِلثَّقَلِ^(٢).

قال أبو إسحق: والدليل على ذلك أن يداً قد أجمعوا (على)^(٣) أن المحذوف منه^(٤) الياءُ ولهم دليل قاطع على الإجماع قال: يدبت إليه يداً، ودم محذوف منه الياءُ، يقال دم ودميان.

قال الشاعر:

فلو أنا على حَجَرٍ ذُبَحْنَا جَرَى الدِّمْيَانِ بِالْخَبَرِ اليَقِينِ^(٥)
وَالْبُنُوَّةُ ليست بشاهد قاطع في الواو، لأنهم يقولون الفتوة والفتيان في
الثنائية - قال عز وجل: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ﴾^(٦). فابنُ يجوز أن يكون
المحذوف منه الواو أو الياءُ. وهما عندي متساويان^(٧).

وقوله عز وجل: ﴿وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾.

(١) هذا وما بعده رد على الأخفش.

(٢) ك لأنها تثقل.

(٣) ليست في ك.

(٤) من هذا اللفظ لأن اليد مؤنث.

(٥) البيت في اللسان «دم» مع بيتين آخرين:

لعمرك أني وأبا رباح على طول التجاور منذ حين
ليغضبني وأبغضه أيضاً يراني دونه وأراه دوني
فلو أنا على حجر.

يقول إن كلا منهما يكره الآخر ويحقره، فلو أن دماءهما وضعت في مكان واحد لأبت الامتزاج
وانفصل كل منها عن الآخر لما بينهما من التباغض.

وينسب البيت لعبد بني الحسحاس. ولعلي بن بدال، وللمثقب العبدي.

أنظر المقاصد ١٩١/١، واللسان (دم)، وابن يعيش ٦٥٢/٤، ٥/٦، وهو ليس في نونية
المنقب. «أفاطم قبل بينك متعيني».

(٦) يوسف ١٢ - ٣٦. (٧) هذا رأي الزجاج، ويحتاج إلى تأمل.

يعني : في النجاة من آل فرعون . والبلاء ههنا النعمة ، يروي عن الأحنف^(١) أنه قال : البلاء ثم الشاء ، أي الأنعام ثم الشكر .

قال زهير :

جزى الله بالإحسان ما فعلا بنا وأبلاهما خير البلاء الذي يبلو^(٢)

وقال الله عز وجل : ﴿ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلََاءٌ حَسَنًا ﴾^(٣) .

وقوله عز وجل : ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴾ .

موضع ﴿إِذْ﴾ نصب كالتي قبلها ، ومعنى ﴿فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ﴾ : جاء تفسيره في آية أخرى ، وهو قوله عز وجل :

﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَىٰ إِنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴾^(٤) أي فأنفرك البحر فصار كالجبال العظام ، وصاروا في قراره - وكذلك قوله عز وجل : ﴿ فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا ، لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى ﴾^(٥) ، معناه طريقاً ذا ييس ،

وقوله : ﴿ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴾ ، فيه قولان (قالوا)^(٦) وأنتم

(١) الأحنف بن قيس حكيم العرب ، ومضرب المثل في الحلم .

(٢) زهير بن أبي سلمى أحد شعراء الطبقة الأولى الجاهلية ، وصاحب معلقة جيدة وفي معلقته وفي هذه القصيدة يمدح هرم بن سنان والحرث بن عوف لتحملهما ديات القتلى في حرب داحس والغبراء وستأتي له أبيات أخرى من هذه القصيدة . أخباره في الأغاني ٩ - ٨٨ وطبقات فحول الشعراء . والبيت في ديوانه ١١٢ .

(٣) الأنفال ٨ - ١٧ .

(٤) الشعراء ٢٦ - ٦٣ .

(٥) طه ٢٠ - ٧٧ .

(٦) ما بين القوسين ليس في ك ففيها رأي واحد .

ترونها يغرقون ويجوز أن يكون: ﴿وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾^(١) أي وأنتم مشاهدون تعلمون ذلك، وإن شغلهم عن أن يروه في ذلك الوقت شاغل^(٢) يقال من ذلك: دور آل فلان تنظر إلى دور بني فلان، أي هي بإزائها والدور يعلم أنها لا تبصر شيئاً.

وقوله عز وجل: ﴿وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾.

ويقراً: ﴿وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ﴾ وكلاهما جائز (حسن)^(٣) واختار جماعة من أهل اللغة، وإذ وعدنا بغير ألف:

وقالوا: إنما اخترنا هذا لأن المواعدة إنما تكون لغير الأدميين، فاختاروا ﴿وَعَدْنَا﴾ وقالوا دليلنا قوله عز وجل ﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ﴾^(٤) وما أشبه هذا وهذا الذي ذكروه ليس مثل هذا^(٥)، وواعدنا هنا جيد بالغ، لأن الطاعة في القبول بمنزلة المواعدة، فهو من الله عز وجل وعد ومن موسى قبول واتباع فجرى مجرى المواعدة.

وقوله عز وجل: ﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾.

ذكرهم بكفر آبائهم مع هذه الآيات العظام، وأعلمهم أن كفرهم بالنبي ﷺ مع وضوح أمره وما وقفوا عليه من خبره في كتبهم ككفر آبائهم، وكان في ذكر هذه الأفاصيل دلالة على تثبيت نبوة النبي ﷺ لأن هذه الأفاصيل ليست من علوم العرب، وإنما هي من علوم أهل الكتاب، فأنبأهم النبي ﷺ بما في كتبهم، وقد علموا أنه من العرب الذين لم يقرأوا كتبهم،

(١) في الأصل و«يقال».

(٢) ليست في ك.

(٣) إبراهيم ١٤ - ٢٢. وبعدها ﴿وَوَعَدْتُمْ فَأَخْلَفْتُمْ﴾ وهما مما يقوله الشيطان.

(٤) وجاء في سورة الأعراف ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً﴾ ٧ - ٤٢. وفي سورة طه ﴿وَوَاعَدْنَاكُمْ

جانب الطور الأيمن﴾ ٢ - ٨٠.

فعلّموا أنه لم يُعَلِّمْ هذه الأقايصيص إلا من جهة الوحي، ففي هذه الآيات، إذكّارهم بالنعمة عليهم في أسلافهم، وتثبيت أمر الرسالة كما وصفنا.

وقوله عز وجل: ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.

﴿آتينَا﴾ بمعنى أعطينا، و﴿الكتاب﴾ مفعول به، و﴿والفرقان﴾ عطف عليه، وَيَجُوزُ أن يكون الفرقان الكتاب بعينه إلا أنه أُعيد ذكره، وعنى به أنه يفرق بين الحق والباطل، وقد قال بعض النحويين وهو قطرب: المعنى: وآتينَا محمداً الفرقان، ودليله قوله عز وجل ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ﴾^(١) يعني به القرآن. والقول الأول هو القول لأن الفرقان قد ذكر لموسى في غير هذا الموضع - قال الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾^(٢).

وقوله عز وجل: ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.

«لعل» إنما ذكرت هنا - والله يعلم أيهدون أم لا يهتدون - على ما يفعل العباد ويتخاطبون به، أي أن هذا يرجى به الهداية، فخطبوا على رجائهم.

ومثله قوله: ﴿لَعَلَّهِ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾^(٣): إنما المعنى اذهبوا على رجائكما، والله عز وجل عالم بما يكون وهو من ورائه.

وقوله عز وجل: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ﴾.

والقراءة يا قوم بكسر الميم، وهو نداء مضاف، والاختيار فيه حذف الياء، لأن الياء حرف واحد، والنداء باب حذف، وهي في آخر الاسم، كما

(١) الفرقان ٣٥ - ١٠

(٢) الأنبياء ٢١ - ٤٨

(٣) طه ٢٠ - ٤٤

أن التنوين في آخره، فحذفت الياء، وبقيت الكسرة تدل عليها، ويجوز في الكلام أربعة أوجه. فأما في القرآن فالكسر وحذف الياء لأنه أجود الأوجه. وهو إجماع القراء، فالذي يجوز في الكلام أن تقول «يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ» كما قريء في القرآن، ويجوز يا قومي باثبات الياء وسكونها، ويجوز يا قومي بتحريك الياء، فهذه ثلاثة أوجه في الإضافة، ويجوز يا قوم بضم الميم على معنى يا أيها القوم.

ومعنى قوله ﴿ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ﴾.

يقال لكل من فعل فعلاً يعود عليه بمكروه إنما أسأت إلى نفسك وظلمت نفسك، وأصل الظلم في اللغة وضع الشيء في غير موضعه، والعرب تقول: ومن أشبه أباه فما ظلم، معناه لم يقع له الشبه غير موقعه، ويقال ظلم الرجل سقائه من اللبن إذا شرب «منه» وسقي منه قبل إدراكه، وأرض مظلومة إذا حفر فيها ولم يكن حفر فيها قبل، أو جاء المطر بقربها وتخطاها، قال النابغة^(١):

أَلَا الْأَوَارِي لَأَيًّا مَا أَبَيْنَهَا وَالنَّوَى كَالْحَوْضِ بِالْمَظْلُومَةِ الْجَلْدِ
ومعنى قوله ﴿بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ﴾ أي اتخذتموه إلهاً، ومعنى قوله ﴿فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ﴾ أي إلى خالقكم، يقال برأ الله الخلق، فالبارئ الخالق، والبرية والخلق المخلوقون، إلا أن البرية وقعت في أكثر كلامهم غير مهموزة.

(١) النابغة الذبياني. زياد بن معاوية. من قيس. أحد فحول الشعراء الجاهليين. اتصل بالناذرة كما اتصل بالغساسنة وله مع النعمان بن المنذر أقاصيص وكتب له اعتذارياته وهذه واحدة منها.
الأواري جمع الأرى. مربوط الدابة. والنوى ما يحفر حول الديار ليجمع فيه ماء المطر. والأرض المظلومة الصلبة. وكذلك الجلد.
والبيت في ديوانه ص ٨٩ - وأنظر الأغاني ٩ - ١٦٢ وهي قصيدة طويلة أولها: يا دار مية بالعلاء فالسند.

وأصلها «أولئك هم خير البرية»^(١) وأكثر القراءة والكلام «البرية» بغير همز، وقد قرأ قوم «البرية»^(٢) بالهمز، والاختيار ما عليه الجمهور، وروي عن أبي عمرو (بن العلاء)^(٣) أنه قرأ إلى بارئكم بإسكان الهمز، وهذا رواه سيويه باختلاس الكسرة، وأحسب أن الرواية الصحيحة ما روى سيويه فإنه أضبط لما روى عن أبي عمرو، والإغراب أشبه بالرواية عن أبي عمرو لأن حذف الكسرة في مثل هذا وحذف الضم إنما يأتي باضطراب من الشعر، أنشد سيويه - وزعم أنه مما يجوز في الشعر خاصة.

إذا اغوججن قلت صاحب قوم^(٤)

بإسكان الباء، وأنشد أيضاً:

فاليوم أشرب غير مستحقب إثمًا من الله ولا واغل^(٥)

فالكلام الصحيح أن تقول «يا صاحب» أقبل، أو يا صاحب^(٦) أقبل ولا وجه للإسكان، وكذلك «فاليوم أشرب» يا هذا وروي غير سيويه هذه الأبيات على الاستقامة وما ينبغي أن يكون في الكلام والشعر، وروا هذا البيت على ضربين: روي: فاليوم فأشرب غير مستحقب.

(١) البينة ٩٨ - ٧.

(٢) فعيل بمعنى مفعول.

(٣) ليست في ك.

(٤) للعجاج اللسان (عموم) - الديوان ٦٤. كتاب سيويه ٢ - ٣٢٥ يصف رحلة الإبل في الصحراء وبعده - بالدو أمثال السفين العموم.

(٥) لامرئ القيس من قصيدته:

قولاً لدودان عبيد العصا ما غرمكم بالأسد الباسل
حلت لي الخمر وكنت امرءاً عن شرها في شغل شاغل
وقبله:

لأنه كان حرم على نفسه الشرب حتى يثار لأبيه. والبيت في الخزانة ٣ - ٥٣٠: والخصائص ٢ - ٣١٧، ٣٤٠، وفي أمالي المرتضى ٢ - ١٠٦.

(٦) بحذف ياء المتكلم وكسر الباء.

ورروا أيضاً: فالיום أُسْقَى غير مُسْتَحَقِّ (١).
ورروا أيضاً: إذا اعوججن قلت صاح قوم.

ولم يكن سيويه ليروي (إن شاء الله) (٢) إلا ما سمع إلا أن الذي سمعه هؤلاء هو الثابت في اللغة، وقد ذكر سيويه أن القياس غير الذي رَوَى، ولا ينبغي أن يُقرأ إلا ﴿إلى بارئكم﴾ بالكسر، وكذلك «عند بارئكم».

ومعنى ﴿فاقتلوا أنفسكم﴾ امتحنهم الله عز وجل بأن جعل توبتهم أن يقتل بعضهم بعضاً، فيقال إنهم صُفُّوا صَفِّينِ يقتل بعضهم بعضاً، فمن قُتِلَ كان شهيداً، ومن لم يقتل فتائب مغفور له ما تقدم من ذنبه، ويقال إن السبعين الذين اختارهم موسى ﷺ لم يكونوا ممن عبد العجل، وإنهم هم الذين كانوا يقتلون (٣)، والأول أشبه بالآية لأن قوله عز وجل ﴿فاقتلوا أنفسكم﴾ يدل على أنها توبة عبدة العجل، وإنما امتحنهم الله عز وجل بهذه المحنة العظيمة لكفرهم بعد الدلالات والآيات العظام.

وقوله عز وجل: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكَ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾.

معنى ﴿جهرة﴾ غير مُسْتَتِرٍ عَنَّا بشيء، يقال فلان يجاهر بالمعاصي أي لا يَسْتَتِرُ من الناس منها بشيء، وقوله: ﴿فَأَخَذَتْكَ الصَّاعِقَةُ﴾ معنى الصاعقة ما يُضْعَقُونَ منه، أي يموتون، فأخذتهم الصاعقة فماتوا.

الدليل على أنهم ماتوا قوله عز وجل: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

(١) احتقبت الشيء واستحقته أدخره أي ليس على إثم مدخر في شربي. والواغل الداخل على القوم في شرايهم أو طعامهم.

(٢) يقتلون من عبد العجل.

(٣) ليست في ك.

وفي هذه الآية ذكر البعث بعد موت وقع في الدنيا. مثل قوله تعالى : ﴿فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾ ، ومثل قوله عز وجل :

﴿فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾^(١) وذلك احتجاج على مشركي العرب الذين لم يكونوا موقنين بالبعث، فأتى النبي ﷺ بالأخبار عمن بعث بعد الموت في الدنيا مما توافقه عليه اليهود والنصارى، وأرباب الكتب فاحتج عليهم ﷺ بحجة الله التي يوافقه عليها جميع من خالفه من أهل الكتب.

وقوله ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ أي في أن بَعَثَكُمْ بعد الموت، وأعلمكم أن قدرته عليكم هذه القدرة، وأن الإقالة بعد الموت لا شيء بَعْدَهَا^(٢)، وهي كالمُضْطَرَةِ إلى عبادة الله^(٣).

وقوله : ﴿وَوَضَعْنَا عَلَى كُفْرِهِمُ الْغَمَامَ﴾.

سخر الله لهم السحاب يظللهم حين خرجوا إلى الأرض المقدسة، وأنزل عليهم المَنَّ والسلوى. وجملة المَنَّ ما يمن الله به مما لا تعب فيه ولا نَصَبَ وأهل التفسير يقولون إنَّ المن شيء يسقط على الشجر حلو يشرب، ويقال أنه «التَّرْنِجِين»^(٤)، ويروى عن النبي ﷺ أنه قال : الكمأة من^(٥) المَنَّ وماؤها شفاء للعين، ومعنى المن على ما وصفنا^(٦) في اللغة ما يمن الله به من غير تعب ولا نصب، والسلوى طائر كالسُّمَّاني، وذكر أنه كان يأتيهم من هذين ما فيه كفايتهم.

(١) البقرة ٢ الآية ٢٥٩، ٢٤٣.

(٢) هذا العفو والإعادة إلى الحياة لا شيء يعدله.

(٣) المضطرة اسم فاعل بمعنى مجبرة وحاملة لهم على العبادة.

(٤) مادة لزجة حلوة تشبه العسل تسقط على الأحجار والشجر مائعة ثم تجمد فيجمعها الناس.

(٥) الكمأة اسم جنس جمعي واحدة كمء بغير تاء. وهو نبات صَحْرَاوِي.

(٦) ك ما ذكرنا.

وقوله: ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾.

قالوا إن معناه من هذه الطيبات، وقالوا أيضاً مما هو حلال لكم.

وقوله عز وجل: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾.

الرغد: الواسع الذي لا يُعْنِي.

وقوله: ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾ أُمِرُوا بِأَنْ يَدْخُلُوا سَاجِدِينَ.

﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾: معناه وقلوا مسألتنا حطة، أي حط ذنوبنا عنا، وكذلك القراءة^(١)، ولو قرئ حطة كان وجهها في العربية كأنهم قيل لهم، قولوا احْطُطْ عَنَّا ذُنُوبَنَا حِطَّةً. فحرفوا هذا القول وقالوا لفظة غير هذه اللفظة التي أُمِرُوا بِهَا، وجملة ما قالوا أنه أَمْرٌ عَظِيمٌ سَمَاهُمُ اللَّهُ بِهِ فَاسْقِينَ.

وقوله: ﴿نَغْفِرْ لَكُمْ﴾ جزم جواب الأمر، المعنى أن تقولوا ما أُمِرْتُمْ بِهِ نَغْفِرْ لَكُمْ خطاياكم، وقرأ بعضهم «نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ» والقراءة الأولى أكثر، فمن قال خطيئاتكم، فهو جمع خَطِيئَةٍ بِالْأَلْفِ والتاء، نحو سفينة وسفینات، وصحيفة وصحيفات، والقراءة كما وصفنا ﴿نَغْفِرْ لَكُمْ خطاياكم﴾، والأصل في خطايا - خطائي فتجمع همزتان تقلب الثانية ياءً فتصير خطائي، فاعِلٌ - مثل «حظاعي»^(٢) ثم يجب أن تقلب الياء والكسرة إلى الفتحة والألف - فتصير خطاءً، مثل حظاعاً، فيجب بأن تبدل الهمزة ياءً، لوقوعها بين ألفين، لأن الهمزة مجانسة للألفات فاجتمعت ثلاثة أحرف من جنس واحد، وهذا الذي ذكرناه مذهب سيبويه ولسيبيوه مذهب آخر أصله للخليل، وهو أنه زعم أن

(١) أي بالرفع.

(٢) مجرد كلمة للتمثيل لما آخره همزة قبلها حرف صحيح - وليس للكلمة معنى.

خطايا أصلها فعائل، فقلبت إلى فعآلى فكان الأصل عنده خطائي مثل خطائع - فاعلم - ثم قدمت^(١) الهمزة فصارت خطائي مثل خطاعي، ثم قلبت بعد ذلك على المذهب الأول - وهذا المذهب ينقص في الإعلال مرتبة واحدة، واللفظ يؤول في اللفظين خطايا.

وقوله عز وجل: ﴿فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزاً مِنَ السَّمَاءِ﴾ الرّجز العذاب وكذلك الرّجس - قال الشاعر^(٢).

كم رامنا من ذي عديدٍ مُبْزى حتى وقمنا كيده بالرجز
وقوله عز وجل: ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾.

أي تبديلهم ما أمروا به من أن يقولوا حطة. ويقال فسق يفسق ويفسق. ويفسق على اللغتين^(٣) وعليها القراء، ومعنى الفسق الخروج عن القصد والحق وكل ما خرج عن شيء فقد فسق إلا أنه خص من أمر الله بأن قيل فاسق، ولم يحتج إلى أن يقال فسق عن كذا، كما أنه يقال لكل من صدق بشيء هو مؤمن بكذا ويقال للمصدق بأمر الله مؤمن فيكفي، والعرب تقول فسقت الرطبة إذا خرجت عن قشرتها.

وقوله عز وجل: ﴿وَإِذْ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾.

موضع ﴿إِذْ﴾ نصب على ما تقدمه، كأنه قيل واذكر إذ استسقى موسى لقومه إلا أن ﴿إِذْ﴾ لا يظهر فيها الإعراب لأنها لا تتم إلا بأن توصل، وجميع ما

(١) كذا بجميع الأصول - وصحته فتحت الهمزة.

(٢) لرؤية ديوانه ٦٤، والمبزي المتفاخر - من تباذى تظاهر بما ليس عنده، ومبزر مذل مخز - كقوله

كذبتم ورب البيت يبزي محمد.

أي لا يخزي ولا يذل، والوقم - كبح الدابة. أي رددنا كيده. ووقفناه كما تصد الدابة الجامحة.

(٣) الضم والفتح. أي إن يفسق مضموم العين سواء ماضيه مفتوحاً أو مضموماً.

لا يتم من هذه المهمة إلا بصلة لا يعرب لأنه بعض اسم ولا يعرب إلا الاسم التام، ولكن إذ كُسرَت لالتقاء الساكنين، ومعنى استسقى، استدعى أن يُسقى قومه، وكذلك استنصرت استدعيت النصرة.

وقوله عز وجل: ﴿فَقُلْنَا أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾.

أكثر القراء «اثنتا عشرة» بإسكان الشين، ولغة أخرى «اثنتا عشرة» عينا - بكسر الشين - وقد قرأ بعض القراء عَشْرَةَ - على هذه اللغة، وكلاهما جيد بالغ - و«عينا» - نصب على التمييز، وجمع ما نصب على التمييز في العدد على معنى دخول التنوين، وإن لم يذكر في عشرة، لأن التنوين حذف ههنا مع الإعراب^(١) ومعنى قول الناس عندي عشرون درهماً معناه عندي عشرون من الدراهم، فحذف^(٢) لفظ الجمع - و«مِنْ» هذه التي خَلَصَ بها جنس من جنس وعبر الواحد عن معنى الجمع، فهذا جملة ما انتصب من العدد على التمييز.

وفي التفسير أنهم فَجَّرَ اللَّهُ لَهُمْ مِنْ حَجَرٍ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ عَيْنًا لاثْنَيْ عَشَرَ فريقاً، لكل فريق عين يشربون منها، تتفجر إذا نزلوا فإذا ارتحلوا غارت العين وحملوا الحجر غير متفجر منه ماء.

وقوله عز وجل: ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ﴾.

كان يتفجر لهم الماء من اثْنَيْ عَشَرَ موضعاً لا يختلف في كل منزل فيعلم كل أناس مشربهم.

وقوله عز وجل: ﴿وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾.

(١) عشرة في موضع الإضافة - لكنها مبنية على الفتح للتركيب.

(٢) في الأصل «فحذفت» أي الناس.

يقال عثا عثوا وعتوا. والعتو أشد الفساد^(١).

وقوله عز وجل: ﴿فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تَنْبِتُ الْأَرْضُ﴾.

يخرج مجزوم وفيه غير قول:

قال بعض النحويين المعنى سنله وقل له أخرج لنا يخرج لنا (هو)^(٢) وقال في قوله تعالى: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾^(٣) قالوا^(٤): المعنى قل لهم قولوا التي هي أحسن أن يقولوا. وقال قوم: معنى ﴿يخرج لنا﴾ معنى الدعاء كأنه قال: أخرج لنا، وكذلك ﴿قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة﴾^(٥) «المعنى قل لعبادي أقيموا»، ولكنه صار قبله «ادْعُ» و «قل»^(٦) فجعل بمنزلة جواب الأمر.

وكلا القولين مذهب، ولكنه على الجواب أجود لأن ما في القرآن من لفظ الأمر [الذي] ليس معه جازم - مرفوع قال الله - عز وجل - ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾. ثم جاء بعد تمام الآية ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ﴾ المعنى آمنوا بالله ورسوله وجاهدوا يغفر لكم^(٧).

(١) يقال عثا عثوا، وعتى عثوا. والفعل فيهما واوي اللام، ويأتي الفعل يائياً فيقال: عثى يعثى عثياً وعثياً وعثياناً. ونادراً يقال عثا يعثى - بفتح العين فيهما - ووجه ندرته أو شذوذه أنه ليست عينه ولا لامه حرفاً حلقياً. والآية من عثى يعثى عثوا. بوزن فهم. وهي اللغة الأجود في هذه المادة. أما عثا يعثو الواوي فيقال في إسناده لواو الجماعة: لا تعثوا. بضم ما قبل الواو، والفعل معناه أشد الإفساد.

(٢) ط فقط.

(٣) الإسراء ١٧/٥٣.

(٤) أعاد الضمير على بعض النحويين مرة مفرداً ومرة جمعاً.

(٥) إبراهيم ١٤/٣.

(٦) سبقه «ادع» في الآية التي معنا. وقُلْ في الآيتين الآخرين.

(٧) لكي نوضح هذه المسألة بعض التوضيح نذكر أنه من المقرر نحويًا أنه إذا وقع المضارع بعد طلب وليس به فاء، جزم الفعل، وذكر النحويون لهذا الجزم عللا مختلفة، وفي الآية التي معنا وأمثالها =

وقوله عز وجل: ﴿مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا﴾.

في القِثَاء لغتان، يقال القِثَاءُ والقِثَاءُ (يا هذا) ^(١) و (قد) ^(٢) قرأ بعضهم قِثَائِهَا بالضم، والأجود الأكثر وقِثَائِهَا بالكسر، وفومها: الفوم الحنطة، ويقال الحُبوب وقال بعض النحويين إنه يجوز عنده الفُومُ ههنا الثوم، وهذا ما لا يعرف أن الفوم الثوم، وههنا ما يقطع هذا ^(٣). محال أن يطلب القوم طعاماً لا بُرُّ فيه، والبرُّ أصل الغذاء كله، ويقال فوموا لنا، أي اخبزوا لنا. ولا خلاف عند أهل اللغة أن الفوم الحنطة، وسائر الحبوب التي تخبز يلحقها اسم الفوم.

وقوله عز وجل: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾.

يعني أن المن والسلوى أرفع من الذي طلبتم، و﴿أدنى﴾ القراءة فيه بغير الهمز ^(٤) وقد قرأ بعضهم «أدناً» بالذي هو خير، وكلاهما له وجه في اللغة إلا أن ترك الهمزة أولى بالاتباع. أما ﴿أدنى﴾ غير مهموز، فمعناه الذي هو أقرب

كالآيتين اللتين أوردهما المؤلف اختلفت تقديراتهم، لأن المضارع المجزوم في هذه الآيات لا يترتب على الأمر السابق عليه، مع أن شرط الجزم أن يقصد بالمضارع أنه جواب للطلب السابق، ففي هذه الآية لا يترتب على الدعاء إخراج الأرض، وفي الآيتين الآخرين لا يترتب على القول إقامة الصلاة ولا قول التي هي أحسن، ولا يصح أي منها مقولاً للقول. فمن النحويين من قدر فعلاً محذوفاً فجعل التقدير: قل لهم. أقيموا الصلاة يقيموا، وفي آيتنا: ﴿أدع لنا ربك﴾ قائلاً أخرج يخرج، ومنهم من قدر لام أمر محذوفة، فيكون التقدير، أدع ربك فليخرج وقل لهم فليقيموا الصلاة، وليقولوا التي هي أحسن، فيكون مقول القول محكياً بالمعنى.

وقد أورد المصنف رأيين، ورجح جزم الفعل في جواب الطلب، لأن المضارع إذا كان مقصوداً به الطلب وليس به لام لا يجزم وهذا حق إذا جرينا على أن الفعل المذكور هو الدال على الطلب أما إذا جرينا على أن الفعل الدال على الطلب محذوف فهذا المذكور جوابه.

(١) ليست في ك.

(٢) ليست في ك.

(٣) ما يبطل هذا القول.

(٤) همز آخره «أدناً».

وأقل قيمة، كما تقول، هذا ثوب مقارب، فأما الخسيس فاللغة فيه (أنه مهموز، يقال) (١) دنوء، دناءة، وهو دنيء بالهمزة، ويقال هذا أدنأ منه (بالهمزة) (٢)

وقوله عز وجل: ﴿اهْبُطُوا مِصْرًا﴾ الأكثر في القراءة إثبات الألف (٣). وقد قرأ بعضهم «اهبطوا مصر فإن لكم» بغير ألف، فمن قرأ مصرأ بالألف فله وجهان: جائز أن يراد بها مصرأ من الأمصار لأنهم كانوا في تيه، وجائز أن يكون أراد مصر بعينها، فجعل مصرأ اسماً للبلد. فصرف لأنه مذكر سمي مذكراً (٤) وجائز (٥) أن يكون مصر بغير ألف على أنه يريد مصرأ بعينها كما قال عز وجل:

﴿ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِينَ﴾ (٦). وإنما لم يصرف لأنه للمدينة فهو مذكر سمي به مؤنث (٧).

وقوله عز وجل: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ﴾.

﴿الذلة﴾: الصغار، ﴿والمسكنة﴾: الخضوع، واشتقاقه: من السكون، إنما يقال مسكين للذي أسكنه الفقر، أي قلل حركته.

وقوله جل وعز: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ﴾ ﴿وباءوا بغضب من الله﴾

(١) ط دنى ودناءة.

(٢) ليست في ك.

(٣) أي تنوين كلمة مصر.

(٤) ك «سمي به مذكر» والمراد أنه اسم لبلد مذكر وعلى أنه اسم لمدينة يجوز صرفه أيضاً، لأنه ثلاثي ساكن الوسط.

(٥) ك ومن قرأ بغير ألف فإنما يريد مصرأ بعينها.

(٦) يوسف ٩٩/٣١.

(٧) أي أن كلمة مصر اسم لأي مصر من الأمصار وأطلقت على مدينة بعينها.

يقال بؤت بكذا وكذا أي احتملته^(١).

وقوله جلّ وعزّ: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾.

(معنى)^(٢) ذلك واللّه أعلم الغضب حل بهم بكفرهم.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾.

القراءة المجمع عليها في النبيين والأنبياء والبرية طرح الهمزة، وجماعة من أهل المدينة يهزمون جميع ما في القرآن من هذا [فيقرأون] «النبيئين بغير حق والانبياء».

واشتقاقه من نبأ وأنبا أي أخبر.

والأجود ترك الهمزة، لأن الاستعمال يوجب أن ما كان مهموزاً من فعيل فجمعه فعلاء، مثل ظريف وظرفاء^(٣) ونبيء ونبآء. فإذا كان من ذوات الياء فجمعه أفعلاء، نحو غني وأغنياء، ونبي وأنبياء^(٤).

وقد جاء أفعلاء في الصحيح، وهو قليل، قالوا خميس وأخمساء وأخمس، ونصيب وأنصباء، فيجوز أن يكون نبي (من) أنبأت مما ترك همزه لكثرة الاستعمال، ويجوز أن يكون (من) نبأ ينبؤ إذا ارتفع، فيكون فعلاً من الرفع^(٥).

وقوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ

(١) يقال: باء بذنبه بوءا وبواء احتمله أو اعترف به، وباء بدمه أقر وباء دمه بدمه عدله والأصل باء بمعنى رجع، فتفسيره هنا بالاحتمال ليس عاماً.

(٢) ليست في ك.

(٣) أي يجمع على هذا الوزن، وظريف لا همز فيه وإنما هو وزن يقاس عليه - ومنه جريء، ووضيء وبريء.

(٤) وهو مطرد في الصحيح المضعف نحو شديد وأشداء وعزيز ولبيب وكفيف.

(٥) على الأول هو بمعنى مفعول وعلى الثاني بمعنى فاعل أي ذو رفعة.

آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم ﴿١﴾.

لا يجوز أن يكون لأحد منهم إيمان إلا مع إيمانه بالنبى ﷺ ودليل ذلك قوله عز وجل: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدَّوْا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾. والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد، وهو الحق من ربهم [كفر عنهم سيئاتهم] ﴿١﴾. فتأويله (٢) من آمن بالله واليوم الآخر وآمن بالنبى ﷺ فلهم أجرهم. وجاز أن يقال فلهم لأن من لفظها لفظ الواحد وتقع على الواحد والاثنين والجمع والتأنيث والتذكير، فيحمل الكلام على لفظها فيؤخذ ويذكر، ويحمل على معناها فيثنى ويجمع ويؤنث.

قال الشاعر (٣):

تعال فإن عاهدتني لا تخونني كن مثل من - يا ذئب - يضطجبان
وهادوا أصله في اللغة تابوا، وكذلك قوله عز وجل: ﴿أَنَا هَذَا إِلَيْكَ﴾ (٤)
أي «ثبنا إليك». وواحد النصارى قيل فيه قولان: قالوا يجوز أن يكون واحدهم
نصران (كما ترى) (٥) فيكون نصران ونصارى على وزن ندمان وندامى -

قال الشاعر:

(١) القتال ٤٧/١، ٢.

(٢) تأويل الآية التي معنا هنا.

(٣) الفرزدق أبو فراس همام بن غالب رأس الشعراء الأمويين توفي سنة ١١٠ هـ.

ورواية البيت في الديوان ٨٧٠ وفي المقاصد ١ - ٤٦ تعش وكذا في أمالي ابن الشجري ٢ - ٣١١:

وفي المغني ٦٤١، والبيت شائع متداول في كتب النحو - من قصيدة وصف فيها ذئباً جاء إلى ناره
ليلا فقدم له الفرزدق قطعة من شاة، ومنع أصحابه من طرده.

(٤) الأعراف ١٥٦/٧. وتفسير هادوا - بالتوبة إنما هو تفسير المعنى اللازم. إذا المعنى اللغوي لهاد هو
رجع - وهادنا إليك: رجعنا إليك بالتوبة.

(٥) ليست بالأصل.

فَكَلَّتَاهُمَا خَرَّتْ وَأَسْجَدَ رَأْسُهَا كَمَا سَجَدَتْ نَصْرَانَةٌ لَمْ تَحْنُفِ^(١)

فنصرانة تأنيث نصرانٍ، ويجوز أن يكون النصرارى واحدهم نصرى مثل
بعير مَهْرِي، وإبل مَهَارِي. ومعنى ﴿الصابئين﴾ الخارجين من دين إلى دين،
يقال صبا فلان إذا خرج من دينه - يصبأ - يا هذا - ويقال صبأت النجوم إذا
ظهرت وصبأ نابه إذا خرج.

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

القراءة الجيدة الرفع، وكذلك إذا كررت «لا» في الكلام قلت لا رجلٌ
عندي ولا زيدٌ، و ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ﴾^(٢) وإن قرئ فلا
خوفَ عليهم فهو جيد بالغ الجودة وقد قرئ به.

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾.

المعنى واذكروا إذ أخذنا ميثاقكم، والطور ههنا الجبل ومعنى أخذنا
ميثاقكم: يجوز أن يكون ما أخذه الله عَزَّ وَجَلَّ حين أخرج الناس كالذر،
ودليل هذا قوله: ﴿وَإِذْ تَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ﴾^(٣) ثم قال من بعد تمام
الآية: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ فهذه الآية كالأية التي
في البقرة. وهو أحسن المذاهب فيها، وقد قيل أن أخذ الميثاق هو ما أخذ،
الله من الميثاق على الرسل ومن اتبعهم، ودليله قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ
مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ
لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾^(٤) فالأخذ على النبيين - صلى الله عليهم وسلم - الميثاق يدخل

(١) هو أبو الأحرز الحماني - يصف ناقتين مجهودتين من السير حتى كلتا وانحنى رأساهما اعياء.

اللسان (حنف) سيبويه ٢٧/٢، ١٠٢ باريس.

(٢) الصافات ٢٣ - ٤٧.

(٣) الأعراف ٧ - ١٧١ - ١٧٢.

(٤) آل عمران ٣ - ٨١.

فيه من أتبعهم، ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾ أي جثناكم بآية عظيمة، وهي أن الطور - وهو الجبل - رُفِعَ فوقهم حتى أظلمهم وظنوا أنه واقع بهم، فأخبر الله بعظم الآية التي أروها بعد أخذ الميثاق. وأخبر بالشيء الذي لو عذبهم بعده لكان عدلاً^(١) في ذلك، ولكنه جعل لهم التوبة بعد ذلك وقال ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾ من بعد ذلك أي من بعد الآيات العظام. ﴿فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾.

أي لولا أن من الله عليكم بالتوبة بعد أن كفرتم مع عظيم هذه الآيات ﴿لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

وقوله عز وجل: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾.

موضع ما نصب، و﴿ما آتيناكم﴾ هو الكتاب الذي هو التوراة ومعنى خذوه بقوة، أي خذوه بجِدٍ واتركوا الريب والشك لما بان لكم من عظيم الآيات.

وقوله عز وجل: ﴿وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ﴾ معناه اذْكُرُوا ما فيه وجاز في اللغة أن تقول خذ وخذاً، وأصله أَوْ خُذْ وكذلك «كل» أصله أَوْكَل، ولكن خُذْ وكُلْ اجتمع فيهما كثرة الاستعمال والتقاء همزتين وضمة، فحذفت فاء الفعل وهي الهمزة التي كانت في أخذ وأكل فحذفت لِمَا وصفنا من كثرة الاستعمال واجتماع ما يستقلون.

وقوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ﴾.

معنى ﴿علمتم﴾ هنا عرفتُم، ومثله قوله عز وجل ﴿لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾^(٢) ومعناه لا تعرفونهم الله يعرفهم، ومعنى ﴿اعتدوا﴾ ظلموا وجاوزوا ما حُدَّ لَهُمْ، كانوا أمروا ألا يصيدوا في السبت، وكانت الحيتانُ تَجْتَمِعُ لأمْنِها في

(١) أخبرهم بإعراضهم بعد هذه الآيات - ومع ذلك تفضل عليهم فلم يعاقبهم، ولو أنه أنزل عليهم عذاباً لكان ذلك جزاء عادلاً.

(٢) الأنفال ٨ - ٦٠.

السبت، فحبسوها في السبت وأخذوها في الأحد، فعدوا في السبت لأن صيدهم^(١) منعها من التصرف، فجعل الله جزاءهم في الدنيا - بعدما أراهم من الآيات العظام بأن جعلهم قردة خاسئين، معنى خاسئين مُبْعِدِينَ يقال - خَسَأْتُ الكلب أخسؤه خَسْأً أي بَاعَدْتَهُ وطرَدْتَهُ، وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا﴾.

«ها» هذه تعود على الأمة التي مسخت ويجوز أن يكون للفعلة^(٢) ومعنى ﴿لما بين يديها﴾ يحتمل شيئين من التفسير: يحتمل أن يكون ﴿لما بين يديها﴾ لما أسلفت من ذنوبها، ويحتمل أن يكون ﴿لما بين يديها﴾ للأمم التي تراها^(٣) ﴿وما خلفها﴾ ما يكون بعدها، ومعنى قولك نَكَلْتُ به، إني جعلت غيره يَنْكُلُ أن يفعل مثل فعله، فينال مثل الذي ناله.

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ أي يتعظ^(٤) [بها] أهل التقوى فيلزمون ما هم عليه.

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ المعنى واذكروا إذ قال موسى لقومه، أمروا بذبح بقرة يضرب ببعضها قتيل تشاجروا فيمن قتلته، فلم يعلم قاتله، فأمر الله عَزَّ وَجَلَّ بِضَرْبِ المقتول بعضو من أعضاء البقرة، رزعموا في التفسير أنهم أمروا أن يضربوه بالفخذ اليمنى، أو الذنب، وأحب الله تعالى أن يُرِيَهُمْ كيف إحياء الموتى، وفي هذه الآية، احتجاج على مشركي العرب لأنهم لم يكونوا مؤمنين بالبعث، فأعلمهم النبي ﷺ هذا الخبر الذي لا يجوز أن يعلمه إلا مَنْ قرأ الكُتُبَ أو أوحى إليه، وقد علم المشركون

(١) في ك صيدها. المعنى أن حبسهم الحيتان صيد لأنهم منعوها من الهرب.

(٢) المسخفة التي أصابتهم.

(٣) المعاصرة لهم في هذا الوقت.

(٤) في ك يتعظها أي يتعظ بها.

أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أُمِّيٌّ وَأَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ يَعْلَمُونَ^(١) - وَهُمْ يَخَالِفُونَهُ - أَنْ مَا أَخْبَرَ بِهِ مِنْ هَذِهِ الْأَقَاصِيصِ حَقٌّ .

﴿قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ ، فانتفى موسى من الهِزْوِ^(٢) ، لِأَنَّ الْهَازِيَّ جَاهِلٌ لَاعِبٌ فَقَالَ : ﴿أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ فَلَمَّا وَضَحَ لَهُمْ أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴿قَالُوا اذْعُ لَنَا رَبِّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ﴾ وَإِنَّمَا سَأَلُوا مَا هِيَ لِأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ بَقْرَةَ يَحْيَا بَضْرَبَ بَعْضُهَا مَيِّتٌ .

﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بَكْرٌ﴾ .

ارْتَفَعَ ﴿فَارِضٌ﴾ بِإِضْمَارِ هِيَ^(٣) وَمَعْنَى ﴿لَا فَارِضٌ﴾ : لَا كَبِيرَةٌ ، ﴿وَلَا بَكْرٌ﴾ [لَا صَغِيرَةٌ] . أَيِ لَيْسَتْ بِكَبِيرَةٍ وَلَا صَغِيرَةٍ ، ﴿عَوَانٌ﴾ وَالْعَوَانُ دُونَ الْمُسِنَّةِ وَفَوْقَ الصَّغِيرَةِ ، وَيُقَالُ مِنَ الْفَارِضِ فَرَضْتُ تَفْرِضُ فُرُوضًا وَمِنَ الْعَوَانِ قَدْ عَوَّنتُ تَعَوَّنَ ، وَيُقَالُ حَرْبُ عَوَانٍ ، إِذَا لَمْ تَكُنْ أَوَّلَ حَرْبٍ ، وَكَانَتْ ثَانِيَةً ، قَالَ زَهِيرٌ :

إِذَا لَقِحتْ حَرْبُ عَوَانٌ مُضِرَّةٌ ضُرُوسٌ تَهْزِ النَّاسَ ، أَنْبِأُهَا صُغْلٌ^(٤)

وَمَعْنَى ﴿يُبَيِّنُ ذَلِكَ﴾ بَيْنَ الْبَكْرِ وَالْفَارِضِ ، وَبَيْنَ الصَّغِيرَةِ وَالْكَبِيرَةِ وَإِنَّمَا جَازَ بَيْنَ ذَلِكَ ، وَ «بَيْنَ» لَا يَكُونُ إِلَّا مَعَ اثْنَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ لِأَنَّ ذَلِكَ يَنْبَغُ عَنِ الْجُمْلِ ، فَتَقُولُ ظَنَنْتُ زَيْدًا قَائِمًا ، فَيَقُولُ الْقَائِلُ «ظَنَنْتُ ذَلِكَ»^(٥) .

وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿اِذْعُ لَنَا رَبِّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْثُهَا﴾ .

(١) فِي ط ، ب يَعْلَمُونَ ذَلِكَ . وَأَثَرُنَا رَوَايَةُ لُ . لِأَنَّ الْمَفْعُولَ مَذْكُورَ وَلَا سِتْقَامَةَ الْمَعْنَى .

(٢) تَبَرَّأَ مِنْهُ وَاسْتَعَاذَ بِاللَّهِ .

(٣) فَارِضٌ خَيْرٌ لَا وَالْأَسْمَ مَحْذُوفٌ . وَ «لَا» لَيْسَتْ عَامِلَةٌ .

(٤) دِيَوَانُهُ ١١٢ ، لَقِحتْ النَّاقَةَ حَمَلَتْ . وَلَقِحتْ الْحَرْبَ شَبَتَ . وَالْحَرْبُ الْعَوَانُ الَّتِي تَتَكَرَّرُ ،

وَتَشَبَّ بَعْدَ أَنْ كَانَتْ هَدَأَتْ . وَالضُّرُوسُ الْعِنْفَةُ الَّتِي تَطْحَنُ الْمُتَحَارِبِينَ وَتَنْهَكُهُمُ وَالْأَنْبِابُ

الصُّغْلُ الطَّوِيلَةُ . وَصَفَ الْحَرْبَ بِالطَّوْلِ وَالْعِنْفِ ، وَأَنَّهَا رَهِيَّةٌ مَخِيفَةٌ .

(٥) لُ قَدْ ظَنَنْتُ ذَاكَ وَقَدْ ظَنَنْتُ ذَلِكَ .

موضع ﴿ما﴾ رفع [بلا ابتداء] لأن تأويله الإستفهام كَقَوْلِكَ: أدع لنا ربك يبين لنا أي شيء لونها ومثله ﴿فليُنْظَر أَيُّهَا أَرْكَى طَعَاماً﴾^(١). ولا يجوز في القراءة ﴿أدع لنا ربك يبين لنا ما لونها﴾، على أن يجعل ﴿ما﴾ لغواً^(٢) ولا يقرأ القرآن إلا كما قرأت القراء المجمع عليهم في الأخذ عنهم^(٣).

﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا﴾: ما بعد القول من باب إن مكسور أبداً، كأنك تذكر القول في صدر كلامك، وإنما وقعت قلت في كلام العرب أن يحكى بها ما كان كلاماً يقوم بنفسه قبل دخولها فيؤدي مع ذكرها ذلك اللفظ، تقول: قلت زيداً منطلقاً. كأنك قلت: زيد منطلق، وكذلك إن زيداً منطلقاً، لا إختلاف بين النحويين في ذلك، إلا أن قوماً من العرب، وهم بنو سليم يجعلون باب قلت أجمع كباب ظننت، فيقولون: قلت زيداً منطلقاً، فهذه الغة^(٤) لا^(٥) يجوز أن يوجد شيء منها في كتاب الله عز وجل، ولا يجوز قال أنه يقول إنها^(٦)، لا يجوز إلا الكسر.

وأما قوله عز وجل: ﴿صَفَرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا﴾ فاقع نعت للأصفر الشديد الصفرة، يقال أصفر فاقع^(٧) وأبيض ناصع وأحمر قان، قال الشاعر:^(٨)

يَسْقِي بِهَا ذُو تَوَمْتَيْنِ كَأَنَّمَا قَنَأْتُ أَنَامِلَهُ مِنَ الْفَرَصَادِ

(١) الكهف ١٩ - ١٩. (٢) فينصب لونها.

(٣) ك المجمع على الأخذ عنهم.

(٤) ك وهذه.

(٥) ك لا يوجد، ط لا يوجد منها في كتاب الله.

(٦) ط لا يجوز أنها بفتح أن.

(٧) في جميع النسخ أصفر ناصع.

(٨) الأسود بن يعفر - اللسان «قنا» وقنا اشتدت حمرة، وانتومة اللؤلؤة أو الدرة. والفرصاد صبغ أحمر.

وفي اللسان - توم - البيت للأشعث بن سهم وهو في شواهد المغني ص ١٣٨ منسوباً للأسود.

أنظر أخبار الأسود في الأغاني ١١ - ١٢٩ والخزانة ١ - ١٩٠ - ويروى يسقى.

أي احمرت حمرة شديدة، ويقال أحمر قاتم وأبيض يقق، وَلَهَقَ وَلَهَاقَ،
وَأَسْوَدَ حَالِكٌ، وَحَلُّوكٌ وَحَلُوكِيٌّ وَدَجُوجِيٌّ، فهذه كلها صفات مبالغة في
الألوان، وقد قالوا إِنْ صَفَرَاءَ ههنا سوداء.

ومعنى ﴿تَسْرُّ النَّاظِرِينَ﴾ أي تعجب الناظرين.

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ﴾.

معناه ليست بذلول ولا مثيرة، وقوله: ﴿وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ﴾ يقال: سقيته
إِذَا نَاولته فشرب، وَأَسْقِيته جعلت له سقياً، فَيَصِحُّ ههنا وَلَا تُسْقِي بِالضَّمِّ.

وقوله: ﴿لَا شَيْءَ فِيهَا﴾.

أي ليس فيها لون يفارق لونها، وَالْوَشْيُ في اللغة خلط لون بلون
وكذلك في الكلام، يقال وَشَيْت الثوب أَشْبَهَ شَيْئاً وَوَشَيْتاً، كَقَوْلِكَ وَدَيْتَ فُلَاناً
أَدْبَاهُ دَيْتاً، وَنَصَبَ ﴿لَا شَيْءَ﴾ فيه على النقي، وَلَوْ قَرِئَ لَا شَيْءَ فِيهَا لَجَازَ، ولكن
القراءة بالنصب.

وقوله: ﴿الآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ﴾.

فيه أربعة أَوْجُهٍ حكى بعضها الْأَخْفَشُ: فَأَجُودَهَا «قالوا الآن» بإسكان
اللام وحذف الواو من اللفظ، وزعم الْأَخْفَشُ أنه يجوز قطع ألف الوصل ههنا
فيقول:

قالوا: ﴿الآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ﴾ وهذه رواية، وليس له وجه في القياس^(١) ولا
هي عندي جائز، ولكن فيها وجهان غير هذين الوجهين: وهما جيدان في
العربية، يجوز «قالوا لأن» على إلقاء الهمزة^(٢)، وفتح اللام من الآن، وترك

(١) ك: وليس له في القياس وجه: أي ليس للأخفش وجه يقيس عليه.

(٢) في هذا الوجه تحذف همزة الوصل فتحذف الواو ولالتقاءها ساكنة مع اللام وتخفف اللام بالفتح
ولكن لا ترد الواو.

الواو محذوفة لالتقاء الساكنين، ولا يعتد بفتحة اللام. ويجوز: «قالوا لان جيت بالحق»^(١) ولا أعلم أحداً قرأ بها، فلا يَقْرَأَنَّ بحرف لم يقرأ به وإن كان ثابتاً في العربية.

والذين أظهروا الواو أظهروها لحركة اللام لأنهم كانوا حذفوها لسكونها، فلما تحركت ردها. والأجود في العربية حذفها لأن قرأ «ب تقول» «الأحمر» ويلقون الهمزة فيقولون «لَحْمَر» فيفتحون اللام ويقرأون ألف الوصل لأن اللام في نية السكون، وبعضهم يقول - «لَحْمَر» ولا يُقْرَأُ ألف الوصل يريد الأحمر.

فأما نصب «الآن» فهي حركة لالتقاء الساكنين^(٢)، ألا ترى إنك تقول: أنا الآن أكرمك، ومن الآن فعلت كذا وكذا، وإنما كان في الأصل مبنياً^(٣) وحرك لالتقاء الساكنين، وبني [الآن] وفيه الألف واللام، لأن الألف واللام دخلتا بعهد غير متقدم. إنما تقول الغلام فعل كذا [إذا] عهده أنت ومخاطبتك، وهذه الألف واللام تنويان عن معنى الإشارة، المعنى أنت إلى هذا الوقت تفعل، فلم يعرب الآن كما لا يعرب هذا^(٤).

وقوله عز وجل: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا﴾.

معناه^(٥) فَدَّارَأْتُمْ فيها، أي تدافعتم، أي ألقى بعضكم على بعض، يقال درأت فلاناً إذا دأفَعْتُهُ، ودَارَيْتُهُ إذا لايتته، ودَرَيْتُهُ إذا خَتَلْتُهُ، ولكن التاء أدغمت في الدال لأنها من مخرج واحد، فلما أدغمت سكنت فاجتلبت لها ألف الوصل، فتقول: ادارأ القوم أي تدافع القوم.

(١) في هذا الوجه تبقى الواو ولا تحذف.

(٢) يقصد حركة اللام من الآن.

(٣) أي ساكناً.

(٤) هذا رأي له ولبعض النحويين وجمهورهم أن «الآن» ظرف معرب ناقص التصرف.

(٥) ك معنى فادارأتم: فتدارأتم.

وقوله عز وجل: ﴿مُخْرَجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾.

الأجود في «مخرج» التنوين لأنه إنما هو لما يستقبل أو للحال، ويجوز حذف التنوين^(١) استخفافاً فيقرأ، مخرج ما كنتم تكتُمون، فإن كان قرئ به وإلا فلا يخالف القرآن كما شرحنا.

وقوله عز وجل: ﴿إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهُ عَلَيْنَا﴾^(٢).

القراءة في هذا على أوجه، فأجودها والأكثر «تَشَابَهُ عَلَيْنَا» على فتح الهاء والتخفيف، ويجوز «تَشَابَهُ عَلَيْنَا، وَيَشَابَهُ عَلَيْنَا - بالتاء والياء، وقد قرئ «إِنَّ الْبَاقِرَ يَشَابَهُ عَلَيْنَا» والعرب تقول في جمع البقر والجمال. الباقِر والجمال، يجعلونه اسماً للجنس، قال طرفة بن العبد: (٣)

وجاملٍ خَوْعٍ مِنْ نَيْبِهِ زَجَرُ الْمُعَلَّى أَصْلاً وَالسَّفِيحِ

ويروي «مِني به» وهو أكثر الرواية، وليس بشيء، وقال الشاعر:

ما لي رأيتك بعد عهدك موحشاً خَلَقاً كحوض الباقِر المتهدم^(٤)

وما كان مثل بقرة وبقر، ونخلة ونخل، وسحابة وسحاب، فإن العرب

(١) في ب، وط. النون.

(٢) كان ينبغي أن تذكر هذه الآية قبل ذلك، ولكن جاءت هكذا في جميع النسخ. والزجاج يفعل ذلك كثيراً. إذ يؤخر آية أو آيات عن موضعها.

(٣) طرفة بن العبد من بكر بن وائل - ربعي نبغ شاباً ومات شاباً وقد جرؤ على الهجاء من صغره حتى هجا الملك عمرو بن هند فدبر قتله في قصص معروف - والبيت في اللسان (جل) والخزانة ١ - ٤١٤ وملحق الستة ١٨٣.

الجمال الجمال - وخوع أضعف. النيب جمع ناب الجمل الذي انشق نابه والمعلي والسفيح: الإزلام تضرب لاستطلاع شأن السفر - يعني أن إبله هزلت لكثرة أسفاره. وأعاد الضمير مذكراً للاسم. - والإزلام تضرب عند إرادة السفر.

(٤) يريد أنه هزل وذهب حسن منظره، فأصبح واهناً كالحوض الذي هدمته الأبقار بكثرة الشرب منه.

تذكره، وتؤنثه، فتقول هذا بقر وهذه بقر، وهذا نخل وهذه نخل. فمن ذكر فلأن في لفظ الجمع أن يعبر عن جنسه فيقال: فتقول هذا جمع، وفي لفظه أن يعبر عن الفرقة والقطعة، فتقول هذه جماعة وهذه فرقة - قال الله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ﴾ (١) فذكر، وواحدته سحابة، وقال: ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ﴾ (٢) فجمع على معنى جماعة، ولفظها واحد. فمن قرأ ﴿إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهُ عَلَيْنَا﴾ فمعناه أن جماعة البقر تتشابه علينا، فأدغم التاء في الشين لقرب مخرج التاء من الشين، ومن قرأ تَشَابَهُ عَلَيْنَا، أراد تشابهه فحذف التاء الثانية لاجتماع تائين كما قرئ ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ومن قرأ يَشَابَهُ عَلَيْنَا - بالياء - أراد جنس البقر أيضاً، والأصل يَتَشَابَهُ عَلَيْنَا، فأدغم التاء في الشين.

وقوله عز وجل: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾.

تأويل ﴿قَسَتْ﴾ في اللغة غلظت وبيست وصلبت (٣) فتأويل القسو في القلب ذهاب اللين والرحمة والخضوع والخشوع منه، ومعنى ﴿من بعد ذلك﴾ أي من بعد إحياء الميت لكم بعضو من أعضاء البقرة، وهذه آية عظيمة كان يجب على من يشاهدها - فشاهد بمشاهدتها من قدرة عز وجل ما يزيل كل شك - أن يلين قلبه ويخضع (٤)، ويحتمل أن يكون ﴿من بعد ذلك﴾ من بعد إحياء الميت والآيات التي تقدمت ذلك نحو مسح القردة والخنازير ونحو رفع الجبل فوقهم، ونحو أن يجاس الماء من حجر يحملونه معهم، وإنما جاز ﴿ذلك﴾ وهؤلاء

(١) سورة النور ٢٤ - ٤٢.

(٢) سورة ق ٥٠ - ١٠.

(٣) في ك غلظت وبيست وعتت فتأويله ذهاب اللين والرحمة من القلب.

(٤) هذه عبارة ك. وفي النسخ الأخرى - كان يجب على من شاهد أن يؤمن بها فشاهد الخ. آثرنا هذه لتفادي ذكر مفعولين مختلفين.

الجماعة مخاطبون، ولم يقل ذلكم - ولو قال ذلكم كان جيداً^(١) - «وإنما جاز أن تقول للجماعة بعد ذلك وبعد ذلكم»^(٢) لأن الجماعة تؤدي عن لفظها الجميع والفريق، فالخطاب في لفظ واحد، ومعنى جماعة.

وقوله عز وجل: ﴿فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدَّ قَسْوَةً﴾.

وقد روي ﴿أَوْ أَشَدَّ قَسْوَةً﴾ ومعنى تشبيه القسوة بالحجارة قد بيناه، ودخول «أو» ههنا لغير معنى الشك ولكنها «أو» التي تأتي للإباحة^(٣) تقول: الذين ينبغي أن يؤخذ عنهم العلم الحسن أو ابن سيرين، فلست بشاك، وإنما المعنى ههنا: هذان أهل أن يؤخذ عنهما العلم، فإن أخذته عن الحسن فأنت مصيب، وإن أخذته عن ابن سيرين فأنت مصيب، وإن أخذته عنهما جميعاً فأنت مصيب، فالتأويل أعلموا أن قلوب هؤلاء إن شبهتم قسوتها بالحجارة فأنت مصيبون أو بما هو أشد فأنت مصيبون ولا يصلح أن تكون أو ههنا بمعنى الواو. وكذلك قوله: ﴿مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً... أَوْ كَصَيِّبٍ﴾، أي إن مثلتهم بالمستوقد فذلك مثلهم، وإن مثلتهم بالصَّيْب فهو لهم مثل وقد شرحناه في مكانه شرحاً شافياً كافياً إن شاء الله^(٤).

فمن قرأ ﴿أشد قسوة﴾ رفع أشد بإضمار هي كأنه قال: أو هي أشد قسوة، ومن نصب ﴿أو أشد قسوة﴾ فهو على خفض في الأصل بمعنى الكاف، ولكن أشد أفع لا ينصرف لأنه على لفظ الفعل، وهو نعت ففتح وهو في

(١) ك جيداً بالغاً.

(٢) عبارة لا حاجة إليها قد تقدمت.

(٣) الأقرب أنها هنا للإضراب: أي كالحجارة بل هي أشد.

(٤) تقدم هذا الشرح عند آية أو كصيب من السماء ص ٩٦. وليس المراد هنا أن قلوبهم أما مثل الحجارة وإما أشد. بل الأخبار أنها أقسى من الحجارة، بدليل الآية التالية. وما قرره ص ١٣٠. في الصفحة التالية.

موضع جر - ويجوز في قوله تعالى ﴿فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ﴾ ﴿فَهِيَ﴾ كالحجارة - بإسكان الهاء - لأن الفاء مع هي قد جَعَلَتْ الكلمة بمنزلة فخذ^(١)، فتحذف الكسرة استقلاً، وقد روى بعض النحويين أنه يجوز في «هي» الإسكان في الباء من «هي» ولا أعلم أحداً قرأ بها، وهي عندي لا يجوزُ إسكانها ولا إسكان الواو في هو، لا يجوز «هوربكم» وقد روى الإسكان بعض النحويين وهو رديء لأن كل مضمون فحرته - إذا انفرد - الفتح، نحو أنا ربكم، فكما لا تسكن نون أنا لا تسكن هذه الواو.

وقوله عز وجل: ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ﴾.

بين عز وجل كيف كانت قلوبهم أنها أشد قسوة وأصلب من الحجارة وأعلم أن الحجارة تتفجر منها الأنهار، ومنها ما يشقُّ فيخرج منه الماء يعني العيون التي تخرج من الحجارة ولا تكون أنهاراً، ومنها ما يهبط من خشية الله^(٢) فقالوا إن الذي يهبط من خشية الله نحو الجبل الذي تجلى الله له حين كلم موسى عليه السلام، وقال قوم إنها أثر الصنعة التي تدل على أنها مخلوقة، وهذا خطأ، لأن ليس منها شيء ليس أثر الصنعة بينا في جميعها^(٣) وإنما الهابط منها مجعول فيه التميز كما قال عز وجل: ﴿لَوْ أَنزَلْنَاهُ الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾^(٤) وكما قال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ﴾. ثم قال: ﴿وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ﴾^(٥) فأعلم أن ذلك

(١) جعلت بمنزلة كلمة واحدة وسطها حرف حلقى.

(٢) لم يذكر النص القرآني. إنما فسر مضمونه - والآية هي:

﴿وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَشْقُقُ فَيُخْرِجُ مِنْهُ الْمَاءَ وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾.

(٣) جملة غير جيدة لخلو الخبر من الرابط - والأصل ليس شيء، منها ليس أثر الصنعة بينا فيه - أي

كل الحجارة بها أثر الصنعة.

(٤) الحشر ٥٩ - ٢١.

(٥) الحج ٢٢ - ١٨.

تميز أراد الله منها، ولو كان يراد بذلك الصنعة لم يقل وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب، لأن أثر الصنعة شامل للمؤمن وغيره.

وقوله عز وجل: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ﴾.

هذه الألف الف استخبار، وتجري في كثير من المواضع مجرى الإنكار والنهي إذا لم يكن معها نفي، كأنه أيّسهم من الطمع في إيمان هذه الفرقة من اليهود، فإذا كان في أول الكلام نفي، فإنكار النفي تثبيت نحو قوله عز وجل: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ قَالُوا بَلَىٰ﴾. «فجواب» ﴿أَفَتَطْمَعُونَ﴾ «لا» كما وصفنا^(١).

وقوله عز وجل: ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾.

يروي في التفسير أنهم^(٢) سمعوا كلام الله لموسى عليه لسلام فحرفوه فقل في هؤلاء الذين شاهدتهم النبي ﷺ أنهم كفروا وحرفوا فلهم سابقة في كفرهم.

وقوله عز وجل: ﴿وَإِذَا خَلَا بِعَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾.

المعنى أخبرونهم بأن النبي ﷺ ذكره موجود في كتابكم وصفته^(٣).

﴿ليحاجوكم به عند ربكم﴾ أي لتكون لهم الحجة في إيمانهم بالنبي ﷺ عليكم، إذ كنتم مُقَرَّرِينَ به تخبرون بصحة أمره من كتابكم فهذا بين حجته عليكم عند الله.

(١) لأنه لا نفي مع الاستفهام، فلا يجوز استعمال بلى.

(٢) في ك يسمعون.

(٣) ك صفته، وبقية النسخ.. «وصفه».

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أي أفلا تعقلون حجة الله عليكم في هذا.

وقوله عز وجل: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ﴾.

معنى الأمي في اللغة المنسوب إلى ما عليه جيلة أمته، أي لا يكتب فهو في أنه لا يكتب - على ما ولد عليه، وارتفع ﴿أُمِّيُونَ﴾ بالابتداء و﴿مِنْهُمْ﴾ الخبر^(١) ومن قول الأخفش يرتفع أميون بفعلهم، كان المعنى واستقر منهم أميون^(٢).

ومعنى ﴿إِلَّا أَمَانِي﴾ قال الناس في معناه قولين: قالوا معناه لا يعلمون الكتاب إلا تلاوة، كما قال عز وجل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾^(٣). أي إذا تلا ألقى الشيطان في تلاوته. وقد قيل الأمانى أكاذيب العرب، تقول أنت إنما تتمنى هذا القول أي تَخْتَلِّقُهُ.

ويجوز أن يكون أمانى منسوباً إلى القائل إذا قال ما لا يعلمه فكأنه إنما يتمناه، وهذا مستعمل في كلام الناس، تقول للذي يقول ما لا حقيقة له وهو يُحِبُّه: هذا مُنَى، وهذه أُمْنِيَّةٌ.

وفي لفظ أمانى وجهان: العرب تقول هذه أمان وأمانى - يا هذا - بالتشديد والتخفيف، فمن قال أمانى بالتشديد فهو مثل أُحْدُوثة وأحاديث، وقرقرة وقرابير^(٤)، ومن قال أمان بالتخفيف [فهو مما] اجتمعت فيه الياء أكثر لثقل الياء،

(١) إعراب غير جيد لأن المعنى حينئذ الأميون منهم وهذا ليس بشيء إنما صحته أن يكون «منهم» هي المبتدأ «أميون» هي الخبر ومن اسم بمعنى بعض والمعنى بعضهم أميون، ومثله «ومن الناس من يقول آمنا ومنهم الفاسقون».

(٢) أي أن الأخفش يجاري الكوفيين في هذا الإعراب.

(٣) الحج ٥٢/٢٢.

(٤) نوع من السفن أو هي العظيمة.

والعرب تقول في أثفية أثافي وأثاف، والتخفيف أكثر لكثرة استعمالهم أثاف،
والأثافي الأحجار التي تجعل تحت القدر.

وقوله عز وجل: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ﴾.

الويل في اللغة كلمة يستعملها كل واقع في هلكة - وأصله في العذاب
والهلاك، وارتفع ويل بالابتداء وخبره ﴿لِلَّذِينَ﴾ ولو كان في غير القرآن لجاز فويلاً
للذين على معنى جعل الله ويلاً للذين^(١)، والرفع على معنى ثبوت الويل ﴿لِلَّذِينَ
يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾.

يقال إن هذا في صفة النبي ﷺ، كتبوا صفته على غير ما كانت عليه في
التوراة، ويقال في التفسير أنهم كتبوا صفته أنه آدم طويل، وكانت صفته فيها أنه
آدم ربعة^(٢)، فبدّلوا فالزمهم الله الويل بما كتبت أيديهم ومن كسبهم على ذلك^(٣)،
لأنهم أخذوا عليه الأموال وقبلوا الهدايا.

وقوله عز وجل: ﴿لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً﴾.

﴿تمسنا﴾ نصب بلن، وقد اختلف النحويون في علة النصب بلن، فرؤي عن
الخليل قولان أحدهما أنها نصبت كما نصبت «أن» وليس ما بعدها بصلة لها^(٤)، لأن
«لَنْ يَفْعَلَ»، نفي «سيفعل» فقدم^(٥) ما بعدها عليها، نحو قولك زيداً لن

(١) على هذا التقدير هي مفعول به، والأولى أن يقدر فعل مناسب يجعلها مفعولاً مطلقاً مثل
أعذب وأتوعد ونحوه.

(٢) ليس بالطويل ولا بالقصير.

(٣) أي بسبب كسبهم على ذلك قال: وويل لهم مما يكسبون.

(٤) لا تؤول معه مصدراً كما تؤول «أن».

(٥) فجاز في الكلام تقديمه.

أضرب، كما تقول زيداً لم أضرب، وقد روى سيويه عن بعض أصحاب الخليل عن الخليل أنه قال: الأصل في «لن» لا أن ولكن الحذف وقع استخفافاً، وزعم سيويه أن هذا ليس بجيد، لو كان كذلك لم يجوز زيداً لن أضرب^(١)، وعلى مذهب سيويه جميع النحويين وقد حكى هشام^(٢) عن الكسائي في «لن» مثل هذا القول الشاذ عن الخليل. ولم يأخذ به سيويه، ولا أصحابه.

ومعنى «أَيَّاماً مَعْدُودَةً» قالوا إِنَّمَا نُعَذِّبُ لَأَنَّا عَبْدْنَا الْعَجَلَ أَيَّاماً قِيلَ فِي عِدِّهَا قَوْلَانِ، قِيلَ سَبْعَةُ أَيَّامٍ وَقِيلَ أَرْبَعُونَ يَوْمًا، وهذه الحكاية عن اليهود، هم الذين قالوا: «لَنْ تَمْسَنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُودَةً».

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: «قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا» بقطع الألف هي تقرأ على ضربين: أَتَّخَذْتُمْ - بتبيين الدال، وَاتَّخَذْتُمْ بِإِدْغَامِ الدال في التاء^(٣)، والألف قطع لأنها أَلِفُ اسْتِفْهَامٍ وتقرير.

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: «عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا» المعنى عهد الله إليكم في أنه لا يعذبكم إلا هذا المقدار.

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: «فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ».

أي إن كان لكم عهد فلن يخلفه الله، أم تقولون على الله ما لا تعلمون

(١) لأن مفعول المنصوب بأن لا يتقدم على الفعل (الصبان على الأسموني ٣ - ١٨٢).

(٢) هشام بن معاوية الضرير - من مشهوري أصحاب الكسائي له مؤلفات نحوية مفيدة توفي سنة ٢٠٩ هـ البغية ٤٠٩.

(٣) تقلب الدال دالاً ثم تدغم الدال في التاء.

ثم قال عز وجل: ﴿بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً﴾ رداً^(١) لقولهم: ﴿لَنْ تَمْسَنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُودَةً﴾.

وقوله عز وجل: ﴿وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

فألحق في هذه الآية والاجماع أن هذا لليهود خاصة لأنه عز وجل في ذكرهم^(٢)، وقد قيل: ﴿من كَسَبَ سَيِّئَةً﴾، الشرك بالله وأحاطت به خطيئته: الكبائر، والذي جرى في هذه الأقاصيص إنما هو إخبار عن اليهود.

وقوله عز وجل: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾.

القراءة على ضربين، تعبدون ويعبدون بالياء والتاء^(٣) وقد روي وجه ثالث لا يؤخذ به لأنه مخالف للمصحف - قرأ ابن مسعود: لا تعبدوا. ورفع لا تعبدون بالتاء على ضربين، على أن يكون ﴿لا﴾ جواب القسم لأن أخذ الميثاق بمنزلة القسم، والدليل على ذلك قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ﴾^(٤) فجاء جواب القسم باللام فكذلك هو بالنفي بلا، ويجوز أن يكون رفعه على إسقاط «أن» على معنى «ألا تعبدوا» فلما سقطت أن رفعت، وهذا مذهب الأخفش وغيره من النحويين، فأما القراءة بالتاء فعلى معنى الخطاب والحكاية كأنه قيل قلنا لهم لا تعبدون إلا الله وأما لا يعبدون بالياء فإنهم غيب^(٥)، وعلامة الغائب الياء.

(١) في الأصل «رد». على أنه خبر لمحذوف.

(٢) أي الآيات تتحدث عنهم. وهم موضوع الحديث.

(٣) في ك «بالياء والتاء يعبدون وتعبدون».

(٤) آل عمران ٣ - ١٨٧.

(٥) غيب جمع غائب.

ومعنى أخذ الميثاق والعهد قد بَيَّنَّاهُ قبل هذا الموضع^(١).

وقوله عز وجل: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾.

نصب على معنى وأحسنوا بالوالدين إحساناً^(٢)، بدل من اللفظ أَحْسِنُوا و﴿ذِي الْقُرْبَىٰ﴾ و﴿الْيَتَامَىٰ﴾: جمع على فعالي كما جمع أسير على أسارى، يقال يَتَمَّ يَتَمُّ يَتَمًّا وإذا فقد أباه، هذا للإنسان فأما غيره فيتمه من قبل أمه. أخبرني بذلك محمد بن يزيد^(٣) عن الرياشي^(٤) عن الأصمعي: إن اليتيم في الناس من قبل الأب وفي غير الناس من قبل الأم، والمساكين مأخوذ من السكون، واحدهم مسكين كأنه قد أسكنه الفقر.

وقوله عز وجل: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ فيها ثلاثة أقوال حسناً بالتنوين وإسكان السين، وحسناً بالتنوين وفتح السين، وروى الأخفش «حُسْنَى» غير منون.

فأما الوجهان الأولان، فقرأهما الناس، وهما جيدان بالغان في اللغة، وأما

(١) ص ١٤٨.

(٢) أي كلمة إحساناً أدت معنى أحسنوا.

(٣) هو المبرد محمد بن يزيد بن عبد الأكبر أزدي من مشهوري معلمي البصرة وبغداد أستاذ الزجاج.

أنظر البغية - ١١٦، الوفيات ١ - ٤٩٥، طبقات النحويين ١٠٨.

(٤) العباس بن الفرج من نحوي الطبقة السابعة من البصريين، كان أبوه مولى لرجل يقال له رياش فظل اسمه معه - اشتراه بعض الهاشميين وأعتقه قرأ على الأصمعي وأبي زيد وقرأ كتاب سيبويه على المازني. قال المازني قرأه على - وهو أعلم به مني. قتل في ثورة الزنج سنة ٢٠٧. وقرأ المازني عليه اللغة - البغية. (٢٧٥ - ٢٧٦).

«حُسْنَى» فكان^(١) لا ينبغي أن يقرأ به لأنه باب الأفعل والفعل، نحو الأحسن والحسنى، والأفضل والفضلى، لا يستعمل إلا بالالف واللام، كما قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ﴾^(٢) وقال: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾^(٣) وفي قوله حسناً بالتثنية قولان: المعنى قولوا للناس قولاً ذا حسن، وزعم الأخفش، أنه يجوز أن يكون حُسْنًا في معنى حَسَنًا، فأما حَسَنًا فصفة، المعنى قولاً حسناً، وتفسير: قولوا للناس حسناً «مخاطبة لعلماء اليهود» قيل لهم أصدقوا في صفة النبي ﷺ.

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾.

اعلموا أنه قد أخذ عليهم الميثاق وعهد عليهم فيه بالصدق في صفة النبي ﷺ.

وقوله عز وجل: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ﴾.

يعني أوائلهم الذين أخذ عليهم الميثاق، وقوله ﴿وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ أي وأنتم أيضاً كأوائلكم في الإعراض عما عهد إليكم فيه، ونصب إلا قليلاً على الاستثناء، والمعنى استثنى قليلاً منكم.

وقوله عز وجل: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ﴾.

يقال سفكت الدم أسفكه سفكاً إذا صببته، ورفع لا تسفكون على

(١) ك فخطاً لا ينبغي.

(٢) الأنبياء ٢١ - ١٠١.

(٣) يونس ١٠ - ٢٦.

القسم، وعلى حذف أن كما وصفنا في قوله: ﴿لَا تَعْبُدُونَ﴾ ومثل حذف أن قول طرفة:

ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغي وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدي
وواحد الدماء دم - يا هذا - مخفف، وأصله دَمِي في قول أكثر النحويين، ودليل من قال إن أصله دمي قول الشاعر:

فَلَوْ أَنَّا عَلَى حَجَرٍ ذُبَحْنَا جَرَى الدِّمَيَانِ بِالْخَبَرِ الْيَقِينِ^(٢)

وقال قوم أصله دمي إلا أنه لما حذف ورد إليه ما حذف منه حركت الميم لتدل الحركة على أنه استعمل محذوفاً^(٣).

وقوله عز وجل: ﴿وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ﴾.

عطف على لا تسفكون دماءكم، وقوله: ثم أقررتم، أي إعرفتهم بأن هذا أخذ عليكم في العهد وأخذ على آبائكم، وأنتم أيها الباقون المخاطبون تشهدون أن هذا حق.

﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ﴾: الخطاب وقع لليهود من بني قريظة وبني النضير، لأنهم نكثوا، فقتل بعضهم بعضاً، وأخرج بعضهم بعضاً من ديارهم وهذا نقض عهدهم.

(١) من معلقة طرفة - وهو بالخزانة ١ - ٤٨، ٣ - ٥٩٤ - وأمالى ابن الشجري ١ - ٨٣ وفي معظم كتب النحو.

(٢) تقدم ذكره ص ١٣١.

(٣) وهو محكى عن سيبويه. اللسان (دم).

وقوله عز وجل: ﴿تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾.

قرئت بالتخفيف والتشديد، ﴿تَظَاهَرُونَ﴾ وتظاهرون فمن قرأ بالتشديد فالأصل فيه تتظاهرون فأدغم التاء في الظاء لقرب المخرجين، ومن قرأ بالتخفيف فالأصل فيه أيضاً تتظاهرون فحذفت التاء الثانية لاجتماع تاءين^(١).

وتفسير ﴿تظاهرون﴾ تتعاونون، يقال قد ظاهر فلان فلاناً إذا عاونه منه قوله، ﴿وكان الكافر على ربه ظهيراً﴾، أي معيناً.

وقوله عز وجل: ﴿بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾.

الْعُدْوَانُ الإفراطُ في الظُّلم، ويقال عَدَا فلانٌ في ظلمه عدواً وعدواً وعُدواً وعُدواناً، وعداءٌ - هذا كله معناه المجاوزة في الظلم، وقوله عز وجل: ﴿لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ﴾ إغماهم من هذا، أي لا تظلموا فيه.

وقوله عز وجل: ﴿وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ﴾.

القراءة في هذا على وجوه: أُسْرَى تُفَدُوهُمْ. وأُسْرَى تُفَادُوهُمْ، وأُسَارَى تُفَادُوهُمْ، ويجوز «أُسَارَى» ولا أعلم أحد قرأ بها، وأصل الجمع فُعَالَى. أعلم الله مناقضتهم في كتابه وأنه قد حرم عليهم قتلهم وإخراجهم من ديارهم، وأنهم يفادونهم إذا أسروا ويقتلونهم ويخرجونهم من ديارهم، فوبخهم فقال:

﴿فَمَا جَزَاء مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾.

يعني ما نال بني قريظة وبني النضير، لأن بني النضير أُجِّلُوا إلى الشام

(١) حذفت إحدى التاءين.

و (بني) ^(١) قريظة أبيدوا ^(٢) - حكم فيهم بقتل المقاتلة وسبي الذراري فقال الله عز وجل: ﴿ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا﴾، ولغيرهم من سائر الكفار الخزي في الدنيا القتل وأخذ الجزية مع الذلة والصغار، ثم أعلم الله عز وجل أن ذلك غير مكفر عن ذنوبهم، وأنهم صائرون بعد ذلك إلى عذاب عظيم فقال ﴿ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا﴾ ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا لِلَّهِ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

ومعنى ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾.

﴿هَؤُلَاءِ﴾ في معنى الذين، وتَقْتُلُونَ صلة لهؤلاء، كقولك ثم أنتم الذين تقتلون أنفسكم، ومثله قوله: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾ ^(٣)..

وقوله عز وجل: ﴿وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾.

﴿هو﴾ على ضربين: جازئ أن يكون إضمار الإخراج ^(٤) الذي تقدم ذكره، قال: ﴿وَنُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ وهو محرم عليكم إخراجهم. ثم بين لتراخي الكلام أن ذلك الذي حرم الإخراج ^(٥) وجائز أن يكون للقصة، والحديث والخبر ^(٦)، كأنه قال: والخبر محرم عليكم إخراجهم - كما قال عز وجل: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ^(٧). أي الأمر الذي هو الحق توحيد الله

(١) ليست في ك وهو معطوف على بني النضير.

(٢) ك. أ. يبروا.

(٣) سورة طه ٢٠ - ١٧ وهو تمثيل للموصول والآية بهذا تفيد القصر ولا معنى له، فالأولى أن تكون هؤلاء اسم إشارة.

(٤) في ك بإضمار الإخراج - والمعنى في الحاليين أن الضمير بمعنى الإخراج، وهو مستبعد لسقامة الأسلوب.

(٥) أي لطول الفصل ويكون التقدير وإخراجهم محرم عليكم إخراجهم - فهي بيان للضمير.

(٦) أي هو ضمير الشأن.

(٧) سورة الإخلاص ١١٢ - ١.

عَزَّ وَجَلَّ ﴿خِزْيَ﴾ يُقَالُ فِي الشَّرِّ وَالسُّوءِ خِزْيُ الرَّجُلِ خِزْبًا، وَيُقَالُ فِي الْحَيَاءِ خِزْيٌ يَخْزِي خِزَايَةً، وَمَعْنَى يَرُدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ، وَعَذَابٌ عَظِيمٌ، وَعَذَابٌ أَلِيمٌ [أَنْ] الْعَذَابَ عَلَى ضَرْبَيْنِ، عَلَى قَدَرِ الْمَعَاصِي، وَالِدَلِيلُ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ (١) فَهَذِهِ النَّارُ الْمَوْصُوفَةُ هَهُنَا لَا يَدْخُلُهَا إِلَّا الْكَفَّارُ.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ يعني التوراة.

وقوله: ﴿وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ﴾: أَي أَرْسَلْنَا رَسُولًا يَقْفُو رَسُولًا فِي دَعَائِهِ إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ وَالْقِيَامِ بِشَرَائِعِ دِينِهِ، يُقَالُ مِنْ ذَلِكَ فَلَانِ يَقْفُو فَلَانًا إِذَا أَتَبَعَهُ.

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَأَتَيْنَا عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ﴾.

مَعْنَى ﴿آتَيْنَا﴾ أَعْطَيْنَا، وَمَعْنَى ﴿الْبَيِّنَاتِ﴾ الْآيَاتِ الَّتِي يَعْبُزُّ عَنْهَا الْمَخْلُقُونَ مِمَّا أَعْطَاهُ عِيسَى ﷺ مِنْ إِحْيَائِهِ الْمَوْتَى وَإِبْرَائِهِ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ.

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾.

مَعْنَى أَيَّدْنَا، فِي اللُّغَةِ قَوِينَا، وَشَدَّدْنَا، قَالَ الشَّاعِرُ: (٢)

مَنْ أَنْ تَبَدَّلَتْ بِآدَ آدَا

يُرِيدُ مِنْ أَنْ تَبَدَّلَتْ بِأَيَّدِ آدَا، يُرِيدُ بِقُوَّةِ قُوَّةِ - الْآدَ وَالْأَيَّدِ الْقُوَّةَ.

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾: رُوحُ الْقُدُسِ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَالْقُدُسُ الطَّهَارَةُ وَقَدْ بَيَّنَّاهُ.

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ﴾:

(١) سورة الليل - ١٠ - يُرِيدُ أَنْ هُنَاكَ عَذَابًا أَشَدَّ مِنْ عَذَابِ.

(٢) العجاج - ديوانه ٧٦، اللسان «أيد».

نَضَبُ كُلِّمَا كَنَصَبِ سائر الظروف، ومعنى استكبرتم أنفتم وتعظمتكم من أن تكونوا أتباعاً، لأنهم كانت لهم رياسة، وكانوا متبوعين فآثروا الدنيا على الآخرة.

وقوله عز وجل: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾.

تقرأ على وجهين غُلْفٌ وَغُلْفٌ، وأجود القراءتين غُلْفٌ بإسكان اللام لأن له شاهداً من القرآن^(١) ومعنى غُلْفٌ ذَوَاتُ غُلْفٍ، الواحد منها أُغْلِفَ وَغُلْفٌ مثل أَحْمَرٌ وَحُمْرٌ، فكأنهم قالوا قلوبنا في أوعية، والدليل على ذلك قوله: ﴿وَقُلُوبُنَا فِي أَكْثَةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنَكَ حَبَابٌ﴾^(٢) ومن قرأ غُلْفٌ فهو جمع غِلَافٍ وَغُلْفٌ، مِثْلُ مِثَالٍ وَمِثْلٌ، وَجِمَارٌ وَحُمْرٌ، فيكون معنى هذا: إِنَّ قُلُوبَنَا أَوْعِيَةٌ لِلْعِلْمِ^(٣)، وَالْأَوَّلُ أَشْبَهَ وَيَجُوزُ أَنْ تُسَكَّنَ غُلْفٌ فَيَقَالُ غُلْفٌ كَمَا يَقَالُ فِي جَمْعِ مِثَالٍ مِثْلٌ. فَأَعْلَمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّ الْأَمْرَ عَلَى خِلَافِ مَا قَالُوا فَقَالَ: ﴿بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾.

معنى لعنهم في اللغة أبعدهم، فَالتَّأْوِيلُ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ كَمَا قَالَ: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ ثُمَّ أَخْبَرَ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّ ذَلِكَ مُجَازَاةٌ مِنْهُمْ عَلَى كُفْرِهِمْ فَقَالَ: ﴿بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾، وَاللَّعْنُ كَمَا وَصَفْنَا الْإِبْعَادَ، قَالَ الشَّمَاخُ: ^(٤)

وماءٍ قد وردت لَوْضَلُ أَرَوَى عليه الطير كالورق اللّجين

(١) منه ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾. (فاطر ٣٥ - ٢٧).

(٢) فصلت ٤١ - ٥.

(٣) مليئة به. أي لدينا من العلم ما لا نحتاج معه إلى الإسلام.

(٤) هو الشماخ بن ضرار الديباني - من الشعراء والرجاز ومن الهجائيين اشتهر بوصفه القسي والحمير - كان قوي العارضة حاضر البديهة، وأروى هي حبيته التي يتغزل فيها كثيراً. أخباره في الأغاني ٨ - ١٠١.

ذَعَرْتُ بِهِ الْقَطَا وَنَفَيْتُ عَنْهُ مَقَامَ الذُّبِّ كَالرَّجُلِ اللَّعِينِ^(١)
وقوله: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ﴾.

تَقْرَأُ ﴿جَاءَهُمْ﴾ بفتح الجيم والتفخيم، وهي لغة أهل الحجاز، وهي اللغة العليا القُدمى، والإمالةُ إلى الكسر لغة بني تميم وكثير من العرب، ووجهها أنها الأصل من ذوات الياء فأُمِلت لتدل على ذلك، ومعنى كِتَابُ اللَّهِ ههنا القرآن، واشتقاقه من الكَتَبِ وهي جمع كَتَبَةٍ وهي الخرزة وكل ما ضمنت بعضه إلى بعض على جهة التقارب والاجتماع فقد كَتَبَتْه، والكِتَبَةُ الفرقة التي تحارب من هذا اشتقاقها لأن بعضها منضمٌ إلى بعض، ويسمى كلام الله عز وجل الذي أنزل على نبيه كِتَابًا، وقُرْآنًا وفُرْقَانًا فقد فسرنا معنى كِتَاب، ومعنى قرآن معنى الجمع، يقال ما قرأت هذه الناقة سَلَى قط أي لم يَضْطَمَّ رحمها على ولد قط - قال الشاعر: (٢)

هَجَانِ اللَّوْنِ لَمْ تَقْرَأْ جَنِينًا

قال أكثر الناس: لم تَجْتَمِعْ جَنِينًا أي لم تضم رحمها على الجنين.
وقال قُطْرُبٌ في قرآن قولين، أحدهما هذا، وهو المعروف الذي عليه أكثر الناس، والقول الآخر ليس بخارج من الصَّحَّة وهو حسن - قال - لم تَقْرَأْ جَنِينًا - لم تلقه (مجموعاً)^(٣). وقال يجوز أن يكون معنى قرأت لفظت به

(١) الورق اللجين المتراكم المتساقط بعضه على بعض ببعض، وذعرت القطا أهجته وأخفته - واللعين اسم للذئب، واللعن معناه الطرد. والرجل اللعين، الصورة التي تنصب لطرد الطير عن الرزق يصف جراته وعمله الشاق لرؤية حبيته.

(٢) عمرو بن كلثوم من تغلب، وأمة ليلي أخت مهلهل - ساد قومه حدثاً وعمر طويلاً أخبره في

الأغاني ٩ - ١٧٥ - ٨٢ - ٩٢.

والبيت في معلقته التي يقال فيها ألهمت بني تغلب عن كل مكreme - يريد أنها بيضاء ضامرة.

أنظر شرح العشر ١١١ الجمهرة ٧٦، اللسان (قرأ). القرطبي ٣ - ١١٤.

(٣) ليست في ك.

مجموعاً. كما أن لفظت من اللفظ، اشتقاقه من لَفَظْتُ كذا وكذا، إذا ألقيته، فكان قرأت القرآن لفظت به مجموعاً.

وقوله عز وجل: ﴿مصدق لما معهم﴾.

أي يصدق بالتوراة والإنجيل ويخبرهم بما في كتبهم مما لا يعلم إلا بروحي أو قراءة كتب، وقد علموا أن النبي ﷺ كان أميناً لا يكتب.

وقوله: ﴿وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا﴾.

ضم ﴿قبل﴾ لأنها غاية، كان يدخلها بحق الإعراب الكسر والفتح، فلما عدلت عن بابها بنيت على الضم، فبنيت على ما لم يكن يدخلها بحق الإعراب، وإنما عدلت عن بابها لأن أصلها الإضافة فجعلت مفردة تنبيء عن الإضافة، المعنى، وكانوا من قبل هذا.

ومعنى: ﴿يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾.

قيل فيه قولان: قال بعضهم كانوا يخبرون بصحة أمر النبي ﷺ. وقيل وكانوا يستفتحون على الذين كفروا: يستنصرون بذكر النبي ﷺ فلما جاءهم ما عرفوا: أي ما كانوا يستنصرون وبصحته يخبرون، كفروا وهم يوقنون أنهم معتمدون للشقاق عداوة لله.

وقوله عز وجل: ﴿فَلَعَنَهُ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾.

قد فسرنا اللعنة^(١)، وجواب ﴿ولما جاءهم كتاب﴾ محذوف لأن معناه معروف دل عليه فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به^(٢).

(١) ص ١٦٩.

(٢) الأقرب أن فكفروا به هو الجواب - وجملة فلما جاءهم ما عرفوا هي إعادة الجملة - ولما جاءهم كتاب أعيدت لطول الفصل.

وقوله عز وجل: ﴿بَشِّرْهُمْ بِشَرِّ مَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ﴾.

بش إذا وقعت على «ما» جعلت معها بمنزلة اسم منكور، وإنما ذلك في نعم وبش لأنها لا يعملان في اسم علم، إنما يعملان في اسم منكور دال على جنس، أو اسم فيه ألف ولام يدل على جنس، وإنما كانت كذلك لأن نعم مستوفية لجميع المدح، وبش مُستوفية لجميع الذم، فإذا قلت نعم الرجل زيد فقد استحق زيد المدح الذي يكون في سائر جنسه، قال أبو إسحق وفي نعم الرجل زيد أربع لغات نعم الرجل زيد، ونعم الرجل زيد^(١)، ونعم الرجل زيد، ونعم الرجل زيد، وكذلك إذا قلت بش الرجل، دللت على أنه استوفى الذم الذي يكون في سائر جنسه، فلم يجر إذا كان يستوفى مدح الأجناس أن يعمل في غير لفظ جنس، فإذا كان معها اسم جنس بغير ألف ولام فهو نصب أبداً، وإذا كانت فيه الألف واللام فهو رفع أبداً، وذلك كقولك نعم رجلاً زيداً، ونعم الرجل زيداً، فلما نصب رجل فعلى التمييز، وفي نعم اسم مضمَر على شريطة التفسير، وزيد مبینٌ من هذا الممدوح، لأنك إذا قلت نعم الرجل لم يعلم من تعني، فقولك زيد تريد به هذا الممدوح هو زيد.

وقال سيويه والخليل جميع ما قلنا في نعم وبش، وقالوا إن شئت رفعت زيداً لأنه ابتداء مؤخر. كأنك قلت حين قلت نعم رجلاً زيد، نعم زيد نعم الرجل، وكذلك كانت «ما» في نعم بغير صلة لأن الصلة توضح وتخصص، والقصد في نعم أن يلينها اسم منكور أو جنس، فقوله ﴿بَشِّرْهُمْ بِشَرِّ مَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ﴾ بش شيئاً اشتروا به أنفسهم.

وقوله عز وجل: ﴿أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾.

موضعه رفع: المعنى ذلك الشيء المذموم أن يكفروا بما أنزل الله. وقوله

(١) وهي في هذين الوضعين فعل متصرف. وكذا في الحالة الرابعة.

عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَنِعْمًا هِيَ﴾^(١) كأنه قال فنعم شيئاً هي ، وقال قوم إِنَّ نعم مع ما بمنزلة حَبٍّ مع ذَا ، تقول حَبْذَا زيدٌ ، وحَبْذَا هِيَ وَنِعْمًا هِيَ والقول الأول هُوَ مذهب النحويين^(٢) وروى جميع النحويين بشما تزويجٌ ولا مَهْرٌ والمعنى فيه بش شيئاً تزويج ولا مهر .

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يَنْزِلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ .

معناه أنهم كفروا بغياً وعداوة للنبي ﷺ لأنهم لَمْ يُشْكُوا فِي نُبُوتِهِ ﷺ وإنما حَسَدُوهُ عَلَى مَا أَعْطَاهُ اللَّهُ مِنَ الْفَضْلِ ، المعنى : كفروا بغياً لِأَنْ نَزَلَ اللَّهُ الْفَضْلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ، ونصب بغياً مصدرًا مفعولاً له ، كما تقول فعلتُ ذلك حَذَرَ الشَّرِّ أَي لِحَذَرِ الشَّرِّ كَأَنَّكَ قُلْتَ حَذَرْتُ حَذَرًا^(٣) ، ومثله من الشعر قول الشاعر وهو حاتم الطائي :

وَأَغْفِرُ عَوْرَاءَ الْكَرِيمِ ادِّخَارَهُ وَأَغْفِرُ عَوْرَاءَ اللَّثِيمِ تَكْرِمَهُ^(٤)

المعنى أغفر عوراء الكريم لا دِّخَارَهُ ، وأعرضُ عَنْ شَتَمِ اللَّثِيمِ لِلتَّكْرِمِ ، وكأنه قال : أدِّخِرُ الكريم ادِّخَارًا ، وأتكرم على الكريم تكريمًا ، لِأَنَّ قَوْلَهُ أَغْفِرُ عَوْرَاءَ الْكَرِيمِ مَعْنَاهُ أدِّخِرُ الكريم ، وقوله وأعرض عن شتم اللثيم تكريمًا معناه أتكرم على اللثيم^(٥) ، وموضعُ أَنْ الثَّانِيَةِ نَصَبٌ ، المعنى أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ

(١) ﴿إِنْ تَبَدُّوا الصَّدَقَاتِ فَنِعْمًا هِيَ﴾ - البقرة - ٢ - ٢٧١ .

(٢) فِي الْأَصْلِ هُوَ عَلَى مَذْهَبِ .

(٣) إِذَا قَدَّرَ الْمُحَذَّوْفُ - حَذَرْتُ - فَهُوَ مَفْعُولٌ مُطْلَقٌ وَيَجِبُ فِيهِ النَّصَبُ أَمَا إِنْ ذَكَرَ أَوْ قَدَّرَ مَغَايِرَ فَهَذَا الْمَصْدَرُ عِلَّةٌ وَيَجُوزُ جَرُّهُ بِحَرْفِ .

(٤) تَقْدِمُ هَذَا الشَّاهِدُ ص ٩٧ ، دِيَوَانُهُ ١٠٨ ، وَالْخَزَانَةُ ١ - ٤٩١ .

(٥) عَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ يَكُونُ : ادِّخَارُهُ ، وَتَكْرِمُهُ - مَفْعُولًا مُطْلَقًا . وَهُمَا مَفْعُولٌ لِأَجَلِهِ - إِذِ الْمَعْنَى كَمَا قَالَ - لِادِّخَارِهِ وَالتَّكْرِمِ ، وَلَكِنَّهُ يَرِيدُ مَعْنَى تَقْرِيْبًا - وَلِهَذَا قَالَ : وَكَأَنَّهُ .

لأن ينزل الله، أي كفروا لهذه العلة، فشرحه كهذا الذي شرحناه.

وقوله عز وجل: ﴿فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ﴾: معنى بَاءُوا في اللغة احتملوا، يقال قد بؤت بهذا الذنب أي تحملته - ومعنى ﴿بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ﴾ - فيه قولان:

قال بعضهم بغضب من أجل الكفر بالنبى ﷺ على غضب على الكفر بعيسى ﷺ يعني بهم^(١) اليهود. وقيل بَاءُوا بغضب على غضب أي بَائِمٍ استحقوا به النار على إثم تَقَدَّمَ أي استحقوا به أيضاً النار.

وقوله عز وجل: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ﴾.

أي بالقرآن الذي أنزل الله على النبي ﷺ قالوا أَنُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا، وقد بين الله أنهم غير مؤمنين بما أنزل عليهم، وقد بينا ذلك فيما مضى.

وقوله تعالى: ﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ﴾.

معناه ويكفرون بما بعده، أي بما بعد الذي أنزل عليهم، ﴿وهو الحقُّ مُصَدِّقاً لِّمَا مَعَهُمْ﴾، فهذا يدل على أنهم قد كفروا بما معهم إذ كفروا بما يُصَدِّقُ ما معهم، نصب مصدقاً على الحال، وهذه حال مؤكدة، زعم سيويه والخليل وجميع النحويين الموثوق بعلمهم أن قولك «هو زيد قائماً» خطأ، لأن قولك هو زيد كناية عن اسم متقدم فليس في الحال فائدة، لأن الحال توجب ههنا أنه إذا كان قائماً فهو زيد، فإذا ترك القيام فليس بزيد - وهذا خطأ. فأما قولك هو زيد معروفاً، وهو الحق مصدقاً، ففي الحال فائدة، كأنك قلت انتبه له معروفاً، وكأنه منزلة قولك هو زيد حقاً، فمعروفاً حال لأنه إنما يكون زيداً لأنه يعرف بزيد، وكذلك «الحق» القرآن هو الحق إذ كان مصدقاً لكتب الرسل.

(١) في الأصل ويعني به - ويستقيم على تقدير يعني بهذا القول.

أَكْذَبَهُمُ اللَّهُ فِي قَوْلِهِمْ: ﴿نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا﴾ فقال: ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

أَيُّ أَيِّ كِتَابٍ جُوزَ فِيهِ قَتْلُ نَبِيٍّ، وَأَيُّ دِينٍ وَإِيمَانٍ جُوزَ فِيهِ ذَلِكَ فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ فَلِمَ قِيلَ لَهُمْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ، وَهَؤُلَاءِ لَمْ يَقْتُلُوا نَبِيًّا قَطُّ؟ قِيلَ لَهُ قَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ فِي هَذَا قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا إِنْ الْخَطَابُ لِمَنْ شُوهِدَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ وَمَنْ غَابَ خَطَابٌ وَاحِدٌ، فَإِذَا قَتَلَ أَسْلَافُهُمُ الْأَنْبِيَاءَ وَهُمْ مُقِيمُونَ عَلَى ذَلِكَ الْمَذْهَبِ فَقَدْ شَرَكُوهُمْ فِي قَتْلِهِمْ، وَقِيلَ أَيْضاً لَمْ رَضَيْتُمْ بِذَلِكَ الْفِعْلِ، وَهَذَا الْقَوْلُ الثَّانِي يَرْجِعُ إِلَى مَعْنَى الْأَوَّلِ. وَإِنَّمَا جَازَ أَنْ يُذَكَرَ هُنَا لَفْظُ الْإِسْتِقْبَالِ وَالْمَعْنَى الْمَضِي لِقَوْلِهِ ﴿مَنْ قَبْلُ﴾ وَدَلِيلُ ذَلِكَ قَوْلُهُ ﴿قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ﴾^(١) فَقَوْلُهُ: ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ﴾ بِمَنْزِلَةِ «فَلِمَ قَتَلْتُمْ».

وَقِيلَ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا مَا كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ^(٢) وَقِيلَ إِنَّ إِيْمَانَكُمْ لَيْسَ بِإِيْمَانٍ^(٣). وَالْإِيْمَانُ هَهُنَا وَاقِعٌ عَلَى أَصْلِ الْعَقْدِ وَالِدِينِ، فَقِيلَ لَهُمْ لَيْسَ إِيْمَانٌ إِيْمَانًا إِذَا كَانَ يَدْعُو إِلَى قَتْلِ الْأَنْبِيَاءِ.

وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾. قَدْ بَيَّنَّاهُ فِيْمَا مَضَى.

وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾. مَعْنَاهُ سَقُوا حَبَّ الْعِجْلِ، فَحَذَفَ حَبَّ وَأَقِيمَ الْعِجْلَ مَقَامَهُ، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ: وَكَيْفَ تُوَاصِلُ مَنْ أَصْبَحَتْ خِلَالَتُهُ كَأَبِي مَرْحَبٍ^(٤)

(١) آل عمران ٣ - ١٨٢.

(٢) إن نافية والجملة مستأنفة.

(٣) إن إذن شرطية: أي إن كنتم مؤمنين حقاً فلم قتلتموهم أي إنه إيمان يدعو للشك والريبة.

(٤) تقدم ص ٩٣.

أَي كَخْلَالَتِهِ أَبِي مَرْحَبٌ، وَكَمَا قَالَ:
وَشَرُّ الْمَنَایَا مَيِّتَ بَيْنَ أَهْلِهِ كَهْلِكَ الْفَتَى قَدْ أَسْلَمَ الْحَيَّ حَاضِرُهُ^(١)
المعنى وشر المنايا منية ميت

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَكْفُرْهُمْ﴾ أَي فَعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ بِهِمْ مَجَازَةً لَهُمْ عَلَى الْكُفْرِ
كَمَا قَالَ: ﴿بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾^(٢).

وقوله: ﴿بَشَسْنَا بِأَمْرِكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ قد فسرناه^(٣) أَي مَا
كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ، فَبَشَسَ الْإِيمَانَ بِأَمْرِكُمْ بِالْكَفْرِ.

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ
دُونِ النَّاسِ﴾.

قِيلَ لَهُمْ هَذَا لِأَنَّهُمْ قَالُوا: ﴿لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾
وَقَالُوا: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾^(٤) فَقِيلَ لَهُمْ إِنْ كُنْتُمْ عِنْدَ أَنْفُسِكُمْ صَادِقِينَ
فِيمَا تَدْعُونَ فَتَمَنُّوا الْمَوْتَ، فَإِنَّ مَنْ كَانَ لَا يَشْكُ فِي أَنَّهُ صَائِرٌ إِلَى الْجَنَّةِ، فَالْجَنَّةُ
عِنْدَهُ آثَرٌ مِنَ الدُّنْيَا، فَإِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَتَمَنُّوا الْآثَرَ وَالْفَضْلَ.

وَاللَّيْبِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَلِلْمُسْلِمِينَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَعْظَمُ حُجَّةٍ وَأَظْهَرُ آيَةٍ وَأَدْلَى عَلَى
الْإِسْلَامِ، وَعَلَى صِحَّةِ تَثْبِيهِ رِسَالَةِ النَّبِيِّ ﷺ لِأَنَّهُ قَالَ لَهُمْ: تَمَنُّوا الْمَوْتَ،
وَأَعْلَمَهُمْ أَنَّهُمْ لَنْ يَتَمَنَوْهُ أَبَدًا فَلَمْ يَتَمَنَّهْ مِنْهُمْ وَاحِدٌ لِأَنَّهُمْ لَوْ تَمَنَّوْهُ لَمَاتُوا مِنْ

(١) لِلْحَطِيطَةِ وَرَاوِيَتِهِ فِي دِيْوَانِهِ وَطَبَقَاتِ فَحُولِ الشُّعْرَاءِ: كَهْلِكَ الْفَتَاةُ وَكَلَّتَا الرُّوَاتِينَ تَعْنِي الْهَالِكِ
الضَّعِيفَ الَّذِي لَا طَاقَةَ لَهُ عَلَى دَفْعِ مَا نَزَلَ بِهِ، وَحَاضِرُهُ - حَالُهُ أَوِ الْمَوْتُ الَّذِي حَاضِرُهُ. وَأَسْلَمَ
الْقَوْمَ جَعَلَهُمْ يَسْتَسْلِمُونَ وَالْبَيْتَ فِي دِيْوَانِهِ ٤٧.

وَأَنْظَرَ ابْنَ سَلَامٍ ٩٤ - ٩٥ وَهُوَ مِنْ أَبْيَاتِ بَفَضْلٍ بِهَا عَيْنَةٌ بِنِ حَصْنٍ عَلَى زَبَانَ بْنِ سِيَارٍ.

(٢) النِّسَاءُ ٤ - ١٥٥.

(٣) ص ١٧٢.

(٤) الْمَائِدَةُ ٥ - ١٨.

ساعتهم ، فالدليل على علمهم بأن أمر النبي ﷺ حق أنهم كفوا عن التمني ولم يُقدِّم واحد منهم عليه فيكون إقدامه دفعاً لقوله: ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾. أو يعيش بعد التمني فيكون قد ردَّ ما جاء به النبي ﷺ فالحمد لله الذي أَوْضَحَ الحقَّ وبيَّنه ، وقمع الباطل وأزْهقه .

وقوله عز وجل: ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ .

يعني ما قدمت من كفرهم بالنبي ﷺ لأنهم كفروا وهم يعلمون أنه حق وأنهم إن تمَّنَوْه ماتوا ، ودليل ذلك إمسأكُهم عن تمنّيه .

وقوله عز وجل: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ .

الله عز وجل عليم بالظالمين وغير الظالمين ، وإنما الفائدة ههنا أنه عليم بمجازاتهم ، وهذا جرى في كلام الناس المستعمل بينهم إذا أقبل الرجل على رجل قد أتى إليه منكراً ، قال أنا أعرفك ، وأنا بصير بك ، تأويله أنا أعلم ما^(١) أعاملك به وأستعمله معك . فالعنى إنه عليم بهم وبصير بما يعملون ، أي يجازيهم عليه بالقتل في الدنيا أو بالذلة والمسكنة وأداء الجزية ، ونصب ﴿لن﴾ كما تنصب «أن» وقد شرحنا نصبها فيما مضى وذكرنا ما قاله النحويون^(٢) فيه ، ونصب ﴿أبدًا﴾ لأنه ظرف من الزمان ، المعنى : لن يَتَمَنَّوْهُ في طول عمرهم إلى موتهم ، وكذلك قولك : لا أكلمك أبدًا ، المعنى لا أكلمك ما عشت . ومعنى ﴿بما قدمت أيديهم﴾ أي بما تقدمه أيديهم^(٣) . ويصلح أن يكون بالذي قدمته أيديهم .

وقوله عز وجل: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ﴾ .

يعني به علماء اليهود هؤلاء ، المعنى أنك تجدهم في حال دعائهم إلى تمنى

(١) في ط أعلم بما .

(٢) ص ١٦٠ .

(٣) في ك : بتقدمة أي ما مصدرية أو موصولة .

الموت أحرص الناس على حياة. ومعنى لَتَجِدَنَّهُمْ لَتَعْلَمَنَّهُمْ. وَمَعْنَى ﴿وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ أَي وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ مِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا، وهذا نهاية في التمثيل، والذين أشركوا هم المجوس ومن لا يؤمن بالبعث:

وقوله عز وجل: ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾.

ذكرت الألف لأنها - نهاية ما كانت المجوس - تدعوه لمُلوكةا كان الملك يُحِبُّ أَنْ يَقَالَ عَشَ أَلْفَ نَيِّرُوزٍ وَأَلْفَ مَهْرَجَانٍ^(١).

يقول فهؤلاء الذين يزعمون أن لهم الجنة، وأن نعيم الجنة له الفضل لا يتمنون الموت وهم أحرص ممن لا يؤمن بالبعث، وكذلك يجب أن يكون هؤلاء لأنهم كُفَرَاءُ بِالنبي ﷺ وهو عندهم حق، فيعلمون أنهم صائرون إلى النار لا محالة، فهم أحرص لهذه العلة، ولأنهم يعلمون أنهم لو تمتوا الموت لما تَوَّأ، لأنهم علموا أن النبي ﷺ حق لولا ذلك لما أمسكوا عن التمني، لأن التمني من واحد منهم كان يثبت قولهم.

وإنما بالغنا في شرح هذه الآيات لأنها نهاية في الاحتجاج في تثبيت أمر النبي ﷺ.

وقوله عز وجل: ﴿وَمَا هُوَ بِمُزَحَّزَّهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ﴾.

هذا كناية عن ﴿أحدهم﴾ الذي جرى ذكره، كأنه قال: وما أحدهم بمزحزحه من العذاب تعميره، ويصلح أن تكون «هو» كناية عما جرى ذكره من طول العمر، فيكون: وما تعميره بمزحزحه من العذاب، ثم جعل أن يعمر مبنياً عن «هو» كأنه قال: ذلك الذي ليس بمزحزحه ﴿أن يعمر﴾^(٢).

(١) حين يهنا الملك في هذا العيد يقال له عش ألف عيد.

(٢) أي هو مفسر له.

وقد قال قوم: إِنَّ «هو» لِمَجْهُولٍ وهذا عند قوم لا يصلح في «ما» إذا جاء في خبرها الباء مع الجملة: لا يجوز البصريون: «ما هو قائماً زيد، يريدون ما الأمر قائماً زيد^(١)، ولا كان هو قائماً زيد، يريدون ما الأمر قائماً زيد^(٢)، ولا كان هو قائماً زيد، يريدون كان الأمر قائماً زيد وكذلك لا يجوزون ما هو بقائم زيد^(٣) يريدون ما الأمر».

وقوله عز وجل: ﴿وَاللَّهُ بِصِيرُكُمْ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾. (شرحه تقدم في الآية التي قبل هذه)^(٣) وتقول في يود: وددت الرجل أودةً ودًّا^(٤) أو وداداً ومودةً «وودادة» وحكى الكسائي ودَدْتُ الرجل والذي يعرفه جميع الناس ودَدْتُهُ، ولم يحك إلا ما سَمِعَ إلا أنه سمع ممن لا يجب أن يؤخذ بلغته، لأن الإجماع على تصحيح أَوْدُ، وأَوْدُ لَا يكون ماضيه ودَدْتُ^(٥). فالإجماع يُبْطِل ودَدْتُ. أعني الإجماع في قولهم أَوْدُ.

قوله عز وجل: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ﴾.

جبريل في اسمه لغات قبرى ببعضها^(٦) ومنها ما لم يُقرأ به، فأجود اللغات جَبْرِئِيل - بفتح الجيم، والهمز، لأن الذي يروى عن النبي ﷺ في صاحب الصور «جَبْرِئِيلُ عن يمينه وميكائيل عن يساره، هذا الذي ضبطه أصحاب الحديث، ويقال جَبْرِيل بفتح الجيم وكسرها ويقال «أيضاً» جبرائيل - بحذف الياء وإثبات الهمزة - (وتشديد اللام)^(٧)، ويقال جبرين - «بالنون» وهذا

(١) لأن الاسم ضمير الشأن، ولا يكون خبره إلا جملة.

(٢) لأن وجود الباء يدل على أن «قائم» خبر.

(٣) ليست في ك.

(٤) ك بضم الواو وكسرها.

(٥) لأن عين الفعل لا تفتح في الماضي والمضارع إلا إذا كان حلقى العين أو اللام.

(٦) ك جبريل صلى الله عليه في اسمه لغات قد قرىء ببعضها.

(٧) ليست في ك وهي لغة سادسة.

لا يجوز في القرآن - أعني إثبات النون لأنه خلاف المصحف - قال الشاعر:

شَهِدْنَا فَمَا تَلَقَى لَنَا مِنْ كَتِيبةٍ يد الدهر إلا جَبْرِئِيلُ أَمَامَهَا^(١)

وهذا البيت على لفظ ما في الحديث وما عليه كثير من القراء. وقد جاء في الشعر جبريل قال الشاعر:

وَجَبْرِئِيلُ رَسُولُ اللَّهِ مِنَّا وروح القدس ليس له كفاء^(٢)

وإنما جرى ذكر هذا لأن اليهود قالوا للنبي ﷺ: جبريل عدونا فلو أتاك ميكائيل، لَقَبَلْنَا مِنْكَ، فقال الله عز وجل: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ يعني ما تقدم من الكتب ﴿وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

ونصب ﴿مصدقاً﴾ على الحال.

وقوله عز وجل: ﴿وَمِيكَائِيلَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾.

ميكائيل فيه لغات، ميكائيل وميكال. وقد قرئ بهما جميعاً، وميكال - بهمزة بغير ياء^(٣). وهذه أسماء أعجمية دفعت إلى العرب فلفظت بها بالفاظ مختلفة - أعني جبريل، وميكائيل. وإسرائيل فيه لغات أيضاً: إسرائيل وإسرال، وإسرائيل. وإبراهيم وإبراهم، وأبرهم وإبراهام، والقرآن إنما أتى بإبراهيم فقط وعليه القراءة.

وأكثر ما أرويه من القراءة في كتابنا هذا فهو عن أبي عبيد مماً رواه

(١) لكعب بن مالك من الشعراء الذين دافعوا عن رسول الله ﷺ وهو أحد الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك، وأنزل الله فيهم قرآناً - الخزانة ١ - ١٩٩.

(٢) البيت ينسب كثيراً لحسان بن ثابت - من همزته - عفت ذات الأصابع فالجواء - ونفى صاحب الخزانة أن يكون له. أنظر ج ١ - ١٩٩.

(٣) أي بعد الهمزة.

إسماعيل بن إسحق عن أبي عبد الرحمن عن أبي عبيد.

وقوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾.

يعني الآيات التي جرى ذكرها مما قد بيناه، والآية في اللغة العلامة،
وبيّنات: واضحات، و«قد» إنما تدخل في الكلام لقوم [لا]^(١) يتوقعون
الخبر، واللام في لقد لام قسم^(٢).

وقوله عز وجل: ﴿وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾.

يعني الذين قد خرجوا عن القصد، وقد بينا أن قول العرب فسقت
الرطبة: خرجت عن قشرتها.

وقوله عز وجل: ﴿أَوْ كَلِمًا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ﴾.

معنى نبذه رفضه ورمى به، قال الشاعر:

نَظَرْتُ إِلَى عُثْوَانِهِ فَنَبَذْتُهُ كَنَبَذِكَ نَعْلًا أَخْلَقْتَ مِنْ نِعَالِكََا^(٣)

ونصب ﴿أو كلمة عاهدوا﴾ على الظرف. وهذه الواو في ﴿أو كلمة﴾ تدخل
عليها ألف الاستفهام، لأن الاستفهام مستأنف، والألف أم حروف الاستفهام.
وهذه الواو تدخل على هل فتقول: وهل زيد عاقل لأن معنى ألف الاستفهام

(١) في الأصول يتوقعون، وهو غير مناسب.

(٢) أي فالخبر مؤكد - ولهذا لا بد من ذكر «لا».

(٣) البيت لأبي الأسود الدؤلي - ظالم بن عمرو الدؤلي الكتاني. تابعي فقيه محدث شاعر - وأيضاً
له حظ من صفة الفروسية - قيل إنه واضع النحو - كان شيعياً ولكنه لم يهج الأمويين - وهو
واضع النقط في المصحف. توفي سنة ٦٧ هـ وله الآن ديوان مطبوع وليس به هذا البيت ولكنه
في كثير من الكتب منسوباً له ذكره أبو عبيدة في مجازة ١٤٨/١: ١١١ وغيرهما، وهو في
الطبري ١ - ١٣٣، والأغانى ٣٠٧/١٢ بولاق والقرطبي ٤٦/٢ وكان أبو الأسود وجه بخطابين
إلى الحصين بن أبي الحر، وأبي نعيم بن مسعود يطلب معونة فبرة نعيم ورمى الحصين الكتاب
فهذا الشعر له.

موجود في هل، فكأن التقدير أو هل إلا أن ألف الاستفهام وهل لا يجتمعان
لأغناء هل عن الألف.

وقوله عز وجل: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ﴾.

يعني به النبي ﷺ لأن الذي جاء به مُصَدِّقُ التَّوْرَةِ والإنجيل، و﴿لَمَّا﴾
يقع بها الشيء لوقوع غيره^(١) ﴿مصدق﴾ رفع صفة لرسول^(٢)، لأنهما نكرتان.
ولو نصب كان جائزاً، لأن ﴿رسول﴾ قد وصف بقوله من عند الله فلذلك صار
النصب يحسن، وموضع «ما» في ﴿مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ﴾ جرٌ بلام الإضافة، و
«مَعَ» صلة لها، والناصب لمع الاستقرار. المعنى لما استقر [معه].

وقوله عز وجل: ﴿نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وراءَ
ظُهُورِهِمْ﴾.

﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ يعني به^(٣) اليهود، والكتاب هنا التوراة و﴿كِتَابَ
اللَّهِ وراءَ ظهورِهِمْ﴾ فيه قولان: جائز أن يكون القرآن وجائز أن يكون التوراة،
لأن الذين كفروا بالنبي قد نبذوا التوراة.

وقوله عز وجل: ﴿كَانَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

أَعْلَمَ أَنَّهُمْ علماء بكتابهم، وأنهم رفضوه على علم به، وعداوة للنبي
صلى الله عليه وسلم. وَأَعْلَمَ أَنَّهُمْ نبذوا كتاب الله^(٤).

وقوله عز وجل: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكٍ سَلِيمٍ﴾.

(١) أي هي ظرفية أو شرطية.

(٢) في ط صفة لرسول الله - وهو مجاف للياقة.

(٣) بهذا اللفظ.

(٤) المعنى الظاهر من الآية أنهم تركوا الكتاب كأنهم لا علم لهم به، وهو يريد هنا: كأنهم لا
يعلمون أن النبي يعلم أنهم يعرفون كل ذلك. وأن الله تعالى أعلمه بحالهم.

ما كانت تتلوه، والذي كانت الشياطين تلتته في ملك سليمان كتاب من السحر فَلَبَّهَتِ اليهود وَكَذَّبَهُم ادَّعَوْا أَنْ هَذَا السَّحَرُ أَخَذُوهُ عَنْ سُلَيْمَانَ وَأَنَّهُ اسْمُ اللَّهِ الْأَعْظَمُ، يَتَكَسَّبُونَ بِذَلِكَ، فَأَعْلَمَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - أَنَّهُمْ رَفَضُوا كِتَابَهُ وَاتَّبَعُوا السَّحَرَ، وَمَعْنَى عَلَى ﴿مَلِكِ سُلَيْمَانَ﴾، عَلَى عَهْدِ مَلِكِ سُلَيْمَانَ (عَلَيْهِمُ) ^(١) فَبَرَأَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ سُلَيْمَانَ مِنَ السَّحَرِ، وَأَظْهَرَ مُحَمَّدًا ﷺ عَلَى كَذِبِهِمْ وَقَالَ: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ﴾. لِأَنَّ اللَّهَ جَعَلَ الْإِتْيَانَ مِنْ سُلَيْمَانَ بِالسَّحَرِ كَفَرًا فَبَرَأَهُ مِنْهُ، وَأَعْلَمَ أَنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا فَقَالَ: ﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾ ﴿يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السَّحَرَ﴾ «فَمِنْ شَدَدِ» ﴿وَلَكِنْ﴾ نَصَبَ الشَّيَاطِينَ، وَمَنْ خَفَفَ رَفَعُ فَقَالَ: «وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا» وَقَدْ قُرِئَ بِهِمَا جَمِيعًا.

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السَّحَرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ﴾.

وقد قريء على المَلَكَيْنِ، و﴿الْمَلَكَيْنِ﴾ أثبت في الرواية والتفسير جميعاً، المعنى يعلمون الناس السَّحَرَ ويعلمون ما أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ فموضع ما نصب، نَسَقُ عَلَى السَّحَرِ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينَ وَاتَّبَعُوا مَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ، فَتَكُونُ مَا الثَّانِيَةِ عَطْفًا عَلَى الْأُولَى.

وقوله: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾.

فيه غير قول: أحدهما ^(٢) - وهو أثبتها أن الملكين كانا يعلمان الناس السحر. وعلمت، وأعلمت جميعاً في اللغة بمعنى واحد. (كانا يعلمان) ^(٣) نبأ السحر ^(٤) ويأمران باجتنابه - وفي ذلك حكمة لأن سائلاً لو سأل: ما الزنا وما

(١) ليست في ك.

(٢) في ط أحدهما.

(٣) ليست في ك.

(٤) في ك ما السحر: وهو فيهما بدل من السحر. أي يعلمان الناس نبأ السحر وما هو.

(٥) يُعَرَّفُ مَا سُئِلَ عَنْهُ.

القذف لوجب أن يوقف ويُعلم أنه حرام، فكذلك مجاز إعلام الملكين الناس وأمرهما باجتنابه بعد الإعلام يدل على ما وصفنا، فهذا مستقيم بين، ولا يكون على هذا التأويل تعلم السحر كُفراً، إنما يكون العمل به كُفراً، كما أن من عَرَفَ الزنا لم يَأْثُمَ بآثمه عرفه، وإنما يَأْثُمُ بالعمل به. وفيه قول آخر، جائز أن يكون الله عز وجل امتحن بالملكين الناس في ذلك الوقت، وجعل المحنة في الكفر والإيمان أن يقبل القابل تعلم السحر، فيكون يتعلمه كافراً، ويتترك تعلمه مؤمناً، لأن السحر قد كان كثر وكان في كل أمة، والدليل على ذلك أن فرعون فزع في أمر موسى ﷺ إلى السحر - فقال: ﴿ائتوني بكل ساحر عليم﴾^(١) وهذا ممكن أن يمتحن الله به كما امتحن بالنهر في قوله ﴿إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ﴾^(٢).

وقد قيل إن السحر ما أنزل على الملكين، ولا أمراً به ولا أتى به سليمان عليه السلام. فقال قوم: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السَّحَرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ﴾، فيكون «ما» جُحْداً، ويكون هاروت وماروت من صفة الشياطين، على تأويل هؤلاء، كان التأويل عندهم على مذهب هؤلاء: كان الشياطين هاروت وماروت، ويكون معنى قولهما على مذهب هؤلاء «إنما نحن فتنة فلا تكفر» كقول الغاوي والخليع: أنا في ضلال فلا تَرُدُّ ما أنا فيه.

فهذه ثلاثة أوجه، والوجهان الأولان أشبه بالتأويل وأشبه بالحق عند كثير من أهل اللغة، والقول الثالث له وجه، إلا أن الحديث وما جاء في قصة الملكين أشبه وأولى أن يؤخذ به.

(١) يونس ١٠ - ٧٩.

(٢) البقرة ٢ - ٢٤٩.

وإنما نذكر مع الإعراب المعنى والتفسير، لأن كتاب الله ينبغي أن يتبين
ألا ترى أن الله يقول: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾^(١) (فَحُضُّنَا)^(٢) على التدبر
والنظر، ولكن لا ينبغي لأحد أن يتكلم إلا على مذهب اللغة، أو ما يوافق نقلة
أهل العلم، والله أعلم بحقيقة تفسير هذه الآية. فإن النحويين قد ترك^(٣) كثير
منهم الكلام فيها لصعوبتها، وتكلم جماعة منهم وإنما تكلمنا على مذاهبهم.

وقال بعض أهل اللغة: إن الذي أنزل على الملكين كلام ليس بسحر
إلا أنه يفرق (به بين)^(٤) المرء وزوجه فهو من باب السحر في التحريم وهذا
يحتاج من الشرح إلى مثل ما يحتاج إليه السحر^(٥).

وقوله عز وجل: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا﴾.

ليس يتعلمون بجواب لقوله فلا تكفر^(٦) وقد قال أصحاب النحو في هذا
قولين^(٧) - قال بعضهم: إن قوله يتعلمون عطف على قوله ﴿يُعَلِّمُونَ﴾ وهذا
خطأ، لأن قوله منهما دليل ههنا على أن التعليم من الملكين خاصة وقيل
﴿فَيَتَعَلَّمُونَ﴾ عطف على ما يوجبه معنى الكلام. المعنى: إنما نحن فتنة فلا
تكفر: فلا تتعلم ولا تعمل بالسحر، فيأبون فيتعلمون، وهذا قول حسن.
والأجود في هذا أن يكون عطفاً على يعلمان فيتعلمون واستغنى عن ذكر
يعلمان بما في الكلام من الدليل عليه.

(١) النساء ٤ - ٨٢ والقتال ٤٧ - ٢٤.

(٢) ليست في ط.

(٣) في ط نبذ.

(٤) ليست في ط والعبارة هناك - يفرق المرء وزوجه.

(٥) يحتمل إلا وجه التي سبقت.

(٦) في ط: فلا تكفروا بي وهو خطأ.

(٧) في ط في هذا أيضاً.

وقوله عز وجل: ﴿وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ .
الإذن هنا لا يكون الأمر من الله عز وجل: «لَإِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ»،
ولكن المعنى إلا بعلم الله^(١) .

وقوله عز وجل: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾ .
المعنى أنه يضرهم في الآخرة وإن تعجلوا به في الدنيا نفعاً .
وقوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ﴾ .
الخلق النصيب الوافر من الخير، ويعني بذلك الذين يعلمون السحر
لأنهم كانوا من علماء اليهود .

وقوله عز وجل: ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ .
فيه قولان^(٢) : قالوا: ﴿لو كانوا يعلمون﴾ : يعني به الذين يُعَلِّمُونَ السُّحْرَ .
والذين علموا أن العالم به لا خلاق له هم المعلمون . .

قال أبو إسحق والأجود عندي أن يكون ﴿لو كانوا يعلمون﴾ راجعاً إلى
هؤلاء الذين قد علموا أنه لا خلاق لهم في الآخرة . أي لمن علّم السحر ولكن
قليل ﴿لو كانوا يعلمون﴾ أي لو كان علمهم ينفعهم لسُمُّوا عالمين، ولكن علّمهم
نبذوه وراء ظهورهم، فقليل لهم ﴿لو كانوا يعلمون﴾ أي ليس يوفون العلم حقه،
لأنّ العالم، إذا ترك العمل بعلمه قليل له لست بعالم .

ودخول اللام في لقد على جهة القسم والتوكيد، وقال النحويون في
﴿لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق﴾ قولين: جعل بعضهم «من» بمعنى

(١) أي بإرادته تعالى إذ لا يقع في ملكه إلا ما يريد .

(٢) في مرجع الضمير من قالوا، إذ هو إما لمن يعلمون أو لمن علموا، أي المعلمين أو المتعلمين،
وأثر هو الثاني .

الشرط، وجعل الجواب ﴿ماله في الآخرة من خلاق﴾. وهذا ليس بموضع شرط ولا جزاء، ولكن المعنى: ولقد علموا الذي اشتراه ما له في الآخرة من خلاق: كما تقول: والله لقد علمت للذي جاءك ماله من عقل. فأما دخول اللام في الجزاء في غير هذا الموضع وفيمن جعل هذا موضع شرط وجزاء مثل قوله: ﴿وَلَيْنَ جِثَّتْهُمْ بَيَّاتٍ لَيَقُولُنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾^(١) ونحو ﴿وَلَيْنَ أُتِيتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ﴾^(٢). فاللام الثانية هي لام القسم في الحقيقة، لأنك إنما تحلف على فعلك لا على فعل غيرك في قولك: والله لئن جئتني لأكرمَنَّكَ، فزعم بعض النحويين أن اللام لما دخلت في أول الكلام أشبهت القسم فأجيب بجوابه وهذا خطأ، لأن جواب القسم ليس يشبه القسم^(٣)، ولكن اللام الأولى دخلت إعلماً أَنَّ الجملة بكما لها معقودة للقسم، لأن الجزاء وإن كان للقسم عليه فقد صار للشرط فيه حظ، فلذلك دخلت اللام^(٤).

وقوله عز وجل: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ خَيْرٌ﴾.

مَثُوبَةٌ في موضع جواب «لو» لأنها تُنبئ عن قولك «لأثيبوا» ومعنى الكلام أن ثواب الله خير لهم من كَسْبِهِم بِالْكُفْرِ وَالسُّخْرِ.

وقوله عز وجل: ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾.

أي لو كانوا يَعْلَمُونَ بِعِلْمِهِمْ، ويعلمون حقيقة ما فيه الفضل.

(١) الروم ٣٠ - ٥٨.

(٢) البقرة ٢ - ١٤٥.

(٣) أي أن جواب القسم يأتي للقسم نفسه لا لما يشبهه.

(٤) نفى أن تكون الآية ﴿لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق﴾ مما اجتمع فيه الشرط والقسم وأثر

أن «من» في ﴿لمن اشتراه﴾ موصولة ولكن القسم فيه معنى الشرط لحاجته إلى الجواب.

وحيث اجتمع الشرط والقسم فجواب الثاني محذوف.

وقوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا
وَاسْمَعُوا﴾.

وقرأ الحسن لا تقولوا «راعنا» بالتنوين، والذي عليه الناس راعنا غير
منون^(١)، وقد قيل في ﴿راعنا﴾ بغير تنوين ثلاثة أقوال: قال بعضهم راعنا:
ارعنا سمعك، وقيل كان المسلمون يقولون للنبي ﷺ راعنا، وكانت اليهود
تتسأب بينها بهذه الكلمة، وكانوا يسبون النبي ﷺ في نفوسهم، فلما سمعوا
هذه الكلمة اغتمموا أن يظهروا سبه بلفظ يسمع ولا يلحقهم به في ظاهره
شيء، فأظهر الله النبي ﷺ والمسلمين على ذلك ونهى عن هذه الكلمة.

وقال قوم: ﴿لا تقولوا راعنا﴾: من المراعاة والمكافأة^(٢)، فأمرُوا أن يخاطبوا
النبي ﷺ بالتقدير والتوقير، فقيل لهم لا تقولوا راعنا، أي كافنا في المقال،
كما يقول بعضهم لبعض، وقولوا: انظُرنا أي أمهلنا واسمعوا، كأنه قيل لهم
استمعوا. وقال قوم إن ﴿راعنا﴾ كلمة تجري على الهُزء والسخرية، فنهى
المسلمون أن يلتفتوا بها بحضرة النبي ﷺ.

وأما قراءة الحسن «راعنا» فالمعنى فيه لا تقولوا حُمقاً، من الرعونة.

وقوله عز وجل: ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ﴾.

المعنى ولا من المشركين، الذين كفروا من أهل الكتاب: اليهود
والمشركون في هذا الوضع عبدة الأوثان.

﴿أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾.

ويُقرأ أن يُنزل عليكم بالتخفيف والتثقيب جميعاً، ويجوز في العربية «أن

(١) ك بغير تنوين.

(٢) أي المساواة - والمعنى إذن لا تطلبوا المساواة في الخطاب.

يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ»^(١) ولا ينبغي أن يقرأ بهذا الوجه الثالث، إذ كان لم يقرأ به أحد من القراء المشتهرين. وموضع ﴿من خير﴾ رفع. المعنى: ما يود الذين كفروا والمشركون أن ينزل عليكم خير من ربكم، ولو كان هذا في الكلام لجاز ولا المشركون، ولكن المصحف لا يخالف، والأجود ما ثبت في المصحف أيضاً، ودخول من ههنا على جهة التوكيد والزيادة كما في «ما جاءني من أحد»، وما جاءني أحد.

وقوله عز وجل: ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ أي يختص بنبوته من يشاء من أخبر - عز وجل - أنه مختار.

وقوله عز وجل: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾ في ﴿ننسخ﴾ غير وجه قد قرئ به: أَوْ نُنْسِهَا، وَنُنْسُهَا، وَنَنْسُوهَا. فأما النسخ في اللغة فإبطال شيء وإقامة آخر مقامه، العرب تقول نسخت الشمس الظل، والمعنى أذهبت الظل وحلت محله، وقال أهل اللغة في معنى ﴿أَوْ نُنْسِهَا﴾ قولين: قال بعضهم، «أَوْ نُنْسِهَا» من النسيان، وقالوا دليلنا على ذلك قوله عز وجل ﴿سَنَقْرَأُكَ فَلَا تَنْسَى إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾^(٢) فقد أعلم الله أنه يشاء أن ينسى، وهذا القول عندي ليس بجائز، لأن الله عز وجل: قد أنبا النبي ﷺ في قوله ﴿وَلْتَن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾^(٣) أنه لا يشاء، أن يذهب بالذي أوحى به إلى النبي ﷺ. وفي قوله ﴿فَلَا تَنْسَى إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ قولان يُبطلان هذا القول الذي حكينا عن بعض أهل اللغة: أحدهما ﴿فَلَا تَنْسَى﴾ أي لست تترك إلا ما شاء الله أن تترك، ويجوز أن يكون إلا ما شاء الله مما يلحق بالبشرية، ثم تذكر بعد،

(١) ك أن ينزل عليكم، ويكون معناه أن ينزل الله عليكم.

(٢) سورة الأعلى ٨٧ - ٦.

(٣) سورة الإسراء ١٧ - ٨٦.

ليس أنه على طريق السلب للنبي ﷺ شيئاً أوتيته من الحكمة^(١) وقيل في ﴿أَوْ نُنْسِيهَا﴾ قول آخر وهو خطأ أيضاً، قالوا أَوْ نَتْرُكُهَا وهذا يقال فيه نسيت إذا تركت، ولا يقال أنسيت، [أي] تركت^(٢)، وإنما معنى ﴿أَوْ نُنْسِيهَا﴾ أَوْ نَتْرُكُهَا أي نأمر بتركها، فإن قال قائل ما معنى تركها غير النسخ وما الفرق بين الترك والنسخ؟ فالجواب في ذلك أن النسخ يأتي في الكتاب في نسخ الآية بآية فتبطل الثانية العمل بالأولى. ومعنى الترك أن تأتي الآية بضرب من العمل فيؤمر المسلمون بترك ذلك بغير آية تأتي ناسخة للتي قبلها، نحو ﴿إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَاَمْتَحِنُوهُنَّ﴾^(٣) ثم أمر المسلمون بعد ذلك بترك المِحنة^(٤) فهذا معنى الترك، ومعنى النسخ قد بيناه فهذا هو الحق.

ومن قرأ ﴿أَوْ نُنْسِيهَا﴾ أراد نُؤَخِّرُهَا. والنَّسْءُ في اللغة التأخير، يقال: نسأ الله في أجله^(٥) وأنسأ الله أجله أي أخر أجله.

وقوله: ﴿نَاتٍ بِخَيْرٍ مِنْهَا﴾.

المعنى بخير منها لكم، ﴿أَوْ مِثْلَهَا﴾ فأما ما يؤتى فيه بخير من المنسوخ فتمام الصيام الذي نسخ الإباحة في الإفطار لمن استطاع الصيام.

ودليل ذلك قوله: وَتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ فهذا هو خير لنا كما قال الله عز وجل^(٦).

وأما قوله ﴿أَوْ مِثْلَهَا﴾ أي ناتي بآية ثوابها كثواب التي قبلها، والفائدة في

(١) يريد أن الاستثناء في ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ لا يفيد أن النبي يسلب شيئاً من الحكمة التي أوتيها، وإنما ينسى ويذكر.

(٢) لا يفسر الفعل المتعدي باللازم.

(٣) الممتحنة ٦٠ - ١٠. (٤) الامتحان.

(٥) في ط يقال نسأ الله أجله، ولم يذكر أنسأ.

(٦) هذا رأي لبعض المفسرين في الآية ﴿وَعَلَى الَّذِينَ بَطِيقُونَهُ﴾ وسيأتي.

ذلك أن يكون الناسخ أسهل في المأخذ من المنسوخ، والإيمان به أسوغ، والناس إليه أسرع. نحو القبلة التي كانت على جهة ثم أمر الله النبي ﷺ بجعل البيت قبله المسلمين وعدل بها عن القصد لبيت المقدس، فهذا - وإن كان السجود إلى سائر النواحي متساوياً في العمل والثواب، فالذي أمر الله به في ذلك الوقت، كان الأصلح، والأدعى للعرب وغيرهم إلى الإسلام.

وقوله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

لفظ ﴿أَلَمْ﴾ ههنا لفظ إستفهام ومعناه التوقيف^(١)، وجزم ﴿أَلَمْ﴾ ههنا كجزم «لم» لأن حرف الاستفهام لا يغير العامل عن عمله، ومعنى الملك في اللغة تمام القدرة واستحكامها فما كان مما يقال فيه مَلِكٌ سمي المُلْكُ، وما نالته القدرة مما يقال فيه مَالِكٌ فهو مَلِكٌ، تقول: ملكت الشيء أملكه مَلِكاً، وكقوله^(٢) [تعالى] ﴿عَلَى مَلِكٍ سَلِيمٍ﴾ أي في سلطانه وقُدرته. وأصل هذا من قولهم ملكت العجين أملكه^(٣) إذا بالغت في عجنه، ومن هذا قيل في التزويج شهدنا «إملاك» فلان، أي شهدنا عقد أمر نكاحه وتشديده.

ومعنى الآية إن الله يملك السموات والأرض ومن فيهن فهو أعلم بوجه الصلاح فيما يتعبدون به، من ناسخ ومنسوخ ومتروك وغيره.

وقوله عز وجل: ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾.

هذا خطاب للمسلمين يخبرون فيه أن من خالفهم فهو عليهم، وأن الله جلّ وعزّ ناصرهم، والفائدة فيه أنه بنصره أيهم يغلبون من سواهم.

(١) في ك التوقيف والتقيرير - والمراد التوقيف على العلم أي قد علمت.

(٢) في ط وكأنه قوله.

(٣) في ك أملكه ملكاً.

وقوله عز وجل: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ﴾.

أجود القراءة بتحقيق الهمزة^(١)، ويجوز جعلها بينَ بينَ، يكون بين الهمزة والياء فيلفظ بها سِيلَ.. وهذا إنما تحكمه المشافهة لأن الكتاب^(٢) فيه غير فاصل بين المتحقق والمُلتين وما جُعِلَ ياءً خالصةً، ويجوز كما سِيلَ موسى من قبل، من قولك «سِلْتُ»، أَسَال في معنى سُئِلْتُ أَسَال وهي لغة للعرب حجاها^(٣) جميع النحويين، ولكن القراءة على الوجهين اللذين شرحناهما قبل هذا الوجه من تحقيق الهمزة وتليينها.

ومعنى ﴿أَمْ﴾ ههنا وفي كل مكان لا تقع فيه عطفاً على ألف الاستفهام - إلا أنها لا تكون مبتدأة - أنها تؤذن بمعنى بل ومعنى ألف الاستفهام^(٤)، المعنى «بل»^(٥). أتريدون أن تسألوا رسولكم كما سُئِلَ موسى من قبل» فمعنى الآية أنهم نهوا أن يسألوا النبي ﷺ ما لا خير لهم في السؤال عنه وما يُكْفِرُهم، وإنما خوطبوا بهذا بعد وضوح البراهين لهم وإقامتها على مخالفتهم وقد شرحنا ذلك في قولهم «فَتَمَنَّوْا الموتَ» وما أشبه ذلك مما تقدم شرحه.

فأَعْلِمِ المسلمون أن السؤال بعد قيام البراهين كفر. كما قال عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ﴾^(٦).

(١) همزة ﴿سئل موسى﴾.

(٢) أي الكتاب.

(٣) بمعنى عقلها وفي ك حكاها.

(٤) تؤذي معناهما معاً. أي الإضراب والاستفهام.

(٥) سقطت من ب ولا يتم المعنى بدونها.

(٦) سورة المائدة ٥ - ١٠١.

وقوله: ﴿وَمَنْ يَتَّبِدَلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾.

أي من يسأل عما لا يعنيه النبي ﷺ بعد وضوح الحق فقد ضل سواء السبيل (أي قصد السبيل) (١).

وقوله عز وجل: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا﴾.

يعني به علماء اليهود.

وقوله: ﴿حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ﴾.

﴿من عند أنفسهم﴾ موصول بـ «الذين كفروا»، لا بقوله حسداً، لأن حسد الإنسان لا يكون من عند نفسه، ولكن المعنى مودتهم بكفرهم من عند أنفسهم، لا أنهم عندهم الحق الكفر (٢)، ولا أن كتابهم أمرهم بما هم عليه من الكفر بالنبي ﷺ، الدليل على ذلك قوله: ﴿من بعد ما تبين لهم الحق﴾.

وقوله عز وجل: ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾.

هذا في وقت لم يكن المسلمون أمروا فيه بحرب المشركين، وإنما كانوا يدعون بالحجج البينة وغاية الرفق حتى بين الله أنهم إنما يعاندون بعد وضوح الحق عندهم فأمر المسلمون بعد ذلك بالحرب.

وقوله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

أي قدير على أن يدعو إلى دينه بما أحب مما هو عنده الأحكم والأبلغ. ويقال: أقدر (٣) على الشيء قدراً وقدراً وقدراً، وقدراً، ومقدرة

(١) في ك فقط.

(٢) ليس الحق ملتبساً عليهم فحسبوه كفراً، ولكن الحسد حملهم على إنكاره.

(٣) في ط يقال على الشيء أقدر... الخ.

ومقدرة ومقدرة. هذه سبعة أوجه مروية كلها، وأضعفها مقدرة - بالكسر -.

وقوله عز وجل: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾.

الإخبار في هذا عن أهل الكتاب^(١)، وعقد النصارى معهم في قوله وقالوا لأن الفريقين يقرآن التوراة، ويختلفان في تثبيت رسالة موسى وعيسى، فلذلك^(٢) قال الله عز وجل: وقالوا: «فأجملوا».

فالمعنى أن اليهود قالت لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً، والنصارى قالت لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانياً، وجاز أن يلفظ بلفظ جمع لأن معنى ﴿من﴾ معنى جماعة. فحُمِلَ الخبر على المعنى. والمعنى إلا الذين كانوا هوداً وكانوا نصارى. وهو جمع هائد وهود، مثل حائل وحول، وبازل وبزل، وقد فسرنا واحد النصارى وجمعه فيما مضى من الكتاب^(٣).

وقوله عز وجل: ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾.

هذا كما يقال للذي يدعي ما لا يبرهن حقيقته إنما أنت مُتَمَنٍّ، وأمانيتهم مشددة، ويجوز في العربية تلك «أمانيتهم» ولكن القراءة بالتشديد لا غير، (للإجماع عليه، ولأنه أجود في العربية)^(٤).

وقوله عز وجل: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

(أي إن كنتم عند أنفسكم صادقين) فبينوا ما الذي دلکم على ثبوت الجنة لكم.

(١) كذا في الأصول كلها ولعله اليهود.

(٢) في ك فلذلك أجملوا.

(٣) ص ١٤٧.

(٤) ليست في ط.

وقوله عز وجل: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ﴾.

أي فهذا يدخل الجنة، فإن قال قائل فما برهان من آمن في قولكم، قيل ما بيناه، من الاحتجاج للنبي ﷺ ومن إظهار البراهين بأنبائهم ما لا يعلم إلا من كتاب أو وحي، وبما قيل لهم في تمني الموت، وما أتى به النبي ﷺ من الآيات الدالة على تثبيت الرسالة، فهذا برهان من أسلم وجهه لله.

وقوله عز وجل: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ، وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾.

يعني به أن الفريقين يتلوان التوراة، وقد وقع بينهم هذا الاختلاف وكتابهم واحد، فدل بهذا على ضلالتهم، وحذر بهذا وقوع الاختلاف في القرآن، لأن اختلاف الفريقين أخرجهما إلى الكفر.

فتفهموا هذا المكان فإن فيه حجة عظيمة وعظة في القرآن.

وقوله عز وجل: ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾.

يعني به الذين ليسوا بأصحاب كتاب، نحو مشركي العرب والمجوس، المعنى أن هؤلاء أيضاً قالوا: لن يدخل الجنة إلا من كان على ديننا.

وقوله عز وجل: ﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾.

المعنى يريهم من يدخل الجنة عياناً، ويدخل النار عياناً. وهذا هو حكم الفصل فيما تصير إليه كل فرقة، فأما الحكم بينهم في العقيدة فقد بينه الله عز وجل - فيما أظهر من حجج المسلمين، وفي عجز الخلق عن أن يأتوا بمثل القرآن.

وقوله عز وجل: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ﴾.

موضع من رفع ولفظها لفظ استفهام، المعنى: وأي أحد أظلم ممن منع

مساجد الله، و﴿أظلم﴾ رفع بخبر الابتداء، وموضع أن نصب على البدل من مساجد الله، المعنى: ومن أظلم ممن منع أن يذكر في مساجد الله اسمه^(١).

وقد قيل في شرح هذه الآية غير قول: جاء في التفسير أن هذا يعني به الروم، لأنهم كانوا دخلوا بيت المقدس وخربوه^(٢)، وقيل يعني به مشركو مكة^(٣) لأنهم سعوا في منع المسلمين من ذكر الله في المسجد الحرام. وقال بعض أهل اللغة غير هذا. زعم^(٤) أنه يعني به جميع الكفار الذين تظاهروا على الإسلام، ومنعوا جملة المساجد، لأن من قاتل المسلمين حتى منعهم الصلاة فقد منع جميع المساجد^(٥) وكل موضع مُتَعَبَّدٌ فيه فهو مسجد، ألا ترى أن النبي ﷺ قال: جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، فالمعنى على هذا المذهب: ومن أظلم ممن خالف ملة الإسلام.

وقوله عز وجل: ﴿أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ﴾. أعلم الله في هذه الآية أن أمر المسلمين يظهر على جميع من خالفهم حتى لا يمكن دخول مخالف إلى مساجدهم إلا خائفاً، وهذا كقوله عز وجل: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾^(٦).

وقوله: ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

يرتفع ﴿خزي﴾ من وجهتين: إحداهما الابتداء، والأخرى الفعل الذي

(١) الأقرب تقدير حرف الجر لأنه مطرد هنا ويكون التقدير منع مساجد الله من أن يذكر فيها اسمه.

(٢) ط وأخربوه.

(٣) ط مشركي.

(٤) ط زعم هذا.

(٥) لأنه كان يترتب على منع المسلمين الأول من بناء مسجد ألا يبني مسجداً أبداً.

(٦) سورة التوبة ٩ - ٣٣.

ينوب عنه ﴿لهم﴾. المعنى ^(١) وجب لهم خزي في الدنيا وفي الآخرة عذاب عظيم، والخزي الذي لهم في الدنيا، أن يُقتلوا إن كانوا حرباً، ويُجزوا ^(٢) إن كانوا ذمة، وجعل لهم عظيم العذاب لأنهم أظلم من ^(٣) ظلم لقوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ﴾ ^(٤).

وقوله عز وجل: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾.
يرتفعان كما وصفنا من جهتين، ومعنى لله أي هو خالقهما.

وقوله: ﴿فَأَيْنَمَا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهَ اللَّهِ﴾.
﴿تولوا﴾ جزم بأينما، والجواب ﴿فتم وجه الله﴾، وعلامة الجزم في ﴿تولوا﴾ سقوط النون. وتم موضع نصب ولكن مبني على الفتح لا يجوز أن تقول ثماً زيد. وإنما بني على الفتح لالتقاء الساكنين، وتم في المكان إشارة بمنزلة هنا زيد، فإذا أردت المكان القريب قلت هنا زيد، وإذا أردت المكان المتراخي عنك قلت ثم زيد، وهناك زيد، فإنما منعت ثم الإعراب لإبهامها. ولا أعلم أحداً شرح هذا الشرح لأن هذا غير موجود في كتبهم.

ومعنى الآية أنه قيل فيها أنه يعني به البيت الحرام، فقيل أينما تولوا فتم وجه الله أي فاقصدوا وجه الله بتيممكم القبلة، ودليل من قال هذا القول قوله: ﴿ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام﴾ ^(٥). فقد قيل أن قوماً كانوا في سفر فأدركتهم ظلمة ومطر فلم يعرفوا القبلة فقيل: ﴿فأينما تولوا فتم وجه الله﴾.

(١) هذا التقدير على الوجه الثاني.

(٢) يدفعون الجزية.

(٣) في ط أظلم ممن ظلم.

(٤) أي لا أحد أظلم منه.

(٥) البقرة ٢ - ١٤٩، ١٥٠.

وقال بعض أهل اللغة إنما المعنى معنى قوله: ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾^(١) فالمعنى على قوله^(٢) هذا: أن الله معكم أينما تولوا - كأنه أينما تولوا فثم الله (وهو معكم)^(٣) وإنما حكينا في هذا ما قال الناس: وليس عندنا قطع في هذا، والله عز وجل أعلم بحقيقته - ولكن قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ يدل على توسيعه^(٤) على الناس في شيء رخص لهم به.

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ﴾.

﴿قالوا﴾ هو للنصارى ومشركي العرب، لأن النصارى قالت: المسيح ابن الله، وقال مشركو العرب الملائكة بنات الله، فقال الله عز وجل: ﴿بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ﴾.

القانت في اللغة المطيع، وقال الفراء: ﴿كل له قانتون﴾ هذا خصوص إنما يعني به أهل الطاعة، والكلام يدل على^(٥) خلاف ما قال، لأن قوله: ﴿ما في السموات والأرض كل له قانتون﴾ كل إحاطة وإنما تأويله: كل ما خلق الله في السموات والأرض فيه أثر الصنعة فهو قانت لله والدليل على أنه مخلوق - والقانت في اللغة القائم أيضاً ألا ترى أن القنوت إنما يُسمى به من دعا قائماً في الصلاة قانتاً، فالمعنى كل له قانت مقر بأنه خالقه، لأن أكثر من يخالف ليس بدفع أنه مخلوق وما كان غير ذلك فأثر الصنعة بين^(٦) فيه، فهو قانت على العموم، وإنما القانت الداعي.

وقوله: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

(١) الحديد ٥٧ - ٤.

(٢) ك. على قول هذا.

(٣) ليست في ك.

(٤) في ك بدل على أنه توسعة، وفي ط على توسعه.

(٥) في ط، ب والكلام يدل بخلاف ذلك.

(٦) أثر القدرة الإلهية.

يعني أنشأهما على غير جذاء ولا مثالٍ، وكل من أنشأ ما لم يسبق إليه قيل له أبدعت، ولهذا قيل لكل من خالف السنة والإجماع مبتدع، لأنه يأتي في دين الإسلام بما لم يسبقه إليه الصحابة والتابعون.

وقوله: عز وجل: ﴿إِذَا قُضِيَ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾.

رفع ﴿يكون﴾ من جهتين: إن شئت على العطف على يقول، وإن شئت الإستئناف. المعنى فهو يكون، ومعنى الآية قد تكلم الناس فيها بغير قول: قال بعضهم: إنما يقول له ﴿كن فيكون﴾ إنما يريد، فيحدث كما قال الشاعر: امْتَلَأَ الْحَوْضُ وَقَالَ قَطْنِي مهلاً رويداً قد ملأت بطني^(١)

والحوض لم يقل. وقال بعض أهل اللغة: ﴿إنما يقول له كن فيكون﴾ يقول له وإن لم يكن حاضراً: كن، لأن ما هو معلوم عنده بمنزلة الحاضر، وقال قائل: ﴿إنما يقول له كن فيكون﴾ له معنى «من أجله»^(٢) فكأنه إنما يقول من أجل إرادته إياه ﴿كن﴾ أي أحدث فيحدث، وقال قوم: هذا يجوز أن تكون^(٣) لأشياء معلومة أحدث فيها أشياء فكانت، نحو قوله: ﴿فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين﴾. والله أعلم.

وقوله عز وجل: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ﴾.

﴿لولا﴾ في معنى هلا، المعنى: هلا يكلمنا الله أو تأتينا آية، فاعلم الله عز وجل أن كفرهم في التعنت بطلب الآيات على اقتراحهم كقول الذين من قبلهم لموسى: ﴿أرنا الله جهرة﴾، وما أشبه هذا، فاعلم الله أن كفرهم متشابه، وأن قلوبهم قد تشابهت في الكفر.

(١) قطني بمعنى حسبي - وهذا الشعر لم يعرف قائله والبيت في اللسان بدون نسبة (قطن) وفي

الأمالي الشجرية ١ - ٣١٣ والمقاصد النخوية ١ - ٣٦ والخصائص ١ - ٢٣.

(٢) «له» للشيء الذي أراده الله - يقول من أجله ﴿كن﴾ فيوجد.

(٣) تكون كلمة ﴿كن﴾ لأشياء معلومة.

وقوله عز وجل: ﴿قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾.

المعنى فيه أن من أيقن وطلب الحق فقد آتته الآيات البينات، نحو المسلمين ومن لم يشاق من علماء اليهود، لأنه لما أتاهم ﷺ بالآيات التي يُعْجِزُ عنها من أنبائهم بما لا يُعلم إلا من وحي، ونحو انشقاق القمر وآياته التي لا تحصى عليه السلام، والقرآن الذي قيل لهم فأتوا بسورة من مثله فَعَجَزُوا عَنْ ذَلِكَ. ففي هذا برهان شافٍ.

وقوله عز وجل: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾.

نصب «بشيراً ونذيراً» على الحال، ومعنى بشيراً، أي مبشراً المؤمنين بما لهم من الثواب، وينذر المخالفين بما أعد لهم من العقاب.

وقوله عز وجل: ﴿وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾.

وتقرأ ﴿وَلَا تُسْأَلُ﴾، ورفع القراءتين جميعاً من جهتين، إحداهما أن يكون ﴿وَلَا تُسْأَلُ﴾ استئنافاً، كأنه قيل ولست تسأل عن أصحاب الجحيم، كما قال عز وجل: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾^(١) ويجوز أن يكون له الرفع على الحال، فيكون المعنى: أرسلناك غير سائل عن أصحاب الجحيم.

ويجوز أيضاً «وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ» وقد قرئ به فيكون جزءاً بلا. وفيه قولان على ما توجه اللغة: أن يكون أمره الله بترك المسألة، ويجوز أن يكون النهي لفظاً، ويكون المعنى على تفخيم ما أعد لهم من العقاب، كما يقول لك القائل الذي تَعْلَمُ أنت أنه يجب أن يكون من تسأل عنه في حال جميلة أو حال قبيحة، فتقول لا تسأل عن فلان أي قد صار إلى أكثر مما تريد، ويقال: سألت أسأله مسألة وسؤالاً، والمصادر على فُعَال تَقِلُّ في غير

(١) سورة إبراهيم.

الأصوات والأدواء فأما في الأصوات فنحو الدعاء والبكاء والصراخ وأما في الأدواء فنحو: الزكام والسعال وما أشبه ذلك. وإنما جاء في السؤال لأن السؤال لا يكون إلا بصوت.

وقوله عز وجل: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى﴾.

قد شرحنا معنى اليهود^(١) والنصارى. و«ترضى» يقال في مصدره رضى، يرضى، رضا ومرضاة، ورضواناً ورضواناً^(٢)، ويروي عن عاصم في كل ما في القرآن من «رضوان» الوجهان جميعاً، فأما ما يرويه عنه أبو عمرو فَرِضْوَانٌ بالكسر، وما يرويه أبو بكر بن عياش: فَرُضْوَانٌ، والمصادر تأتي على فُعْلَان وفُعْلَان، فأما فُعْلَان، فقولك عرفته عِرْفَاناً، وحسبته حسبَاناً، وأما فُعْلَان كقولك: غُفْرَانُكَ لا كُفْرَانُكَ^(٣).

وقوله عز وجل: ﴿حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾.

﴿تتبع﴾ نصب بحتى، والخليل وسيبويه وجميع من يوثق بعلمه يقولون إن الناصب للفعل بعد حتى «أن» إلا أنها لا تظهر مع حتى، ودليلهم أن حتى غير ناصبة [هو] أن حتى بإجماع خافضة، قال الله عز وجل: ﴿سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾^(٤) فخفض مطلع بحتى، ولا نعرف في العربية أن ما يعمل في اسم يعمل في فعل، ولا ما يكون خافضاً لاسم يكون ناصباً لفعل، فقد بان أن حتى لا تكون ناصبة، كما أنك إذا قلت: جاء زيد ليضربك فالمعنى جاء زيد لأن يضربك، لأن اللام خافضة للاسم، ولا تكون ناصبة لفعل، وكذلك ما كان زيد ليضربك، اللام خافضة، والناصب ليضربك أن المضمرة، ولا يجوز إظهارها مع هذه اللام، وإنما لم يجز لأنها جواب لما يكون مع الفعل وهو

(١) ك - معنى تفسير اليهود.

(٢) بكسر الراء وضمها.

(٣) أي أسالك المغفرة وأعوذ بك من الكفر.

(٤) القدر ٩٧ - ٥ وسلام هي ليست في ك.

حرف واحد يقول القائل : سيضربك ، وسوف يضربك ، فجعل الجواب في
النفي بحرف واحد كما كان في الإيجاب بشيء واحد .

ونصب ملتهم بتتبع ، ومعنى ملتهم في اللغة سنتهم وطريقتهم ، ومن هذا
الملة أي الموضع الذي يختبئ فيه ، لأنها تؤثر في مكانها كما يؤثر في الطريق .
وكلام العرب إذا اتفق لفظه فأكثره مشتق بعضه من بعض ، وآخذ بعضه برقاب
بعض .

وقوله عز وجل : ﴿إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى﴾ .
أي الصراط الذي دعا إليه وهدى إليه هو الطريق أي طريق الحق .

وقوله عز وجل : ﴿وَلَيْنِ اتَّبَعَتْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ .
إنما جمع ولم يقل هواهم ، لأن جميع الفرق ممن خالف النبي ﷺ لم
يكن ليرضيهم منه إلا أتباع هواهم^(١) . وجمع هوى على أهواء ، كما يقال
جمل وأجمال ، وكتب وأقتاب .

وقوله عز وجل : ﴿مَالِكٍ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ .
الخفض في ﴿نصير﴾ القراءة المجمع عليها ، ولو قرئ ولا نصير بالرفع
كان جائزاً ، لأن معنى من ولي مالك من الله ولي ولا نصير^(٢) .

ومعنى الآية أن الكفار^(٣) كانوا يسألون النبي ﷺ الهدنة ويُرُونَ^(٤) أنه إن
هادنهم وأمهلهم أسلموا ، فأعلم الله عز وجل أنهم لن يرضوا عنه حتى يتبع
ملتهم ، فنهاه الله ووعظه في الركون إلى شيء مما يدعون إليه ، ثم أعلمه الله
عز وجل - وسائر الناس - أن من كان منهم غير متعنت ولا حاسد ولا طالب

(١) كل فرقة تريد ، أن يتبع هواها - فهي أهواء كثيرة .

(٢) موضع ولي هو الرفع . ومن زیدت بعد النفي فيحوز العطف على اللفظ أو المحل .

(٣) يريد اليهود . (٤) يظهرون .

لرياسة تلا التوراة كما أنزلت فذكر فيها أن النبي ﷺ حق فآمن به (١) فقال
[تعالى]:

﴿الَّذِينَ آمَنُوا هُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾.

يعني أن الذين تَلُوا التوراة على حقيقتها، أولئك يؤمنون بالنبي ﷺ. وفي هذا دليل أن غيرهم جاحد لما يعلم حقيقته، لأن هؤلاء كانوا من علماء اليهود، وكذلك من آمن من علماء النصارى ممن تلا كتبهم. ﴿والذين﴾ (٢) يرفع بالابتداء، وخبر الابتداء ﴿يتلون﴾، وإن شئت كان خبر الابتداء يتلونه وأولئك جميعاً، فيكون للابتداء خبران كما تقول هذا حلو حامض.

وقوله عز وجل: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا﴾.

﴿يا بني إسرائيل﴾ نصب لأنه نداء مضاف، وأصل النداء النصب، ألا ترى أنك إذا قلت يا بني زيد، فقال لك قائل: ما صنعت؟ قلت ناديتُ بني زيد، فمحال أن تخبره بغير ما صنعت، وقد شرحناه قبل هذا شرحاً أبلغ من هذا، وإسرائيل لا يتصرف، وقد شرحنا شرحه في مكانه وما فيه من اللغات (٣).

وقوله عز وجل: ﴿اذْكُرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾.

موضع «أن» (٤) نصب كأنه قال اذكروا أني فضلتكم على العالمين، والدليل من القرآن على أنهم فضّلوا قول موسى ﷺ (كما قال الله عز وجل): (٥) ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ

(١) ط وآمن به.

(٢) في الأصل «الذي».

(٣) ص ١١٩ - ٢٠.

(٤) في «أنني فضلتكم».

(٥) ليست في ط.

وجعلكم ملوكاً، وآتاكم ما لم يؤت أحدًا من العالمين ﴿١﴾.

وتأويل تفضيلهم في هذه الآية ما أوتوا من الملك وأن فيهم أنبياء - وأنهم أعطوا علم التوراة، وأن أمر عيسى ومحمد ﷺ لم يكونوا يحتاجون فيه إلى آية غير ما سبق عندهم من العلم به، فذكرهم الله عز وجل ما هم عارفون، ووعظهم فقال:

﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ﴾.

العدل الفدية، وقيل لهم: ﴿ولا تنفعها شفاعة﴾، لأنهم كانوا يعتمدون على أنهم أبناء أنبياء الله، وأنهم يشفعون لهم، فأيشهم الله عز وجل من ذلك، وأعلمهم أن من لم يتبع محمداً ﷺ فلنيس ينجيه من عذاب الله شيء وهو كافر.

وقوله عز وجل: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾.

المعنى أذكروا إذ ابتلى إبراهيم ربه، ومعنى ﴿فأتمهن﴾: وفى بما أمر به فيهن، وقد اختلفوا في الكلمات: فقال قوم تفسيرها أنه أمره بخمس خلال في الرأس، وخمس خلال في البدن، فأما اللاتي في الرأس فالفرق وقص الشارب والسواك، والمضمضة، والاستنشاق، وأما التي في البدن فالختان وحلق العانة والاستنجاء وتقليم الأظافر وتنف الإبط. فهذا مذهب قوم وعليه كثير من أهل التفسير. وقال قوم: ان الذي ابتلاه به ما أمره به من ذبح ولده، وما كان من طرحه في النار، وأمر النجوم التي جرى ذكرها في القرآن في قوله عز وجل: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا﴾ (٢) وما جرى بعد الكواكب من ذكر القمر والشمس، فهذا مذهب قوم.

(١) المائدة ٥ - ٢٠.

(٢) سورة الأنعام آية ٦ - ٧٦.

وجميع هذه الخلال قد إبتلي بها إبراهيم، وقد وفى بما أمر به وأتى بما يأتي به المؤمن بل البر المصطفى المختار، ومعنى ابتلى اختبر.

وقوله عز وجل: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾.
الأم في اللغة القصد، تقول: أمتت كذا وكذا، إذا قصدته وكذلك قوله: ﴿فَتَتِمُّوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾^(١) أي فأقصدا، والإمام الذي يؤتم به فيفعل أهله وأمته كما فعل، أي يقصدون لما يقصد.

﴿قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي، قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾.

فأعلم الله إبراهيم أن في ذريته الظالم، وقد قرئت «لا ينال عهدي الظالمون» والمعنى في الرفع والنصب واحد، لأن النيل مشتمل على العهد، وعلى الظالمين إلا أنه منفي عنهم، والقراءة الجيدة هي على نصب الظالمين^(٢)، لأن المصحف هكذا فيه، وتلك القراءة جيدة (بالغة)^(٣) إلا أنني لا أقرأ بها، ولا ينبغي أن يقرأ بها لأنها خلاف المصحف، ولأن المعنى أن إبراهيم عليه السلام كأنه قال: واجعل الإمامة تنال ذريتي (واجعل)^(٤) هذا العهد ينال ذريتي، قال الله: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾. فهو على هذا أقوى أيضاً.

وقوله عز وجل: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾.

﴿مَثَابَةً﴾ يثوبون إليه، والمثاب والمثابة واحد، وكذلك المقام والمقامة، قال الشاعر:^(٥)

(١) سورة المائدة ٥ - ٦.

(٢) ط والقراءة الجيدة نصب الظالمين.

(٣) ليست في ط. أي القراءة برفع الظالمين جيدة.

(٤) ليست في ك.

(٥) الفرزدق يمدح بشر بن مروان - الديوان ١٢٣ - الشجري ١ - ٣١٣ الخصائص ٣ - ٤٥ والمقام

وإني لقَوَامٌ مَقَاوِمٌ لم يكن جرير ولا مولى جرير يقومها

وواحد المقاوم مقام - وقال زهير:

وفيهـم مقامات حسان وجوهها وأنديةٌ يَتَنَابُها القولُ والفعلُ^(١)

وواحد المقامات مقامة. والأصل في مثابة مَثُوبَةٌ. ولكن حركة الواو نقلت إلى التاء، وتبعـت الواو الحركة فانقلبت ألفاً، وهذا إعلال أتباع، تبع مثابة باب «ثاب» وأصل ثاب ثَوَّبَ، ولكن الواو قلبت ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها لا اختلاف بين النحويين في ذلك.

وهذا الباب فيه صعوبة إلا أن كتابنا هذا يتضمن شرح الإعراب والمعاني فلا بد من استقصائها على حسب ما يعلم.

ومعنى قوله:

﴿وَأَمْنًا﴾: (قيل)^(٢) كان من جنى جناية ثم دخل الحرم لم يقم عليه الحد، ولكن لا يبايع ولا يكلم حتى يضطر إلى الخروج منه، فيقام عليه الحد. وقوله عز وجل: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾.

قرئت «واتخذوا» بالفتح والكسر: وَاتَّخِذُوا، وَاتَّخِذُوا روى أن عمر بن الخطاب قال للنبي ﷺ وقد وقفا على مقام إبراهيم: أليس هذا مقام خليل ربنا؟. «وقال بعضهم مقام أبينا»، أفلا نتخذه مصلى؟ فأنزل الله عز وجل: ﴿وانحدوا من مقام إبراهيم مصلى﴾ فكان الأمر. والقراءة ﴿واتخذوا﴾

والمقامة سادة الناس ومجلسهم، وحصير الملك. وفي ابن يعيش ١٠ - ٩٠ - ٩١. البيت للأختل.

(١) ديوانه ١١٢ - اللسان (قوم).

(٢) في ك فقط.

(٣) بتقدير وقلنا إتخذوا.

(بالكسر على هذا الخبر أبين)^(٣). ولكن ليس يمتنع «واتخذوا» لأن الناس اتخذوا هذا، فقال: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً﴾ ﴿وَاتَّخِذُوا﴾ فعطف بجمله على جملة.

وقوله عز وجل: ﴿وَعَهْدُنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ، وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾.

معنى طهّراه امنعاه من تعليق الأصنام عليه، والطائفون هم الذين يطوفون بالبيت، والعاكفون المقيمون به، ويقال قد عكف يعكف ويعكف على الشيء عكوفاً أي أقام عليه، ومن هذا قول الناس: فلان معتكف على الحرام، أي مقيم عليه، ﴿وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾: سائر من يصلي فيه من المسلمين، و﴿بَيْتِي﴾: الأجود فيه فتح الباء، وإن شئت سكنتها، والرُّكَّع جمع راع، مثل غاز وغزى، والسجود جمع ساجد، كقولك: ساجد وسجود، وشاهد وشهود.

وقوله عز وجل: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا﴾.
المعنى وأذكروا إذ قال إبراهيم. وأمنا: ذا أمن.

وقوله عز وجل: ﴿وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ [من آمن منهم...].
﴿من﴾ نصب بدل من أهله، المعنى أرزق من آمن من أهله دون غيرهم، لأن الله تعالى قد أعلمه أن في ذريته غير مؤمن، لقوله: عز وجل: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾^(١).

وقوله عز وجل: ﴿قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ﴾.

أكثر القراءة^(٢) على فأمتّعه (قليلاً)^(٣) ثم أضطرّه، على الإخبار، وقد

(١) الآية تفيد دعاء إبراهيم للمؤمنين، ولا تفيد نفي الرزق عن غيرهم.

(٢) في ك القراءة.

(٣) ليست في ك.

قرىء أيضاً - فَأَمَّتْهُ، ثم اضْطَرَّه، على الدعاء، ولفظ الدعاء كلفظ الأمر مجزوم، إلا أنه استعظم أن يقال «أمر» فَمَسَّأَلْتُكَ مَنْ فَوْقَكَ نَحْوَ أُعْطِنِي، وأغفر لي دعاءً ومَسَّأَلَةً، ومَسَّأَلْتُكَ مَنْ دُونِكَ أَمْرٌ كَقَوْلِكَ لَغْلَامِكَ إِفْعَلْ كَذَا وَكَذَا، والراء مفتوحة في قوله ثم «اضْطَرَّه» لسكونها وسكون الراء التي قبلها الأصل ثم اضْطَرَّه، ويجوز ثم اضْطَرَّه ولا أعلم أحداً قرأ بها.

وقوله عز وجل: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ﴾. القواعد واحدها قاعدة وهي كالأساس والأس للبنيان، إلا أن كل قاعدة فهي للتي فوقها، وإسماعيل عطف على إبراهيم.

وقوله: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾ المعنى يقولان ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾، ومثله في كتاب الله: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ﴾^(١) ومثله: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾^(٢) (أي يقولون سلام عليكم)^(٣).

وقوله عز وجل: ﴿وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾.

تفسير المسلم في اللغة الذي قد استسلم لأمر الله كله وخضع له، فالمسلم المحقق هو الذي أظهر القبول لأمر الله كله وأضمر مثل ذلك، وكذلك قوله: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا، قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا، وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾^(٤).

المعنى: قولوا جميعاً خضعنا وأظهرنا الإسلام. وباطنهم غير ظاهرهم لأن هؤلاء منافقون فأظهر الله عز وجل النبي على أسرارهم، فالمسلم على ضربين مظهر القبول ومبطن^(٥) مثل ما يُظْهِرُ، فهذا يقال له مؤمن، ومسلم إنما يظهر غير ما يبطن فهذا غير مؤمن، لأن التصديق والإيمان هو بالإظهار مع

(١) الأنعام ٦ - ٩٤.

(٢) الرعد ١٣ - ٢٤.

(٣) ليست في ك، والآيات الثلاث تمثيل لحذف القول.

(٤) الحجرات ٤٩ - ١٤.

(٥) في ك مبطن به.

القبول، ألا ترى أنهم إنما قيل لهم ولما يَدْخُلُ الإيمانُ في قلوبكم، أي أظهرتم الإيمان خشية.

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَأَرْنَا مَنَاسِكَنَا﴾.

معناه عَرَفْنَا متعبداتنا، وكل متعبد فهو مَنْسِكٌ وَمَنْسِكٌ، ومن هذا قيل للعباد ناسك، وقيل للذبيحة المتقرب بها إلى الله تعالى النسيكة، وكان الأصل في النسك إنما هو من الذبيحة لله جلَّ وعزَّ.

وتقرأ أيضاً ﴿وَأَرْنَا﴾ على ضربين: بكسر الراء وباسكانها والأجود الكسر، وإنما أسكن أبو عمرو لأنه جعله بمنزلة فَعَضَدَ وَعَضُدٌ وهذا ليس بمنزلة فَعَضَدَ ولا عَضُدٌ، لأن الأصل في هذا «أَرَيْنَا» فالكسرة إنما هي كسرة همزة أُلْقِيَتْ^(١)، وطُرِحَتْ حركتها على الراء فالكسرة دليل الهمزة، فحذفها قبيح، وهو جائز على بعده لأن الكسر والضم إنما يحذف على جهة الاستثقال. فاللفظ بكسرة الهمزة والكسرة التي في بناء الكلمة واللفظ به واحد، ولكن الاختيار ما وصفنا أولاً.

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾.

معنى ﴿مَنْ﴾ التقرير والتوبيخ، ولفظها لفظ الاستفهام وموضعها رفع بالابتداء، والمعنى ما يرغب عن ملة إبراهيم إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ^(٢)، والمِلَّةُ قد بيناها وهي السُّنَّة والمذهب، وقد أَكْثَرَ النحويون واختلفوا في تفسير ﴿سَفِهَ نَفْسَهُ﴾، وكذلك أهل اللغة، فقال الأخفش: أهل التأويل يزعمون أن المعنى ﴿سَفِهَ نَفْسَهُ﴾، وقال يونس النحوي: أراها لغة، وذهب يونس إلى أن فَعَلَ للمبالغة، كما أن فَعَلَ للمبالغة فذهب في هذا مذهب التأويل^(٣)، ويجوز على

(١) حذف.

(٢) أي شخص يرغب عنها إلا شخصاً سفه نفسه.

(٣) يقال كبرت كلمة بمعنى ما أكبرها، ويقولون حسن وقبح أي ما أحسنه وما أقبحه.

هذا القول سَفِهْتُ زيداً بمعنى سَفَّهْتُ زيداً، وقال أبو عبيدة معناه أهلك نفسه، وأُوتِقَ نفسه، فهذا غير خارج من مذهب أهل التأويل ومذهب يونس، وقال بعض النحويين: إن نفسه منصوب على التفسير، وقال التفسير في النكرات أكثر نحو طاب زيدٌ بأمره نفساً، وقرَّ به عيناً وزعم أن هذه المُفسِّرات المعارف أصل الفعل لها ثم نقل إلى الفاعل نحو وجَّعَ زيدٌ رأسه، وزعم أن أصل الفعل للرأس وما أشبهه، وأنه لا يجوز تقديم شيء من هذه المنصوبات وجعل ﴿سفه نفسه﴾ من هذا الباب.

قال أبو إسحق: وعندي أن معنى التمييز لا يحتمل التعريف لأن التمييز إنما هو واحد يدل على جنس أو خلة تخلص من خلال فإذا عرفه صار مقصوداً قصده، وهذا لم يقله أحد ممن تقدم من النحويين وقال أبو إسحق: إن ﴿سفه نفسه﴾ بمعنى سَفَّه في نفسه إلا أن «في» حُذِفَتْ، كما حذفت حروف الجر في غير موضع، قال الله عز وجل: ﴿ولا جناح عليكم أن تسترضعوا أولادكم﴾^(١)، والمعنى أن تسترضعوا لأولادكم، فحُذِفَ حرف الجر في غير ظرف، ومثله قوله عز وجل: ﴿ولا تعزموا عقدة النكاح﴾^(٢) أي على عقدة النكاح ومثله قول الشاعر: (٣)

نغالي اللحم للأضياف نياً ونبذله إذا نضج القدر

المعنى: نغالي باللحم، ومثله قول العرب: ضُرب فلان الظهر والبطن

(١) الآية في سورة البقرة ٢ - ٢٣٣، ﴿وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم فلا جناح عليكم﴾. ولكن حذف الجار مع أنه مطرد كما في: ﴿ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم﴾ ١٩٨ - ﴿ولا تجعلوا الله عرضة لإيمانكم أن تبروا﴾ ٢٢٤، ﴿ولا جناح عليكم أن تنكحوهن﴾. «سورة الممتحنة» ٦٠ - ١٠ وستأتي هذه الآيات.

(٢) البقرة ٢ - ٢٣٥.

(٣) الحطيئة - أمالي المرتضى ٣ - ١٥ - وفي اللسان - فلا القدر - وأنظر معاني القرآن للفراء ٢ - ٣٨٣ وتعليق المحقق.

والمعنى : على الظهر والبطن . فهذا الذي إستعمل من حذف حرف الجر موجود في كتاب الله ، وفي إشعار العرب وألفاظها المنشورة ، وهو عندي مذهب صالح .

والقول الجيد عندي في هذا أن سفه في موضع جهل ، فالمعنى : - والله أعلم - إلا من جهل نفسه ، أي لم يفكر في نفسه ، كقوله عز وجل : ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾^(١) ، فوضع جهل^(٢) ، وعدى كما عدى . فهذا جميع ما قال الناس في هذا ، وما حضرنا من القول فيه .

وقوله عز وجل : ﴿وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا﴾ .
معناه إختارناه ولفظه مشتق من الصفوة .

﴿وإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ . فالصالحُ في الآخرة الفائز .

وقوله : ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ﴾ معناه إصطفاه إذ قال له ربه أسلم : أي في ذلك الوقت ﴿قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ .

وقوله : ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ﴾ .

قوله : ﴿بِهَا﴾ هذه الهاء ترجع على الملة ، لأن إسلامه هو إظهار طريقته وسنته ويدل على قوله : ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ﴾ قوله : ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ﴾ . وإنما كسرت «إن» لأن معنى وصي وأوصى : قَوْلُ : المعنى قال لهم إن الله اصطفى لكم الدين^(٣) ، ووصى أبلغ من أوصى ، لأن أوصى جائز أن يكون قال لهم مرة واحدة ، ووصى لا يكون إلا لمرات كثيرة .

وقوله عز وجل : ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ .

(١) سورة الذاريات ٥١ - ٢٢ .

(٢) ترك كلمة جهل واستعمل سفيه . (٣) الأظهر تقدير قول محذوف ، أي وصى قائلاً .

إن قال قائل كيف ينههم عن الموت، وهم إنما يُمَاتُونَ^(١)، فإنما وقع هذا على سعة الكلام، وما تكثر استعماله «العرب»^(٢) نحو قولهم: «لا أرينك ههنا»، فلفظ النهي إنما هو للمتكلّم، وهو في الحقيقة للمُكَلَّم، المعنى: لا تكون ههنا فإن من كان ههنا - رأيته - والمعنى في الآية: ألزموا الإسلام، فإذا أدرككم الموت صادفكم مُسلمين.

وقوله عز وجل: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ﴾.

المعنى: بل أكنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت، ﴿إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ﴾ فقولك: ﴿إِذْ﴾ الثانية، موضعها نصب كموضع الأولى، وهذا بدلٌ مؤكّد.

وقوله: ﴿قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ﴾.

القراءة على الجمع، وقال بعضهم: «وإله أبيك» كأنه كره أن يجعل العم أباه، وجعل إبراهيم بدلاً من أبيك مبنياً عنه، وبخفض إسماعيل وإسحاق، كان المعنى إلهك وإله أبيك وإله إسماعيل، كما تقول: رأيت غلام زيد وعمرو أي غلامهما، ومن قال: ﴿وَإِلَهَ آبَائِكَ﴾ فجمع وهو المجتمع عليه، جعل إبراهيم وإسماعيل وإسحق بدلاً، وكان موضعهم خفضاً^(٣) على البدل المبين عن آبائك.

وقوله عز وجل: ﴿إِلَهًا وَاحِدًا﴾.

منصوب على ضربين: إن شئت على الحال، كأنهم قالوا نعبد: إلهك في حال وحدانيته، وإن شئت على البدل. وتكون الفائدة من^(٤) هذا البدل ذكر التوحيد، فيكون المعنى نعبد إلهاً واحداً.

(١) في ط يؤتون.

(٢) في ط وما يكثر استعماله.

(٣) الأولى موضعها - أي موضع هذه الأسماء. وسبق للزجاج تعبيرات مثل هذا.

(٤) في ط في هذا البدل.

وقوله عز وجل: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾.

معنى ﴿خلت﴾ مضت، كما تقول لثلاث خلون من الشهر أي مضين.

وقوله عز وجل: ﴿وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

المعنى: إنما تسألون عن أعمالكم.

وقوله عز وجل: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا﴾.

المعنى: قالت اليهود: كونوا هوداً، وقالت النصارى: كونوا نصارى،

وجزم تهتدوا على الجواب للأمر، وإنما^(١) معنى الشرط قائم في الكلمة،

المعنى إن تكونوا على هذه الملة تهتدوا، فجزم تهتدوا على الحقيقة جواب الجزاء.

وقوله عز وجل: ﴿بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾.

تنصب الملة على تقدير بل تتبع ملة إبراهيم ويجوز أن تنصب على

معنى: بل نكون أهل ملة إبراهيم، وتحذف «الأهل» كما قال الله عز وجل:

﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾^(٢) لأن القرية لا تُسأل ولا تجيب. ويجوز

الرفع «بل ملة إبراهيم حنيفاً». والأجود والأكثر: النصب. ومجاز^(٣) الرفع

على معنى: قل ملتنا وديننا ملة إبراهيم، ونصب ﴿حنيفاً﴾ على الحال، المعنى:

بل تتبع ملة إبراهيم في حال حنيفته، ومعنى الحنيفة في اللغة الميل،

فالمعنى: أن إبراهيم حنيف إلى دين الله، دين الإسلام. كما قال عز وجل:

﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾^(٤) فلم يبعث نبي إلا به. وإن اختلفت

شرائعهم، فالعقد توحيد الله عز وجل والإيمان برسله وإن اختلفت الشرائع،

(١) في الأصل وأن - وفي ط ومعنى - ولعله أجود العبارات.

(٢) سورة يوسف ٨٢.

(٣) أي تقديره الإعرابي، أنه خبر لمبتدأ محذوف.

(٤) سورة آل عمران.

إلا أنه لا يجوز أن تُترك شريعة نبي^(١) أو يعمل بشريعة نبي قبله تخالف شريعة نبي الأمة التي يكون فيها.

وإنما أخذ الحنف من قولهم: امرأة حنفاء ورجل حنف، وهو الذي تميل قدماه كل واحدة منهما بأصابعها إلى أختها بأصابعها، قالت أم الأحنف بن قيس وكانت ترقصه، وخرج سيد بني تميم:

والله لولا حنف في رجله ودقة في ساقه من هزله ما كان في فتيانكم من مثله^(٢)

وقوله عز وجل: ﴿لَا تُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾ المعنى: لا تكفر ببعض ونؤمن ببعض.

وقوله عز وجل: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا﴾.

فإن قال قائل: فهل للإيمان مثل هو غير الإيمان؟ قيل له: المعنى واضح بين، وتأويله: فإن أتوا بتصديق مثل تصديقكم وإيمانكم - بالأنبياء، ووحدوا كتوحيدكم فقد اهتدوا، أي فقد صاروا مسلمين مثلكم.

﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾ أي في مشاقة وعداوة ومن هذا قول الناس: فلان قد شق عصا المسلمين، إنما هو قد فارق ما اجتمعوا عليه من أتباع إمامهم، وإنما صار في شق غير شق المسلمين.

وقوله عز وجل: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ﴾.

هذا ضمانة من الله عز وجل في النصر^(٣) لنبه ﷺ لأنه إنما يكفيه إياهم

(١) في هذا الفراغ جاءت كلمة «ولزم» ولا معنى لها فحذفناها.

(٢) في اللسان حنف - الشطران الأول والثالث.

(٣) في ط - النصر - بدون حرب الجبر. وفي ك بالنصر.

بإظهار ما بعثه به على كل دين سواه - وهذا كقوله: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾^(١) فهذا تأويله - والله أعلم. وكذا قوله: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾^(٢) فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ فَإِنْ مِنَ الرِّسْلِ مَنْ قُتِلَ. فَإِنْ تَأْوِيلُ ذَلِكَ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - أَنَّ اللَّهَ غَالِبٌ هُوَ وَرُسُلُهُ بِالْحُجَّةِ الْوَاضِحَةِ، وَالآيَةِ الْبَيِّنَةِ، وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ غَلْبَةُ الْآخِرَةِ لِأَنَّ الْأَمْرَ هُوَ عَلَى مَا يَسْتَقِرُّ عَلَيْهِ فِي الْعَاقِبَةِ، وَقَدْ قِيلَ: إِنْ اللَّهُ لَمْ يَأْمُرْ رَسُولًا بِحَرْبٍ فَاتَّبَعَ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ بِهِ فِي حَرْبِهِ إِلَّا غَلَبَ. فَعَلَى هَذَا التَّأْوِيلِ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ لَمْ يَقْتُلْ رَسُولٌ قَطُّ مُحَارِبًا.

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً﴾.

يجوز أن تكون ﴿صِبْغَةَ﴾ منصوبة على قوله: ﴿بَلْ نَتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ أي بَلْ نَتَّبِعْ صِبْغَةَ اللَّهِ. ويجوز أن يكون نصبها على، بَلْ نَكُونُ أَهْلَ صِبْغَةِ اللَّهِ. كما قلنا في مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ، ويجوز أن ترفع الصبغة على إضمار هي، كأنهم قالوا: هي صبغة الله أي هي مِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ صِبْغَةَ اللَّهِ. وقيل: إنما ذكرت الصبغة لأن قومًا من النصارى كانوا يصبغون أولادهم في ماءٍ لهم، ويقولون هذا تطهير كما أن الختان تطهير لهم: ف قيل لهم: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً﴾، أي التطهير الذي أمر به مُبَالِغٌ فِي النِّظَافَةِ.

ويجوز أن يكون - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - صِبْغَةَ اللَّهِ أي خَلْقَةَ اللَّهِ - جَلَّ وَعَزَّ - الْخَلْقُ، فَيَكُونُ الْمَعْنَى: أَنَّ اللَّهَ إِبْتَدَأَ الْخَلْقَ عَلَى الْإِسْلَامِ، وَيَكُونُ دَلِيلُ هَذَا الْقَوْلِ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ، وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾^(٣). وجاء في الحديث: أنهم

(١) التوبة ٩ - ٣٣ والصف ٦١ - ٨.

(٢) المجادلة ٥٨ - ٢١.

(٣) سورة الأعراف ٧ - ١٧٢.

أخرجهم كالذر، ودليل هذا التأويل أيضاً قوله عز وجل: ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾^(١) ويجوز أن يكون منه الخبر: «كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه هما اللذان يهودانه أو ينصرانه» وصبغت الثوب إنما هو غيرت لونه وخلقته.

وقوله عز وجل: ﴿قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ﴾.
في ﴿أَتَحَاجُّونَنَا﴾ في الله لغات فأجودها: ﴿أَتَحَاجُّونَنَا﴾ بنونين وإن شئت بنون واحدة - ﴿أَتَحَاجُّونَا﴾ على ادغام الأولى في الثانية وهذا وجه جيد، ومنهم من إذا أدغم أشار إلى الفتح كما قرأوا: ﴿مَالِكٌ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ﴾^(٢) على الإدغام والإشارة إلى الضم، وإن شئت حذف إحدى النونين فقلت ﴿أَتَحَاجُّونَا﴾ فحذف لاجتماع النونين قال الشاعر:

تراه كالثغام يُعلُّ مسكاً يسوء الغانيات إذا فليني^(٣)

يريد فليتنّي، ورأيت مذهب المازني^(٤) وغيره ردّ هذه القراءة، وكذلك ردّوا ﴿فبم تبشرون﴾^(٥) - قال أبو إسحق^(٦) والأقدام على ردّ هذه القراءة غلط لأن نافعاً رحمه الله قرأ بها، وأخبرني إسماعيل بن إسحق أن نافعاً رحمه الله

(١) الروم ٣٠ - ٣٠.

(٢) يوسف ١٢ - ١١.

(٣) لعمر بن معد يكرب - يصف زوجة أبيه وقد خلفه هو عليها بعد موته في الجاهلية يريد فليتنّي - فحذف النون تخفيفاً - الخزانة ١ - ٤٤٥ والضمير لشعر رأسه - الذي أبيض شيباً - والثغام نبت أبيض يظهر بالجمال أي أن شعره تزداد رائحته كلما افتلى حتى تغار الغواني.

(٤) أبو عثمان المازني - بكر بن محمد بن بقة من مازن شيبان بن ذهل - إمام في العربية بصري - روى عن أبي عبيدة والأصمعي وأبي زيد، وهو أستاذ المبرد وقال المبرد: لم يكن بعد سيبويه أعلم بالنحو من أبي عثمان - وكان مشهوراً بقطع مناظريه - وترك كتباً قيمة في القرآن والنحو - وله تفاسير على كتاب سيبويه توفي سنة ٢٤٨ هـ: البغية ٢٠٢.

(٥) الحجر ١٥ - ٥٤.

(٦) ك - قالوا: قال أبو إسحق.

لم يقرأ بحرف إلا وأقل. ما قرأ به إثنان من قراء المدينة، وله وجه في العربية فلا ينبغي أن يرد، ولكن «الفتح» في قوله ﴿فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾ أقوى في العربية^(١).

ومعنى قوله: ﴿قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ﴾ أن الله عز وجل أمر المسلمين أن يقولوا لليهود الذين ظاهروا من لا يوحد الله عز وجل من النصارى وعبدية الأوثان، فأمر الله أن يحتج عليهم بأنكم تزعمون أنكم موحدون، ونحن نوحّد فلم ظاهرتُم من لا يوحد الله جلّ وعزّ وهو ربُّنا وربُّكم ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم.

ثم أعلموهم أنهم مخلصون، وإخلاصهم إيمانهم بأن الله عز وجل واحد، وتصديقهم جميع رسله، فأعلموا أنهم مخلصون، دون من خالفهم. وقوله عز وجل: ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾.

كَانَهُمْ قَالُوا لَهُمْ: يَا أَيُّ الْحُجَّتَيْنِ تَتَعَلَّقُونَ فِي أَمْرِنَا؟ أبا التوحيد فنحن موحدون، أم باتباع دين الأنبياء فنحن متبعون.

وقوله عز وجل: ﴿قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ بِاللَّهِ﴾. تأويله: أن النبي الذي آتانا بـ (الآيات)^(٢) المعجزات وأتاكم بها - [أعلمكم] وأعلمنا أن الإسلام دين هؤلاء الأنبياء.

والأسباط هم الذين من ذرية الأنبياء، والأسباط إثنا عشر سبطاً وهم ولد يعقوب عليه السلام، ومعنى السبط في اللغة: الجماعة الذين يرجعون إلى أب واحد، والسبط في اللغة الشجرة، فالسبط، الذين هم من شجرة واحدة.

(١) لأنه جاء على القياس والأكثر.

(٢) كلمة الآيات في ك فقط، وفي بقية النسخ بالمعجزات.

وقوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ﴾.

يعني بهم هؤلاء الذين هم علماء اليهود، لأنهم قد علموا أن رسالة النبي حق، وإنما كفروا حسداً - كما قال الله عز وجل - وطلبوا لدوام رياستهم وكسبهم، لأنهم كانوا يتكسبون بإقامتهم على دينهم فقيل وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ أَمْرَ النَّبِيِّ ﷺ ولا أحد أَظْلَمُ مِنْهُ وقوله: ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

يعني: من كتمانكم ما علمتموه من صحة أمر النبي ﷺ.

وقوله: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾.

المعنى: لها ثواب ما كسبت، ولكم ثواب ما كسبتم.

وقوله عز وجل: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ﴾ فيه قولان، قيل يعني به:

كفار أهل مكة، وقيل يعني به: اليهود والسفهاء واحدهم سفيه، مثل شهيد وشهداء، وعليم وعلماء.

وقوله عز وجل: ﴿مَا وَلَّهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾ معنى ﴿ما

ولاهم﴾: ما عدلهم عنها يعني قبله بيت المقدس، لأن النبي ﷺ كان أُمِرَ بالصلاة إلى بيت المقدس، لأن مكة وبيت الله الحرام كانت العرب آفئة لحججه^(١)، فأحبَّ الله عز وجل أن يمتحن القوم بغير ما ألفوه ليظهر من يتبع الرسول ممن لا يتبعه، كما قال الله عز وجل: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرِّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ﴾ فامتحن الله بيت المقدس فيما زوى لهذه العلة، والله أعلم.

وقوله عز وجل: ﴿قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ

مُسْتَقِيمٍ﴾.

معناه حيث أمر الله أن يُصَلَّى وَيُتَعَبَّدُ، فهو له، وعالم به، وهو فيه كما

(١) كان القياس أن يقول لحججهما، وفي ط مكة بيت الله الحرام،

قال: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾.

وكما قال: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ﴾^(١) وكما قال: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾^(٢).

وقوله عز وجل: ﴿إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.
معناه: طريق مستقيم كما يحب الله.

وقوله: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾.

معنى الأمة: الجماعة أي جماعة كانت. إلا أن هذه الجماعة وصفت بأنها وسط وفي «أُمَّةً وَسَطًا» قولان، قال بعضهم وسطاً: عدلاً، وقال بعضهم: اختياراً، واللفظان مختلفان والمعنى واحد، لأن العدل خير والخير عدل. وقيل في صفة النبي ﷺ: إنه من أوسط قومه جنساً، أي من خيارها، والعرب تصف الفاضل النسب بأنه: من أوسط قومه، وهذا يعرف حقيقته أهل اللغة لأن العرب تستعمل التمثيل كثيراً فتمثل القبيلة بالوادي والقاع وما أشبهه فخير الوادي وسطه فيقال: هذا من وسط قومه، ومن وسط الوادي، وسرر الوادي وسرارة الوادي وسر الوادي، ومعناه كله: من خير مكان فيه، فكذلك النبي ﷺ من خير مكان في نسب العرب، وكذلك جعلت أمة وسطاً أي خياراً.

وقوله عز وجل: ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾.

﴿تكونوا﴾ في موضع نصب، «المعني جعلناكم خياراً»^(٤)، لأن تكونوا شهداء، فنصب «تكونوا» بأن، «وشهداء» نصب خبر تكونوا، إلا أن ﴿شهداء﴾

(١) سورة الأنعام ٦ - ٣.

(٢) سورة الحديد ٥٨ - ٤.

(٣) سورة المجادلة ٥٩ - ٧.

(٤) في ط اختياراً.

لا ينون، لأنه لا يتصرف لأن فيه ألف التانيث، وألف التانيث يبنى معها الاسم^(١) ولم يلحق بعد الفراغ من الاسم^(٢) فلذلك لم تنصرف ﴿شهداء﴾، فإن قال قائل: فلم جعل الجمع بألف التانيث قيل: كما جعل التانيث في نحو قولك جريب وأجربة^(٣)، وغراب وأغربة وضارب وضربة، وكاتب وكتبة. وتأويل ﴿لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ فيه قولان: جاء في التفسير أن أمم الأنبياء تكذب في الآخرة إذا سُئِلَتْ عمن أرسل إليها فتجحد أنبياءها، هذا فيمن جحد في الدنيا منهم فتشهد هذه الأمة بصدق الأنبياء، وتشهد عليهم بتكذيبهم، ويشهد النبي ﷺ لهذه الأمة بصدقهم وإنما جازت هذه الشهادة، وإن لم يكونوا ليعاينوا تلك الأمم^(٤) لأخبار النبي ﷺ فهذا قول. وقال قوم ﴿لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ أي محتجين على سائر من خالفكم، ويكون الرسول محتجاً عليكم ومبيناً لكم. والقول الأول: أشبه بالتفسير وأشبه بقوله: ﴿وَسَطًا﴾ لأن النبي ﷺ يحتج على المسلمين وغيرهم.

وقوله عز وجل: ﴿وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾. يعني قبلة بيت المقدس، أي وإن كان أتباعها لكبيرة. المعنى إنه كبير على غير المخلصين، فأما من أخلص فليست بكبيرة عليه، كما قال: ﴿إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾ أي فليست بكبيرة عليهم. وهذه اللام دخلت على «إن» لأن اللام إذا لم تدخل مع إن الخفيفة كان الكلام جُحْداً^(٥) فلولا «اللام» كان المعنى «ما كانت كبيرة» فإذا جاءت إن واللام فمعناه التوكيد للقصة، واللام تدخل في

(١) يمنع من الصرف.

(٢) لم يتصل بها مضاف إليه، وفي ك لا يلحق.

(٣) الأصل فيه كل أرض ذات حدود - ثم استعمل في مقدار معين من الأرض وهو يستعمل في المساحة وفي الكيل أنظر ص ٤٩٧ حاشية ١.

(٤) في ط: وإن كان لم يعاينها منهم تلك الأمم: وهو تعبير ركيك. والأولى وإن كانوا لم يعاينوها.

(٥) أي نفياً - فيفرق بين «أن» النافية والمؤكد باللام في خبرها.

الخبر، ونحن نشرح دخولها على «الخفيفة»^(١) في موضعها إن شاء الله.

وقوله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾. هذه اللام [هي] التي يُسميها النحويون لام الجحود، وهي تنصب الفعل المستأنف. وقد أحكمنا شرحها قبل (هذا الموضوع)^(٢).

ومعنى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾: أي من كان صلى إلى بيت المقدس قبل أن تُحوّل القبلة إلى البيت الحرام بمكة فصلّاته غير ضائعة وثوابه قائم، وقيل: إنه كان قوم قالوا: فما نصنع بصلاتنا التي كنا صليناها إلى بيت المقدس، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ أي تصديقكم بأمر تلك القبلة. وقيل أيضاً: إن جماعة من أصحاب النبي ﷺ توفّوا وهم يصلون إلى بيت المقدس قبل نقل القبلة [إلى بيت الله الحرام] فسئل النبي ﷺ عن صلاتهم فأنزل الله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾، إن الله بالناس لرؤوف رحيم، إن شئت قلت لرؤوف، وإن شئت لرؤوف رحيم، فهزمت وخففت^(٣) ومعنى الرأفة كمعنى الرحمة.

وقوله عز وجل: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾:

المعنى: في النظر إلى السماء، وقيل: تقلب عينك، والمعنى واحد لأن القلب إنما كان لأن النبي ﷺ أمر بترك الصلاة إلى بيت المقدس فكان ينتظر أن ينزل عليه الوحي إلى أي قبلة يصلّي، وتقلب مضدّر تقلّب تقلباً، ويجوز في الكلام تقلباً، ولا يجوز في القرآن لأنه تغيير للمصحف.

وقوله عز وجل: ﴿فَلَنُؤَلِّينَكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾:

(١) كذا في جميع النسخ. وظاهر أنه الثقيلة، إذ المذكور هنا الخفيفة.

وأنظر ص ٢٣٠ في الآية. ﴿ولنبلونكم بشيء من الخوف﴾... الخ.

(٢) ليست في ك.

(٣) في ك: إن شئت قلت لرؤوف رحيم ولرؤوف، ومعنى.

قد كان النبي ﷺ بالمدينة حين أمر بأن ينتقل عن الصلاة إلى بيت المقدس، فأمر بأن يصلي إلى بيت الله الحرام، وقيل في قوله: ﴿ترضاها﴾ قولان قال قوم معناه تحبها، لا أن النبي ﷺ لم يكن راضياً بتلك القبلة، لأن كل ما أمر الله الأنبياء «عليهم السلام» به فهي - راضية به - وإنما أحبها النبي ﷺ لأنها كانت - فيما يروى - قبلة الأنبياء، وقيل لأنها كانت عنده أدعى لقومه إلى الإيمان وقوله عز وجل: ﴿قَوْلٌ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أي المسجد الحرام، فأمر أن يستقبل - وهو بالمدينة - مكة، والبيت الحرام، وأمر أن يستقبل البيت حيث كان الناس، ومعنى الشطر: النحو^(١)، وشطر منصوب على الظرف، قال الشاعر:

إِنَّ الْعَسِيرَ بِهَا دَاءٌ يَخَامِرُهَا فَشَطْرَهَا نَظَرُ الْعَيْنِينَ مُحْسُورُ^(٢)

أي فنحوها، ولا اختلاف بين أهل اللغة أن الشطر النحو، وقول الناس فلان شاطر، معناه قد أخذ في نحو غير الاستواء، فلذلك قيل شاطر لعدوله عن الاستواء، يقال قد شطر الرجل يشطر شِطَارَةً وَشِطَارَةً^(٣)، ويقال هؤلاء قوم مشاطرون أي دورهم تتصل بدورنا، كما تقول هؤلاء يناجوننا أي نحن نحوهم، وهم نحونا، فلذلك هم شاطرون.

وقوله عز وجل: ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى

(١) الجهة.

(٢) هو قيس بن خويلد بن كاهل، ويسمى ابن العيزارة، وهي أمه والبيت يروى أن العسيب، وأن النعوس. وهي ناقته أصابها مرض فحزن لها - وظل يتجه إليها يبصره حزناً عليها. والنعوس اسمها. أما العسية فهو اسم لسعفة النخل. وشبه ناقته بها، يعني أنها ضامرة رشيقة والبيت في اللسان «شطر»، والكامل ١ - ١٩٣، ٢ - ٢٨٧. ت (أبو الفضل).

(٣) في القاموس: الشاطر من أعياء أهله خبثاً، وقد شطر كنصر وكرم شِطَارَةً فيهما.

عَقِيْبِهِ ﴿١﴾ إِنْ قَالَ قَائِلٌ مَا مَعْنَى: ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ مِنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِيْبِهِ﴾ وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ - قَدْ عَلِمَ مَا يَكُونُ قَبْلَ كَوْنِهِ، فَالْجَوَابُ فِي ذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ لَا يَتَّبِعُهُ مِنْ قَبْلُ وَقَوْعُهُ وَذَلِكَ الْعِلْمُ لَا تَجِبُ بِهِ مَجَازَاةٌ فِي ثَوَابٍ وَلَا عِقَابٍ وَلَكِنْ الْمَعْنَى لِيَعْلَمَ ذَلِكَ مِنْهُمْ شَهَادَةً فَيَقَعُ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ الْعِلْمِ اسْمٌ مَطِيعِينَ وَاسْمٌ عَاصِينَ، فَيَجِبُ ثَوَابُهُمْ عَلَى قَدْرِ عَمَلِهِمْ، وَيَكُونُ مَعْلُومٌ ﴿٢﴾ مَا فِي حَالٍ وَقَوْعِ الْفِعْلِ مِنْهُمْ عِلْمُ شَهَادَةٍ - كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ ﴿٣﴾ فَعَلِمَهُ بِهِ قَبْلَ وَقَوْعِهِ عِلْمٌ غَيْبٍ، وَعَلِمَهُ بِهِ فِي حَالٍ وَقَوْعِهِ شَهَادَةٌ وَكُلُّ مَا عَلِمَهُ اللَّهُ شَهَادَةً فَقَدْ كَانَ مَعْلُومًا عِنْدَهُ غَيْبًا، لِأَنَّهُ يَعْلَمُهُ قَبْلَ كَوْنِهِ، وَهَذَا يَبِينُ كُلُّ مَا فِي الْقُرْآنِ مِثْلُهُ ﴿٤﴾ نَحْوُ قَوْلِهِ [تَعَالَى]: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ ﴿٥﴾.

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ﴾.

زعم بعض النحويين، أَنَّ «لَئِنْ» أَجِيبَ بِجَوَابِ «لَوْ» لِأَنَّ الْمَاضِي وَلِیْهَا كَمَا وَلِیَ ﴿٦﴾ «لَوْ» فَأُجِيبَ بِجَوَابِ «لَوْ» وَدَخَلَتْ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا عَلَى أُخْتِهَا ﴿٧﴾ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ﴾ ﴿٨﴾ فَجَرَتْ مَجْرَى: «وَلَوْ أَرْسَلْنَا رِيحًا» وَكَذَلِكَ قَالَ الْأَخْفَشُ بِهَذَا

(١) موضع هذه الآية قبل الآية التي سبقت.

(٢) في ك. وتكون معلومة في حال وقوع الفعل معلوم شهادة - ومعلوم هنا بمعنى العلم وهي مصدر.

(٣) سورة ٦٤ - ١٨.

(٤) (ك) وهذا بين كما في القرآن مثله.

(٥) القتال ٤٧ - ٣١.

(٦) في ك كما يلي لو.

(٧) حلت كل محل الاخرى.

(٨) الروم (٣٠) آية ٥٢.

القول، قال سيبويه وجميع أصحابه: إن معنى ﴿لظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ﴾. لِيُظَلُّوا، ومعنى ﴿لَئِنْ﴾ غير معنى «لو» في قول الجماعة، وإن كان هؤلاء قالوا إنَّ الجواب متفقٌ فإنهم لا يدفعون أن معنى ﴿لَئِنْ﴾ ما يستقبل ومعنى «لو» ماضٍ وحقيقة معنى «لو» أنها يمتنع بها الشيء لإمتناع غيره، تقول لو أتيتني لأكرمك، أي لم تأتني فلم أكرمك، فإنما امتنع إكرامي لامتناع إتيانك^(١)، ومعنى «إن» و﴿لَئِنْ﴾ أنه يقع الشيء [فيهما] لوقوع غيره (في المستقبل)^(٢)، تقول إن تأتيني أكرمك، فالإكرام يقع بوقوع الإتيان فهذه حقيقة معناهما.

فأما التأويل فإنَّ أهل الكتاب قد علموا أن النبي ﷺ حقٌّ وأن صفته ونبوته في كتابهم، وهم يحققون العلم بذلك فلا تغني الآيات عند من يجد ما يعرف.

وقوله عز وجل: ﴿وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ﴾.

لأن أهل الكتاب تظاهروا على النبي ﷺ واليهود لا تتبع قِبْلَةَ النَّصَارَى، ولا النَّصَارَى تتبع قِبْلَةَ الْيَهُودِ، وهم مع ذلك في التظاهر على النبي متفقون.

وقوله عز وجل: ﴿إِنَّكَ إِذْنٌ لِّمَنِ الظَّالِمِينَ﴾.

أي أنك لمنهم أن إتبع أهواءهم. وهذا الخطاب للنبي ﷺ ولسائر أمته، لأن ما خوطب به (مِنْ هَذَا الْجِنْسِ)^(٣) فقد خوطب به الأمة والدليل على ذلك قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾^(٤) أول الخطاب للنبي ﷺ وليس معه لفظ الأمة، وآخره دليل أن الخطاب عامٌ.

(١) ك لامتناع إكرامك.

(٢) ليست في ك، وزيادة فيها لا بد منها لخلو الجملة - من الرابط.

(٣) ليست في ط. والمراد ما خوطب به من تكاليف الشريعة.

(٤) الطلاق ٦٥ - ١.

وقوله عز وجل: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾.

يعني به علماء اليهود. ﴿الذين﴾ رفع بالابتداء، وخبر الذين - ﴿يعرفونه﴾، وفي ﴿يعرفونه﴾ قولان: قال بعضهم: يعرفون أن أمر القبله وتحول النبي ﷺ من قبل بيت المقدس إلى البيت الحرام حق، كما يعرفون أبناءهم، وقيل معنى ﴿يعرفونه﴾ يعرفون النبي ﷺ وصحة أمره.

وقوله عز وجل: ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أي يعلمون (أنه الحق) ^(١)، أي يكتُمون صفتهم، ومن لا يعلم أمر النبي ﷺ وما جاء به «وهم يعلمون أنه حق».

وقوله عز وجل: ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ أي هذا الحق من ربك ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُكْذِبِينَ﴾ أي من الشاكين والخطاب أيضاً عام أي فلا تكونوا من الشاكين.

وقوله عز وجل: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّئُهَا﴾.

يقال هذه جهةٌ ووجهةٌ، وكذلك يقال ضعةٌ ووضعٌ، وضعةٌ. وقيل في قوله: ﴿هُوَ مُوَلِّئُهَا﴾ قولان: قال بعض أهل اللغة - وهو أكثر القول - «هو» ^(٢) لكل: المعنى هو موليها وجهه، أي وكل أهل جهة هم الذين ولوا وجوههم إلى تلك الجهة - وقد قرئ أيضاً - هو مولاها. وهو حسن. وقال قوم: أي الله - على ما يزعمون - يولي أهل كل ملة القبله التي يريد، وكلا القولين جائز، والله أعلم.

وقوله عز وجل: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾.

(١) ليست في ك.

(٢) يريد أن ضمير «هو» يعود على كل - والأقرب أنه للمضاف إليه المحذوف الذي دل عليه التنوين وناب عنه، - أي لكل طائفة.

أي فبادروا إلى القبول من الله عز وجل، وولّوا وجوهكم حيث أمركم أن تولوا.

وقوله عز وجل: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا﴾.

أي يرجعكم إليه. ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فتوفّون ما عملتم وأنما تجزم ما بعدها. لأنها إذا وصلت بـ «ما» جزمت ما بعدها وكان الكلام شرطاً. وكان الجواب جزءاً كالشرط. وإن كانت استفهاماً نحو أين زيد فإن أجبت^(١) - أجبت بالجزم، تقول أين بيتك أزرّك. المعنى إن أعرف بيتك أزرّك، وزعم بعض النحويين أن قوله: ﴿أَدْلُكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ جوابه ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ﴾ وهذا خطأ لأنه ليست بالدلالة تجب المغفرة إنما تجب المغفرة بقبولهم ما يؤدي إليهم النبي ﷺ. ولكن ﴿يغفر لكم ذنوبكم﴾ جواب تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون، فإنه أمر في لفظ خبر. المعنى: آمنوا بالله ورسوله وجاهدوا يغفر لكم.

وقوله عز وجل: ﴿لئلا يكون للناس عليكم حجة﴾.

أي قد عرفكم الله أمر الاحتجاج في القبلة مما قد بيناه لئلا يكون للناس على^(٢) الله حجة في قوله: ﴿٣﴾ ولكل وجهة هو موليها أي هو موليها لئلا يكون.

وقوله عز وجل: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾.

قال بعضهم لكن الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم، والقول عندي أن المعنى في هذا واضح: المعنى لئلا يكون للناس عليكم حجة، إلا من ظلم

(١) أي فإن جيء لهذا الاستفهام بجواب جزمته، وفي ك فإن أجبت جزمته.

(٢) ك عليكم.

(٣) أي عرفكم الاحتجاج في جملة ﴿ولكل وجهة﴾.

ياحتجاجة فيما قد وضع له ، كما تقول : ما لك عليّ مِنْ حُجةٍ إِلَّا الظلم ، أي
إلا أن تظلمني ، المعنى ما لك عليّ من حجة البتة ، ولكنك تظلمني ، ومالك
عليّ حجةٍ إِلَّا ظلمي . وإنما سُمي ظلمه هنا حجة لأن المحتج به سماه
حجة - وَحُجَّتُهُ دَاحِضَةٌ عِنْدَ اللَّهِ ، - قال الله عز وجل : ﴿ حجتهم داحضة عند
ربهم ﴾ ^(١) . سميت حجة إلا أنها حجة مُبْطَلَةٌ ^(٢) .

فليست بحجة موجبة حقاً .

وهذا بيان شاف إن شاء الله .

وقوله عز وجل : ﴿ وَلَآتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ ﴾ أي عرفتكم لثلاث يكون عليكم
حجة ﴿ وَلَآتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ ﴾ ، ﴿ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ .
وقوله عز وجل : ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ ﴾ .

﴿ كما ﴾ ^(٣) تصلح أن تكون جواباً لما قبلها ، فيكون : ﴿ لعلكم تهتدون ﴾
﴿ كما أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ ﴾ . والأجود أن تكون ﴿ كما ﴾ معلقة بقوله عز وجل
﴿ فَادْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾ .

أي فادكروني بالشكر والإخلاص كما أَرْسَلْنَا فِيكُمْ . فإن قال قائل فكيف
يكون جواب ﴿ كما أَرْسَلْنَا ﴾ ﴿ فَادْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾ ، فالجواب ههنا إنما يصلح أن
يكون جوابين ^(٤) ، لأن قوله ، ﴿ فَادْكُرُونِي ﴾ أمر ، وقوله - أَذْكُرْكُمْ - جزاء اذكروني :
والمعنى إن تذكروني أَذْكُرْكُمْ .

(١) الشورى ٤٢ - ٦٦ .

(٢) ك . تبطل .

(٣) كلمة « كما » .

(٤) يريد أن ﴿ فَادْكُرُونِي ﴾ نعلق بمعمولين ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا ﴾ و﴿ أَذْكُرْكُمْ ﴾ فيكون التقدير فادكروني كما
أرسلت فيكم رسولاً أَذْكُرْكُمْ . وهذا يمكن من ناحية المعنى أما من الناحية الإعرابية فلا بد من
تقدير محذوف مفسر بالأمر ﴿ فَادْكُرُونِي ﴾ لأن ما بعد الفاء لا يعمل فيما قبلها .

ومعنى الآية أنها خطاب لمشركي العرب، فخطبهم الله عز وجل بما دلهم على إثبات رسالة النبي ﷺ فقال كما أرسلنا فيكم محمداً ﷺ وهو رجل منكم أُمِّي^(١) تعلمون أنه لم يتل كتاباً قبل رسالته ولا بعدها إلا بما أوحى إليه، وإنكم كنتم أهل جاهلية لا تعلمون الحكمة ولا أخبار الأنبياء^(٢)، ولا آبائهم ولا أقاصيصهم. فأرسل إليكم النبي ﷺ فأنبأكم بأخبار الأنبياء، وبما كان من أخبارهم مع أممهم، لا يدفع ما أخبر به أهل الكتاب، فكما أنعمت عليكم بإرساله فاذكروني - بتوحيدي، وتصديقه ﷺ ﴿واشكروا لي﴾ أذكركم برحمتي ومغفرتي والثناء عليكم.

وقوله عز وجل: ﴿وَلَا تَكْفُرُونَ﴾.

الأكثر الذي أتى به القراء حذف الياءات مع النون. وقوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ يَا أَيُّهَا^(٣) نداء مفرد مبهم و ﴿الَّذِينَ﴾ في موضع رفع صفة لأَيُّهَا. هذا مذهب الخليل وسيبويه، وأما مذهب الأخفش، فالذين صلة لأي وموضع الذين رفع بإضمار الذكر العائد^(٤) على أي كأنه على مذهب الأخفش بمنزلة قولك: يا من الذين، أي يا من هم الذين.

و «ها» لازمة لأي عوض عما حذف منها للإضافة، وزيادة في التنييه، وأي في غير النداء لا يكون فيها «هاء» ويحذف معها الذكر العائد عليها، تقول أضرب أيهم أفضل، وإيهم هو أفضل - تريد الذي هو أفضل^(٥). وأجاز

(١) في ط أي.

(٢) في ت انقرآن.

(٣) في ط أيها.

(٤) أي هي خبر لضمير محذوف يعود على أي.

(٥) أي الضمير - والقاعدة في أي أنها إذا أضيفت وحذف صدر صلتها فهي مبنية. ولهذا لا يجوز أضرب أيهم أفضل بالنصب، عند جمهور النحويين ويقال أضرب أيهم يأتيك.

المازني أن تكون صفة أي نصباً. فأجاز «يا أيها الرَّجُل» أقبل، وهذه الإجازة غير معروفة في كلام العرب، ولم يجز أحد من النحويين هذا المذهب قبله، ولا تابعة عليه أحد بعده - فهذا مطروح مردول لمخالفته كلام العرب والقرآن وسائر الأخبار.

ومعنى ﴿استعينوا بالصبر والصلاة﴾ أي بالثبات على ما أنتم عليه. وإن نالكم فيه مكروه في العاجل، فإن الله مع الصابرين، وتأويل أن الله معهم أي يظهر دينه على سائر الأديان، لأن من كان الله معه فهو الغالب - كما قال عز وجل: ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾^(١).

ومعنى استعينوا بالصلاة، أي أنكم إذا صليتم تلوثم في صلاتكم ما تعرفون به فضل ما أنتم عليه فكان ذلك لكم عوناً.

وقوله عز وجل: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُمُوتٌ﴾ بإضمار مَكْنِيهِمْ^(٢)، أي لا تقولوا هم أموات؛ فنهاهم الله أن يُسمُوا من قتل في سبيل الله ميتاً، وأمرهم بأن يسموهم شهداء - فقال: ﴿بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ فأعلمنا أن من قتل في سبيل الله حيٌّ. فإن قال قائل. فما بالناس نرى جثة غير متصرفة؟ فإن دليل ذلك مثل ما يراه الإنسان في منامه، وجثته غير متصرفة على قدر ما يرى^(٣) والله عز وجل قد توفى نفسه في نومه فقال تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا، وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾^(٤). ويتبسه المنتبه من نومه فيدركه الانتباه وهو في بقية من ذلك، فهذا دليل أن أرواح الشهداء جائز أن

(١) في المائدة ٥ - ٦٥ - ﴿ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون﴾ وفي سورة المجادلة ٥٨ - ٢٢ - ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ولا يوجد النص الذي ذكره.

(٢) الضمير الدال عليهم.

(٣) وفي ك على قدر ما نرى - والمراد على قدر ما نشاهد نحن من همود جثته.

(٤) الزمر ٣٩ - ٤٢.

تفارق أجسامهم، وهم عند الله أحياء، فالأمر فيمن قُتِلَ في سبيل الله لا يجب أن يقال له ميت لكن يقال له شهيد وهو عند الله حي. وقد قيل فيها قول غير هذا - وهذا القول الذي ذكرته آنفاً هو الذي أختاره - قالوا معنى الأموات أي لا تقولوا هم أموات في دينهم، بل قولوا إنهم أحياء في دينهم. وقال أصحاب هذا القول: دليلنا والله أعلم - قوله: ﴿أَوْ مِنْ كَانَ مَيِّتًا فَأُحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَاهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾^(١) فجعل المهتدي حياً وأنه حين كان على الضلالة كان ميتاً، والقول الأول أشبه بالدين وألصق بالتفسير.

قوله عز وجل: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ﴾.

اختلف النحويون في فتح هذه الواو^(٢) فقال سيبويه: إنها مفتوحة لالتقاء الساكنين، وقال غيره من أصحابه أنها مبنية على الفتح، وقد قال سيبويه في لام يفعل، لأنها مع ذلك قد تبنى على الفتحة^(٣)، فالذين قالوا من أصحابه إنها مبنية على الفتح غير خارجين من قول له. وكلا القولين جائز^(٤).

وقوله عز وجل: ﴿بَشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ﴾.

ولم يقل بأشياء، فإنما جاء على الاختصار، والمعنى يدل على أنه شيء من الخوف وشيء من الجوع وشيء من نقص الأموال والأنفس، وإنما جعل الله هذا

(١) الأنعام ٦ - ١٢٢.

(٢) الواو التي قبل نون التوكيد.

(٣) رأى سيبويه أن الأصل في الواو السكون. وفتحها - هنا - عرضت لسكون النون بعدها. ورأى أصحابه أنها فتحة بناء أصلية، وهو الذي عليه جمهور النحاة، وقد حاول المؤلف التوفيق بينهما بما جاء في كلام سيبويه في موضع آخر من أن لام المضارع المسند للواحد قد تبنى على الفتح.

(٤) أن سيبويه في موضع آخر علل فتح لام الفعل قبل نون التوكيد بأنها قد تكون فتحة بناء فالذين قالوا بفتح واو نبلون من نبلونكم جارون على أحد قولي.

الابتلاء لأنه أدعى لمن جاء بعد الصحابة ومن كان في عصر النبي ﷺ إلى أتباعهم لأنهم يعلمون أنه لا يصبر على هذه الأشياء إلا من قد وضع له الحق وبأن له البرهان، - والله عز وجل - يعطيهم ما ينالهم من المصائب في العاجل والآجل، وما هو أهم نفعاً لهم فجمع بهذا الدلالة على البصيرة وجوز الثواب للصابرين على ذلك الابتلاء فقال عز وجل:

﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾: بالصلاة عليهم من ربهم والرحمة وبأنهم المهتدون - فقال عز وجل:

﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ﴾ أي نحن وأموالنا لله ونحن عبدة يصنع بنا ما شاء، وفي ذلك صلاح لنا وخير.

﴿وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ﴾: أي نحن مصدقون بأننا نُبعث ونُعطي الثواب على تصديقنا، والصبر على ما ابتلانا به.

وقوله عز وجل: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾. والصلاة في اللغة على ضربين: أحدهما الركوع والسجود، والآخر الرحمة والثناء والدعاء - فصلاة الناس على الميت إنما معناها الدعاء^(١) والثناء على الله صلاة، والصلاة من الله عز وجل على أنبيائه وعباده معناها الرحمة لهم، والثناء عليهم، وصلاتنا الركوع والسجود كما وصفنا. والدعاء صلاة قال الأعشى: ^(٢)

عليك مثل الذي صليت فاغتمضي نوماً، فإن لجنب المرء مضطجعاً ويروى مثل الذي صليت، فمن قال عليك مثل الذي صليت، فمعناه

(١) الدعاء للميت بالرحمة من الله.

(٢) ديوان الأعشى ٧٣ والخزانة ١ - ٣٥٩. اللسان: (صلي). مراتب الحويين ص ٩٤ وقبله:

تقول بنتي وقد قربت راحلتي يا وب جنب أبي الأوصاب والوجعا
أي أدعوك بمثل ما دعوت لي.

أنه يأمرها بأن تدعو له مثل الذي دعا لها . أي تعيد الدعاء له ومن روى عليك مثل الذي صليت فهو ردٌ عليها . كأنه قال عليك مثل دعائك ، أن ينالك من الخير مثل الذي أردت لي بهذه ودعوت به لي - وقال الشاعر :

صَلِّ عَلَى يَحْيَى وَأَشْيَاعِهِ رَبِّ كَرِيمٍ وَشَفِيعُ مُطَاعٍ^(١)

المعنى عليه الرحمة من الله والثناء الجميل . وأصل هذا كله عندي من اللزوم يقال صَلِّيَ وَأُصِّلَ وَاضْطَلِيَ ، إِذَا لَزِمَ . ومن هذا ما يُصَلَّى في النار ، أي أنه يلزم . وقال : أهل اللغة في الصلاة هي من الصَّلَوَيْنِ ، وهما مُكْتَنَفَا ذَنْبِ النَّاكَةِ ، وأول موصل الفخذ من الانسان ، وكأنهما في الحقيقة مُكْتَنَفَا الْعُضْعُصِ ، والأصل عندي القول الأول .

ألا ترى أن الاسم للصيام هو الإمساك عن الطعام والشراب ، (وأصل الصيام الثبوت على الإمساك عن الطعام)^(٢) وكذلك الصلاة إنما هي لزوم ما فرض الله ، والصلاة من أعظم الفروض الذي أَمَرَ بلزومه وأما المصلي الذي يأتي في أثر السابق من الخَيْل فهو مسمى من الصلوتين لا محالة ، وهما مكتنفا ذنب الفرس ، فكأنه يأتي مع ذلك المكان .

قال الشاعر في الصيام الذي هو ثبوت على القيام :

خَيْلٌ صِيَامٌ وَخَيْلٌ غَيْرُ صَائِمَةٍ تحت العجاج ، وخيل تملك اللجما^(٣)

وقوله تعالى : ﴿وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ .

(١) اللسان صلي والخزانة ١-١٤١ ، قيل هو لرجل من قريع يرثى يحيى بن ميسرة صاحب مصعب

ابن الزبير - وقيل للسفاح بن بكير اليربوعي يرثى يحيى بن شداد من يربوع . وهو مطلع المفضليه

. ١٩٢

(٢) ليست في ك .

(٣) النابغة الذبياني - اللسان (صوم) - الكامل (٦٥٥ ، ٨٣) العجاج الغبار والتراب المثار .

الأكثرون في قوله: ﴿إِنَّا لِلَّهِ﴾ - تفخيم الألف^(١) ولزوم الفتح - وقد قيل وهو كثير في كلام العرب ﴿إِنَّا لِلَّهِ﴾ بإمالة الألف إلى الكسر، وكان ذلك في هذا الحرف بكثرة الاستعمال، وزعم بعض النحويين أن النون كسرت، ولم يفهم ما قاله القوم. إنما الألف ممالاة^(٢) إلى الكسرة. وزعم أن هذا مثل قولهم: «الحمد لله»، فهذا صواب أعني قولهم إنا لله بالكسر^(٣) وقولهم «الحمد لله» من أعظم الخطأ، فكيف يكون ما هو صواب بإجماع كالخطأ.

وقوله عز وجل: ﴿إِنَّ الصِّفَا وَالْمُرَوَّةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾.

الصفاء في اللغة الحجارة الصلبة الصلدة التي لا تُنبت شيئاً، وهو جمعٌ واحده صفاة وصفاء، مثل حصاة وحصى، والمروة والمرو: الحجارة اللينة، وهذان الموضعان من شَعَائِرِ اللَّهِ، أي من أعلام متعبداته وواحدة الشعائر شَعِيرَةٌ، والشعائر كل ما كان من موقف أو مسعى وذبح. وإنما قيلَ شَعَائِرٍ لِكُلِّ عِلْمٍ يَمَّا تُعْبَدُ بِهِ، لَأَنَّ قَوْلَهُمْ شَعَرْتُ بِهِ: عَلِمْتُهُ، فلهذا سُمِّيَتْ الأعلامُ التي هي مُتَعَبِّدَاتٌ شَعَائِرُ.

وقوله عز وجل: ﴿فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾.

وإنما كان المسلمون اجتنبوا الطواف^(٤) بينهما لأن الأوثان كانت قبل الإسلام منصوبة بينهما، فقليلٌ إِنَّ نَصَبَ الأوثان بينهما قبل الإسلام لا يوجب

(١) ألف المد في لفظ الجلالة. أي تنطق غير ممالاة.

(٢) في الأصل وط ألا إنما ولا معنى لذلك. والمعنى أن هذا التحوي فهم من كلام الجمهور أن الألف في أنا تكسر وتُمالُ واعتبرها شاذة مثل كسرة الدال في الحمد، وهو خطأ لأن الممال هي الألف في لفظ الجلالة.

(٣) أي الإمالة في ألف لفظ الجلالة.

(٤) أي السعي بينهما. فكلمة الطواف تجوز.

اجتنابهما، لأن البيت الحرام والمشاعر طُهرت بالإسلام من الأوثان وغيرها.
فَأَعْلَمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّ هَذَيْنِ مِنْ شَعَائِرِهِ. وَأَنَّهُ لَا جُنَاحَ فِي الطَّوْفِ بَيْنَهُمَا وَأَنَّ مَنْ
تَطَوَّعَ بِذَلِكَ فَاللَّهُ شَاكِرٌ عَلِيمٌ.

والشكر من الله عز وجل المجازاة والثناء الجميل، والحج والعمرة يكونان
فرضاً وتطوعاً - والطواف بالبيت مجراه مجرى الصلاة إلا أنه يطوف بالبيت الحاج
والمعتمر، وغير الحاج والمعتمر، ومعنى قولهم حَجَّحْتُ فِي اللُّغَةِ قَصَدْتُ، وكل
قاصِدٍ شَيْئاً فَقَدْ حَجَّجَهُ، وكذلك كل قاصِدٍ شَيْئاً فَقَدْ اعْتَمَرَهُ، قال الشاعر: (١)

يُحْجُجُ مَأْمُومَةً فِي قَعْرِهَا لَحْفٌ فَاسْتُ الطَّيِّبُ قَذَاهَا كَالْمَغَارِيدِ

وقال الشاعر في قوله اعتمر أي قصد (٢):

لَقَدْ سَمَا ابْنُ مَعْمَرٍ حِينَ اعْتَمَرَ مَغْزَى بَعِيداً مِنْ بَعِيدٍ وَضَبَرَ
وقوله عز وجل: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾.

أي لا إثم عليه، والجُنَاحُ أَخَذَ مِنْ جَنَحٍ إِذْ مَالَ وَعَدَلَ عَنِ الْقَصْدِ وَأَصْلُ
ذَلِكَ مِنْ جَنَاحِ الطَّائِرِ، وَ﴿أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ فِيهِ غَيْرُ وَجْهِ: يَجُوزُ أَنْ يَطَّوَّفَ وَأَنْ
يُطَّوَّفَ، وَأَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا، فَمَنْ قَرَأَ أَنْ يُطَّوَّفَ بِهِمَا أَرَادَ أَنْ يَتَطَوَّفَ فَأَدْمَغْتَ التَّاءُ
فِي الطَّاءِ لِقَرَبِ الْمَخْرَجَيْنِ، وَمَنْ قَرَأَ أَنْ يُطَّوَّفَ بِهِمَا فَهُوَ مَنْ طَوَّفَ إِذَا أَكْثَرَ
التَّطَوُّفَ.

وفي قوله عز وجل: ﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً﴾: «وجهان».

إِنْ شِئْتَ قُلْتَ ﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً﴾ عَلَى لَفْظِ الْمُضِيِّ وَمَعْنَاهُ الْإِسْتِقْبَالُ لِأَنَّ

(١) غدار بن درة الطائي «اللسان غرد - لحف» والكامل ٦٥/١ (التجارية) - المغاريد مفردة مفرد
بفتح الميم: الكمأة أو صغارها. واللحف الحفرة في جانب البئر - يستعار للجرح ويحج بمعنى
يعالج ويطب. من الحجاج المسبار، وفيه معنى القصد.

(٢) العجاج يمدح عمر بن عبيد الله بن معمر التيمي، وكان ذا بلاء حسن في الحروب وضبر
الجواد: تهيأ للوثوب بقواته. يريد أنه وثب وثبة بعيدة لغزو عظيم. الديوان ١٩، اللسان
(عم).

الكلام شرط وجزاء، فلفظ الماضي فيه يؤول إلى معنى الاستقبال. ومن قرأ
يَطْوَعُ - فالأصل يتطوع فأدغمت التاء في الطاء. ولست تدغم حرفاً من حرف
إلا قلبته إلى لفظ المدغم فيه.

وقوله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى﴾.

هذا إخبار^(١) عن علماء اليهود الذين كَتَمُوا ما عَلِمُوهُ من صحة أمر
النبي ﷺ قوله:

﴿مَنْ بَعْدَ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ﴾ يعني به القرآن.

ومعنى: ﴿وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾.

فيه غير قول، أما ما يروى عن ابن عباس فقال: اللاعنون كل شيء في
الأرض إلا الثقلين^(٢)، ويروى عن ابن مسعود أنه قال اللاعنون: الإنسان إذا
تلاعنا لحقت اللعنة بمستحقها منها، فإن لم يستحقها واحد منهما رجعت على
اليهود، وقيل اللاعنون هم المؤمنون، فكل من آمن بالله من الإنس والجن
والملائكة فهم اللاعنون لليهود وجميع الكفرة فهذا ما روي في قوله ﴿اللاعِنُونَ﴾
والله عز وجل أعلم.

وقوله عز وجل: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّاهُ﴾.

﴿الَّذِينَ﴾ في موضع نصب على الاستثناء، والمعنى أن من تاب بعد هذا وتبين
منهم أن ما أتى به النبي ﷺ حق، قبل الله توبته. فأعلم الله عز وجل: أنه
يقبل التوبة ويرحم ويغفر الذنب الذي لا غاية بعده.

وقوله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ﴾.

(١) في الأصل فهذا.

(٢) الثقلان: الجن والإنس: أي تلعنهم الملائكة والجمادات.

(٣) ك لمستحقها.

يعني لم يتوبوا قبل موتهم من كفرهم .
أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ ، واللّٰعنة هي إبعاد الله ، وإبعاده عذابه .
وقوله عز وجل : ﴿وَالْمَلَائِكَةُ وَالنَّاسُ أَجْمَعِينَ﴾ .

المعنى لعنة الملائكة ولعنة الناس أجمعين ، فإن قال قائل : كيف يلعنه الناس أجمعون ، وأهل دينه لا يلعنونه ، قيل له إنهم يلعنونه في الآخرة ، كما قال عز وجل : ﴿ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضاً﴾^(١) وقرأ الحسن :^(٢) «أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةُ وَالنَّاسُ أَجْمَعِينَ»^(٣) وهو جيد في العربية إلا أني أكرهه لمخالفته - المصحف ، والقراءة ، إنما ينبغي أن يلزم فيها السنة ، ولزوم السنة فيها أيضاً أقوى عند أهل العربية ، لأن الإجماع في القراءة إنما يقع على الشيء الجيد البالغ^(٤) ورفع الملائكة في قراءة الحسن على تأويل : أُولَئِكَ جزاؤهم أن لعنهم الله والملائكة ، فعطف الملائكة على موضع إعراب لله في التأويل ، ويجوز على هذا عجت من ضرب زيد وعمرو ومن قيامك وأخوك : المعنى عجت من أن ضرب زيد وعمرو ومن أن قمت أنت وأخوك . ومعنى خالدين فيها أي في اللعنة ، وخلودهم فيها خلود في العذاب .

وقوله عز وجل : ﴿وَالَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾
أخبر عز وجل بوحدانيته ثم أخبر بالاحتجاج في الدلالة على أنه واحد
فقال :

(١) العنكبوت ٢٩ - ٢٥ .

(٢) ك رحمة الله علي .

(٣) أجمعين - منصوب على أنه حال في قراءة حفص وفي قراءة الحسن ، والملائكة والناس فاعل للمصدر .

(٤) في ك إنما يقع على المعنى الجيد البالغ .

(٥) ليست في ك وفيها «في أمر السماء» فلأنها سقف .

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَع النَّاسَ، وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ، وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

فهذه الآيات تدل على أنه واحد - عز وجل - فأما الآية في أمر السماء «فمن أعظم الآية» لأنها سقف بغير عمد، والآية في الأرض عظيمة فيما يرى من سهلها وجبلها وبحارها. وما فيها من معادن الذهب والفضة والرصاص والحديد اللاتي لا يمكن أحد أن ينشئ مثلها، وكذلك في تصريف الرياح، وتصريفها أنها تأتي من كل أفق فتكون شمالاً مرة وجنوباً مرة ودُبوراً مرة وصبا مرة. وتأتي لواقع للسحاب. فهذه الأشياء وجميع ما بث الله في الأرض دالة على أنه واحد. كما قال عز وجل: ﴿وإلهكم إله واحد﴾ - لا إله غيره لأنه لا يأتي آت بمثل هذه الآيات (إلا واحداً) ^(١).

وقوله عز وجل: ﴿وَمَنْ النَّاسِ مِنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً﴾. فأعلم أن بعد هذا البيان والبرهان تتخذ من دونه الأنداد. وهي الأمثال، فأبان أن من الناس من يتخذ ندّاً يعلم أنه لا ينفع ولا يضر ولا يأتي بشيء مما ذكرنا، وعنى بهذا مشركي العرب.

وقوله عز وجل: ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾. أي يسوّون بين هذه الأوثان وبين الله - عز وجل - في المحبة وقال بعض النحويين، يحبونهم كحبكم أنتم لله - وهذا قول ليس بشيء - ودليل نقضه قوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ﴾ والمعنى أن المخلصين الذين لا يشركون مع الله غيره هم المحبون حقاً.

(١) ليست في ك، وواحداً مستثنى فيه معنى الحال أي لا يأتي بها إلا إذا كان واحداً.

وقوله عز وجل: ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ - إذ يرون العذاب - ﴿أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً﴾ .

في هذا غير وجه، يجوز أن القوة لله وأن الله، ويجوز أن القوة لله وإن الله، ولو ترى الذين ظلموا وتفتح أن مع ترى، وتكسر، وكل ذلك قد قرئ به. قرأ الحسن «وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ إِنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ». ونحن نفسر ما يجب أن يجري عليه هذا إن شاء الله.

من قرأ أن القوة - فموضع أن نصب بقوله - ﴿ولو يرى الذين ظلموا أن القوة لله جميعاً﴾، وكذلك نصب أن الثانية.

والمعنى ولو يرى الذين ظلموا شدة عذاب الله وقوته لعلموا مضرة إتخاذهم الأنداد، وقد جرى ذكر الأنداد في قوله: ﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً﴾ .

ويجوز أن يكون العامل في أن الجواب، على ما جاء في التفسير: يروى في تفسير هذا أنه لو رأى الذين كانوا يشركون في الدنيا عذاب الآخرة لعلموا حين يرونه أن القوة لله جميعاً، ففتح أن أجود وأكثر في القراءة، وموضعها نصب في هاتين الجهتين على ما وصفنا، ويجوز أن تكون «إن» مكسورة مستأنفة، فيكون جواب ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب «لرأوا أمراً عظيماً لا تبلغ صفته» لأن جواب لو إنما يترك لعظيم الموصوف نحو قوله عز وجل: ﴿ولو أن قرآناً سُيرت به الجبال، أو قطعت به الأرض أو كُلِّم به الموتى﴾^(١). المعنى لكان هذا القرآن. أبلغ من كل ما وصف. وتكون ﴿أن القوة لله جميعاً﴾، على الاستئناف، يُخبر بقوله: أن القوة لله جميعاً ويكون الجواب المتروك غير معلق بأن.

ومن قرأ ﴿ولو ترى الذين ظلموا﴾ فإن التاء خطاب للنبي، يراد به الناس

(١) الرعد ١٢ - ٣١.

كما قال: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾^(١). فهو بمنزلة: أَلَمْ تَعْلَمُوا، وكذلك ولو ترى الذين ظلموا بمنزلة - ولو ترون - وتكون ﴿أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ مستأنفة كما وصفنا^(٢)، ويكون الجواب - والله أعلم لرأيتم أمراً عظيماً - كما يقول: لو رأيت فلاناً والسياط تأخذه، فيُستغنى عن الجواب لأن المعنى معلوم. ويجوز فتح أن مع ترى فيكون لرأيتم أيها المخاطبون أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا، أو لرأيتم أَنَّ الْأَنْدَادَ لَمْ تَنْفَعْ، وإنما بلغت الغاية في الضرر لأن القوة لله جميعاً.

وجميعاً منصوبة على الحال: المعنى أَنَّ الْقُوَّةَ ثَابِتَةٌ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي حَالِ اجْتِمَاعِهَا.

وقوله: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾.

يعني به السادة والأشراف، ﴿مَنْ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾ وهم الأتباع والسفلة. ورأوا العذاب - يُعْنَى بِهِ التَّابِعُونَ وَالتَّبَعُونَ، وتقطعت بهم الأسباب، أي انقطع وصلُّهم الذي كان جمعهم: كما قال: ﴿لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾^(٣) فَبَيْنَهُمْ وَضَلُّهُمْ. والذي تقطع بينهم في الآخر كان وصل بينهم في الدنيا.

وإنما ضُمَّتِ الْأَلْفُ فِي قَوْلِهِ ﴿اتَّبَعُوا﴾ لُضْمَةِ التَّاءِ، والتاء ضمت علامة ما لم يُسَمَّ فاعله، فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فما لم يسم فاعله مضموم الأول، والتاء المضمومة في ﴿اتَّبَعُوا﴾ ثالثة، قيل إنما يضم لما لم يُسَمَّ فاعله الأول من

(١) تقدمت آنفاً - آية ١٠٧.

(٢) أي لكان هو الذي تسير به الجبال وتقطع الأرض وتكلم الموتى ويفعل به أكثر من ذلك إذ هو أبلغ من كل كلام.

(٣) سورة الأنعام (٦) آية ٩٤.

مُتَحَرِّكَاتِ الْفِعْلِ، فَإِذَا كَانَ فِي الْأَوَّلِ سَاكِنٌ اجْتَلَبَتْ لَهُ أَلْفُ الْوَصْلِ، وَضُمَ مَا كَانَ مُتَحَرِّكاً، فَكَانَ الْمُتَحَرِّكُ مِنْ اتَّبَعُوا التَّاءَ الثَّانِيَةَ فَضُمْتُ دَلِيلًا عَلَى تَرْكِ الْفَاعِلِ، وَأَيْضاً فَإِنَّ فِي «اتَّبَعُوا» أَلْفَ وَصْلٍ دَخَلَتْ مِنْ أَجْلِ سَكُونِ فَاءِ الْفِعْلِ، لِأَنَّ مِثْلَهُ مِنَ الْفِعْلِ افْتَعِلُوا، فَالْأَلْفُ أَلْفُ وَصْلٍ وَلَا يَبْنَى عَلَيْهِ ضَمَّةُ «الْأَوَّلِ»^(١) فِي فِعْلٍ لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ، وَالْفَاءُ سَاكِنَةٌ، وَالسَّاكِنُ لَا يُبْنَى عَلَيْهِ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الثَّالِثُ، وَهُوَ التَّاءُ فَضُمْتُ عَلَماً لِلْفِعْلِ الَّذِي لَمْ يَسَمَّ فَاعِلُهُ، فَكَانَ الثَّالِثُ لِهَذِهِ الْعِلَّةِ هُوَ الْأَوَّلُ.

وقوله عز وجل: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا: لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ﴾.

أي عودة إلى الدنيا فتتبرأ منهم، موضع ﴿أَنَّ﴾ رفع، المعنى لو وقع لنا كُرُورٌ لتبرأنا منهم، كما تبرأوا منا، «يقال»^(٢) تبرأت منهم تبرؤوا، وبرئتُ [منه] بَرَاءَةً وبرئتُ من المرض وبرأتُ أيضاً لغتان «ابراً، برءاً»^(٣)، وبريت القلم وغيره وأبريه غير مهموز، وبرأ الله الخلق برءاً.

وقوله عز وجل: ﴿كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ﴾.

أي كتبري بعضهم من بعض يريهم الله أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ لأن ما عمله الكافر غير نافعه مع كفره، قال الله عز وجل: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلُّ أَعْمَالَهُمْ﴾^(٤) وقال: ﴿حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾^(٥) ومعنى ﴿أَضَلُّ أَعْمَالُهُمْ﴾ لم يجازهم على ما عملوا من خير، وهذا كما تقول لمن عمل عملاً لم يعد عليه فيه نفع: لقد ضلَّ سَعْيُكَ.

(١) في فاء فعل.

(٢) ليست في ط.

(٣) ك أبرأ وأبرأ.

(٤) سورة محمد ٤٧ الآية ١.

(٥) سورة الكهف - ١٠٥.

المعنى أيتبعون آباءهم وإن كانوا جهالاً، وهذه الواو مفتوحة لأنها واو عطف، دخلت عليها ألف التوبيخ، وهي ألف الاستفهام فبقيت الواو مفتوحة على ما يجب لها.

قوله عز وجل: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا، لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً﴾.

وضرب الله عز وجل لهم هذا المثل، وشبَّههم بالغنم المنعوق بها. بما^(١) لا يَسْمَعُ منه إلا الصوت، فالمعنى مثلك يا محمد، ومثلهم كمثل الناق والمنعوق به، بما لا يسمع، لأن سمعهم ما كان ينفعهم، فكانوا في شركهم وَعَدَمِ قبول ما يسمعون بمنزلة من لم يسمع، والعرب تقول لمن يسمع ولا يعمل بما يسمع: أصم، قال الشاعر:

أَصْمُ عَمَّا سَاءَ سَمِيعُ^(٢)

وقوله عز وجل: ﴿صُمُّ بَكْمٌ عُمِيٌّ﴾.

وصفهم بالبكم وهو الخرس، وبالعُمى، لأنهم في تركهم ما يبصرون من الهداية بمنزلة العُمى، وقد شرحنا هذا في أول السورة شرحاً كافياً إن شاء الله^(٣).

وقوله عز وجل: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾.

النَّصَبُ فِي ﴿الْمَيْتَةَ﴾ وما عطف^(٤) عليها هو القراءة، ونصبه لأنه مفعول

(١) من صائح يسمع صوته ولا يفهم كلامه فلا يستجاب له - وكلمة بما لا يسمع بدل من المنعوق بها تفسير لها - أي شبههم بالحيوانات التي تسمع ولا تفهم معنى الكلام.

(٢) اللسان (صمم) أي يسمع ولكنه يتصامم.

(٣) ص ٩٤.

(٤) في ك ما عطف به.

به، دخلت «ما» تمنع إنَّ من العمل^(١)، ويليها الفعل، وقد شرحنا دخول ما مع إن، ويجوز إنَّما حرَّم عليكم المَيْتَةَ، والذي أختاره أن يكون ما تمنع أن من العمل، ويكون المعنى ما حرم عليكم إلا المَيْتَةَ، والدَّم ولحم الخنزير، لأن «إنَّما» تأتي إثباتاً لما يذكر بعدها لما سواه، قال الشاعر:^(٢)

أنا الزائد الحامي الذمار^(٣) وإنما مدافع عن أحسابهم أنا أو مثلي
المعنى ما يدافع عن أحسابهم إلا أنا أو مثلي، فالاختيار ما عليه جماعة القراء لإتباع السنة، وصحته في المعنى.

ومعنى ﴿مَا أَهْلٌ بِهِ لغيرِ اللَّهِ﴾.

أي ما رُفِعَ فيه الصوت بتسمية غير الله عليه، وهذا موجود في اللغة، ومنه الإهلال بالحج، إنما هو رفع الصوت بالتلبية. والميتة أصلها المَيْتَةُ، فحذفت الياء الثانية استخفافاً لثقل الياءين والكسرة والأجود في القراءة المَيْتَةُ (بالتخفيف)^(٤).

وكذلك في قوله: ﴿أَوْ مِنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾^(٥) أصله أو من كان مَيْتًا بالتشديد، وتفسير الحذف والتخفيف فيه كتفسيره في الميتة.

وقوله عز وجل: ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾.

في تفسيرها ومعناها ثلاثة أوجه: قال بعضهم ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾، أي فمن اضطر جائعاً غير باغ - غير آكلها تلذذاً - ولا عاد ولا مُجَاوِزٍ ما يدفع عن نفسه الجوع، فلا إثم عليه.

(١) في ك ودخلت.

(٢) البيت للفرزدق. ديوانه ٧١٢ معاهد التنقيص ١ - ٨٩ شواهد المغني ٧١٨.

(٣) ليست في ك - والذمار الحمى والحريم.

(٤) ليست في ك.

(٥) الأنعام ١٢٢/٦.

وقالوا: ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾ غير مجاوز قدر حاجته وغير مقصر عما يقيم به حياته، وقالوا: أيضاً: معنى ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾ على إمامٍ وغير متعدد على أمته، ومعنى البغي في اللغة، قصد الفساد، يقال: بَغَى الجَرْحُ يبغي بغياً، إذا ترامى إلى فساد، هذا إجماع أهل اللغة، تقول ويقال بغى الرجل حاجته يَبْغِيهَا بَغَاءً، والعرب تقول خرج في بَغَاءٍ إبله قال الشاعر: (١)

لَا يَمْنَعُنْكَ مِنْ بَغَاءِ الْخَيْرِ تَعَقُّدُ التَّمَائِمِ

إِنَّ الْأَشَائِمَ كَالْأَيَّامِ وَالْأَيَّامُ كَالْأَشَائِمِ

ويقال بغت المرأة تبغي بَغَاءً إذا فجرت: قال الله عز وجل:

﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَانَكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْتُمْ تَحْصُنَا﴾ (٢) أي على الفجور

ويقال: ابتغى لفلان أن يفعل كذا: أي صلح له أن يفعل كذا وكأنه قال:

طلب فعل كذا فانطلب له (٣)، أي طأوعه، ولكن اجتزئ بقولهم ابتغى،

والبغايا في اللغة شيثان، البغايا الفواجر، والبغايا الإماء، قال الأعشى: (٤)

والبغايا يركضن أكسية الأُضْريح والشرعبي ذَا الأذْيَالِ

ونصب ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾ على الحال.

وقوله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ﴾ يعني

علماء اليهود الذين كتموا أمر النبي ﷺ.

وقوله: ﴿وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ أي كتموه لأنهم أخذوا على كتمانهم

الرَّشَى.

(١) للمرقش - اللسان (يمن) مع أبيات أخرى - والبيت الثاني هناك فإذا لیتسق مع ما سبقه.

(٢) النور ٢٤/٣٣.

(٣) هو فعل لازم كالمضارع أي فاستقام له.

(٤) من لاميته. في العشر للزوزني ١٨٤ والديوان ١٦٧ ط. بيروت: والشرعبي: الحرير الأحمر، أكسية تنسب إلى شرعب قرية يمنية والأضريح: كساء أصفر. وأيضاً أكسية من الصوف الأبيض.

﴿أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ﴾.

المعنى أن الذين يأكلونه يعذبون به، فكأنهم إنما أكلوا النار وكذلك قوله عز وجل: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾^(١). أي يُصَيِّرُهُمْ أَكْلُهُ فِي الْآخِرَةِ إِلَى مِثْلِ هَذِهِ الْحَالَةِ. والذين نصب بأن، وخبر «أن» جملة الكلام وهي ﴿أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ﴾، وأولئك رفع بالابتداء وخبر ﴿أُولَئِكَ﴾ ما يأكلون في بطونهم إلا النار.

وقوله عز وجل: ﴿وَلَا يَكْلَمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾.

فيه غير قول: قال بعضهم معناه يغضب عليهم، كما تقول: فلان لا يكلم فلاناً، تريد هو غضبان عليه. وقال بعضهم معنى لا يكلمهم الله يوم القيامة لا يرسل إليهم الملائكة بالتحيّة، وجائز إن يكون: ﴿لَا يَكْلَمُهُمُ اللَّهُ﴾ لا يسمعهم الله كلامه، ويكون الأبرار وأهل المنزلة الذين رضي الله عنهم يسمعون كلامه.

وقوله عز وجل: ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾.

أي لا يثني عليهم، ومن لا يثني الله عليه فهو معذب.

وقوله عز وجل: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

معنى أليم مؤلم ومعنى مؤلم مبالغ في الوجع.

وقوله عز وجل: ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾.

وفيه غير وجه: قال بعضهم أي شيء أصبرهم على النار، وقال بعضهم: فما أصبرهم على عمل يؤدي إلى النار لأن هؤلاء كانوا علماء بأن من عاند النبي ﷺ صار إلى النار. كما تقول ما أصبر فلاناً على الجنس أي ما أبقاها منه.

(١) البقرة ٢/٢٧٥.

وقوله عز وجل: ﴿ذَلِكَ بَأْنِ اللَّهِ نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾.

المعنى الأمر ذلك، أو ذلك الأمر فذلك مرفوع بالابتداء. أو بخبر الابتداء.

وقوله عز وجل: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ أي بتباعد بعضهم في مشاققة بعض، لأن اليهود والنصارى هم الذين اختلفوا في الكتاب ومشاققتهم بعيدة.

وقوله عز وجل: ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾.

المعنى ليس البر كله في الصلاة ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ﴾... إلى آخر الآية، فقل إن هذا خصوص في الأنبياء وحدهم، لأن هذه الأشياء التي وصفت لا يؤديها بكليتها على حق الواجب إلا الأنبياء عليهم السلام، وجائز أن يكون لسائر الناس، لأن الله عز وجل قد أمر الخلق بجميع ما في هذه الآية.

ولك في البر وجهان: لك أن تقرأ ليس البر أن تولوا، وليس البر أن تولوا، فمن نصب جعل أن مع صلتها الاسم، فيكون المعنى: ليس توليتكم وجوهكم البر كله، ومن رفع البر فالمعنى: ليس البر كله توليتكم، فيكون البر إسم ليس، وتكون ﴿أَنْ تُولُوا﴾ الخبر.

وقوله عز وجل: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾.

إذا شددت ﴿لَكِنَّ﴾ نصبت البر، وإذا خففت رفعت البر، فقلت ولكن البر من آمن بالله، وكسرت النون من التخفيف للالتقاء الساكنين، والمعنى: ولكن ذا البر من آمن بالله، ويجوز أن تكون: ولكن البر بر من آمن بالله، كما قال الشاعر:

وكيف تواصل من أصبحت خلالتة كأبي مرحب^(١)

المعنى كخلالة أبي مرحب - ومثله واسأل القرية التي كنا فيها. المعنى
واسأل أهل القرية.

وقوله عز وجل: ﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا﴾.

في رفعها قولان: الأجود أن يكون مرفوعاً على المدح، لأن النعت إذا
طال وكثر رُفِعَ بعضه ونُصِبَ على المدح. المعنى هم الموفون بعهدهم وجائز
أن يكون معطوفاً على من. المعنى ولكن البر، وذو^(٢) البر المؤمنون والموفون
بعهدهم.

وقوله عز وجل: ﴿وَالصَّابِرِينَ﴾.

في نصبها وجهان: أجودهما المدح كما وصفنا في النعت إذا طال.
المعنى أعني الصابرين، قال بعض النحويين، إنه معطوف على ذوي القربى،
كأنه قال: وآتي المال على حبه ذوي القربى والصابرين وهذا لا يصلح إلا أن
يكون - والموفون رفع على المدح للمُضْمَرِينَ، لأن ما في الصلة لا يعطف
عليه بعد المعطوف على الموصول^(٣).

ومعنى «وَحِينَ الْبَأْسِ» أي شدة الحرب، يقال قد بَأْسَ الرجل^(٤) يَبْأُسُ

(١) تقدم

(٢) في الأصل ذوي.

(٣) الموفون يحتمل إعرابين - إما العطف على من آمن، وإما على أنه منقطع خبر. الضمير
المحذوف، وذوي القربى. معمول لأتى. . وهو من صلة «من» فالصابرين ان عطف على ذوي
القربى فهو عطف على معمول الصلة ولا يجوز العطف على معمول الصلة بعد ذكر معطوف
على الموصول نفسه فلهذا يمتنع هذا العطف - إلا إذا كانت الموفون - اسما منقطعاً.

(٤) في القاموس: بئس كسمع بؤساً وبؤساً وبؤساً وبؤساً وبئسى وبئسى اشتدت حاجته.

بَأْساً وَبِأْساً (وَبُؤْساً) ^(١) يا هذا إذا افتقر وقد بُؤِس الرجل ببؤس، فهو بئيس إذا اشتدت شجاعته .

وقوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَىٰ بِالْأُنْثَىٰ﴾ .

معنى ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ﴾ فرض عليكم، وقوله ﴿الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَىٰ بِالْأُنْثَىٰ﴾: يقال إنه كان لقوم من العرب طولٌ على آخرين فكانوا يتزوجون فيهم بغير مهور، ويطلبون بالدم أكثر من مقداره، فيقتلون بالعبد من عبيدهم الحر من الذين لهم عليهم طول فأنزل الله عز وجل: ﴿فَمَنْ عَفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبَاعَ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٍ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ﴾ . أي من ترك له القتل ورُضي منه بالدية - وهو قاتل متعمد للقتل عفى له بأن ترك له دمه، ورضي منه بالدية - قال الله عز وجل: ﴿ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾ وذكر أن من كان قبلنا لم يفرض عليهم إلا النفس - كما قال عز وجل: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ ^(٢) أي في التوراة - فتفضل الله على هذه الأمة بالتخفيف والدية إذا رضي بها وليُّ الدَّم، ومعنى ﴿فَاتَّبَاعَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ على ضربين: جائز أن يكون فعلى صاحب الدم اتباع بالمعروف، أي المطالبة بالدية، وعلى القاتل أداء بإحسان - وجائز أن يكون الأتباع بالمعروف والأداء بإحسان جميعاً على القاتل - والله أعلم .

وقوله عز وجل: ﴿فَمَنْ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ . أي بعد أخذ الدية، ومعنى اعتدى: ظلم، فوثب فقتل قَاتِلَ صَاحِبِهِ بعد أخذ الدية - ﴿فله عذاب أليم﴾ أي موجه .

(١) ليست في ك .

(٢) المائدة د / ٤٥ .

ورفع ﴿فَاتَّبَاعَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ على معنى فعله اتباع^(١) - ولو كان في غير القرآن لجاز فاتباعاً بالمعروف وأداءً على معنى فليتبع أتباعاً ويؤد أداءً. ولكن الرفع أجود في العربية^(٢). وهو على ما في المصحف وإجماع القراء فلا سبيل إلى غيره.

وقوله عز وجل: «وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ». ﴿حياة﴾ رفع على ضريين: على الابتداء، وعلى لكم، كأنه قال وثبت لكم في القصاص حياة ﴿يا أولي الألباب﴾^(٣) أي يا ذوي العقول. ومعنى الحياة في القصاص أن الرجل - إذا علم أنه يُقتل إن قُتل - أمسك عن القتل ففي إمساكه عن القتل حياة الذي هم هو بقتله. وحياة له. لأنه من أجل القصاص أمسك عن القتل فسليم أن يقتل^(٤).

وقوله عز وجل: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْمَعْنَى وَكُتِبَ عَلَيْكُمُ الْكَلَامُ﴾ إذا طال استغنى عن العطف بالواو، وعلم أن معناه معنى الواو. ولأن القصة الأولى قد استتمت وانقضت معنى الفرض^(٥) فيها، فعلم أن المعنى فرض عليكم القصاص وفرض عليكم الوصية.

ومعنى ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾.

هذا الفرض بإجماع نسخته آيات المواريث في سورة النساء وهذا مجمع

(١) أي فاتباع واقع عليه، أو فامره اتباع.

(٢) لأنه جملة اسمية - وحذف الفعل ليس كثيراً كحذف الاسم.

(٣) أنظر كيف يأخذ الزجاج بالمذهب الكوفي.

(٤) أي من أن يقتل.

(٥) آية ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ معطوفة على ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ﴾.

(٦) في ط وفرض عليكم الوصية.

عليه، ولكن لا بد من تفسيره ليعلم كيف كان وجه الحكمة فيه، لأن الله^(١) عز وجل لا يتعبد في وقت من الأوقات إلا بما فيه الحكمة البالغة فمعنى ﴿كتب عليكم﴾: فرض عليكم - إن ترك أحدكم مالا - الوصية «للوالدين والأقربين بالمعروف»، فَرَفَعَ الوصية على ضريين، أحدهما على ما لم يسم فاعله، كأنه قال كتب عليكم الوصية (للوالدين)^(٢)، أي فرض عليكم، ويجوز أن تكون رفع الوصية على الابتداء، ويجوز (أن تكون)^(٣)، للوالدين الخبر، ويكون على مذهب الحكاية، لأن معنى كتب عليكم قيل لكم: الوصية للوالدين والأقربين، وإنما أُمرُوا بالوصية في ذلك الوقت لأنهم كانوا ربما جاوزوا بدفع المال إلى البُعْداء طلباً للرياء والسمعة.

ومعنى ﴿حضر أحدكم الموت﴾ ليس هو أنه كتب عليه أن يوصي إذا حضره الموت، لأنه^(٤) إذا عاين الموت «يكون» في شغل عن الوصية وغيرها. ولكن المعنى كتب عليكم أن تَوْصُوا وأنتم قادرون على الوصية، فيقول الرجل إذا حضرني الموت، أي إذا أنا مت فلفلان كذا، على قدر - ما أمر به - والذي أمر به أن يجتهد في العدل في وقت الإمهال^(٥)، فيوصي بالمعروف - كما قال الله عز وجل - لوالديه ولأقريبه - ومعنى بالمعروف بالشيء الذي يعلم ذو التمييز أنه لا جَنَفَ فيه ولا جَوْر، وقد قال قوم إن المنسوخ من هذا ما نسخته المواريث، وأمر الوصية في الثلث باق، وهذا القول ليس بشيء لأن إجماع المسلمين أن ثلث الرجل له إن شاء أن يوصي بشيء فله، وإن ترك فجائز (فالآية)^(٦) في

(١) ط: أن الله: فهي جملة مستأنفة.

(٢) ك فقط.

(٣) ك فقط.

(٤) ك: لأنه هو إذا عاين.

(٥) في ط في العدل في الإمهال في ذلك الوقت.

(٦) ليست في ك.

قوله: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ . . . الوصية﴾ منسوخة بإجماع . وكما وصفنا .

وقوله عز وجل: ﴿حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ .

نصب على حق ذلك عليكم حقاً، ولو كان في غير القرآن فَرُفِعَ كان جائزاً، على معنى ذلك حق على المتقين .

وقوله عز وجل: ﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ﴾ يعني فمن بدل أمر الوصية بعد سماعه إياها، فإنما إثمُه على مُبَدِّلِهِ، ليس على الموصي، - إذا احتاط أو اجتهد فيمن يوصي إليه - إثم، ولا على الموصي له إثم وإنما الإثم على الموصي إن بدل .

وقوله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ .

أي قد سمع ما قاله الموصي، وعلم ما يفعله الموصي إليه، لأنه عز وجل عالم الغيب والشهادة .

وقوله عز وجل: ﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفًا (أَوْ إِثْمًا)﴾ .

أي ميلاً، أو إثمًا، أو قصداً لإثم، فأصلح بينهم أي عمل بالإصلاح بين الموصي لهم فلا إثم عليه، أي لأنه إنما يقصد إلى إصلاح بعد أن يكون الموصي قد جعل الوصية بغير المعروف مخالفاً لأمر الله فإذا ردها الموصي إليه إلى المعروف، فقد ردها إلى ما أمر الله به .

وقوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ .

المعنى فرض عليكم الصيام فرضاً كالذي فرض على الذين من قبلكم، وقيل إنه قد كان فرض على النصارى صوم رمضان فنقلوه عن وقته، وزادوا فيه، ولا أدري كيف وجه هذا الحديث، ولا ثقة ناقله، ولكن الجملة أن الله عز وجل قد أعلمنا أنه فرض على من كان قبلنا الصيام، وأنه فرض علينا كما فرضه على الذين من قبلنا^(١) .

(١) في ط على النبيين من قبلنا .

وقوله عز وجل: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

المعنى أن الصِّيَامَ وَصْلَةً إِلَى التَّقَى، لأنه من البر الذي يكف الإنسان عن كثير مما تتطلع إليه النفس من المعاصي، فلذلك قيل ﴿لعلكم تتقون﴾. و«لعل» ههنا على ترجي العباد، والله عز وجل من وراء العلم أَتَقُونَ أم لا^(١). ولكن المعنى أنه ينبغي لكم بالصوم أن يقوى رجاؤكم في التقوى.

وقوله عز وجل: ﴿أَيَّاماً مَّعْدُودَاتٍ﴾.

نصب أياماً على ضربين، أجودُهُما أن تكون على الظرف كأنه، كتب عليكم الصيام في هذه الأيام - والعامل فيه^(٢) الصيام كان المعنى كتب عليكم أن تصوموا أياماً معدودات. وقال بعض النحويين، إنه منصوب مفعول^(٣) مَا لم يُسَمَّ فاعله، نحو أُعْطِيَ زيد المال. وليس هذا بشيء لأن الأيام ههنا معلقة بالصوم، وزيد والمال مفعولان لأعطى. فلك أن تقيم أيهما شئت مقام الفاعل^(٤). وليس في هذا إلا نصب الأيام بالصيام.

وقوله عز وجل: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾.

أي فعلية عدة، أو فالذي ينوب عن صومه في وقت الصوم عدة من أيام أخر. وأخر في موضع جر، إلا أنها لا تَنْصَرِفُ فَتُفْتَحُ فيها المجرور.

ومعنى وعلى الذين يطيقونه أي يطيقون الصوم فدية طعام، مسكين، أي إن أفطر وترك الصوم كان فدية تركه طعام مسكين وقد قرئ «طعام مساكين»

(١) أي هو يعلم المستقبل فلا يتأتى الرجاء منه.

(٢) في الظرف.

(٣) اعتبرت كتب مما ينصب مفعولين. جعل أولهما نائب الفاعل وهذا هو الثاني أو هو ظرف ولكن عامله «كتب».

(٤) لك أو ترفع أيا منهما على أنه نائب فاعل وتنصب الآخر مفعولاً به.

فمعنى طعام مساكين فدية أيام يفطر فيها وهذا بإجماع وينص القرآن منسوخ .
نسخته الآية التي تلي هذه .

وقوله عز وجل : ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ .

رفع خير خبر الابتداء . المعنى صومكم خير لكم هذا كان خيراً لهم مع جواز الفدية ، فأما ما بعد النسخ فليس بجائز أن يقال : الصوم خير من الفدية والإفطار في هذا الوقت ، لأنه ^(١) ما لا يجوز البتة فلا يقع تفضيل عليه فيهم فيه أنه جائز . وقد قيل إن الصوم الذي كان فرض في أول الإسلام . صوم ثلاثة أيام في كل شهر ويوم عاشوراء ، ولكن شهر رمضان نسخ الفرض في ذلك الصوم كله .

وقوله عز وجل : ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ .

القراءة ^(٢) بالرفع ويجوز النصب ، وهي قراءة ليست بالكثيرة ورفعها على ثلاثة أضرب : أحدها الاستئناف . المعنى الصيام الذي كتب عليكم أو الأيام التي كتبت عليكم شهر رمضان ، ويجوز أن يكون رفعه على البدل من الصيام فيكون مرفوعاً على ما لم يسم فاعله ، المعنى كتب عليكم شهر رمضان ^(٣) ، ويجوز أن يكون رفعه على الابتداء ويكون الخبر ﴿الذي أنزل فيه القرآن﴾ والوجهان اللذان شرحناهما - «الذي» فيهما رفع على صفة ^(٤) الشهر ، ويكون الأمر بالفرض فيه ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمْ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ ^(٥) ومعنى من شهد : من كان شاهداً غير مسافر فليصم ، ومن كان مسافراً أو مريضاً فقد جُعِلَ له أن

(١) في ط وك . لأن ما لا يجوز .

(٢) في ط القراءة الجيدة .

(٣) كتب عليكم الصيام شهر رمضان .

(٤) وعلى الوجه الأخير هي خبر .

(٥) أي هذه الجملة الدالة على الأمر .

يصوم عدّة أيام المَرَضِ وأيام السفر من أيام آخر، ومن نصب شهر رمضان
نصبه على وجهين، أحدهما أن يكون بدلاً من أيام معدودات، والوجه الثاني
على الأمر، كأنه قال عليكم شهر رمضان. على الإغراء.

وقوله عز وجل: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ﴾.

أي أن يُيسّر عليكم بوضعه عنكم الصوم في السفر والمرض.

وقوله عز وجل: ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ﴾ (قرئ) ^(١) بالتشديد، ولِتُكْمِلُوا
بالتخفيف. من كَمَّلَ يَكْمِلُ، وأَكْمَلَ يُكْمِلُ. ومعنى اللام والعطف ههنا معنى
لطيف. هذا الكلام معطوف محمول على المعنى. (المعنى ^(١)) فعل الله ذلك
ليسهل عليكم ولتكمّلوا العدة، قال الشاعر: ^(٢)

بَادَتْ وَغَيْرَ آيِهِنَّ مَعَ الْبَلِي إِلَّا رَوَاكِدَ جَمْرُهُنَّ هَبَاءُ
وَمَشْجَعٌ أَمَّا سِوَاهُ قَذَالُهُ فَبَدَا، وَغَيْرُهُ سَارَهُ الْمَعْزَاءُ

فعطف مشجّع على معنى بها رواكد ومشجج، لأنه إذ قال بادت
الأرواكِدَ علم أن المعنى بَقِيَتْ رواكد ومشجّع.

وقوله عز وجل: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾.

المعنى إذا قال قائل: أَيْنَ اللَّهُ. فالله عز وجل قريب لا يخلو منه مكان -
كما قال: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ ^(٣) وكما قال: ﴿وَهُوَ
مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ﴾ ^(٤).

(١) ك فقط.

(٢) البيتان من شواهد سيبويه: الكتاب ص ١٧٣، ١٧٤ ج ١ تحقيق هرون، والرواكِدُ الأثافي -
والمعزاء (بفتح الميم) الأرض الغليظة الصلبة - ج. أمعاز أنظر اللسان (معز)، والمشجج الوتد،
والقذال أعلاه، وسارة: سائرته «اللسان: سار» - ولم يذكر القائل.

(٣) سورة المجادلة ٥٨ - ٧.

(٤) سورة الحديد آية ٤.

وقوله عز وجل: ﴿أَجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِي إِذَا دَعَانِ﴾.

إن شئت قلت إذا دعاني بياء وإن شئت بغير ياء، إلا أن المصحف يتبع فيوقف على الحرف كما هو فيه. ومعنى الدعاء لله عز وجل على ثلاثة أضرب، فضرب منها توحيده والثناء عليه كقولك يا الله لا إله إلا أنت^(١) وقولك: رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ، فقد دعوته بقولك ربنا، ثم أتيت بالثناء والتوحيد ومثله: ﴿وقال ربكم ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾، إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين^(٢) أي يستكبرون عن توحيدي والثناء عليّ، فهذا ضرب من الدعاء، وضرب ثان هو مسألة الله العفو والرحمة، وما يقرب منه كقولك اللهم أغفر لنا، وضرب ثالث هو مسألته من الدنيا كقولك: اللهم أرزقني مالاً وولداً وما أشبه ذلك، وإنما سمي هذا أجمع دعاء لأن الإنسان يصدر في هذه الأشياء بقوله يا الله، ويا رب، ويا حيّ. فكذاك سمي دعاء.

وقوله عز وجل: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي﴾:

أي فليجيبوني، قال الشاعر:

وداع دعا يا من يجيب إلى النداء فلم يستجبه عند ذاك مجيب^(٣)
أي فلم يجبه أحد.

وقوله عز وجل: ﴿أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾.

﴿الرفث﴾ كلمة جامعة لكل ما يريد الرجل من المرأة، والمعنى ههنا كناية عن الجماع: أي أحل لكم ليلة الصيام الجماع، لأنه كان في أول فرض

(١) في ط لا إله إلا هو إلا أنت.

(٢) سورة غافر ٤٠ - ٦٠.

(٣) البيت لكعب الغنوي يرثي أخاه أبا المغوار الخزاعة ٤ - ٣٥٧، المعجم ٣٤ اللسان (جوب)

أمالي المرتضى ٦٠/١.

الصيام الجماع محرماً في ليلة الصيام، والأكل والشرب بعد العشاء الآخرة والنوم. فأحل الله الجماع والأكل والشراب إلى وقت طلوع الفجر.

وفوله عز وجل: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾.

قد قيل فيه غير قول: قيل المعنى، فتعانقوهن ويعانقنكم، وقيل كل فريق منكم يسكن إلى صاحبه ويلبسه - كما قال عز وجل: ﴿وجعل منها زوجها ليسكن إليها﴾^(١). والعرب تسمى المرأة لباساً وإزاراً قال الشاعر:^(٢)

إِذَا مَا الضَّجِيعُ ثَنَى عِطْفَهُ تَثَنَّتْ فَكَانَتْ عَلَيْهِ لِبَاساً

وقال أيضاً:^(٣)

أَلَا أَبْلُغُ أَبَا حَفْصٍ رَسُولا فِدَى لَكَ - مِنْ أَخِي ثِقَةٍ - إِزَارِي

قال أهل اللغة: فدى لك إمرأتى^(٣).

قوله عز وجل: ﴿وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾.

قالوا معناه الولد. ويجوز أن يكون - وهو الصحيح عندي - والله أعلم - وابتغوا ما كتب الله لكم: اتبعوا القرآن فيما أبيح لكم فيه وأمرتم به فهو المبتغى.

(١) الأعراف ٧ - ١٨٩.

(٢) النابغة الجعدي - الشعراء والشعراء ٢٥٥، الطبري ٣ - ٤٩٠.

(٣) هو نفيلة الأكبر الأشجعي - وكنيته أبو المنهال - وهي أبيات وجه بها إلى عمر بن الخطاب، يشكو عامله على المدينة - جعدة بن عبد الله السلمي - وكان يعيث بالجواري عند خروج الأزواج إلى الغزو. ومنها.

فَلَا تُصْنَا هَذَاكَ اللَّهُ، أَنَا شَغَلْنَا عَنْكُمْ زَمَنَ الْحَصَارِ
يَعْقِلُهُنَّ جَعْدَةُ مِنْ سَلِيم غَوَى يَبْتَغِي سَقَطَ الْعَذَارَى
وفسر الإزار هنا بأنه النفس والأهل - والقاتل أنه المرأة هو الجرمي وليس بجيد هنا ومنه حديث بيعة العقبة لئلا تمنعك مما تمنع منه أزرتنا، أي نبأنا وأهلنا. والعذارى جمع عذراء.
أنظر اللسان (عذر).

وقوله عز وجل: ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾.

هما فجران: أحدهما يَبْدُو أَسْوَدَ معترضاً وهو الخيط الأسود، والأبيض يطلع ساطعاً يملأ الأفق، وَحَقِيقَتُهُ: حَتَّى يَتَبَيَّنَ لكم الليل من النهار، وجعل الله عز وجل حدود الصيام طلوع الفجر الواضح، إلا أن الله عز وجل بين في فرضه ما يستوي في علمه أكثر الناس.

وقوله عز وجل: ﴿وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾.

معنى المباشرة هنا الجماع. وكان الرجل يخرج من المسجد وهو معتكف فيجامع ثم يعود إلى المسجد، والاعتكاف أن يجلس الرجل نفسه في مَسْجِدِ جَمَاعَةٍ يتعبد فيه، فعليه إذا فعل ذلك ألا يُجَامِعَ وألا يتصرف إلا فيما لا بد له مِنْهُ من حاجته^(١).

وقوله عز وجل: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا﴾.

معنى الحدود ما منع الله عز وجل من مخالفتها، - ومعنى الحداد في اللغة الحاجب، وكل من منع شيئاً فهو حداد. وقولهم أَحَدَّتِ المرأةُ على زوجها معناه قطعت الزينة وإمتنعت منها، والحديد إنما سمي حديداً لأنه يمتنع به من الأعداء. وَحَدُّ الدَّارِ هُوَ مَا يَمْنَعُ غيرها أن تدخل فيها.

وقوله عز وجل: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ﴾.

أي مثل البيان الذي ذكر، المعنى ما أمرهم به يبين لهم.

وقوله عز وجل: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ﴾.

﴿تَأْكُلُوا﴾ جزم بلا، لأن «لا» التي ينهي بها تلزم الأفعال دون الأسماء

(١) في ك، ط. لم تذكر كلمة منه.

وتأثيرها فيها بالجزم، لأن الرفع يدخلها، بوقوعها موضع الأسماء والنصب يدخلها لمضارعة الناصب فيها الناصب للأسماء^(١)، وليس فيها بعد هذين الحيزين إلا الجزم. ومعنى بالباطل أي بالظلم.

وتُدَلُّوا بها إلى الحُكَّام: أي تعملون على ما يوجبه ظاهر الحكم ويتركون ما قد علمتم أنه الحق، ومعنى تُدَلُّوا في اللغة إنما أصله من أَذْلَيْتُ الدلو إذا أرسلتها للمليء، ودلوها إذا أخرجتها، ومعنى أدلى لي فلان بحجته أرسلها وأق بها على صحة، فمعنى وتدلوا بها إلى الحكام أي تعملون على ما يوجبه الإدلاء بالحجة، وتخونون في الأمانة.

﴿لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

أي وأنتم تعلمون أن الحجة عليكم في الباطن، وإن ظهر، خلافها، ويجوز أن يكون (موضع)^(٢) «وتدلوا» جزماً ونصباً - فأما الجزم فعلى النهي، معطوف على ولا تأكلوا، ويجوز أن تكون نصباً على ما تنصب الواو، وهو الذي يسميه بعض النحويين الصرف، ونصبه بإضمار أن، المعنى لا تجمعوا [بين] الأكل بالباطل والإدلاء إلى الحكام، وقد شرحنا هذا قبل هذا المكان^(٣).

وقوله عز وجل: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ﴾.

كان النبي ﷺ سئل عن الهلال في بدئه دقيقاً وعن عظمه بعد، وعن رجوعه دقيقاً كالعرجون القديم، فأعلم الله عز وجل أنه جعل ذلك ليعلم

(١) الرفع يدخل الأفعال إذا وقعت موقع الأسماء، بأن تقع بعد ما يؤثر في الاسم أو بدون مؤثر، والنصب يدخلها للسبب الذي ذكر، ولا الناهية ليست أحد هذين. فالزم الفعل الجزم. وهذا رأي الزجاج - وقد رد فيه.

(٢) ليست في ك. والكلام يستقيم بدونها.

(٣) ص ١٢٤.

الناس، أوقاتهم في حَجَّهِمْ وَعِدَدِ^(١) نِسَائِهِمْ، وجميع ما يريدون علمه مشاهرة، لأن هذا أسهل على الناس من حفظ عدد الأيام، ويستوى فيه الحاسب وغير الحاسب.

ومعنى الهلال واشتقاقه: من قولهم اسْتَهْلَ الصبي إذا بكى حين يولد أو صاح، وكأن قولهم أَهْلَ القوم بالحج والعمرة - أي رفعوا أصواتهم بالتلبية، وإنما قيل له هلال لأنه حين يرى يهل الناس بذكره ويقال أَهْلُ الهلال واسْتَهْلَ^(٢)، ولا يقال أَهْلٌ، ويقال أَهْلُنَا. أي رأينا الهلال. وأهللنا شهر كذا وكذا، إذا دخلنا فيه.

وأخبرني من أثق به من رواة البصريين والكوفيين جميعاً بما أذكره في أسماء الهلال وصفات الليالي التي في كل شهر: (٣)

فأول ذلك: إنما سمي الشهر شهراً لشهرته وبيانه، وسُمِّيَ هلالاً لما وصفنا من رفع الصوت بالإخبار عنه، وقد اختلف الناس في تسميته هلالاً، وكم ليلة يُسَمَّى ومتى يُسَمَّى قمراً، فقال بعضهم يسمى هلالاً لليلتين من الشهر ثم لا يسمى هلالاً، إلى أن يعود في الشهر التالي، وقال بعضهم يسمى هلالاً ثلاث ليال ثم يسمى قمراً، وقال بعضهم يسمى هلالاً إلى أن يحجر وتحجيره أن يستدير بخطة دقيقة^(٤). وهو قول الأصمعي. وقال بعضهم يسمى هلالاً إلى أن

(١) جمع عدة وهي المدة التي تقضيها المطلقة أو المتوفي عنها زوجها حتى تحل لزوج آخر.

(٢) أهل مبني للمجهول، أي أهل به الناس، واستهل مبني للمعلوم أي بدأ.

(٣) هذه الأسماء والصفات التي تأتي بعد مذكورة بتفاصيل أوسع وبشيء من التباير في الكتب الآتية.

كنز الحفاظ ص ٣١٥ - ٤٠٥ الباب ٦٥.

أمالي المرتضى ١ - ٧٥ - ٥٩.

المخصص ٩ - ٢٦.

وعنها نقلنا الشروح التي تأتي بعد.

(٤) تحاط دائرته بخط دقيق يحددها وهي لما تضيء بعد.

يَبْهَرُ ضَوْؤُهُ سَوَادَ اللَّيْلِ، فَإِذَا غَلَبَ ضَوْؤُهُ سَوَادَ اللَّيْلِ قِيلَ لَهُ قَمَرٌ، وَهَذَا لَا يَكُونُ إِلَّا فِي اللَّيْلَةِ السَّابِعَةِ، وَالَّذِي عِنْدِي. وَمَا عَلَيْهِ الْأَكْثَرُ أَنَّهُ يُسَمَّى هَلَالًا ابْنَ لَيْلَتَيْنِ^(١)، فَإِنَّهُ فِي الثَّلَاثَةِ يَبِينُ ضَوْؤُهُ.

وَاسْمُ الْقَمَرِ الزَّبْرَقَانُ، وَاسْمُ دَارَتِهِ الْهَالَةُ، وَاسْمُ ضَوْئِهِ الْفَخْتُ وَقَدْ قَالَ بَعْضُ أَهْلِ اللُّغَةِ لَا أُدْرِي الْفَخْتُ اسْمُ ضَوْئِهِ أَمْ ظُلْمَتِهِ، وَاسْمُ ظُلْمَتِهِ عَلَى الْحَقِيقَةِ (وَاسْمُ ظِلِّهِ)^(٢) السَّمَرُ، وَهَذَا قِيلَ لِلْمُتَحَدِّثِينَ لَيْلًا سُمَارًا، وَيُقَالُ ضَاءُ الْقَمَرِ وَأَضَاءُ، وَيُقَالُ طَلَعَ الْقَمَرُ، وَلَا يُقَالُ أَضَاءَتِ الْقَمَرُ أَوْ ضَاءَتْ^(٣).

قَالَ أَبُو إِسْحَقَ وَحَدَّثَنِي مَنْ أَتَى عَنْ الرَّيَّاشِيِّ عَنْ أَبِي زَيْدٍ، وَأَخْبَرَنِي أَيْضًا مَنْ أَتَى عَنْ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ بِمَا أَذْكَرُهُ فِي هَذَا الْفَصْلِ: قَالَ أَبُو زَيْدٍ الْأَنْصَارِيُّ، يُقَالُ لِلْقَمَرِ بَنَ لَيْلَةٍ: عَتَمَةُ سُخَيْلَةٍ حَلَّ أَهْلُهَا بِرُمَيْلَةٍ^(٤)، وَابْنُ لَيْلَتَيْنِ حَدِيثُ أَمْتَيْنِ كَذِبٌ وَمَيْنٌ^(٥) وَرَوَاهُ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ بِكَذِبٍ وَمَيْنٌ، وَابْنُ ثَلَاثِ حَدِيثُ فَتَيَاتٍ غَيْرُ جَدِّ مُؤْتَلَفَاتٍ^(٦).

وَقِيلَ ابْنُ ثَلَاثِ قَلِيلُ اللَّبَاثِ، وَابْنُ أَرْبَعٍ عَتَمَةُ رُبْعٍ لَا جَائِعٍ وَلَا مُرْضِعٍ^(٧)، وَعَنْ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ عَتَمَةُ أُمِّ الرَّبْعِ، وَابْنُ خَمْسٍ حَدِيثُ وَأَنْسٍ^(٨)،

(١) عَنْ ابْنِ السَّكَيْتِ يَكُونُ هَلَالًا لِلَّيْلَةِ وَلِللَّيْلَتَيْنِ وَلِلثَلَاثِ، وَقَالَ ابْنُ سَيِّدَةَ: إِنَّ الزَّجَاجَ يُسَمِّيهِ هَلَالًا لثَلَاثَ لَيَالٍ ثُمَّ يَكُونُ قَمَرًا وَهُوَ يَخَالِفُ مَا هُنَا.

(٢) كَ فَقَطْ.

(٣) أَيْ هُوَ مُذَكَّرٌ لَا يَجُوزُ تَأْنِيثُهُ، وَيُقَالُ أَضَاءَتِ الْقَمَرَاءُ.

(٤) السُّخَيْلَةُ هِيَ وَلِيدَةُ الشَّاةِ، أَيْ أَنَّهُ يَبْقَى بِمَقْدَارِ مَا يَنْزِلُ قَوْمٌ فَتَضَعُ شَاةٌ سُخْلَتَهَا وَتَرْضَعُهَا ثُمَّ يَرْتَحِلُونَ - وَالرَّمِيلَةُ تَصْغِيرُ رَمْلَةٍ، الْمُرَادُ: مَكَانٌ غَيْرُ صَالِحٍ لِلْمَكْثِ الطَّوِيلِ.

(٥) بِمَقْدَارِ مَا تَلْقَى الْأَمَةُ أَمَةً أُخْرَى فَتَلْفِقُ لَهَا حَدِيثًا ثُمَّ يَفْتَرِقَانِ، وَالْأَمَةُ لَا يُسَمَّى لَهَا بِطَوْلِ الْغَيْبَةِ.

(٦) لَيْسَ بَيْنَهُمَا صِدَاقَةٌ قَوِيَّةٌ يَطُولُ بِسَبَبِهَا الْحَدِيثُ.

(٧) أُمُّ الرَّبْعِ النَّاقَةُ الَّتِي تَلِدُ أَوَّلَ الرَّبْعِ، أَيْ بِمَقْدَارِ مَا تَرْضَعُ وَلَدَهَا وَهُوَ غَيْرُ شَدِيدِ الْجُوعِ، وَلَا يَنَالُ شَبَعًا كَافِيًا.

(٨) يَبْقَى فِتْرَةٌ كَافِيَةٌ لِلْحَدِيثِ وَالْإِتْنَانِ.

وقال أبو زيد عشا خَلَفَات قُعْسُ^(١)، وابن ست سِرْوَيْتُ^(٢).

وابن سَبْع دُجَّة الضُّبُع^(٣) وابن ثمان قمر أضحيان^(٤) وابن تسع عن أبي زيد: انقطع الشَّعْشَع^(٥)، وعن غيره يلتقط فيه الجزع^(٦)، وابن عشر ثلث الشهر، وعن أبي زيد وغيره محنق الفجر^(٧).

ولم تقل العرب بعد العشر في صفته ليلة ليلة كما قالت في هذه العشر^(٨) ولكنهم جزأوا صفته أجزاء عشرة، فجعلوا لكل ثلاث ليال صفة^(٩) فقالوا ثلاث غُرَّرَ، وبعضهم يقول غُرَّ^(١٠)، وثلاث شُهَبُ^(١١)، وثلاث بُهْرٌ وَبَهْرٌ^(١٢)، وثلاث عَشْرُ^(١٣)، وثلاث بيض^(١٤)، وثلاث دُرْعَ، ودُرْعَ، ومعنى الدَّرْعُ سواد مُقَدَّم

(١) الخلفة التي استبان حملها، والقمس جمع قعساء وهي التي انحنى ظهرها ضد الحدباء.

(٢) يكفي الساري أن يمشي وقتاً كافياً حتى يدركه المبيت.

(٣) الدُّلَجُ السُّرَى ليلا، والضُّبُعُ بطيئة السير، أي ضوؤه يكفي طوفانها - مع بطئها - وعودتها.

(٤) أضحيان أي مضيء من الضحوة، ويقال قمر أضحيان بالإضافة، وَقَدَّرَ أَضْحِيَانُ نَعْتاً، وليلة ضحياء وإضحيانة وإضحية بكسرهما ويوم ضَحْيَانُ.

(٥) يضيء زمناً يكفي أن يمشي فيه الساري حتى تنقطع ششمه.

(٦) ضوؤه واضح يمكن أن يلتقط فيه الخرز.

(٧) يفتح النون وبكسرهما، أي يبقى ضوؤه إلى قريب من الفجر فيحتقه، فهو يحنق الفجر وفجره محنق.

(٨) ذكر المرتضى صفات ليلته ليلة حتى بلغ الثلاثين، ولم يذكر ابن سيده ولا ابن السكيت غير ما ذكر الزجاج هنا من صفات الليالي المقررة.

(٩) لكل ثلاث ليال من أول الشهر إلى آخره.

(١٠) غرر جمع غرة، أي ذوات غرر والغرة بياض في وجه الفرس وعر جمع غراء، وسميت بذلك لأن القمر يظهر أولها فقط.

(١١) شُهَبٌ - شُهَبٌ جمع شهباء، والشُّهْبَةُ بياض يصدعه سواد، وهذه الليالي لا يسطع فيها ضوء القمر حتى يفضح الظلمة ففيه منها بقية فهي شهباء لذلك.

(١٢) تبهر ظلمة الليل وتزيلها.

(١٣) يصير فيها كالناقة العشاء لأنه أحذب لا تتم استدارته، والناقة العشاء التي مضى على حملها عشرة أشهر.

(١٤) لأن القمر لا يغيب فيها فيتصل ضوؤه بضوء النهار.

الشاة وبياض مؤخرها، وإنما قيل لها دُرُع ودُرُع لأن القمر يغيب في أولها، فيكون أول الليل أدرع لأن أوله أسود وما بعده مضيء وثلاث خُسُ، لأن القمر يَنْخُس فيها أي يَتَأَخَّر، وثلاث دهم، وإنما قيل لها دهم لأنها تُظلم حتى تَذْهَبَ، وقال بعضهم ثلاث حَنَادِس^(١)، وثلاث فُحْم^(٢) لأن القمر يتفحم فيها، أي يطلع في آخر الليل وثلاث دَائِيٍّ، وهي أواخر الشهر وإنما أخذت من الدَّاءِ وهو ضرب من السير تسرع فيه الإبل نقل أرجلها إلى موضع أيديها.

فالدَّاءُ آخر نقل القوائم، فكَذَلِكَ الدَّائِيٍّ في آخر الشهر. وجمع هلال أهله، لأدنى العدد وأكثره، لأن فعلاً يجمع في أقل العدد على أفعلة مثل مثال وأمثلة وِحَارٌ وأَحْمَرَةٌ وإذا جاوز أفعلة جُمِعَ على فُعْلٍ، مثل حُرٌّ ومُثَلٌّ، فكرهوا في التضعيف فعل نحو هُلِّلٌ وخُلِّلٌ، فقالوا أهلة وأخلة، فأقتصروا على جمع أدنى العدد، كما اقتصروا [في] ذوات الواو والياء على ذلك، نحو كِسَاءٌ وأكسية وِرْدَاءٌ وأردية.

وقوله عز وجل: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى﴾.

قيل إنه كان قوم من قريش وجماعة معهم من العرب إذا خرج الرجل منهم في حاجة فلم يقضها ولم تتيسر له رجوع فلم يدخل من باب بيته سنة، يفعل ذلك تطييراً - فأعلمهم الله عز وجل أن ذلك غَيْرُ بَرٍّ، أي الإقامة على الوفاء بهذه السنة ليس ببر، وقال الأكثر من أهل التفسير: إنهم الحُمُسُ، وهم قوم من قريش، وبنو عامر بن صعصعة وثقيف وخزاعة، كانوا إذا أحرموا لا يأقطنون الأقط^(٣) ولا يَنْفِقُونَ الْوَبَرَ ولا يَسْلُونَ السَّمْنَ، وإذا خرج أحدهم من الإحرام لم

(١) الحندس بالكسر الليل المظلم والظلمه، وينال تحندس الليل.

(٢) جمع فحماء وأفحم، والفحم من الليل أوله وأشدّه سواداً وفُحْمُهُ تفحيماً سوده.

(٣) الأقط اللبن الذي نزع دسّه وبقي متجمداً. يتحاشون كل مظاهر الترف.

يدخل من باب بيته، وإنما سُموا الحُمس لأنهم تَحَمَّسوا في دينهم أي تشددوا. وقال أهل اللغة الحماسة الشدة في الغضب والشدة في القتال، والحماسة على الحقيقة الشدة في كل شيء. وقال العجاج:

وَكَمْ قَطَعْنَا مِنْ قِفَافٍ حُمَسٍ^(١)

أي شِدَاد - فأعلمهم الله عز وجل أن تشددهم في هذا الإحرام ليس ببرٍّ، وأعلمهم أن البر التقي فقال: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَى﴾.

المعنى ولكن البر برٌّ من اتقى مخالفة أمر الله عز وجل، فقال: ﴿وَاتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ فأمرهم الله بترك سنة الجاهلية في هذه الحماسة.

وقوله عز وجل: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾. قالوا في تفسيره قاتلوا أهل مكة، وقال قوم هذا أول فرض الجهاد ثم نسخه ﴿قاتلوا المشركين كافة﴾^(٢).

وقوله عز وجل: ﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾. أي لا تظلموا، والاعتداء مجاوزة الحق، وقيل في تفسيره قولان: قيل لا تعتدوا: لا تقاتلوا غير من أمرتم بقتاله، ولا تقتلوا غيرهم، وقيل لا تعتدوا: أي لا تجاوزوا إلى قتل النساء والأطفال.

وقوله عز وجل: ﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾. أي حيث وجدتموهم، يقال ثَقِفْتُهُ أثقفه ثَقْفًا وَثَقَافَةً، ويقال: رجل ثَقِفٌ لَقِفٌ^(٣). ومعنى الآية: لا تَمْتَنِعُوا من قتلهم في الحرم وغيره.

(١) القفاف الصحارى اليابسة، والحمس الحارة الشديدة القیظ. أنظر ديوانه ١٧٨ اللسان (حض،

خمس، نقس) الطبري. (بولاق) ٥ - ٦.

(٢) التوبة ٩ - ٣٧.

ذكي فطن.

وقوله عز وجل: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾.

أي فكفرهم في هذه الأمكنة أشد من القتل.

وقوله عز وجل: ﴿وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ﴾.

كانوا قد نهوا عن ابتدائهم بقتل أو قتال حتى يبتدي المشركون بذلك. وتقرأ: «وَلَا تَقْتُلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يَقْتُلُوكُمْ فِيهِ» أي لا تبدأوهم بقتل حتى يبدأوكم به، وجائز ولا تقتلوهم وإن وقع القتل ببعض دون بعض، لأن اللغة يجوز فيها قَتَلْتُ الْقَوْمَ وَإِنَّمَا قُتِلَ بَعْضُهُمْ. إذا كان في الكلام دليل على إرادة المتكلم.

وقوله عز وجل: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾.

هذا أمر من الله عز وجل أن يقاتل كل كافر لأن المعنى ههنا في الفتنة والكفر.

وقوله عز وجل: ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾.

﴿الشَّهْرُ﴾ رفع بالابتداء وخبره ﴿بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾، ومعناه قتال الشهر الحرام، ويروى أن المشركين سألوا النبي ﷺ عن الشهر الحرام هل فيه قتال: فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ الْقَتْلُ فِيهِ كَبِيرٌ، أي عظيم في الإثم، وَإِنَّمَا سَأَلُوا لِيُغْرُوا^(١) المسلمين، فإن علموا أنهم لم يؤمروا بقتلهم قاتلوهم، فأعلمهم الله عز وجل أن القتال فيه محرم إلا أن يبتدىء الْمُشْرِكُونَ بِالْقِتَالِ فِيهِ. فيقاتلهم المسلمون: فالمعنى في قوله: ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ﴾ أي قِتَالُ الشَّهْرِ الْحَرَامِ، أي في ﴿الشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾، بالشهر الحرام. وأعلم الله عز وجل أن هذه الحرمات قصاص، أي لا يجوز للمسلمين إلا قصاصاً.

وقوله عز وجل: ﴿فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾.

(١) ليخدعوهم.

أي من ظلم فقاتل فقد اعتدى، فاعتدوا (عليه)^(١) بمثل ما اعتدى عليكم، وسُمِّيَ الثاني اعتداءً لأنه مجازاة اعتدا فسُمِّيَ بمثل اسمه، لأن صورة الفعلين واحدة. وإن كان أحدهما طاعة والآخر معصية، والعرب تقول ظلمني فلان فظلمته^(٢) أي جازيته بظلمه، وجهل عليّ فجهلت عليه أي جازيته بجهله، قال الشاعر:

ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا^(٣)

أي فنكافئ على الجهل بأكثر من مقداره. وقال الله عز وجل: ﴿ومكروا ومكر الله﴾^(٤) وقال: ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾^(٥). جعل اسم مجازاتهم مكرًا كما مكروا، وجعل اسم مجازاتهم على سخريتهم سُخْرِيًّا، فكَذَلِكَ: ﴿فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ﴾.

وقوله عز وجل: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾. أي في الجهاد في سبيل الله، وكل ما أمر الله به من الخير فهو من سبيل الله، أي من الطريق إلى الله عز وجل، لأن السبيل في اللغة الطريق، وإنما استعمل في الجهاد أكثر لأنه السبيل الذي يقاتل فيه على عقد الدين.

وقوله عز وجل: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾. أصل بأَيْدِيكُمْ «بأيديكم» بكسر الياء، ولكن الكسرة لا تثبت في الياء إذا كان ما قبلها مكسوراً^(٦) لثقل الكسرة في الياء.

(١) ليست في ك.

(٢) ط وظلمته.

(٣) هو عمرو بن كلثوم، والبيت في معلقته - أنظر شرح المعلقات العشر ١١١.

(٤) آل عمران ٢ - ٥٤.

(٥) التوبة ٩ - ٨٠.

(٦) في الأصول «مكسور» بالرفع.

وقوله عز وجل: ﴿إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ معناه إلى الهلاك، يقال هلك الرجل يهلك هلاكاً وهلكاً وتَهْلُكَةً وتَهْلُكَةً. (١) ومعناه (٢) إن لم تنفقوا في سبيل الله هلكتم، أي عصيتم الله فهلكتم، وجائز أن يكون هلكتم بتقوية عدوكم عليكم والله أعلم.

وقوله عز وجل: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.
أي أنفقوا في سبيل الله فمن أنفق في سبيل الله فمُحْسِن.
وقوله عز وجل: ﴿وَأَتِمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾.

يجوز في العمرة النصب والرفع: والمعنى في النَّصْبِ أتموها، والمعنى في الرفع وأتموا الحج، والعمرة لله، أي هي مما تتقربون به إلى الله عز وجل وليس بفرض.

وقيل أيضاً في قوله عز وجل: ﴿وَأَتِمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ﴾. غير قول:
يُروى عن علي وابن مسعود «رحمة الله عليهما» (٣) أنها قالا: إتمامهما أن تحرم من ذؤيرة أهلك، ويروى عن غيرهما أنه قال إتمامهما أن تكون النفقة حلالاً. وينتهي عما نهى الله عنه. وقال بعضهم إن الحج والعمرة لهما مواقف ومشاعر، كالطواف والموقف بعرفة وغير ذلك، فإتمامهما تأدية كل ما فيهما، وهذا بين، ومعنى أعتمر في اللغة قيل فيه قولان، قال بعضهم أعتمر قصد، قال الشاعر:

لَقَدْ سَمَا ابْنُ مَعْمَرٍ حِينَ اعْتَمَرَ (٤) مغزى بعيداً من بعيد وضبر

(١) مع كونه مصدراً هو اسم للهلاك في هذا الموضع.

(٢) معنى هذا الكلام.

(٣) ط رضي الله عنهما.

(٤) تقدم ص ٢٣٤.

المعنى حين قصد مغزى بعيداً، وقال بعضهم معنى اعتمر: زار من الزيارة، ومعنى العُمرة في العمل الطَّوافُ بِالْبَيْتِ والسَّعْيُ بين الصفا والمروة فقط، والعمره للإنسان في كل السنة، والحجُّ وقته وقت واحد من السنة، ومعنى اعتمر عندي في قصد البيت. أنه إنما خص بهذا - أعني بذكر اعتمر - لأنه قصد العمل في وضع عامر لهذا قيل معتمر:

وقوله عز وجل: ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾.

الرواية عند أهل اللغة أنه يقال للرجل الذي يمنعه الخوف أو المرض من التصرف قد أحصر فهو مُحْصَرٌ - ويقال للرجل الذي حُبِسَ قد حُصِرَ فهو مُحْصُورٌ. وقال الفراء: لو قيل للذي حُبِسَ أُحْصِرَ لجاز، كأنه يجعل حابسه بمنزلة المرض والخوف [الذي] منعه من التصرف، وألحق في هذا ما عليه أهل اللغة من أنه يقال للذي يمنعه الخوف والمرض أُحْصِرَ وَلِلْمَحْبُوسِ حُصِرَ، وإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ هُوَ الْحَقُّ لِأَنَّ الرَّجُلَ إِذَا امْتَنَعَ مِنَ التَّصَرُّفِ فَقَدْ حُبِسَ نَفْسُهُ، فَكَأَنَّ الْمَرَضَ أَحْبَسَهُ أَيْ جَعَلَهُ يَحْبِسُ نَفْسَهُ، وَقَوْلُهُ حَصَرَتْ فَلَانًا إِنَّمَا هُوَ حَبَسَتْهُ، لَا أَنَّهُ حَبَسَ نَفْسَهُ، وَلَا يَجُوزُ فِيهِ أَحْصَرَ.

وقوله عز وجل: ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾.

موضع «مَا» رفع المعنى فواجب عليه ما اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ، وقد قيل في الهدى: الْهَدْيُ. وَالْهَدْيُ جَمْعُ هَدْيَةٍ. وَهَدْيٌ^(١)، كقولهم في حَدْيَةِ السَّرَجِ حَدْيَةٌ وَحَدْيٌ. وقال بعضهم ما استيسر ما تيسر من الإبل والبقر، وقال بعضهم بغير أو بقرة أو شاة وهذا هو الأجود.

وقوله عز وجل: ﴿وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ﴾.

(١) الهدى اسم جنس جمعي لهدية، والهدى جمع سماعي.

قالوا في مَحَلِّهِ مَنْ كَانَ حَاجَا مَحَلِّهِ يَوْمَ النُّحْرِ، وَلَمَنْ كَانَ مُعْتَمِرًا يَوْمَ
يَدْخُلُ مَكَّةَ .

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ﴾ .

أَيُّ فَعْلِيهِ فِدْيَةٌ، وَلَوْ نَصَبَ جَازٍ فِي اللُّغَةِ عَلَى إِضْمَارٍ فَلْيُعْطِ فِدْيَةً أَوْ
فَلْيَأْتِ بِفِدْيَةٍ^(١)، وَإِنَّمَا عَلَيْهِ الْفِدْيَةُ إِذَا حَلَقَ رَأْسَهُ وَحَلَّ مِنْ إِحْرَامِهِ وَقَوْلُهُ أَوْ
نُسْكَ أَيُّ أَوْ نَسِيكَةً يَذْبَحُهَا، وَالنَّسِيكَةُ الذَّبِيحَةُ .

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِذَا أَمْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ
الْهَدْيِ﴾ .

أَيُّ فَعْلِيهِ مَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ، وَمَوْضِعُ مَا رَفَعَ وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ نَصْبًا
عَلَى إِضْمَارٍ فَلْيَهْدِ مَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ .

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ .

مَعْنَاهُ فَعْلِيهِ صِيَامٌ، وَالنَّصْبُ جَائِزٌ عَلَى فُلْيَصْمِ هَذَا الصِّيَامِ، وَلَكِنْ
الْقِرَاءَةُ لَا تَجُوزُ بِمَا لَمْ يَقْرَأْ بِهِ .

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ .

قِيلَ فِيهَا غَيْرُ قَوْلٍ: قَالَ بَعْضُهُمْ: ﴿كَامِلَةٌ﴾ أَيُّ تَكْمِلِ الثَّوَابِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ
كَامِلَةٌ فِي الْبَدَلِ مِنَ الْهَدْيِ .

وَالَّذِي فِي هَذَا - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - أَنَّهُ لَمَّا قِيلَ ﴿فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ
وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾، جَازَ أَنْ يَتَوَهَّمُ الْمُتَوَهَّمُ أَنَّ الْفَرَضَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ أَوْ
سَبْعَةً فِي الرَّجُوعِ - فَاعْلَمْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ - أَنَّ الْعَشْرَةَ مَفْتَرَضَةٌ كُلُّهَا، فَالْمَعْنَى

(١) تقدير غير جيد من الوجهة الإعرابية - والأولى فليخرج أو فليفد .

المفروض عليكم صوم عشرة كاملة على ما ذكر من تفرقها في الحج والرجوع .
وقوله عز وجل: ﴿ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلَهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ .

أي هذا الفرض على من لم يكن من أهله بمكة^(١) - ﴿حاضري المسجد الحرام﴾ أصله حاضرين المسجد الحرام فسقطت النون للإضافة وسقطت الياء في الوصل لسكونها وسكون اللام في المسجد، وأما الوقف فتقول فيه متى اضطرت إلى أن تقف ﴿حاضري﴾ .

وقوله عز وجل: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ﴾ .

قال أكثر الناس: «إن أشهر الحج شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة»، ﴿فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ﴾ .

وقال بعضهم: لو كانت الشهور التي هي أشهر الحج شوالاً، وذو القعدة لما جاز للذي منزله بينه وبين مكة مسافة أكثر من هذه الأشهر أن يفرض على نفسه الحج . وهذا حقيقته عندي أنه لا ينبغي للإنسان أن يتدبّر بعمل من أعمال الحج قبل هذا الوقت نحو الإحرام، لأنه إذا ابتداء قبل هذا الوقت أضرب بنفسه - فأمر الله عز وجل - أن يكون أقصى الأوقات التي ينبغي للإنسان ألا يتقدمها في عقد فرض الحج على نفسه شوالاً، وقال بعض أهل اللغة: معنى الحج إنما هو في السنة في وقت بعينه، وإنما هو في الأيام التي يأخذ الإنسان فيها في عمل الحج لأن العمرة له في طول السنة، فينبغي له في ذلك الوقت ألا يرفث ولا يفسق . وتأويل فلا رفث ولا فسوق، لا جماع ولا كلمة من أسباب الجماع قال الراجز: ^(٢) .

عن اللّغا ورَفَثَ التَّكَلُّمِ

(١) على من لم يكن بين أهله بمكة .

(٢) العجاج من ميمته الطويلة . وقبلة: (وربّ) أسراب حجاج كُظِمَ - واللغا - بفتح اللام - اللغو من الكلام . الديوان ٥٩ . اللسان (لغو - رفث) .

والرفث كلمة جامعة لما يريد الرجل من أهله، وأما فلا فسوق فإذا نُهي عن الجِماع كُلِّهِ فالفسوق داخل فيه - ولكن المعنى - والله أعلم - ولا فسوق أي لا يخرج عن شيء من أمر الحج - وقالوا في قوله ولا جدال في الحج قولين: (١) قالوا: ﴿لا جدال في الحج﴾ - لا شك في الحج، وقالوا لا ينبغي للرجل أن يجادل أخاه فيخرجه الجدال إلى ما لا ينبغي تعظيماً لأمر الحج، وكلُّ صواب، ويجوز فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج. وبعضهم يقرأ - وهو أبو عمرو - فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج. وكلُّ صواب. وقد شرحنا أن لا تنصب النكرات بغير تنوين وبيئاً حقيقة نصبها وزعم سيبويه والخليل إنه يجوز أن تُرفع النكرات بتنوين وأن قول العجاج (٢).

تالله لولا أن يحشّن الطُّبْخُ بي الجَحِيمَ حين لا مُستصرخُ
يجب أن يكون رفع مستصرخ بلا، وأن قوله.

من فرّ عن نيرانها فأناب ابن قيس لا براح (٣)

(١) ك: لا جدال في الحج فيه قولان.

(٢) الديوان ١٤، وأما لي ابن الشجري ١ - ٢٨٢. وقد قدر الخبر ظرفاً محذوفاً أي لا مستصرخ لي، وجواب لولا في رجز العجاج هو البيت:
«لعلم الجهال أنني منقح».

ومنقح صيغة مبالغة من نفخ النار، أو قدحها، أو الشر: هاجه، وحش النار ألقى عليها وقوداً، والطبخ جمع طبخ كجاهل وجهل يراد بهم زبانية جهنم، ومستصرخ، اسم مفعول بمعنى مستغاث، أو مصدر ميمي بمعنى الإغاثة، والمعنى: لولا خشيتي أن يقذف الزبانية بي في جهنم وقوداً لنارها حيث لا يكون من يغثني لأريت الجهال بأسى وشدتي.

(٣) لسعد بن مالك بن ضبعة من قيس ثعلبة نيرانها - نيران الحرب وشدتها، لا براح - لا مفر أي لا أهرب منها. ابن قيس: سمى نفسه باسم جده لشهرته. اللسان (برج). الخزائن ١ - ٢٢٣. ابن الشجري ١ - ٢٨٢.

وحقيقة ما ارتفع بعدها عند بعض أصحابه على الابتداء لأنه إذا لم تنصب
فإنما يُجْرَى ما بعدها كما يُجْرَى ما بعد هل، أي لا تعمل فيه شيئاً، فيجوز أن
يكون لا رفث على ما قال سيبويه^(١) ويجوز أن يكون على الابتداء كما وصفنا،
ويكون في الحج هو خبر لهذه المرفوعات، ويجوز إذا نصبت ما قبل المرفوع بغير
تنوين وأتيت بما بعده مرفوعاً أن يكون عطفاً على الموضع، ويجوز أن يكون رفعه
على ما وصفنا، فأما العطف على الموضع إذا قلت لا رجل وغلām في الدار
فكانك قلت ما رجل ولا غلام في الدار.

وقوله عز وجل: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ .

يروى أن قوماً كانوا يخرجون في حجهم يتأكلون^(٢) الناس، يخرجون بغير
زاد، فأمرُوا بأن يتزودوا، وأعلموا مع ذلك أن خير ما تزود به تقوى الله
عز وجل.

وقوله عز وجل: ﴿وَاتَّقُوا يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ .

﴿الألباب﴾ واحداً لب، وهي العقول، ﴿أولي﴾ نصب لأنه نداء مضاف.

وقوله عز وجل: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ﴾ .

قيل إنهم كانوا يزعمون أنه ليس لحمال ولا أجير ولا تاجر حج فأعلمهم
الله عز وجل. أن ذلك مباح، وأنه لا جناح فيه، أي لا إثم فيه، وجناح اسم
ليس، والخبر عليكم، وموضع أن نصب على تقدير ليس عليكم جناح في أن
تبتغوا^(٣) فلما أسقطت «في» عمل فيها معنى جناح. المعنى لستم تأثمون أن
تبتغوا، أي في أن تبتغوا.

(١) أي اسم لا.

(٢) يسألون الناس ما يأكلون.

(٣) الأولى أن تكون موضع جر - لأن حذف الجار مع أن وأن مطرد مع بقاء أثره. في المعنى.

وقوله عز وجل: ﴿فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ﴾ .

قد دل بهذا اللفظ أن الوقوف بها واجب لأن الإفاضة لا تكون إلا بعد وقوف، ومعنى ﴿أفَضْتُمْ﴾، دَفَعْتُمْ بكثرة، ويقال أفاض القوم في الحديث إذا اندفعوا فيه وأكثروا التصرف. وأفاض الرجل إناءه إذا صبّه وأفاض البعير بجرته إذا رمى بها. متفرقة كثيرة، قال الراعي: ^(١)

وأفَضْنِ بَعْدَ كَطُومُهُنَّ بِجَرَّةٍ مِنْ ذِي الْأَبَاطِحِ إِذْ رَغِينِ حَقِيلاً
وأفاض الرجل بالقداح إذا ضرب بها، لأنها تقع منبعثة متفرقة قال أبو ذؤيب: ^(٢)

وَكَأَنَّهِنَّ رِبَابَةٌ وَكَأَنَّهُ يَسِيرُ يَفِيضُ عَلَى الْقِدَاحِ وَيَصْدَعُ
وكل ما في اللغة من باب الإفاضة فليس يكون إلا من تفرقة أو كثرة.

وقوله عز وجل: ﴿مِنْ عَرَفَاتٍ﴾ .

القراءة والوجه الكسر والتثنية، وعرفاتُ إسم لمكان واحد ولفظه لفظ الجمع، والوجه فيه الصرف عند جميع النحويين لأنه بمنزلة الزيدتين يستوي نصبه وجره، وليس بمنزلة هاء التثنية، وقد يجوز منعه من الصرف إذا كان اسماً لواحد، إلا أنه لا يكون إلا مكسوراً وإن أسقطت التثنية. قال امرؤ القيس: ^(٣)

(١) من لاميته المطولة التي كان يرمي من لم يحفظها من أولاده وحفدته بالعقوق - وهي مطبوعة بآخر ديوان جرير - مصر ١٣١٣، الجمهرة ٧٢٥.

(٢) أبو ذؤيب الهزلي - خويلد بن خالد، أشعر الهزليين. مخضرم حسن الإسلام مات مرجعه من إحدى غزوات الروم، وقصيدته هذه من أوجع المراثي - رثى بها أولاده الخمسة ماتوا في الطاعون. وأخباره في الأغاني ٦ - ٦١. والقصيدة من المفضليات ١٢٦ وديوان الهزليين ١ - ٦ والبيت باللسان (ريب. صدع) والربابة - بكسر الراء الرقعة تجمع فيها قداح الميسر، والميسر صاحب الميسر، شبه الآن بالقداح لتجمعهم وتراكمهم وشبه الحمار الوحشي بالضارب الذي يفرق القداح ويجمعها.

(٣) النحويون على إجازة الأوجه الثلاثة لأنه ليس جميعاً أنظر الأشموني (١ - ٧٥).

تنورثها من أذرعات وأهلها بيثرب أدنى دارها نظر عال
فهذا أكثر الرواية، وقد أنشد بالكسر بغير تنوين، وأما الفتح فخطأ لأن
نصب الجمع وفتحه كسر.

وقوله عز وجل: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾ .
هو مزدلفة، وهي جمع، يسمى بهما جميعاً^(١) المشعر المتعبد.
وقوله عز وجل: ﴿وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَذَاكُمْ﴾ .

موضع الكاف نصب، والمعنى وأذكروه ذكراً مثل هدايته إياكم أي يكون
جزاء لهدايته إياكم، وأذكروه بتوحيده، والثناء عليه والشكر.

وقوله عز وجل: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ﴾ .
معنى ﴿من قبله﴾ أي من قبل هدايته، ومعنى ﴿كنتم من قبله﴾^(٢) ﴿لمن
(الضالين)﴾ هذا من التوكيد للأمر، كأنه قيل وما كنتم من قبله إلا ضالين.
وقوله عز وجل: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ .

قيل كانت الحمس من قريش وغيرها (وقد بينا الحمس فيما تقدم)^(٣) لا
تفيض مع الناس في عرفة - تتمسك بستنها في الجاهلية، وتفعل ذلك افتخاراً
على الناس وتعالياً عليهم، فأمرهم الله عز وجل أن يساوا الناس في الفرض،
وأن يقفوا مواضعهم وأن يفيضوا من حيث أفاضوا.

وقوله عز وجل: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ .
أي سلوه أن يغفر لكم من مخالفتكم الناس في الإفاضة والموقف.
وقوله عز وجل: ﴿فَإِذَا قُضِيَتْ مَنَاسِكُكُمْ﴾ .

(١) مجموعة أمكنة تسمى مزدلفة وتسمى المشعر الحرام.

(٢) في ك معنى وإن كنتم من قبل هذا لمن، وفي ط ﴿وإن كنتم من قبله﴾ هذا من التوكيد للأمر.

(٣) ص ٢٦٢ - ٣ والعبارة ليست في ك.

أي متعبداً لكم التي أمرتم بها في الحج .
﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ﴾ .

وكانت العرب إذا قضت مناسكها، وقفت بين المسجد بمنى وبين الجبل فتعدد فضائل آبائها وتذكر محاسن أيامها . فأمرهم الله أن يجعلوا ذلك الذكر له . وأن يزيدوا على ذلك الذكر فيذكروا الله بتوحيده وتعدد نعمه ، لأنه إن كانت لأبائهم نعم فهي من الله عز وجل ، وهو المشكور عليها .

وقوله عز وجل : ﴿أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ .

﴿أشد﴾ في موضع خفض^(١) ولكنه لا يتصرف لأنه على مثال أفعّل ، وهو صفته ، وإن شئت كان نصباً على وأذكروه أشدّ ذكراً ، وذكراً منصوب على التمييز .

وقوله عز وجل : ﴿فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا﴾ .

﴿آتنا﴾ وقف لأنه دعاء^(٢) ، ومعناه أعطنا في الدنيا ، وهؤلاء مشركو العرب كانوا يسألون التوسعة عليهم في الدنيا ولا يسألون حظاً من الآخرة لأنهم كانوا غير مؤمنين بالآخرة .

وقوله عز وجل : ﴿وَمَالَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ﴾ .

يعني هؤلاء ، والخلاق النصيب الوافر من الخير .

وقوله عز وجل : ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ .

هؤلاء المؤمنون يسألون الحظ في الدنيا والآخرة ، والأصل في «قنا» أوقينا - ولكن الواو سقطت كما سقطت من يقي ، لأن الأصل «يوقى» فسقطت الواو

(١) لا مساع لهذا الخفض بالعطف ، إذ هي في موضع المفعول المطلق أي ذكراً أشد من ذكركم آباءكم .

(٢) أراد حذف آخره لأنه أمر .

لوقوعها بين ياء وكسرة، وسقطت ألف الوصل للاستغناء عنها لأنها اجتلبت لسكون الواو، فإذا أسقطت الواو فلا حاجة بالمتكلم إليها، وسقطت الياء للوقف^(١) - وللجزم في قول الكوفيين - والمعنى أجعلنا مُوقِنَ من عذاب النار.

وقوله عز وجل: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا﴾.

أي دعاؤهم مستجاب لأن كسبهم ههنا الذي ذكر هو الدعاء وقد ضمن الله الإجابة لدعاء من دعاه إذا كان مؤمناً، لأنه قد أعلمنا أنه يضل أعمال الكافرين، ويحبطها، ودعاؤهم من أعمالهم.

وقوله عز وجل: ﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾.

المعنى أنه قد علم ما للمحاسب وما عليه قبل توقيفه على حسابه، فالفائدة في الحساب علم حقيقته - وقد قيل في بعض التفسير - إن حساب العبد أسرع من لمح البصر - والله أعلم.

وقوله عز وجل: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾.

قالوا: هي أيام التشريق، ﴿معدودات﴾ يستعمل كثيراً في اللغة للشيء القليل - وكل عدد قل أو كثر فهو معدود، ولكن معدودات أدل على القلة، لأن كل قليل يجمع بالألف والتاء، نحو دريهمات وجماعات، وقد يجوز وهو حسن كثير أن تقع الألف والتاء للكثير، وقد ذكر أنه عيب على القائل: (٢)

لَنَا الْجَفَنَاتُ الْغُرُّ يَلْمَعْنَ بِالضُّحَى وَأَسْيَافُنَا يَقْطُرْنَ مِنْ نَجْدَةٍ دَمًا

فقليل له لم قللت الجفَنَاتِ ولم تقل الجِفَانِ.

وهذا الخبر - عندي - مَصْنُوع لأن الألف والتاء قد تأتي للكثرة - قال الله

(١) لأنه فعل أمر مبني على حذف حرف العنة.

(٢) ينسب لحسان في قصص معروف. وأنظر شواهد الأغاني ص ٢٩٠، والكمال وفيه ما توذن أنه لحسان حقاً واستعمله سيبويه جمعاً للكثير ٣٥٠/١.

عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾^(١). وقال: ﴿فِي جَنَّاتٍ﴾^(٢)، وقال: ﴿فِي الْغُرَفَاتِ آمِنُونَ﴾^(٣)، فالمسلمون ليسوا في جنات قليلة، ولكن إذا خص القليل في الجمع بالآلف والتاء، فالآلف والتاء أدل عليه، لأنه يلي التثنية، تقول: (٤) حمام، وحمامان وحمامات، فتؤدى بتاء الواحد، فهذا أدل على القليل، وجائز حسن أن يراد به الكثير، ويدل المعنى المُشَاهِدُ عَلَى الْإِرَادَةِ، كما أن قولك جمع يدل على القليل والكثير.

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ﴾.

أي من نفر في يومين^(٥).

﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى﴾.

قيل لمن اتقى قتل الصيد، وقالوا: لمن اتقى التفريط في كل حدود الحج، فموسع عليه في التعجل في نفره.

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾.

موضع ﴿مَنْ﴾ رفع على ضريين: على الابتداء، وبالعامل في ﴿مِنْ﴾ وقد شرحنا هذا الباب.

ويروى أن رجلاً من ثقيف كان يعجب النبي ﷺ بكلامه، ويظهر له من الجميل خلاف ما في نفسه.

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَيُشْهِدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ﴾.

(١) سورة الأحزاب ٣٣ - ٣٥.

(٢) ليست في ط. وهي في القرآن في آيات كثيرة - انظر سورة يونس (٨٠) آية ١١.

(٣) سبأ ٣٤ - ٣٧.

(٤) لك يقال.

(٥) نفر من منى، قطع مبيته فيها ونزل مكة بعد يومين.

وإن قلت ويشهد الله على ما في قلبه فهو جائز إن كان قد قرئ به^(١) والمعنى فيه أن الله عالم بما يُسرّه، فأعلم الله عز وجل النبي ﷺ حقيقة أمر هذا المنافق - وقال: ﴿وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾.

ومعنى خَصَمٌ أَلَدٌ في اللغة - الشديد الخصومة والجَدَل، واشتقاقه من لَدَيْدِي العُنُق، وهما صفحتا العنق، وتأويله، أن خصمه في أي وجه أخذ - من يمين أو شمال - من أبواب الخصومة غلبه في ذلك. يقال رجل ألد، وإمرأة لَدَاءٌ، وقوم لَدَد - وقد لَدَدْتُ فلاناً أَلَدَهُ - إذا جادلته فغلبته، وخصام جمع خَصْمٍ، لأن فعلاً يجمع إذا كان صفة على فِعَالٍ، نحو صَعَبٌ وصِعَابٌ، وخَذَلٌ وخِذَالٌ^(٢)، وكذلك أن جعلت خصماً صفة، فهو يجمع على أقل العدد، وأكثره على فَعُولٍ وفِعَالٍ جميعاً، يقال خَصِمَ وخصِمَ وخصُومٌ، وإن كان اسماً ففِعَالٌ فيه أكثر العدد، نحو فَرَّخٌ وأفراخٌ، لأقل العدد، وفراخ وفُروخ لما جاوز العشرة.

وقوله عز وجل: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾.

نصب ﴿لِيُفْسِدَ﴾ على إضمار أن، المعنى لأن يفسد فيها، وعطف^(٣) ويُهْلِكَ على ويُفسد، ويجوز أن يكون ﴿يُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾ على الاستئناف أي وهو يهلك الحرث والنسل، أي يعتقد ذلك^(٤).

وقالوا في ﴿الحرث والنسل﴾: إن الحرث النساء، والنسل الأولاد. وهذا غير

(١) هي قراءة ابن محيصن، الطبري ٤ - ٢٧٤.

(٢) الخذل الرخص الجسد والمعنى على هذا التقدير هو أشد الخصوم للبدأ، وخصام أيضاً مصدر خاصم فالمعنى: هو أشد الناس خصومة.

(٣) في ط نصبت وعطفت.

(٤) هذه سجيته.

منكر لأن المرأة تُسمَّى حرثاً - قال الله عز وجل: ﴿نَسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾^(١) وأصل هذا إغما هو في الزرع، وكل ما حرث. فيشبه ما منه الولد بذلك. وقالوا في الحرث هو ما تعرفه من الزرع. لأنه إذا أفسد في الأرض^(٢) أبطل - بإفساده وإلقائه الفتنة - أمر الزراعة.

وقوله عز وجل: ﴿وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ .
قال أهل اللغة - «يشري نفسه» يبيع نفسه، ومعنى يبعه نفسه بذلها في الجهاد في سبيل الله. قال الشاعر في شريت بمعنى بعت:
وَشَرَيْتُ بُرْدًا لِيَتْنِي من بعد يبرد كنت هامه^(٣)

وقال أهل التفسير هذا رجل كان يقال له صهيب بن سنان. أراداه المشركون مع نفر معه على ترك الإسلام، وقتلوا بعض النفر الذين كانوا معه فقال لهم صهيب أنا شيخ كبير، إن كنت عليكم لم أضركم^(٤)، وإن كنت معكم لم أنفعكم فخلوني وما أنا عليه، وخذوا مالي فقبلوا منه ماله، وأتى المدينة فلقبه أبو بكر الصديق رضي الله عنه^(٥) فقال له: ربح البيع يا صهيب، فرد عليه وأنت فربح بيعك يا أبا بكر^(٦) وتلا الآية عليه^(٧).

(١) سورة البقرة آية ٢٢٣.

(٢) أي هذا الشخص.

(٣) البيت ليزيد بن مفرغ الحميري شاعر إسلامي اشتهر بهذا اللقب لأن أباه ربيعة كان قد راهن

على إناء لبن يشربه فشربه كله فسمي مفرغاً وأخبار يزيد بالأغاني ٥١/١٧.

وبرد هذا كان غلاماً له، وحين كان يزيد بخراسان مع عباد بن زياد اضطر لبيع جارية له، وبيع ببرد، وكان رباهما وأحبهما - وإلهامه الصدى يسمع على قبر الميت - أي ليتني مت ولا أراه بعيداً عني.

(٤) ك - أضركم.

(٥) ك - رحمة الله عليه.

(٦) مجرد دعاء. وانظر ترجمة صهيب في الإصابة رقم ٤١٠٤.

(٧) ك - أبو بكر تلاها.

ونصب ﴿ابتغاء مرضاة الله﴾ على معنى المفعول له، المعنى يشريها لابتغاء مرضاة الله.

وقوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَافَّةً﴾.
﴿كافة﴾ بمعنى الجميع الإحاطة، فيجوز أن يكون معناه أدخلوا جميعاً، ويجوز أن يكون معناه: أدخلوا في السلم كله أي في جميع شرائعه، ويقال السلم والسلم (جميعاً)^(١)، ويعني به الإسلام والصلح، وفيه ثلاث لغات: يقال: السَّلم، والسَّلَم، والسَّلْم، وقد قرئ به: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ﴾^(٢).

ومعنى ﴿كافة﴾ في اشتقاق اللغة ما يكف الشيء من آخره، من ذلك كُفَّة القميص، يقال لحاشية القميص كُفَّة، وكل مستطيل فحرفه كُفَّة، ويقال في كل مستدير كُفَّة، وذلك نحو كُفَّة الميزان، ويقال إنَّما سميت كُفَّة الثوب لأنها تمنعه أن ينتشر، وأصل الكَفَّ المنع، ومن هذا قيل لطرف اليد «كف» لأنها يكف بها عن سائر البدن، وهي الراحة مع الأصابع، ومن هذا قيل رجل مكفوف، أي قد كُفَّ بصره من أن ينظر: فمعنى الآية: ابلغوا في الإسلام إلى حيث تنتهي شرائعه، فكفوا من أن تعدوا شرائعه. أو ادخلوا كلكم حتى يكف عن عددٍ وأحدٍ لم يدخل فيه. وقيل في معنى الآية أن قوماً من اليهود أسلموا فأقاموا على تحريم السبت وتحريم أكل لحوم الإبل، فأمرهم الله عز وجل - أن يدخلوا في جميع شرائع الإسلام وقال بعض أهل اللغة: جائز أن يكون أَمَرَهُمْ - وهم مؤمنون - أن يدخلوا في الإيمان، أي بأن يقيموا على الإيمان ويكونوا فيما يستقبلون عليه كما قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾^(٣)، وكلا القولين

(١) ليست في ك. وفيها ومعناها الإسلام.

(٢) سورة النساء ٩٤/٤.

(٣) سورة النساء ١٣٦/٤.

جائز لأن الله عز وجل، قد أمر بالإقامة على الإسلام فقال: ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾^(١).

وقوله عز وجل: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾.

أي لا تقتفوا آثاره، لأن ترككم شيئاً من شرائع الإسلام أتباع الشيطان، ﴿خُطَوَاتٍ﴾ جمع خطوة^(٢)، وفيها ثلاث لغات: خُطُوات، وخُطُوات، وخُطُوات، وقد بينا العلة في هذا الجمع فيما سلف (من الكتاب)^(٣).

وقوله عز وجل: ﴿فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ﴾.

يقال زل يزل زلاً وزللاً جميعاً، ومَزَلَّةً، وزل في الطين زليلاً^(٤)، ومعنى ﴿زَلَلْتُمْ﴾ تنحيتهم عن القصد والشرائع.

﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

ومعنى ﴿عَزِيزٌ﴾: لا يُعْجِزُونَهُ ولا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ. ومعنى ﴿حَكِيمٌ﴾، أي حكيم فيما فطركم عليه، وفيما شرع لكم من دينه.

وقوله عز وجل: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةِ﴾.

قال أهل اللغة معناه يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ بما وعدهم من العذاب، والحساب كما قال: ﴿فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾^(٥) أي آتاهم بخذلانه إياهم و﴿ظُلَلٍ﴾ جمع ظُلة. و﴿الملائكة﴾ تقرأ على وجهين بالضَّم والكسْرِ فمن قرأ الملائكة بالرفع،

(١) سورة البقرة آية ٢٠/١٣٢.

(٢) في ط خطوة جمعها خطوات.

(٣) ك. فقط. وأنظر ص ٢٤١.

(٤) في ط، ب من الطين أي بسببه. وآثرنا نسخة ك.

سورة الحشر ٥٩ - ٢.

فالمعنى ينظرون إلا أن يأتيهم الله والملائكة، والرفع هو الوجه المختار عند أهل اللغة في القراءة، ومن قرأ والملائكة، فالمعنى هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام وظلل من الملائكة.

ومعنى ﴿وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ أي فرغ لهم ما كانوا يوعدون.
ومعنى ﴿وَالِلَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ وترجع الأمور - يقرآن جميعاً - تُردُّ^(١)،
فإن قال قائل أليست الأمور - الآن وفي كل وقت - راجعة إلى الله عز وجل،
فالمعنى في هذا: الإعلام في أمر الحساب والثواب والعقاب، أي إليه تصيرون
فيعذب من يشاء ويرحم من يشاء.

وقوله عز وجل: ﴿سَلِّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ﴾.
الخطاب للنبي ﷺ والمعنى له ولسائر المؤمنين وغيرهم. المعنى أنهم أعطوا
آيات بينات قد تقدم ذكرها^(٢)، وقد علموا صحة أمر النبي ﷺ وجحدوا، وهم
علمون بحقيقته.

وقوله عز وجل: ﴿وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ﴾.
يعني به في هذا الموضع حُجِّجَ الله الدالة على أمر نبيه ﷺ. فإن الله
شديد العقاب ﴿أَيَّ شَدِيدِ الْعَذَابِ﴾.
وقوله عز وجل: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾.

رُفِعَ على ما لم يسم فاعله، و﴿زُيِّنَ﴾ جازفيه لفظ التذكير، ولو كانت زُيِّنَتْ
لكان صواباً. وزين صواب حسن، لأن تأنيث الحياة ليس بحقيقي، لأن معنى
الحياة ومعنى العيش واحد، وقد فصل أيضاً بين الفعل وبين الاسم المؤنث.

(١) في ك المعنى ترد.

(٢) من تظليل الغمام وإنزال المن والسلوى... الخ.

وقيل في قوله ﴿زِين لِّلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ قولان، قال بعضهم زينها لهم إبليس، لأن الله عز وجل قد زهد فيها وأعلم أنها متاع الغرور. وقال بعضهم: معناه أن الله عز وجل خلق فيها الأشياء المعجبة فنظر إليها الذين كفروا بأكثر من مقدارها، ودليل قول هؤلاء قوله تعالى: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ﴾^(١) وكل جائر.

وقوله عز وجل: ﴿وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾.

كان قوم من المشركين يسخرون من المسلمين لأن حالهم في ذات اليد كانت قليلة، فأعلم الله - عز وجل - بأن الذين اتقوا فوقهم يوم القيامة. لأن المسلمين في عليين والفجار في الجحيم، قال الله - عز وجل - ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ﴾.

ومعنى: ﴿وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

أي ليس يرزق المؤمن على قدر إيمانه ولا يرزق الكافر على قدر كفره. فهذا معنى ﴿بغير حساب﴾ - أي ليس يحاسبه بالرزق في الدنيا على قدر العمل، ولكن الرزق في الآخرة على قدر العمل وما يتفضل الله به جل وعز.

قوله عز وجل: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾.

أي على دين واحد، والأمة في اللغة أشياء، فمنها أن الأمة الدين، وهو هذا، والأمة القامة يقال فلان حسن الأمة، أي حسن القامة، قال الشاعر:^(٣)
وَأَنْ مَعَاوِيَةَ الْأَكْرَمِينَ حَسَانَ الْوُجُوهِ طَوَالَ الْأَمَمِ

(١) ال عمران ٣ - ١٤.

(٢) المطففين ٨٣ - ٢٩.

(٣) للأعشى. (اللسان - أمم) الأمالي للقالبي ١ - ٢٥ - ومعاوية قبيلة.

أي طوال القامات، والأمة القرن من الناس، يقولون قد مضت أمم أي قرون، والأمة الرجل الذي لا نظير له، ومنه قوله عز وجل - ﴿إِنْ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانَتْ لَهُ خَنيفًا﴾^(١).

قال أبو عبيدة معنى ﴿كَانَ أُمَّةً﴾ كان إماماً، والأمة في اللغة النعمة والخير، قال عدي بن زيد.

ثم بعد الفلاح والرشد والأمة وارتهم هناك القبور^(٢)،

أي بعد النعمة والخير، وذكر أبو عمرو الشيباني أن العرب تقول للشيخ إذا كان باقي القوة فلان بأمة، ومعناه^(٣) راجع إلى الخير والنعمة، لأن بقاء قوته من أعظم النعمة، وأصل هذا كله من القصد، يقال أممت الشيء إذا قصدته، فمعنى الأمة في الدين أن مقصدهم مقصد واحد، ومعنى الأمة في الرجل المنفرد الذي لا نظير له، أن قصده منفرد من قصد سائر الناس.

ويروى أن زيد بن عدي بن نفيل يبعث يوم القيامة أمة وحده^(٤) وإنما

(١) سورة النحل ١٦ - ١١٩.

(٢) عدي بن زيد (اللسان - أمم) الأمالي الشجرية ١ - ٩١.

(٣) معنى هذا الكلام.

(٤) هو ابن عم عمر بن الخطاب، من الأحناف كان يقول لقريش: ما أصبح منكم أحد على ملة إبراهيم غيري، وكان يسجد على راحة يده ويقول: اللهم إني لو أعلم أحب الوجوه إليك لعبدتك به، ولكني لا أعلم، اللهم إني أشهدك أنني على دين إبراهيم: وكان قد خرج إلى الشام ليسأل الأحبار عن الدين الصحيح فاتفق له اليهود والنصارى أنه دين إبراهيم فرجع به، لم يكن يهودياً ولا نصرانياً، وكان يقول إني أنتظر نبياً من ولد اسماعيل ثم من ولد عبد المطلب وما أظن أنني أدركه وأنا أومن به وأصدق.

يعتبر عند بعض المحدثين من الصحابة لأنه قابل النبي ﷺ وإن كان ذلك قبل مبعثه. وهو أيضاً من الأجواد وكان يحيى الوثيدات، سأل سعد ابنه رسول الله ﷺ أن يدعو له فاستغفر له، وقال عنه رأيت في الجنة يسحب ذيولاً.

أنظر الإصابة ٢٩١٧.

ذلك لأنه أسلم في الجاهلية قبل مبعث النبي ﷺ فمات موحداً فهذا أمة في وقته لانفراده، وبيت النابغة:

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة وهل يائمن ذو أمة وهو طائع^(١)

ويروى ذو أمة، وذو إمة، ويحتمل ضربين من التفسير: ذو أمة: ذودين وذو أمة: ذو نعمة أسديت إليه، ومعنى الأمة القامة: سائر مقصد الجسد، فليس يخرج شيء من هذا الباب عن معنى أمت أي قصدت، ويقال إمامنا هذا حسن الأمة أي يقوم بإمامته بنا في صلاته ويحسن ذلك.

وقالوا في معنى الآية غير قول: قالوا كان الناس فيما بين آدم ونوح عليهما السلام - كفاراً، فبعث الله النبيين يبشرون من أطاع بالجنة، وينذرون من عصي من النار، وقال قوم: معنى كان الناس أمة واحدة، كان كل من بعث إليه الأنبياء كفاراً:

﴿فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾ .

ونصب مبشرين ومنذرين على الحال، فالمعنى أن أمم الأنبياء الذين بعث إليهم الأنبياء كانوا كفاراً - كما كانت هذه الأمة قبل مبعث النبي ﷺ .

وقوله عز وجل: ﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ .
أي ليفصل بينهم بالحكمة .

وقوله عز وجل: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ﴾ .

أي ما اختلف في أمر النبي ﷺ إلا الذين أعطوا علم حقيقته، وقوله: ﴿بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ نصب بغياً على معنى مفعول له، المعنى لم يوقعوا الاختلاف إلا

(١) ديوانه من الستة ١٩، اللسان (أمم).

والبيت مشهور، من إحدى اعتذاريات النابغة: عفا ذو حسا من فرتني فالفوارع .

للبغي ، لأنهم عالمون حقيقة أمره في كتبهم . وقوله عز وجل : ﴿ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ ﴾ .

أي للحق الذي اختلف فيه أهل الزيغ ^(١) .

وقوله عز وجل : ﴿ بِإِذْنِهِ ﴾ أي بعلمه ، أي من الحق الذي أمر به .

وقوله عز وجل : ﴿ يَهْدِي مِنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ .

أي إلى طريق الدين الواضح ، ومعنى ﴿ يَهْدِي مِنْ يَشَاءُ ﴾ : يدلّه على طريق الهدى إذا طلبه غير متعنت ولا باغ ^(٢) .

وقوله عز وجل : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ ﴾ .

معناه : بل أحسبتم أن تدخلوا الجنة .

وقوله عز وجل : ﴿ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ .

معنى ﴿ مثل الذين ﴾ : أي صفة الذين ، أي ولما يصبكم مثل الذي أصاب

الذين خلوا من قبلكم ، و ﴿ خلوا ﴾ - مضوا ^(٣) .

﴿ وَمَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ ﴾ ﴿ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ ﴾ : القتل والفقر . و ﴿ زُلْزَلُوا ﴾

معنى ﴿ زُلْزَلُوا ﴾ - خُوفُوا وَخُرُّوا بما يُؤْذِي ، وأصل الزلزلة في اللغة من زَلَّ الشيء عن

مكانه فإذا قلت زلزلة فتأويله كررت زلزلته من مكانه ، وكل ما فيه ترجيع كررت

فيه فاء التفعيل ، تقول أقل فلان الشيء إذا رفعه من مكانه فإذا كرر رفعه ورده

قيل قلقله ، وكذا صل ، وَصَلَّصَ وَصَرَّ وَصَرَّصَرَ ، فعلى هذا قياس هذا الباب ،

فالمعنى أنه يكرر عليهم التحريك بالخوف .

وقوله عز وجل : ﴿ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ ﴾ .

(١) هداهم لما اختلفوا فيه ، والذي اختلفوا فيه هو الحق ، ومن بيانية .

(٢) تأتي هدى بمعنى دل ، وبمعنى قاد ووفق - لأن الله تعالى يخلق الهداية ويهبها من يشاء .

(٣) فَنَوَا . وماتوا .

قرئت حتى يقول الرسول - بالنصب - ويقول - بالرفع . وإذا نصبت بحتى فقلت سرت حتى أدخلها . فزعم سيويه والخليل وجميع أهل النحو الموثوق بعلمهم أن هذا ينتصب على وجهين ، فأحد الوجهين أن يكون الدخول غاية السير ، والسير والدخول قد نصبا جميعاً ،^(١) فالمعنى : سرت إلى دخولها ، وقد مضى الدخول ، فعلى هذا نصبت الآية : المعنى وزلزلوا إلى أن يقول الرسول . وكأنه حتى قول الرسول . ووجهها الآخر في النصب أعني سرت حتى أدخلها أن يكون السير قد وقع والدخول لم يقع ، ويكون المعنى سرت كي أدخلها - وليس هذا وجه نصب الآية .

ورفع ما بعد حتى على وجهين ، فأحد الوجهين هو وجه الرفع في الآية ، والمعنى سرت حتى أدخلها ، وقد مضى السير والدخول كأنه بمنزلة قولك سرت فأدخلها . بمنزلة : (سِرْتُ)^(٢) فدخلتها ، وصارت حتى ههنا مما لا يَعْمَلُ في الفعل شيئاً^(٣) ، لأنها تلي الجمل ، تقول سرت حتى أني داخل - وقول الشاعر :^(٤)

فيا عجا حتى كليب تَسْبِيْنِي كَأَنَّ أَبَاهَا نَهَشَلُ أَوْ مُجَاشِع

فعملها في الجمل في معناها لا في لفظها . والتأويل سرت حتى دخولها وعلى هذا وجه الآية . ويجوز أن يكون السير قد مضى والدخول واقع الآن وقد انقطع السير ، تقول سرت حتى أدخلها الآن ما أُمْنَعُ فهذه جملة باب حتى . .

ومعنى الآية أن الجهد قد بلغ بالأمم التي قبل هذه الأمة حتى استبطنوا النصر ، فقال الله عز وجل : ﴿أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ .

(١) كذا في جميع النسخ . (٢) ك فقط .

(٣) لا تضمّر أن بعدها في هذه الحالة .

(٤) من قصائد الفرزدق في هجاء جرير . المقاصد ١ - ٥٤٢ . والخزانة ٤ - ١٤١ ، وديوان الفرزدق ٥٢٠ وشرح شواهد هذا المعنى ٣ - والعبارة في كلام الزجاج ناقصة إذ المبتدأ بدون خبر .

فأعلم أوليائه أنه ناصرهم لا محالة، وأن ذلك قريب منهم كما قال:
﴿فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾^(١).
وقوله عز وجل: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾.

قيل إنهم كانوا سألوا: على من ينبغي أن يُفْضَلوا - فأعلم الله عز وجل
أن أول من تُفْضَلُ عليه^(٢) الوالدان والأقربون، فقال:

﴿قُلْ مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ﴾ أي من مال: ﴿فَلِلَّوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى
وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ، وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾.

أي يحصيه، وإذا أحصاه جازى عليه، كما قال: ﴿فمن يعمل مثقال ذرة
خيراً يره﴾^(٣). أي يرى المجازاة عليه، لأن رؤية فعله الماضي لا فائدة فيه،
ولا يرى لأنه قد مضى.

ومعنى «مَاذَا» في اللغة على ضربين، فأحدهما أن يكون «ذا» في معنى
الذي، ويكون ينفقون من صلته، المعنى يسألونك أي شيء الذي ينفقون كأنه
أي شيء وجه الذي ينفقون، لأنهم يعلمون ما المنفق ولكنهم أرادوا علم الله
ووجهه.

ومثل جعلهم «ذَا» في معنى الذي قول الشاعر:^(٤)

(١) المائدة ٥ - ٥٦.

(٢) ك. أفضل عليه - أي تفضل - أحسن إليه.

(٣) الزلزلة ٩٩ - ٧.

(٤) يزيد بن مفرغ: اللسان عدس - الأغاني ١٧ - ٦٠، الخزائن ٢ - ٢١٦ من أبيات له قالها حين
خرج من سجن عباد بن زياد - وكان يزيد قد هجا عبادة وآل زياد ومعاوية فسجنه عباد ثم عفا
عنه. أنظر الأغاني ١٧ - ٥١ (بولاق) يخاطب بغلة من بغال البريد ركبها ليذهب إلى الشام.
ويلاحظ أن الزجاج يجري على مذهب الكوفيين - أما البصريون فيجعلون هذا اسم إشارة كما
هو - وطلق خبر - وتحملين جملة حالية. والتقدير وهذا طليق تحمليه.

عَدَسٌ، مَا لِعِبَادٍ عَلَيْكَ إِمَارَةٌ أَمِنْتَ وَهَذَا تَحْمِيلِينَ طَلِيقُ

والمعنى والذي تحمليه طليق، فيكون ما رفعاً بالابتداء، ويكون ذا خبرها.

وجائز أن يكون «ما» «مع» «ذا» بمنزلة اسم واحد، ويكون الموضع نصباً بينفقون. المعنى يسألونك أي شيء ينفقون، وهذا إجماع النحويين، وكذلك الوجه الأول إجماعاً أيضاً^(١)، ومثل جعلهم ذا بمنزلة اسم واحد، قول الشاعر: (٢)

دَعِيَ مَاذَا عَلِمْتَ سَأَتَقِيهِ وَلَكِنْ بِالْمَغِيبِ فَنَبِئْنِي
كَأَنَّهُ بِمَنْزِلَةٍ: دَعِيَ الَّذِي عَلِمْتَ.

وجزم ﴿وَمَا تَفْعَلُوا﴾ بالشرط، وإسم الشرط «ما» والجواب ﴿فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ وموضع ما نصب بقوله تفعلوا.

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ﴾.

معنى ﴿كتب عليكم﴾ فرض عليكم، والكره يقال فيه كرهت الشيء كُرْهاً وكَرَّهاً، وكَرَاهَةً، وكَرَاهِيَةً، وكل ما في كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ من الكُرْهِ فالفتح جائز فيه، تقول الكُرْهِ والكَرْهِ إلا أن هذا الحرف الذي في هذا الآية - ذكر أبو عبيدة - أن الناس مجمعون على ضَمِّهِ، كذلك قراءة أهل الحجاز وأهل الكوفة جميعاً ﴿وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ﴾ فضموا هذا الحرف.

(١) يريد أن النحويين يجيزون كلا الوجهين.

(٢) المثقب العبدى من نونته - أفاطم قبل بيثك وهو في كتاب سيبويه ١ - ٤٠٥ - مصر - والمقاصد

١ - ١٩١. والبيت ليس في المفضليات - وقيل هو لعبد بني الحسحاس.

من قصيدة طويلة أوردها صاحب الخزانة ومعظمها من نونية المثقب أنظر ١ - ٤٨٨ وقيل - ولعله

الأصح - أنه من أبيات سيبويه الخمسين التي لا يعرف قائلها. وقال ابن الشجري في أماليه ١ -

٣٦٢ أنه للأعشى.

(٣) ليست في ك.

ارتفع ﴿كره﴾ لأنه خبر الابتداء - وتأويله ذو كره^(١) - ومعنى كراهتم القتال أنهم إنما كرهوه على جنس^(٢) غَلَطَهُ عليهم ومشقته، لا أن المؤمنين يكرهون فرض الله - عز وجل - لأن الله - عز وجل - لا يفعل إلا ما فيه الحكمة والصلاح.

وقوله: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾.

﴿وهو خير لكم﴾^(٣) يعني به ههنا القتال، فمعنى الخير فيه، أن من قُتِلَ فهو شهيد وهذا غاية الخير، وهو إن قُتِلَ مُثَاب (أيضاً)^(٤) وهادِمُ أمر الكُفْرِ، وهو مع ذلك يغنم، وجائز أن يستدعي دخول من يقاتله في الإسلام، لأن أمر قتال أهل الإسلام كله كان من الدلالات التي تثبت أمر النبوة والإسلام، لأن الله أخبر أنه ينصر دينه، ثم أبان النصر بأن العدد القليل يغلب العدد الكثير فهذا ما في القتال من الخير الذي كانوا كرهوه.

ومعنى: ﴿وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ﴾.

أي عسى أن تحبوا القعود عن القتال فتحرموا ما وصف من الخير الذي في القتال.

وقوله عز وجل: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾.

﴿قتال﴾ مخفوض على البدل من الشهر الحرام. المعنى يسألونك عن قتال في الشهر الحرام، وقد فسرنا ما في هذه الآية فيما مضى من الكتاب^(٥). ورفع ﴿قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ قتال مرتفع بالابتداء، وكبير خبره.

(١) الأقرب مكروه - فعل بمعنى مفعول.

(٢) طبيعته الغلط والمشقة.

(٣) ليست في ك.

(٤) ك فقط.

(٥) ص ٢٦٤.

ورفع ﴿وَصَدُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ﴾ على الابتداء، وخبر هذه الأشياء ﴿أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ والمعنى وصد عن سبيل الله، وكفر به، وإخراج أهل المسجد الحرام منه أكبر عند الله أي أعظم إنشأً.

﴿وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾ .

أي والكفر أكبر من القتل، المعنى وهذه الأشياء كفر، والكفر أكبر من القتل.

وقوله عز وجل: ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيُوتَ وَهُوَ كَافِرٌ﴾ .

يرتد جزم بالشرط، والتضعيف يظهر مع الجزم، لسكون الحرف الثاني - وهو أكثر في اللغة - وقرىء: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدِدْ﴾^(١) بالإدغام والفتح^(٢) وهي قراءة الناس إلا أهل المدينة فإن في مصحفهم من يرتد وكلاهما صواب، والذي في سورة البقرة^(٣) لا يجوز فيه إلا من يرتد لأطباق أهل الأمصار على إظهار التضعيف وكذلك هو في مصاحفهم، والقراءة سنة لا تخالف، إذا كان في كل المصحف الحرف على صورة لم تجز القراءة بغيره.

ويجوز أن تقول من يرتد منكم فتكسر لالتقاء الساكنين إلا أن الفتح أجود لانفتاح التاء، وإطباق القراء عليه.

وقوله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ﴾ .

﴿الذين﴾ نصب بأن، و﴿أولئك﴾ رفع بالابتداء، و﴿يرجون﴾ خبر أولئك وأولئك ويرجون خبر إن الذين - وإنما قيل في المؤمنين المجاهدين ههنا أنهم إنما يرجون

(١) المائدة ٥ - ٥٤ .

(٢) في الدال لأن الفتح أخف الحركات والكسر جائز في العربية .

(٣) في هذه الآية .

رحمة الله لأنهم عند أنفسهم غير بالغين ما يجب لله عليهم، ولا يعملون ما يهتمون به أمرهم.

وجملة ما أخبر الله به عن المؤمنين العاملين الصالحات أنهم يجازون بالجنة. قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ، جَزَاءُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾^(١).

وقوله عز وجل: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾^(٢) الخمر المجمع عليه، وقياس كل ما عمل عملها أن يقال له خمر. وأن يكون في التحريم بمنزلتها. وتأويل الخمر في اللغة أنه كل ما ستر العقل، يقال لكل ما ستر الإنسان من شجر وغيره خمر، وما ستره من شجر خاصة ضرى، «مقصور»، ويقال دخل فلان في خمار أي في الكثير الذي يستتر فيه^(٣) وخمار المرأة قناعها، وإنما قيل له خمار لأنه يغطي، والخمرة التي يسجد عليها إنما سميت بذلك لأنها تستر الوجه عن الأرض، وقيل للعجين قد اختمر لأن فطرته قد غطاها الخمر^(٣) أعني الاختمار - يقال قد اختمر العجين وخمرته، وفطرته وأفطرته. فهذا كله يدل على أن كل مسكر خمر وكل مسكر مخالط العقل ومغط عليه، وليس يقول أحد للشارب إلا مخمور - من كل سكر - وبه خمار، فهذا بين واضح.

وقد لبس على أبي الأسود الدؤلي ف قيل له: إن هذا المسكر الذي سموه بغير الخمر حلال فظن أن ذلك كما قيل له، ثم قاده طبعه إلى أن حكم بأنها واحد، فقال:

دع الخمر يشربها الغواة فإنني رأيت أخاها مجزياً لمكانها

(١) البينة ٩٨ - ٨.

(٢) في ك، ط فيهم.

(٣) التخمر.

فإلاً يكنها أو تكنه فإنه أخوها غَذَتْهُ أمُّها بلبانها^(١)

وقال أهل التفسير في قوله عز وجل: ﴿قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ وقرئت «كثير» قال قوم زهد فيها في هذا الموضع وبين تحريمها في سورة المائدة في قوله: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.. إلى قوله: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾^(٢) ومعنى ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ التَّخْصِصُ عَلَى الْإِنْتِهَاءِ والتهديد على ترك الانتهاء.

وقال قوم: لا بل تحرم بما بين ههنا مما دل عليه الكتاب في موضع آخر، لأنه قال: ^(٣) ﴿إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ وقد حرَّم الله الإِثْمَ نصًّا فقال: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾^(٤).

وإنما بينا تحريم الخمر وإن كان مجمعاً عليه ليعلم أن نص ذلك في الكتاب. فأما الإِثْمُ الكبير الذي في الخمر فبين، لأنها توقع العداوة والبغضاء وتحول بين المرء وعقله الذي يميز به ويعرف ما يجب لحالقه. والقمار^(٥) يورث العداوة والبغضاء، فإن مال الإنسان يصير إلى غيره بغير جزاء يؤخذ عليه، وأما المنافع للناس فيه فاللذة في الخمر والرَّبْحُ فِي الْمَتَجَرِّ فِيهَا^(٦)، وكذلك الْمُنْفَعَةُ فِي

(١) وجه أبو الأسود هذا الشعر لغلام له كان على تجارته بخراسان فشرب وسكر وتسبب عن سكره تلف التجارة، فهذا الشعر مما نصح به غلامه. ظنا منه أن النبيذ غير محرم لأنه أقل تأثيراً من الخمر.

والبيت الأول في اللسان (لبن) وهما معا في (كون) والخزاة ٢ - ٤٢٦ والكتاب ٢ - ٤٦ - والعيني ١ - ٣١٠ - ١١. وابن يعيش ٣ - ١٠٧.

(٢) المائدة ٥ - ٩٠ - ٩١.

(٣) في جميع النسخ «لأن قوله» ولم يذكر خبر لأن فأصلحناها «لأنه قال».

(٤) الأعراف ٧ - ٣٣.

(٥) أي الميسر - فهو تفسير له.

(٦) مصدر ميمي أي التجارة.

القمار، يصير الشيء إلى الإنسان بغير كد ولا تعب فأعلم الله أن الإثم فيهما
(إثم) ^(١) أكبر من نفعهما.

وقوله عز وجل: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوُ﴾.

النصب والرفع في ﴿العفو﴾ جميعاً، مَنْ جعل ﴿ماذا﴾ اسماً واحداً رد العفو
عليه ^(٢) ومن جعل «ما» اسماً و «إذا» خبرها وهي في معنى الذي رد العفو عليه
فرفع، كأنه قال: ما الذي ينفقون؟ فقال: العفو، ويجوز أن ينصب العفو وإن
كان ما وحدها اسماً فتحمل العفو على ينفقون، كأنه قيل أنفقوا العفو، ويجوز
أيضاً أن ترفع وإن جعلت ﴿ماذا﴾ بمنزلة شيء واحد على «قل هو العفو».

والعفو في اللغة الفضل والكثرة، يقال عفا القوم إذا كثروا. فَأَمَرُوا أَنْ
يَنْفِقُوا الْفَضْلَ إِلَى أَنْ فَرَضَتِ الزَّكَاةَ، فكان أهل المكاسب يأخذ أحدهم من
كسبه ما يكفيه ويتصدق بباقيه، ويأخذ أهل الذهب والفضة ما يكفيهم في
عامهم وينفقون باقيه هذا قد روي في التفسير، والذي عليه الإجماع أن الزكاة في
سائر الأشياء قد بينت ما يجب فيها.

وقوله عز وجل: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ﴾.

أي مثل هذا البيان في الخمر والميسر ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ﴾: لأن خطاب
النبي مشتمل على خطاب أمته كما قال عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ ^(٣)﴾
ومثل هذا في القرآن كثير، يحكي مخاطبة الإجماع ^(٤) بذلك، وذلك أكثر في

(١) ليست في ك.

(٢) إذا كانت ماذا اسماً واحداً فهو مفعول للفعل بعده وينصب العفو بتقدير أنفقوا العفو ومن
جعلها مبتدأ وخبراً رفع العفو على أنها خبر فتكون الجملتان إما اسميتين وإما فعليتين معا. هذا
للتناسق وقد ذكر جواز غيره.

(٣) سورة الطلاق ٦٥ - ١.

(٤) الجماعة.

اللغة، وقد أتى في القرآن في غير «ذلك» للجماعة - قال الله [تعالى]: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مَّبِينَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ، وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾^(١) - والأصل ذلكن، إلا أن الجماعة في معنى القليل.

وقوله عز وجل: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾.

يجوز أن يكون ﴿تتفكرون في الدنيا والآخرة﴾ من صلة تتفكرون المعنى لعلكم تتفكرون في أمر الدنيا وأمر الآخرة، ويجوز أن يكون في الدنيا والآخرة من صلة كذلك يبين الله لكم الآيات. أي يبين لكم الآيات في أمر الدنيا وأمر الآخرة لعلكم تتفكرون.

وقوله عز وجل: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى﴾.

هذا مما نحكم تفسيره في سورة النساء إن شاء الله^(٢)، إلا أن جملة أنهم كانوا يظلمون اليتامى، فيتزوجون العشر^(٣) ويأكلون أموالهم مع أموالهم، فشدد عليهم في أمر اليتامى تشديداً خافوا معه التزويج بنساء اليتامى ومخالطتهم، فأعلمهم الله أن الإصلاح لهم هو خير الأشياء، وأن مخالطتهم في التزويج وغيره جائزة مع تحري الإصلاح فقال:

﴿وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ﴾ أي فهم إخوانكم.

فالرفع على هذا. والنصب جائز ﴿وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ﴾ أي إخوانكم تخالطون، ولا أعلم أحداً قرأ بها، فلا تقرأ بها إلا أن تثبت رواية صحيحة.

وقوله عز وجل: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْتَبَكُمْ﴾.

قال أبو عبيدة معناه لأهلككم، وحقيقته ولو شاء الله لكلفكم ما يشتد

(١) سورة الأحزاب: ٣٣ - ٣٠.

(٢) آية: ﴿وَأَتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ﴾ وما بعدها.

(٣) أي من أمهات اليتامى.

عليكم فتعتون، وأصل العنت في اللغة من قولهم: عنت البعيرُ يعني إذا حدث في رجله كسر بعد جبر لا يمكنه معه تصريفها، ويقال أكمة غنوت إذا كان لا يمكن أن يُجازيها^(١) إلا بمشقة عنيفة.

وقوله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.
أي يفعل بعزته ما يجب لا يدفعه عنه دافع.
﴿حَكِيمٌ﴾ أي ذو حكمة فيما أمركم به من أمر اليتامى وغيره.

وقوله عز وجل: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمَنَّ﴾.
معنى ﴿لَا تَنْكِحُوا﴾ لا تتزوجوا المشركات، ولو قرئت ولا تُنكِحوا المشركات كان وجهاً، ولا أعلم أحداً قرأ بها، والمعنى في هذا ولا تتزوجوا المشركات حتى يؤمن، ومعنى المشركات ههنا لكل من كفر بالنبى ﷺ واللغة تطلق على كل كافر أن يقال له مشرك وكان التحريم قد نزل في سائر الكفار في تزويج نسائهم من المسلمين، ثم أحل تزويج نساء أهل الكتاب من بينهم. فقال الله - عز وجل:

﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ، وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾^(٢).

فإن قال قائل: من أين يقال لمن كفر بالنبى ﷺ مشرك وإن قال إن الله عز وجل واحد، فالجواب في ذلك أنه إذا كفر بالنبى ﷺ فقد زعم أن ما أتى به من القرآن من عند غير الله - جل ثناؤه - والقرآن إنما هو من عند الله - عز وجل - لأنه يُعجز^(٣) المخلوقين أن يأتوا بمثله - فقد زعم أنه قد أتى غير الله بما لا يأتي به إلا الله - عز وجل - فقد أشرك به غيره.

(١) لا يمر الشخص بها إلا بمشقة - يقال اجتاز المكان وجاز به.

(٢) سورة المائدة ٥ - ٥. (٣) في الأصل وط - معجزة وآثرنا هذه عن - ك.

وقوله عز وجل: ﴿وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يَؤْمِنُوا﴾.

أي لا تزوجوهم مُسْلِمَةً، وقوله:

﴿وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾.

معناه وإن أعجبكم، إلا أن «لو» تأتي فتنب عن إن في الفعل الماضي، ومعنى الكلام أن الكافر شر من المؤمن لكم وإن أعجبكم أي أعجبكم أمره في باب الدنيا، لأن الكافر والكافرة يدعوان إلى النار أي يعملان بأعمال أهل النار - فكان نسلكم يترى مع من هذه حاله.

وقوله عز وجل: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ﴾.

أي يدعوكم إلى مخالطة المؤمنين لأن ذلك أوصل لكم إلى الجنة ومعنى «بإذنه» أي بعلمه الذي أعلم أنه وصلة لكم إليها.

﴿وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ﴾ أي علاماته، يقال آية وآي، وآيات أكثر وعليها أتى القرآن

الكريم.

وقوله عز وجل: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾.

معنى لعل ههنا الترجي لهم أي ليكونوا هم راجين - والله أعلم أيتذكرون أم لا، ولكنهم خوطبوا على قدر لفظهم واستعمالهم^(١).

وقوله عز وجل: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى﴾.

يقال حاضت المرأة تحيض حيضاً ومحاضاً ومحيضاً، وعند النحويين أن المصدر في هذا الباب «المفعِل»، و «المفعَل» جيد بالغ فيه^(٢) يقال ما في بُرْك «مكال» أي كيل ويجوز ما فيه «مكيل».

(١) تقدم هذا. أي لا ترجى من الله، بل من العباد.

(٢) كلاهما مصدر ميمي - مفعِل: محاض، ومفعَل محيض وهو الأقيس لأن المضارع مكسور العين.

قال الشاعر وهو الراعي :

بُيِّتَ مَرَاثِقَهُنَّ فَوْقَ مَزْلَةٍ لا يستطيع بها القراءُ مقيلاً^(١)

أي قبلولة، ومعنى الآية أن العرب كانت تفعل في أمر الحائض ما كانت تفعل المجوس، فكانوا يجتنبون تكليفها عمل أي شيء، وتُجْتَنَّبُ في الجماع وسائر ما تُكَلِّفُهُ النساء، يريدون أنها نجس، فأعلم الله أن الذي ينبغي أن يجتنب منها بوضع^(٢) فقط، وأنها لا تُنَجَّسُ شيئاً، وأعلم أن المحيض أذى، أي مستقذر، ونهى أن تقرب المرأة حتى تتطهر من حيضها بالماء بعد أن تطهر من الدم أي تنقى منه، فقال: ﴿وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ﴾ - المعنى يتطهرن أي يغتسلن بالماء، بعد انقطاع الدم - وَقُرِئَتْ حَتَّى يَطْهُرْنَ «ولكن» «فإذا طَظْهَرْنَ» يدل على «وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ» وكلاهما «يَطْهُرْنَ» ويطْهَرْنَ - وقرئ بهما - جيدان.

ويقال طَهَرَتْ وَطَظْهَرَتْ جميعاً وَطَظْهَرَتْ أكثر.

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَاتَوَهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾.

أي من الجهات التي يحل فيها أن تُقَرَّبَ المرأة، ولا تقربوهن من حيث لا يجب، أعني ولا تقربوهن صاحبات ولا عشيقات، وقد قيل في التفسير: ﴿مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾. في الفروج، ولا يجوز أن يُقَرَّبَ في الدبر، والذي يروى عن مالك^(٣) ليس بصحيح لأن إجماع المسلمين أن الوطء، حيث يُبْتَغَى

(١) من لأميته التي أشرنا إليها آخر ديوان جرير. وفي الخزانة ١ - ٥٠٤ جزء منها. وأنظر الجمهرة

٣٣١ ط بيروت ١٩٦٣.

(٢) ط الوطء.

(٣) ك «في هذا»، والمراد ليس صحيح الرواية عنه فهو لم يقله - ومذهب المالكية أن عقوبة القتل وفاعله أرذل الفاسقين.

النَّسْلُ، وَأَنْ أَمَرَ الدُّبْرَ فَاحِشَةً، وَقَدْ جَاءَ الْحَدِيثُ^(١) أَنَّ مَحَاشِ النِّسَاءِ حَرَامٌ، وَيَكْنَى بِهِ عَنِ الدُّبْرِ^(٢).

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿نَسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾.

زعم أبو عبيدة أنه كناية، والقول عندي فيه أَنَّ معناه أَنَّ نِسَاءَكُمْ حَرْثُكُمْ مِنْهُمْ تَحْرِثُونَ الْوَلَدَ وَاللَّذَّةَ^(٣).

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَاتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾.

أَيَّ كَيْفٍ شِئْتُمْ، أَيَّ اتُّوا مَوْضِعَ حَرْثِكُمْ كَيْفَ شِئْتُمْ، وَإِنَّمَا قِيلَ لَهُمْ كَيْفَ شِئْتُمْ، لِأَنَّ الْيَهُودَ كَانَتْ تَقُولُ: إِذَا جَامَعَ الرَّجُلُ الْمَرْأَةَ مِنْ خَلْفٍ خَرَجَ الْوَلَدُ أَحْوَلُ، فَأَعْلَمَ اللَّهُ أَنَّ الْجَمَاعَ إِذَا كَانَ فِي الْفَرْجِ حَلَالٌ عَلَى كُلِّ جِهَةٍ.

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَقَدِّمُوا لَأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾.

أَيَّ اتَّقُوا اللَّهَ فِيمَا حَدَّ لَكُمْ مِنَ الْجَمَاعِ وَأَمْرِ الْحَيْضِ، ﴿وَقَدِّمُوا لَأَنْفُسِكُمْ﴾ أَيَّ قَدِّمُوا طَاعَتَهُ وَاتَّبَاعَ أَمْرِهِ، فَمَنْ اتَّبَعَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ فَقَدْ قَدَّمَ لِنَفْسِهِ خَيْرًا.

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا﴾.

مَوْضِعُ «أَنْ» نَصَبٌ بِمَعْنَى عَرْضَةِ الْمَعْنَى لَا تَعْرِضُوا بِالْيَمِينِ بِاللَّهِ فِي أَنْ تَبَرُّوا - فَلَمَّا سَقَطَتْ «فِي» أَفْضَى لِمَعْنَى الْإِعْتِرَاضِ، فَنَصَبَ أَنْ^(٤).

وقال غير واحد من النحويين إن موضعها جائز أن يكون خفضاً وإن سقطت «فِي» لِأَنَّ «أَنْ» الحذف معها مستعمل، تقول جئت لأن تضرب زيداً، وجئت أن تضرب زيداً، فحذفت اللام مع «أَنْ» ولو قلت جئت ضرب زيد

(١) ط ياتي الحديث.

(٢) أي إتيانهن في الدبر - والمحشة مجتمع العذرة - والحسن (مثلثة) المخرج - انظر المادة في القاموس.

(٣) لأن من معاني الحرث الكسب وجمع المال.

(٤) المعنى: لا تجعلوا الله أو الحلف به حائلاً بينكم وبين البر.

تريد لضرب زيد لم يجز كما جاز مع «أن» لأن «أن» إذا وصلت دل ما بعدها على الاستقبال. والمعنى: كما تقول: جئتك أن ضربت زيداً، وجئتك أن تضرب زيداً، فلذلك جاز حذف اللام. وإذا قلت: جئتك ضرب زيد لم يدل الضرب على معنى الاستقبال.

والنصب في «أن» في هذا الموضع [هو] الاختيار عند جميع النحويين. ومعنى الآية أنهم كانوا يعتلون في البر بأنهم حلفوا، فاعلم الله أن الإثم إنما هو في الإقامة على ترك البر والتقوى، وأن اليمين إذا كفرت فالذنب فيها مغفور، فقال عز وجل:

﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾.

ف قيل في معنى اللغو غير قول، قال بعضهم معناه: «لا والله» و«بلى والله» وقيل: إن معنى اللغو الإثم - فالمعنى لا يؤاخذكم الله بالإثم في الحلف إذا كفرتم. وإنما قيل له لغو لأن الإثم يسقط فيه إذا وقعت الكفارة.

وقوله عز وجل: ﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾.

أي بعزمتكم على ألا تبروا ولا تتقوا، وإن تعتلوا في ذلك بأنكم قد حلفت، ويقال: لغوت أَلْغَوْتُ لَغْوَاً، ولغوت أَلْغَيْتُ لَغْوَاً، مثل محوت أمحو محواً، وأمحى، ويقال لغيت في الكلام أَلْغَيْتُ لَغْوَاً، إذا أُنِيتَ بَلْغْوَاً، وكل ما لا خير فيه مما يؤثم فيه أو يكون غير محتاج إليه في الكلام فهو لغو ولغى.

قال العجاج:

عَنِ اللَّغَا وَرَفَثِ التَّكَلِمِ^(١).

وجملة الحلف أنه على أَرْبَعَةِ أَوْجِهٍ، فوجهان منها الفقهاء يجمعون أن

(١) تقدم هذا الشاهد ص ٢٧٠.

الكفارة فيهما واجبة، وهو قولك: والله لا أفعل أو والله لأفعلن، ففي هاتين الكفارة إذا أثر أن يخالف ما حلف عليه، إذا رأى غيره خيراً منه فهذا فيه الكفارة لا محالة.

ووجهان أكثر الفقهاء لا يرون فيهما^(١) الكفارة، وهما قولك: «والله ما قد فعلت»، وقد فعل^(٢) أو «والله لقد فعلت» ولم يفعل. فهذا هو كذب أكده يمين، فينبغي أن يستغفر الله منه، فهذا جملة ما في اليمين^(٣).

ويجوز أن يكون موضع «أن» رفعاً، فيكون المعنى: ﴿ولا تجعلوا الله عرضة لإيمانكم، أن تبرؤوا وتتقوا وتصلحوا أولى﴾، أي البر والتقوى أولى، ويكون أولى محذوفاً كما جاء حذف أشياء في القرآن. لأن في الكلام دليلاً عليها، يشبه هذا منه: ﴿طاعة وقول معروف﴾^(٤) أي طاعة وقول معروف أمثل، والنصب في أن والجر مذهب النحويين^(٥) ولا أعلم أحداً منهم ذكر هذا المذهب ونحن نختار ما قالوه لأنه جيد، ولأن الاتباع أحب وإن كان غيره جائزاً^(٦).

وقوله عز وجل: ﴿والله سميعٌ عليمٌ﴾.

معناه في هذا الموضع يسمع أيمانكم ويعلم ما تقصدون بها.

وقوله عز وجل: ﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصٌ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾.

معنى ﴿يُؤْلُونَ﴾ يخلفون، ومعناه في هذا الموضع أن الرجل كان لا يريد

(١) في الأصول «فيه» وهو خطأ. والأقسام أربعة لأن كل قسم من هذين إما نفي أو إثبات.

(٢) أي أن المقسم قد فعل خلاف ما حلف عليه، أي والحال أنه فعل.

(٣) عدا يمين اللغو التي تقدمت.

(٤) سورة القتال ٤٧ - ٢١.

(٥) في إعراب أن بعد حذف الجر - كلا الوجهين جائز.

(٦) لم يذكر أحد منهم أن «أن تتقوا» في موضع رفع على الإبتداء ومع جوازه هو قده أثر أن يكون المصدر في محل نصب أو جر.

المرأة فيحلف ألا يقربها أبداً، ولا يُحب أن يزوجها غيره، فكان يتركها لا أيماً ولا ذات زوج، كانوا يفعلون ذلك في الجاهلية والإسلام، فجعل الله الأجل الذي يعلم به ما عند الرجل في المرأة آخر مداه نهاية أربعة أشهر، فإذا تمت أربعة أشهر ثم لم يَفِء الرجل إلى امرأته، أي لم يرجع إليها، فإن امرأته بعد الأربعة - في قول بعضهم - قد بَانت منه، ذكر الطلاق بلسانه أم لم يذكره.

وقال قوم يؤخذ بعد الأربعة بأن يطلق أو يفِيء.

ويقال آليت أولي إيلاءً وإليّة، وألوة، وإلوة، و(إيل) (١).

والكسر أقل اللغات (٢)، ومعنى التربص في اللغة الانتظار.

وقال الذين احتجوا بأنه لا بد أن يذكر الطلاق، بقوله عز وجل: ﴿وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

وقالوا (٣) ﴿سميع﴾ يدل على أنه استماع الطلاق في هذا الموضع، وهذا في اللغة غير مُمتنع، وجائز أن يكون إنما ذكر ﴿سميع﴾ ههنا من أجل حلفه، أي الله قد سمع حلفه وعلم ما أراده، وكلا الوجهين في اللغة محتمل.

وقوله عز وجل: ﴿وَالْمُطَلَّقاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾.

يقال طَلقت المرأة طلاقاً فهي طالق، وقد حكوا طَلقت وقد زعم قوم أن تاء التانيث حذفت من «طالقة» لأنه (٤) للمؤنث لاحظ للذكر فيه، وهذا ليس بشيء، لأن في الكلام شيئاً كثيراً يشترك فيه المؤنث والمذكر لا تثبت فيه الهاء في المؤنث، نحو قولهم بغير ضامر، وناقّة ضامر، وبغير ساعل وناقّة

(١) ليست في ك.

(٢) في «الوة».

(٣) في ك وقيل.

(٤) أي هذا اللفظ.

ساعل^(١)، وهذا أكثر من أن يحصى^(٢). وزعم سيبويه وأصحابه أن هذا وقع على لفظ التذكير صفة للمؤنث لأن المعنى شيء طالق، وحقيقته عندهم أنه على جهة النسب نحو قولهم امرأة مذكار ورجل مذكار، وامرأة مثنث ورجل مثنث^(٣)، وإنما^(٤) معناه ذات ذكران وذات إناث، وكذلك مطفل ذات طفل، وكذلك طالق معناه ذات طلاق. فإذا أجريته على الفعل^(٥) قلت طالقة، قال الأعشى^(٦):

أَيَا جَارَتَا بَيْنِي فَإِنَّكِ طَالِقَةٌ كَذَاكَ أُمُور النَّاسِ غَادٍ وَطَارِقَةٌ
وَأَمَّا ﴿ثَلَاثَةٌ قُرُوءٍ﴾ فَقَدْ اخْتَلَفَ الْفُقَهَاءُ وَأَهْلُ اللُّغَةِ فِي تَفْسِيرِهَا وَقَدْ ذَكَرْنَا فِي هَذَا الْكِتَابِ جُمْلَةً قَوْلِ الْفُقَهَاءِ وَجُمْلَةً قَوْلِ أَهْلِ اللُّغَةِ:

فَأَمَّا أَهْلُ الْكُوفَةِ فَيَقُولُونَ: الْإِقْرَاءُ الْحَيْضُ، وَأَمَّا أَهْلُ الْحِجَازِ وَمَالِكٌ فَيَقُولُونَ الْإِقْرَاءُ الطُّهْرُ، وَحُجَّةُ أَهْلِ الْكُوفَةِ فِي أَنَّ الْإِقْرَاءَ وَ(الْقِرَاءَ)^(٧) وَالْقُرُوءَ الْحَيْضُ مَا يَرُودُ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ: أَنَّهَا اسْتَفْتَتْ لِفَاطِمَةَ بِنْتُ أَبِي حَبِيشٍ^(٨) وَكَانَتْ

(١) نشيط مستأسد.

(٢) رد الزجاج ليس بجيد. فجمهور اللغويين أن الوصف الذي لا يكون إلا للأنثى لا تذكر فيه التاء إذ لا داعي لها، مثل حائض وناث وناهد وحامل وبكر وثيب. وهذا لا ينافي محي أوصاف للذكر بغير تاء، فالجهة منفكة.

(٣) يمنع. التاء في هذا أيضاً أنه صيغة مبالغة.

(٤) في ك أن.

(٥) أي جعله اسم فاعل دالاً على إحداث فعل.

(٦) اللسان (جور) والأغاني ٨/ ٨٠ - ٨١.

(٧) ليست في ك.

(٨) أما فاطمة فهي بنت أبي حبيش بن المطلب بن أسد، من قریش روت حديثها هذا السيدة عائشة وجاء في الصحيحين أنها جاءت إلى النبي فقالت إني امرأة أستحاض فلا أطهر أفأدع الصلاة؟ قال: لا إنما ذلك عرق ليست الحيضة. وللحديث روايات ولعل الحادث تكرر، أو كانت أم سلمة معها ولم تذكر في بعض الروايات. - انظر الإصابة ٨٣١.

مستحاضة^(١) فقال ﷺ تنتظر أيام إقرائها وتغتسل فيما سوى ذلك فهذا يعني أنها تحبس عن الصلاة أيام حيضها ثم تغتسل فيما سوى أيام الحيض، وفي خبر آخر أن فاطمة سألته فقال إذا أتى قرؤك فلا تصلي، فإذا مرَّ قَطَطَهري، وصلي ما بين القرء إلى القرء، فهذا مذهب الكوفيين، والذي يقويه من مذهب أهل اللغة أن الأصمعي كان يقول: القرء الحيض، ويقال أقرأت المرأة إذا حاضت. وقال الكسائي والقراء جميعاً أقرأت المرأة إذا حاضت فهي مقريء، وقال القراء: أقرأت الحاجة إذا تأخرت.

وأنشدوا في القرء الحيض وهو بالوقت أشبه:

لَه قُرُوءٌ كَقُرُوءِ الْحَائِضِ^(٢)

فهذا هو مذهب أهل الكوفة في الأقراء، وما احتج به أهل اللغة مما يقوي مذهبهم، وقال الأخفش أيضاً: أقرأت المرأة إذا حاضت، وما قرأت حيضة ما ضمت رحمها على حيضة.

وأما أم سلمة فهي أم المؤمنين هند بنت أبي أمية بن المغيرة المخزومي، اسمه حذيفة وكان يلقب بزاد الراكب لأنه يكفي رفيقه في السفر زادهم، تزوجها ابن عمها أبو سلمة بمكة وكانا من السابقين إلى الإسلام وهاجرا إلى الحبشة فولدت هناك سلمة ثم عادا إلى مكة ولما همما بالهجرة إلى المدينة منعها ذووها وردوها إليهم، فأخذ سلمة ذوو أبيه وهاجر الزوج وحده وساءت حالها من الحزن لفراق زوجها وولدها ثم سمح لها أن تهاجر ورد لها ابنها. ولما مات زوجها تزوجها رسول الله ﷺ.

كانت من ذوات الرأي والعقل وهي التي فرج الله بها كربة المسلمين يوم الحديبية إذ أشارت على النبي ﷺ أن يذبح هدية فلم يسع القوم إلا اتباعه توفيت سنة ٦٢ هـ وهي آخر أمهات المؤمنين وفاة، الإصابة ١٣٠٢.

(١) لا ينقطع الدم عنها.

(٢) قبله وصاحب صحبته حرائض. والحرص - محركة - الفساد في البدن والمذهب والرأي، والرجل الفاسد المريض.

وقال أهل الحجاز: الأقرء والقروء واحد، وأحدهما قرء، مثل (قولك)^(١) فرغ، وهما الأطهار، واحتجوا في ذلك بما يروى عن عائشة أنها قالت الأقرء الأطهار، وهذا مذهب ابن عمرو ومالك، وفقهاء أهل المدينة، والذي يقوي مذهب أهل المدينة في أن الأقرء الأطهار.

قول الأعشى^(٢) :

مُورِثَةٌ مَالًا وَفِي الْأَصْلِ رَفْعَةٌ لَمَّا ضَاعَ فِيهَا مِنْ قُرُوءِ نَسَائِكَ
فَالَّذِي ضَاعَ هُنَا الْأَطْهَارُ لَا الْحَيْضُ .

وفي هذا مذهب آخر، وهو أن القرء الطهر، والقرء الحيض^(٣)، قال أبو عبيدة: إن القرء يصلح للحيض والطهر، قال وأظنه من أقرأت النجوم إذا غابت، وأخبرني من أتق به يدفعه إلى يونس أن الإقرء عنده يصلح للحيض والطهر، وذكر أبو عمرو بن العلاء أن القرء الوقت، وهو يصلح للحيض ويصلح للطهر، ويقال: ^(٤) «هذا قارئ الرياح»: لوقت هبوبها.

وأنشد أهل اللغة^(٥) :

سَنَيْتُ الْعُقْرَ عَقْرَ بَنِي شَلِيلٍ إِذَا هَبَتْ لِقَارِيهَا الرِّيحُ^(٦)

(١) ك فقط ك.

(٢) ديوانه ٦٧، مجاز القرآن ١ - ٧٤ - والطبري في هذه الآية والخازن، وقبله.

وفي كل عام أنت جاشم غزوة تشد لأقصاها عزيماً عزائك
ويروى «وفي الذكر رفعة» وأيضاً وفي الحي رفعة.

(٣) أي يصلح لهما معاً.

(٤) ك ويقول.

(٥) الشعر لمالك بن الحرث من بني ذهل، سئنت - كرهت - والعقر مكان - وهبت لقاريها: لوقت هبوبها - وشليل جد جرير بن عبد الله البجلي: ديوان الهزليين ٣ - ٨٣ - والطبري ٤ - ٥١١، وفي اللسان (قرأ) كرهت.

(٦) ط رحيها.

أي لوقت هبوبها، وشدة بردها، ويقال «ما قرأت الناقة سلاقط» أي لم تضم رحمها على ولد، وقال عمرو بن كلثوم^(١):

نُريكَ إذا دخلت على خلاءٍ وقد أمنت عيون الكاشحين
ذراعي عيطلٍ أدماء بكر هجين اللون لم تقرأ جنينا^(٢)
وأكثر أهل اللغة يذهب إلى أنها لم تجمع ولداً قط في رحمها ركر
قطرب هذا القول أيضاً، وزاد في لم تقرأ جنيناً أي لم تلقه مجموعاً.

فهذا جميع ما قال الفقهاء وأهل اللغة في القرء.

والذي عندي أن القرء في اللغة الجمع، وأن قولهم قرئت الماء في الحوض من هذا، وإن كان قد ألزم الماء - فهو جمعته^(٣)، وقولك قرأت القرآن أي لفظت به مجموعاً، والقرء يُقرء، أي يجمع ما يأكل في بيته، فإنما القرء اجتماع الدم في البدن، وذلك إنما يكون في الطهر، وقد يكون اجتماعه في الرحم، وكلاهما حسن وليس بخارج عن مذاهب الفقهاء، بل هو تحقيق المذهبين، والمقرأة الحوض الذي يقرأ فيه الماء أي يجمع، والمقرأ الإناء الذي يقرأ فيه الضيف.

وقوله عز وجل: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ﴾. قيل فيه لا يحل لهن أن يكتمن أمر الولد لأنهن إن فعلن ذلك فإنما يقصدن إلى إلزامه غير أبيه.

وقد قال قوم هو الحيض. وهو بالولد أشبه لأن ما خلق الله في أرحامهن أدل على الولد، لأن الله جل وعز قال: ﴿هو الذي يصوركم في الأرحام كيف

(١) في معلقته، واللسان (قرأ) - والقرطبي ٣ - ١١٤.

(٢) يريد أنها ضامرة البطن لأنها لم تحمل قط.

(٣) ك جمعت.

يشاء»^(١)، وقال: ﴿فَخَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا﴾^(٢) فوصف خلق الولد.

«ومعنى: ﴿إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾.
تأويله إن كن يصدقن بالله وبما أُرهب به وخوف من عذابه لأهل الكبائر
فلا يكتمن، كما تقول لرجل يظلم إن كنت مؤمناً فلا تظلم، لا أنه يقول له
هذا مطلقاً الظلم لغير المؤمن. ولكن المعنى: إن كنت مؤمناً فينبغي أن
يحجزك إيمانك عن ظلمي.

وقوله عز وجل: ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ﴾.
بعولة جمع بعل، مثل ذكر وذكورة، وعم وعمومة أشبه ببعل وبعولة،
ويقال في جمع ذكر^(٣) ذكارة وحجر حجارة. وإنما هذه الهاء زيادة مؤكدة
معنى تأنيث الجماعة، ولكنك لا تدخلها إلا في الأمكنة التي رواها أهل
اللغة، لا تقول في كعب كعوبة ولا في كلب كلابة، لأن القياس في هذه
الأشياء معلوم^(٤)، وقد شرحنا كثيراً مما فيه فيما تقدم من الكتاب.

ومعنى ﴿فِي ذَلِكَ﴾ أي في الأجل الذي أُمرن أن يتربصن فيه، فأزواجهن
قبل إنقضاء القروء الثلاثة أحق بردهن إن ردوهُنَّ على جهة الإصلاح، ألا ترى
قوله: ﴿إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا﴾؟

ومعنى قوله عز وجل: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾.
أي للنساء مثل الذي عليهن بما أمر الله به من حق الرجل على المرأة،
وهو معنى ﴿بِالمعروف﴾.

(١) آل عمران ٢ - ٦.

(٢) المؤمنون ٢٣ - ١٤.

(٣) بكر وبكارة - ولعله أصح لأنه على «فعل» وفي ك أيضاً: وإنما هذا هذه الهاء - وظاهر أنه خطأ.

(٤) ك - معلوم قد شرحناه.

وقوله عز وجل: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾.

معناه زيادة فيما للنساء عليهن كما قال تعالى: ﴿الرجال قوامون على النساء، بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم﴾^(١).

والمعنى أن المرأة تنال من اللذة من الرجل كما ينال الرجل، وله الفضل بنفقته وقيامه بما يصلحها.

وقوله عز وجل: ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

معناه ملك يحكم بما أراد، ويمتحن بما أحب، إلا أن ذلك لا يكون إلا بحكمة بالغة - فهو عزيز^(٢) حكيم فيما شرع لكم من ذلك.

وقوله عز وجل: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ﴾.

﴿الطلاق﴾ رفع بالابتداء، و﴿مرتان﴾ الخبر، والمعنى الطلاق الذي تملك فيه الرجعة مرتان، يدل عليه ﴿فَإِمْسَاكِ بِمَعْرُوفٍ﴾ المعنى فالواجب عليكم إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان. ولو كان في الكلام فإمساكاً بمعروف كان جائزاً. على فأمسكوهن إمساكاً بمعروف كما قال عز وجل: ﴿فَأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف﴾^(٣)، ومعنى ﴿بمعروف﴾^(٤) بما يعرف من إقامة الحق في إمساك المرأة.

وقوله عز وجل: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمُ أَنْ تَأْخُذُوا بِمَا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا﴾.

أي مما أعطيتموهن من مهر وغيره.

وقوله عز وجل: ﴿إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾.

قرئت ﴿يَخَافَا﴾، ويخافا - بالفتح والضم - قال أبو عبيدة وغيره: معنى ﴿إلا

(١) النساء ٣ - ٣٤.

(٢) في ك العزيز الحكيم.

(٣) سورة البقرة ٢ - ٢٣١.

(٤) في ط ومعناه.

أَنْ يَخَافَ إِلَّا أَنْ يَوْقِنَا، وحقيقة قوله: ﴿إِلَّا أَنْ يَخَافَ أَلَّا يَقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾ أَنْ يكون الأغلب عليهما وعندهما أنهما على ما ظهر منهما من أسباب التباعد الخوف من أَنْ لا يقيما حدود الله - ومعنى ﴿حُدُودَ اللَّهِ﴾ ما حده الله جلَّ وعزَّ مما لا تجوز مجاوزته إلى غيره، وأصل الحد في اللغة المنع، يقال حَدَدْتُ الدارَ، وحددت حدود الدار، أي بنيت الأمكنة التي تمنع غيرها أَنْ يدخل فيها، وَحَدَدْتُ الرجلَ أَقَمْتُ عليه الحد، والحد هو الذي به منع الناس من أَنْ يدخلوا فيما يجلب لهم الأذى والعقوبة، ويقال أَحَدْتُ المرأةَ على زوجها وحدت فهي حَادٌّ وَمُحَدٌّ، إذا امتنعت عن الزينة، وأحدت إليه النظر إذا منعت نظري من غيره وصرفته كله إليه، وَأَحَدْتُ السكينَ إِحْدَادًا، قال الشاعر:

إِنْ الْعِبَادِي أَحَدٌ فَأَسَهُ فعاد حدُّ فأسه برأسه^(١)

وَإِنَّمَا قِيلَ لِلْحَدِيدِ حَدِيدٌ لِأَنَّهُ أُمْنَعُ مَا يَمْتَنَعُ بِهِ، والعرب تقول للحاجب والبواب وصاحب السجن: الْحَدَّادُ، وَإِنَّمَا قِيلَ لَهُ حَدَادٌ لِأَنَّهُ يَمْنَعُ مَنْ يَدْخُلُ وَمَنْ يَخْرُجُ، وقول الأعشى:

فَقَمْنَا وَلَمَّا يَصْحُ دِيكُنَا إِلَى خَمْرَةٍ عِنْدَ حَدَادِهَا^(٢)

أَيَّ عِنْدَ رَبِّهَا الَّذِي مَنَعَ مِنْهَا إِلَّا بِمَا يَرِيدُ.

ومعنى: فَلَا تَعْتَدُوهَا: أَيَّ لَا تُجَاوِزُوهَا.

وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾.

أَيَّ فَإِنْ طَلَّقَهَا الثَّالِثَةَ، لِأَنَّ الثَّنِينَ قَدْ جَرَى ذِكْرُهُمَا أَيُّ فَلَا تَحِلُّ لَهُ حَتَّى تَتَزَوَّجَ زَوْجًا غَيْرَهُ، وفعل الله ذلك لعلمه بصعوبة تزوج المرأة على الرجل^(٣)،

(١) اللسان - حدد.

(٢) اللسان - حدد.

(٣) متعلق بصعوبة - أي يصعب على الرجل أن يتزوج امرأته بغيره.

فحرم عليه التزوج بعد الثلاث لثلا يعجلوا بالطلاق، وأن يَتَّبِعُوا. وقوله عز وجل: ﴿بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾^(١) يدل على ما قلناه.

وقوله عز وجل: ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا﴾ :
أي فإن طلقها الزوج الثاني فلا جناح عليها وعلى الزوج الأول أن يتراجعا، وموضع أن نصب، المعنى لا يَأْتِمَانُ في أن يتراجعا. فلما سقطت «في» وصل معنى الفعل فنصب - ويجيز الخليل أن يكون موضع أن خفضا على إسقاط «في» ومعنى إرادتها في الكلام، وكذلك قال الكسائي، والذي قاله صواب لأن «أن» يقع فيها الحذف، ويكون جعلها موصولة عوضاً مما حذف، ألا ترى أنك لو قلت لا جناح عليهما الرجوع لم يصلح. والحذف مع أن سائغ فلهذا أجاز الخليل وغيره أن يكون موضع جر على إرادة في.

ومعنى. ﴿إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾ .

أي إن كان الأغلب عليهما أن يقيما حدود الله.

وقوله عز وجل: ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا﴾ .

وَيُقرَأُ نُبَيِّنُهَا بالياء والنون جميعاً، لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ^(٢) أي يعلمون أن وعد الله حق وأن ما أتى به رسوله صدق.

وقوله عز وجل: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ .

أي وقت إنقضاء عدتهن.

﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ .

أي إتركوهن حتى ينقضي تمام أجلهن ويكن أملك بأنفسهن.

وقوله عز وجل: ﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا﴾ .

(١) الطلاق ٦٥ - ١ : لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً.

(٢) في ط، وك معنى يعلمون.

أَيُّ لَا تَمْسُكُوهُنَّ وَأَنْتُمْ لَا حَاجَةَ بِكُمْ إِلَيْهِنَّ، وَقِيلَ إِنَّهُ كَانَ الرَّجُلُ يُطْلَقُ الْمَرْأَةَ وَيَتْرَكُهَا حَتَّى يَقْرَبَ انْقِضَاءُ أَجْلِهَا ثُمَّ يَرِاجِعُهَا إِضْرَاراً بِهَا، فَنَهَاهُمْ اللَّهُ عَنْ هَذَا الْإِضْرَارِ بِهِنَّ.

وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾.
أَيُّ عَرَّضَهَا لِعَذَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: لِأَنَّ إِيَّانَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ تَعَرَّضَ لِعَذَابِهِ، وَأَصْلُ الظُّلْمِ وَضْعُ الشَّيْءِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ وَقَدْ شَرَحْنَا ذَلِكَ.
وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا﴾ أَيُّ مَا قَدْ بَيْنَهُ لَكُمْ مِنْ دَلَالَاتِهِ، وَعِلَامَاتِهِ فِي أَمْرِ الطَّلَاقِ وَغَيْرِهِ.

وَقِيلَ فِي هَذَا قَوْلَانِ: قَالَ بَعْضُهُمْ: كَانَ الرَّجُلُ يُطْلَقُ وَيُعْتَقُ وَيَقُولُ: كُنْتُ لَاعِبًا، فَأَعْلَمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّ فَرَائِضَهُ لَا لَعِبَ فِيهَا، وَقَالَ قَوْمٌ: مَعْنَى ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا﴾، أَيُّ لَا تَتْرَكُوا الْعَمَلَ بِمَا حَدَّدَ اللَّهُ لَكُمْ فَتَكُونُوا مُقْصِرِينَ لَاعِبِينَ كَمَا تَقُولُ لِلرَّجُلِ الَّذِي لَا يَقُومُ بِمَا يَكْلِفُهُ، وَيَتَوَانَى فِيهِ: إِنَّمَا أَنْتَ لَاعِبٌ.

وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ﴾.
هَذَا مُخَاطَبَةٌ لِلأَوَّلِيَاءِ، وَفِي هَذَا دَلِيلٌ أَنَّ أَمْرَ الْأَوَّلِيَاءِ بَيْنٌ. لِأَنَّ الْمَطْلُوقَةَ الَّتِي تَرَاوَجَعُ إِنَّهَا هِيَ مَالِكَةٌ بَعْضُهَا^(١) إِلَّا أَنَّ الْوَلِيَّ لَا بُدَّ مِنْهُ، وَمَعْنَى ﴿تَعْضُلُوهُنَّ﴾: تَمْنَعُوهُنَّ وَتَحْبِسُوهُنَّ، مَنْ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ.
وَالْأَصْلُ فِي هَذَا فِيمَا رُوِيَ أَنَّ مَعْقِلَ بْنَ يَسَارَ^(٢) طَلَّقَ أُخْتَهُ زَوْجَهَا،

(١) ط فِي بَعْضِهَا.

(٢) مَعْقِلُ بْنُ يَسَارَ، يَكْنَى أَبُو عَبْدِ اللَّهِ وَأَبَا عَلِيٍّ، مَزَنِي أَسْلَمَ قَبْلَ الْحَدِيثِيَّةِ وَشَهِدَ بَيْعَةَ الرِّضْوَانِ، وَقَدْ أَقَامَ بِالْبَصْرَةِ مِنْذُ فَتَحَهَا وَمَاتَ بِهَا فِي خِلَافَةِ مُعَاوِيَةَ، وَبِاسْمِهِ يُسَمَّى نَهْرُ مَعْقِلَ بِالْبَصْرَةِ (الإصابة ٨١٣٧).

فَأَبَى مَعْقِلُ بْنُ يَسَارٍ أَنْ يُزَوِّجَهَا إِيَّاهُ، وَمَنَعَهَا بِحَقِّ الْوَلَايَةِ مِنْ ذَلِكَ، فَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ تَلَاهَا عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ مَعْقِلُ: رَغِمَ أَنْفِي لِأَمْرِ اللَّهِ.

وَأَصْلُ الْعُضْلِ مِنْ قَوْلِهِمْ: عَضَلْتُ الدَّجَاجَةَ، فَهِيَ مُعْضَلٌ، إِذَا احْتَبَسَ بَيْضُهَا وَنَشَبَ فَلَمْ يَخْرُجْ، وَيُقَالُ عَضَلْتُ النَّاقَةَ أَيْضاً، فَهِيَ مُعْضَلٌ إِذَا احْتَبَسَ مَا فِي بَطْنِهَا.

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ذَلِكَ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾:

أَيُّ بِأَمْرِ اللَّهِ الَّذِي تَلَا عَلَيْكُمْ، ﴿يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾، أَيُّ مِنْ صَدَقَ بِأَمْرِ اللَّهِ وَوَعِيدِهِ وَالْبَعَثِ وَأَطَاعَ اللَّهَ فِي هَذِهِ الْحُدُودِ.

وقال ﴿ذَلِكَ يُوعِظُ بِهِ﴾ - وهو يخاطب جميعاً، وقد شرحنا القول فيه فيما تقدم^(١). وقال بعض أهل اللغة: أَنَّهُ تُؤْهِمُ أَنْ ذَا مَعَ الْمَعَارِفِ كَلِمَةً وَاحِدَةً، وَلَا أَذْرِي - مَنْ غَيْرِ قَائِلٍ هَذَا - بِهَذَا التَّوْهِمِ. اللَّهُ خَاطِبُ الْعَرَبِ بِمَا يَعْقِلُونَهُ وَخَاطِبُهُمْ بِأَفْصَحِ اللُّغَاتِ، وَلَيْسَ فِي الْقُرْآنِ تَوْهِمٌ، تَعَالَى اللَّهُ عَنْ هَذَا، وَإِنَّمَا حَقِيقَةُ ذَلِكَ وَذَلِكَ مَخَاطَبَةُ الْجَمِيعِ، فَالْجَمِيعُ لَفْظُهُ لَفْظٌ وَاحِدٌ، فَالْمَعْنَى ذَلِكَ أَيُّهَا الْقَبِيلُ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ، وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ بَعْدَ هَذَا: ﴿ذَلِكَ لَكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَظْهَرُ﴾.

يَذُلُّ عَلَى أَنَّ «ذَلِكَ» وَ«ذَلِكَ» مَخَاطَبَةٌ لِلْجَمَاعَةِ.

وَمَعْنَى ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾:

أَيُّ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا لَكُمْ فِيهِ الصَّلَاحُ فِي الْعَاجِلِ وَالْآجِلِ، وَأَنْتُمْ غَيْرُ عَالِمِينَ إِلَّا بِمَا أَعْلَمَكُمْ.

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾

(١) ص ٢٩٣ - ٩٤.

اللفظ لفظ الخبر والمعنى الأمر كما تقول: حسبك درهم فلفظه لفظ الخبر، ومعناه اكتف بدرهم، وكذلك معنى الآية لترضع الوالدات يقال أَرْضَعَتِ الْمَرْأَةُ فَهِيَ مَرْضَعَةٌ، (قولهم) ^(١) إِمْرَأَةٌ مَرْضَعٌ بِغَيْرِ هَاءٍ، معناه ذات إرضاع، فإذا أردتم اسْمَ الْفَاعِلِ عَلَى أَرْضَعَتْ قُلْتِ مَرْضَعَةٌ لَا غَيْرَ ^(٢).

ويقال: رَضِعَ الْمَوْلُودُ يُرَضَعُ، وَرَضَعَ يَرْضَعُ، وَالْأُولَى ^(٣) أَكْثَرُ وَأَوْضَحُ، وَيُقَالُ: الرِّضَاعَةُ وَالرِّضَاعَةُ - بِالْفَتْحِ وَالْكَسْرِ - وَالْفَتْحُ أَكْثَرُ الْكَلَامِ وَأَصَحُّ، وَعَلَيْهِ الْقِرَاءَةُ «لَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرِّضَاعَةَ».

وروى أبو الحسن الأخفش أن بعض بني تميم تقول الرِّضَاعَةُ بكسر الراء، وروى الكسري أيضاً غيره، ويقال: الرِّضَاعُ والرِّضَاعُ ^(٤) ويقال: ما حملة على ذلك إلا اللُّؤْمُ والرِّضَاعَةُ بِالْفَتْحِ لَا غَيْرَ ههنا ^(٥).

ويقال: ما حملة عليه إلا اللُّؤْمُ والرِّضَاعُ مثل. الحَلْفُ والرِّضْعُ، يقالان جميعاً.

ومعنى ﴿حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ أربعة وعشرون شهراً، من يوم يولد إلى يوم يفطم، وإنما قيل: ﴿كَامِلَيْنِ﴾ لِأَنَّ الْقَائِلَ يَقُولُ: قَدْ مَضَى لَذَلِكَ عَامَانِ وَسِتَانِ فَيَجِيزُ أَنَّ السَّتِينَ قَدْ مَضَتَا، وَيَكُونُ أَنْ تَبْقَى مِنْهُمَا بَقِيَّةٌ، إِذَا كَانَ فِي الْكَلَامِ دَلِيلٌ عَلَى إِرَادَةِ الْمُتَكَلِّمِ فَإِذَا قَالَ: ﴿كَامِلَيْنِ﴾ لَمْ يَجْزْ أَنْ تَنْقُصَا شَيْئاً، وَتَقْرَأُ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ «تُتِمَّ» الرِّضَاعَةُ، وَلَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرِّضَاعَةَ وَهَذَا هُوَ الْحَقُّ فِي الرِّضَاعَةِ إِلَّا أَنْ يَتَرَاخِيَا - أَعْنِي الْوَالِدَيْنِ - فِي الْفِطَامِ بِدُونِ الْحَوْلَيْنِ وَيُشَاوِرَا فِي ذَلِكَ.

(١) ليست في ك.

(٢) بمعنى تفعل الإرضاع وأنظر ص ٣٠١ فيما سبق.

(٣) في ك وَرْضَعُ أَفْصَحُ.

(٤) ك - الرضاعة والرضاعة.

(٥) مثل يستعمل لتأصل الخسة في الشخص، ولم يسمع إلا هكذا.

ومعنى ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ﴾ .
أي على الزوج رزق المرأة المطلقة إذا أرضعت الولد وعليه الكسوة،
ومعنى بالمعروف، أي بما يعرفون أنه العدل على قدر الإمكان.

ومعنى ﴿لَا تَكْلَفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾ .
أي لا تكلف إلا قدر إمكانها.

وقوله عز وجل: ﴿لَا تَضَارُّ وَالِدَةُ بَوْلِهَا﴾ .

قرئت على ضربين ﴿لَا تَضَارُّ وَالِدَةُ﴾ برفع الراء على معنى: لا تكلف
نفس، على الخبر الذي فيه معنى الأمر، ومن قرأ: ﴿لَا تَضَارُّ وَالِدَةُ﴾ بفتح
الراء، فالموضع موضع جزم على النهي الأصل: لا تَضَارُّ، فادغمت الراء
الأولى في الثانية وفتحت الثانية لالتقاء الساكنين، وهذا الاختيار في التضعيف
إذا كان قبله فتح أو ألف، الاختيار عضُّ يا رجل، وضارُّ زيداً يا رجل، ويجوز
لَا تَضَارُّ وَالِدَةُ بالكسر، ولا أعلم أحداً قرأ بها، فلا تقرأن بها، وإنما جاز
الكسر لالتقاء الساكنين لأنه الأصل في تحريك أحد الساكنين، ومعنى ﴿لَا تَضَارُّ
وَالِدَةُ بَوْلِهَا﴾: لا تترك إرضاع ولدها غيظاً على أبيه فتضربه لأن الوالدة، أشفق على
ولدها من الأجنبية^(١).

﴿وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بَوْلِهِ﴾ .

أي لا يأخذه من أمه للإضرار بها فيضرب بولده.

﴿وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ﴾ أي عليه ترك الإضرار.

وقوله عز وجل: ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ﴾ .

أي فطاماً وتراضياً بذلك بعد أن تشاورا وعلماً أن ذلك غير مدخل على
الولد ضرراً.

(١) الفعل يصلح أن يكون مبنياً للفاعل وللمفعول - ولهذا جاء احتمال المعنيين لا تضارر هي الوالد
به - أو لا يضاررها أبوه به .

﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾:

أي فلا إثم عليهما في الفصال على ما وصفنا.

وقوله عز وجل: ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ﴾.

معناه تسترضعوا لأولادكم غير الوالدة، فلا إثم عليكم ﴿إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ﴾.

قيل فيه إذا سلمتم الأمر إلى المسترضعة وقيل إذا أسلمتم ما أعطاه بعضكم لبعض من التراضي في ذلك^(١).

وقوله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾.

هذا للمتوفى عنها زوجها، عليها أن تنتظر بعد وفاته إذا كانت غير ذات حمل أربعة أشهر وعشراً لا تتزوج فيهن ولا تستعمل الزينة.

وقال النحويون في خبر ﴿الذين﴾ غير قول^(٢):

قال أبو الحسن الأخفش المعني يتربصن بعدهم أو بعد موتهم، وقال غيره من البصريين أزواجهم يتربصن، وحذف أزواجهم لأن في الكلام دليلاً عليه، وهذا إطباق البصريين وهو صواب^(٣).

وقال الكوفيون: وهذا القول قول الفراء وهو مذهبه^(٤) أن الأسماء إذا

(١) في ك بذلك.

(٢) المشكلة النحوية في الآية هي أن ﴿الذين يتوفون﴾ اسم موصول مبتدأ ويتوفون صلته والخبر هو جملة ﴿يتربصن﴾ وليس بهارابط لأن نون النسوة لا تعود على الذين وهذا هو ما اختلفت فيه وجهة نظر الشراح وتقديراتهم.

(٣) قدر الأخفش ظرفاً محذوفاً لأن الظروف كثيراً ما تحذف ويفهم معناها، وقدر البصريون مبتدأ محذوفاً لأنه مفهوم من الكلام.

(٤) ك: قول الفراء. مذهبهم.

كانت مضافة إلى شيء، وكان الاعتماد في الخبر الثاني، أخبر عن الثاني وترك
«الإخبار عن الأول»^(١)، وأغنى الإخبار عن الثاني عن الإخبار عن الأول.

قالوا: فالمعنى وإزواج الذين يتوفون يتربصن.

وأنشد الفراء:

لَعَلِّي إِنْ مَالَتْ بِي الرِّيحُ مِيلَةً عَلَى ابْنِ أَبِي ذُبَّانَ أَنْ يَتَقَدَّمَا^(٢)

المعنى: لعل ابن أبي ذُبَّانَ أن يتقدم إليّ مالت بي الريح ميلاً عليه.
وهذا القول غير جائز. لا يجوز أن يبدأ اسم ولا يحدث عنه لأن الكلام إنما
وضع للفائدة، فما لا يفيد فليس بصحيح، وهو أيضاً من قولهم محال، لأن
الاسم إنما يرفعه اسم^(٣) إذا ابتدئ مثله أو ذكر عائد عليه، فهذا على قولهم
باطل، لأنه لم يأت اسم يرفعه ولا ذكر عائد عليه.

والذي هو الحق في هذه المسألة عندي أن ذكر «الذين» قد جرى ابتداءً
وذكر الأزواج قد جرى متصلاً بصلة الذين، فصار الضمير الذي في «يَتَرَبَّصْنَ»
يعود على الأزواج مضافات إلى الذين. كأنك قلت: يتربص أزواجهم، ومثل

(١) ط فقط - يعني إذا كان الاسم الثاني هو الأهم جعل الخبر عنه.

(٢) البيت لثابت قطنة من شعراء خراسان في العهد الأموي. كان شجاعاً خطيباً، وفقد إحدى عينيه
بسبب ضربة فكان يضع بها قطنة - فسمي بها، وقف بجانب يزيد بن المهلب حين خرج على
عبد الملك - فلما قتل يزيد رثاه وتوعد عبد الملك. وصحة البيت - دبّان - كنية سخر بها من
عبد الملك، لأنه كان شديد البخر يموت الذباب إذا دنا من فمه، وفي تاريخ الطبري ٨ -
١٦٠، ورواية الفراء في تفسيره معاني القرآن ١ - ١٥، والصاحبي ١٨٥ - أن يتندما، يريد
بقوله: «مالت بي الريح» أن هجمت عليه، أي أشفق على عبد الملك إذا لاقته في حرب أن
يأسف لفعلته. ويبدو أنه تهديد للوليد لقوله: ابن أبي دبّان.

والشاهد خلو الخبر من ضمير يعود على اسم لعل وانظر اللسان (ذوب) والحيوان ٣ - ٢٨١.

(٣) يرفع الاسم خبراً عن آخر إذا كان الاسمان شيء واحد، وهذا ظاهر في الخبر المفرد ويأتي
أيضاً في الجملة - نحو «إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً»:
فإن لم يكن الاسمان كشيء واحد وجب أن يكون في الخبر ضمير رابط يعود على المبتدأ.

هذا من الكلام قولك الذي يموت ويُخلف ابنتين تراثان الثلثين، المعنى تراث
ابنتاه الثلثين^(١).

ومعنى قوله عز وجل: ﴿وَعَشْرًا﴾ يدخل فيها الأيام.

زعم سيبويه أنك إذا قلت «لخمسٍ بَقَيْنَ» فقد علم المخاطب أن الأيام
داخلة مع الليالي، وزعم غيره أن لفظ التأنيث مغلبٌ في هذا الباب.

وحكى الفراء صُمْنَا عَشْرًا من شهر رمضان، فالصوم إنما يكون في
الأيام ولكن التأنيث مغلبٌ في الليالي - لإجماع أهل اللغة «سَرْنَا خَمْسًا بَيْنَ
يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ» أنشد سيبويه: ^(٢)

فطافت ثلاثاً بَيْنَ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ يكون النكير أن تصيحَ وتَجَارَا

قال سيبويه هذا باب المؤنث الذي استعمل للتأنيث والتذكير، والتأنيث
أصله، قال تقول: عندي ثلاثُ بطات ذكور وثلاثُ من الإبل ذكور، قال لأنك
تقول: هذه إبل، وكذلك ثلاث من الغنم ذكور، (قال)^(٣) فإن قلت عندي
ثلاثة ذكور من الإبل لم يكن إلا التذكير، لأنك إنما ذكرت ذكوراً ثم جئت
تقول من الإبل بعد أن مضى الكلام على التذكير، وليس بين النحويين
البصريين والكوفيين خلاف في الذي ذكرنا من باب تأنيث هذه الأشياء فإن
قلت عندي خمسة بين رجل وإمرأة غلبت التذكير لا غير.

وقوله عز وجل: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾

(١) الألف في تراثان بمعنى ابنتيه. ولا تنطبق الألف على الذي.

(٢) كتاب سيبويه ٢ - ١٨٠ باريس، والخزانة ٣ - ١١٧ -.

والبيت للنابغة الجعدي من قصيدته التي مدح بها النبي ﷺ يصف بقرة وحشية فقدت ولدها
وظلت تطوف الأرجاء بحثاً عنه ثلاثاً - حتى عثرت على أشلائه فكان مبلغ ما تنكر به أنها ظلت
تصيح وتجار وهي ضائعة بما حدث. ورواية البيت في هذه المراجع كلها وكان النكير.

(٣) ك فقط.

أَيَّ غَايَةِ هَذِهِ الْأَشْهُرِ وَالْعَشْرِ.

﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَا فِي أَنْفُسِنَا بِالْمَعْرُوفِ﴾.

أَيَّ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي أَنْ تَتْرَكُوهُمْ - إِذَا انْقَضَتْ هَذِهِ الْمُدَّةُ - أَنْ يَتَزَوَّجُوا، وَأَنْ يَتَزَيَّنَ زِينَةً لَا يَنْكُرُ مِثْلَهَا. وَهَذَا مَعْنَى ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾.

وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خُطْبَةِ النِّسَاءِ﴾.

الْمَعْنَى أَنَّهُ لَا جُنَاحَ عَلَى الرَّجُلِ أَنْ يُعَرِّضَ لِلْمَرْأَةِ الَّتِي هِيَ فِي عِدَّةٍ بِالتَّزْوِيجِ. وَالتَّعْرِضُ أَنْ يَقُولَ إِنِّي فَيْكَ لِرَاغِبٍ. وَإِنْ قَضَى اللَّهُ أَمْرًا كَانَ، وَمَا أَشْبَهَ هَذَا مِنَ الْقَوْلِ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَقْطَعَ أَمْرَ التَّزْوِيجِ وَالْمَرْأَةُ لَمْ تَخْرُجْ مِنْ عِدَّتِهَا، وَمَعْنَى خُطْبَةٍ كَمَعْنَى خَطْبٍ، أَمَّا خُطْبَةٌ فَهُوَ مَالُهُ أَوَّلُ وَآخِرُ نَحْوِ الرِّسَالَةِ، وَحُكِّيَ عَنْ بَعْضِ الْعَرَبِ «اللَّهُمَّ ارْفَعْ عَنَّا هَذِهِ الضُّغْطَةَ» فَالضُّغْطَةُ ضَغْطٌ لَهُ أَوَّلُ وَآخِرُ مُتَّصِلٌ.

وَمَعْنَى: ﴿أَوْ أَكُنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ﴾.

يُقَالُ فِي كُلِّ شَيْءٍ تَسْتَرُهُ أَكُنْتَهُ وَكُنْتَهُ، وَأَكُنْتُهُ فِيمَا يَسْتُرُهُ أَكْثَرُ، وَمَا صُنَّتَهُ تَقُولُ فِيهِ كُنْتَهُ فَهُوَ مَكْنُونٌ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿كَانَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ مَكْنُونٌ﴾^(١) أَيَّ مَصُونٌ، وَكُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا قَرِيبَةٌ مِنَ الْآخَرِ.

وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَكِنْ لَا تُؤَاعِدُوهُمْ سِرًّا﴾.

قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: السِّرُّ الْإِفْصَاحُ بِالنِّكَاحِ وَأَنْشَدَ:

وَيَحْرُمُ سِرُّ جَارَتِهِمْ عَلَيْهِمْ وَيَأْكُلُ جَارُهُمْ أَنْفَ الْقَصَاعِ^(٢)

(١) الصافات ٣٧/ ٤٨.

(٢) للحطيئة ديوانه ٣٢٨ - اللسان (أنف) أمالي المرتضى ١ - ١٧٥. يصفهم بالعفة والكرم فهم يعفون عن سر الجارة - ويؤثرون ضيفهم بخير الطعام.

وقال غيره: كَانَ السَّرَّ كنايةً عن الجماع - كما أن الغائطَ كناية عن الموضع وهذا القول عندي صحيح .

وقوله عز وجل: ﴿وَلَا تَعْرَمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ﴾ .
معناه: لا تَعْرَمُوا على عَقْدِ النِّكَاحِ، وحذف «على» استخفافاً كما تقول: ضرب زيد الظهر والبطن، معناه على الظهر والبطن، وقال سيويه: إن الحذف في هذه الأشياء لا يقاس .

وقوله عز وجل: ﴿حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ﴾ .
معناه حتى يبلغ فرض الكتاب أجله، ويجوز أن يكون الكتاب نفسه في معنى الفرض، فيكون المعنى حتى يبلغ الفرض أجله - كما قال: عز وجل: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾^(٣) أي فرض عليكم، وإِنَّمَا جَازَ أَنْ يَقَعَ كُتِبَ في معنى فَرَضَ، لأن ما يكتب يقع في النفوس أنه ثَبَتَ، ومعنى هذا الفرض الذي يبلغ أجله أيام عدة المطلقة والمتوفي عنها زوجها .

وقوله عز وجل: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ﴾ .
ويُقرأ: تَمَاسُوهُنَّ .
«أو تَفَرَّضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً» .

فقد أعلم الله في هذه الآية أن عقد التزويج بغير مهر جائز، وأنه لا إثم على من طلق من تزوج بها من غير مهر كما أنه لا إثم على من طلق من تزوج بمهر، وأمر بأن تمتع المتزوج بها بغير مهر إذا طلقت ولم يدخل بها فقال الله عز وجل:

﴿وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ﴾ .

و ﴿قَدَرُهُ﴾، يُقرآن جميعاً، فقالوا إن التَّمَتُّعَ يكونُ بأشياء بأن تَخْدَمَ المرأةُ

(١) سورة البقرة ٢/١٨٣ .

وَبِأَن تُكْسَى ، وَبِأَن تُعْطَى مَا تُنْفِقُهُ ، أَيُّ ذَلِكَ فَعَلَ يُمْتَعُ ، فذلك جائز له على قدر إمكانه .

وقوله عز وجل : ﴿مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ﴾ .
أي بما تعرفون أنه القصد وقدّر الإمكان ، ويجوز أن يكون نصب ﴿مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ﴾ على قوله : ومتعوهن متاعاً ، يجوز أن يكون منصوباً على الخروج من قوله : على الموسع قدره متاعاً أي مُمْتَعاً متاعاً^(١) .

وقوله عز وجل : ﴿حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ .
منصوب على حق ذلك عليهم حقاً ، كما يقال حققت عليه القضاء وأحققته ، أي أوجبته .

وقوله عز وجل : ﴿فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾
أي فعليكم نصف ما فرضتم ، ويجوز النصب - ﴿فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾ ،
المعنى فَأَدُّوا نِصْفَ مَا فَرَضْتُمْ ، ولا أعلم أحداً قرأ بها فإن لم تثبت بها رواية فلا تقرأ بها .

وقوله عز وجل : ﴿إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ﴾ .
المعنى إِلَّا أَنْ يَعْفُوَ النِّسَاءُ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ ، وهو الزوج أو الولي إذا كان أباً . ومعنى عَفُوَ الْمَرْأَةِ - أَنْ تَعْفُوَ عَنْ النِّصْفِ الْوَاجِبِ لَهَا مِنَ الْمَهْرِ فَتَرْكُهُ لِلزَّوْجِ ، أَوْ يَعْفُوَ الزَّوْجُ عَنِ النِّصْفِ فَيُعْطِيهَا الْكُلَّ ، وموضع ﴿أَنْ يَعْفُونَ﴾ نصب بأن ، إِلَّا أَنْ جَمَاعَةُ الْمُؤَنَّثِ فِي الْفِعْلِ الْمُضَارِعِ تَسْتَوِي فِي الرِّفْعِ وَالنِّصْبِ ، والجزم ، وقد بينا ذلك فيما سلف من الكتاب .

وقوله عز وجل : ﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ، وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ .
ظاهر هذا الخطاب للرجال خاصة دون النساء ، وهو محتمل أن يكون

(١) هو مفعول مطلق حتى على التقدير الثاني .

للفريقين لأن الخطاب إذا وقع على مذكرين ومؤنثين غلب التذكير لأن الأول أمكن .

والأجود في قوله: ﴿وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ الضَّم (ويجوزُ وَلَا تَنْسُوا الفضل بينكم)^(١) - وقد شَرَحْنَا العلة فيه .

وقوله عز وجل: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾ .

قالوا: ﴿الصلاة الوسطى﴾ العصر - وهو أكثر الرواية، وقيل إنها الغداة وقيل إنها الظهر . والله قد أمر بالمحافظة على جميع الصَّلَوَاتِ إِلَّا أَنْ هَذِهِ الْوَاوُ إِذَا جَاءَتْ مَخْصُصَةً فِيهَا دَالَةٌ عَلَى الْفَضْلِ لِلَّذِي تُخَصِّصُهُ^(٢) كما قال: عز وجل: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾^(٣) فذكر مخصوصين لفضلهما على الملائكة، وقال يونس النحوي في قوله عز وجل: ﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾^(٤) إنما خص النخل والرمّان وقد ذكرت الفاكهة لفضلها على سائرهما .

وقوله عز وجل: ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ .

القَانِتُ الْمُطِيعُ والقَانِتُ الذَّاكِرُ اللَّهَ، كما قال عز وجل: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا﴾^(٥) وقيل القانت العابد - وقالوا في قوله عز وجل: ﴿وكانت من القانتين﴾ أي العابدين .

والمشهور في اللغة والاستعمال أن القنوت: الدعاء في القيام، وحقيقة القانت أنه القائم بأمر الله، فالداعي إذا كان قائماً خص بأن يقال له قانت،

(١) ليست في ك .

(٢) في ك الذي خصص .

(٣) سورة البقرة ٥ - ٢ - ٩٨ .

(٤) الرحمن ٥٥ - ٨٦ .

(٥) الزمر ٣٩ - ٩ .

لأنه ذاكر الله عز وجل وهو قائم على رجليه . فحقيقة القنوت العبادة والدعاء لله في حال القيام . ويجوز أن يقع في سائر الطاعة ، لأنه إن لم يكن قياماً بالرجلين فهو قيام بالشيء بالنية .

ومعنى : ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ﴾ .

أي فصلوا ركباناً أو رجالاً ، ورجال جمع راجل ورجال ، مثل صاحب وصحاب ، أي إن لم يمكنكم أن تقوموا قانتين أي عابدين مؤفّين الصلاة حقها لخوف ينالكم ، فصلوا رجالاً أو ركباناً .

وقوله عز وجل : ﴿ فَإِذَا أُمِنْتُمْ فَأذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾ .

أي فإذا أمنتُمْ فقوموا قانتين مؤدّين للفرض .

وقوله عز وجل : ﴿ وَصِيَّةٌ لِأَزْوَاجِهِمْ ﴾

ووصية لأزواجهم يُقرءان جميعاً ، فمن نصب أراد فليوصوا وصية لأزواجهم ، ومن رفع فالمعنى فعليهم وصية لأزواجهم .

﴿ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرِ إِخْرَاجٍ ﴾

أي متعوهنّ متاعاً إلى الحول ، ولا تخرجوهن ، وهذا منسوخ بإجماع ، نسخه ما قبله وقد بيّناه^(١) . وقيل إنه نسخته آية المواريث وكلاهما - أعني ما أمر الله به من تربص أربعة أشهر وعشراً ، وما جعل لهن من المواريث قد نسخته^(٢) .

وقوله عز وجل : ﴿ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ .

(١) ذكر ذلك إجمالاً عند الآية فإذا بلغن أجلهن فلا جناح عليكم . الخ . ص ٧ .

(٢) آية المواريث نسخت الوصية بتمتع السنة . أي نسخته الله وأزاله .

آياته علاماته ودلالاته على ما فرض عليكم، أي مثل هذا البيان يبين لكم ما هو فرض عليكم، وما فرض عليكم.

ومعنى ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ معنى يحتاج إلى تفسير يبالغ فيه، لأن أهل اللغة والتفسير أخبروا في هذا بما هو ظاهر، وحقيقة هذا أن العاقل ههنا [هو] الذي يعمل بما افترض عليه، لأنه إن فهم الفرض ولم يعمل به فهو جاهل ليس بعاقل، وحقيقة العقل هو استعمال الأشياء المستقيمة متى علمت، ألا ترى إلى قوله عز وجل: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾^(١)، لو كان هؤلاء جهالاً غير مميزين أَلَبَّتْ لَسَقَطَ عَنْهُمْ التَّكْلِيفُ، لأن الله لا يكلف من لا يميز، ويقال جهال وإن كانوا مميزين لأنهم آثروا هواهم على ما علموا أنه الحق.

وقوله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾.

معنى ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ ألم تعلم، أي ألم ينته علمك إلى خبر هؤلاء وهذه الألف ألف التوقيف^(٢)، و﴿تَرَ﴾ متروكة الهمزة، وأصله ألم تراء إلى الذين، والعرب مجمعة على ترك الهمزة في هذا. ونصب ﴿حذر الموت﴾ على أنه مفعول له والمعنى خرجوا لحذر الموت، فلما سقطت اللام نصب على أنه مفعول له وجاز أن يكون نصبه على المصدر، لأن خروجهم يدل على حذر الموت حذراً.

وقيل في تفسير الآية: إنهم كانوا ثمانية أُلُوف^(٣)، أمروا في أيام بني

(١) النساء ٤٢ - ١٧.

(٢) هي ألف التوقيف: أي قد انتهى علمك وتسمى توقيفا لأنها وقفت السامع على الأمر.

(٣) في جميع النسخ ألف وهو خطأ.

إسرائيل أَنْ يَجَاهِدُوا الْعَدُوَّ، فَاعْتَلَوْا بِأَنَّ الْمَوْضِعَ الَّذِي نَدَبُوا إِلَيْهِ ذُو طَاعُونَ،
﴿فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا﴾.

معناه فأماتهم الله، ويقال إنهم أُمِيتُوا ثمانية أَيَّامٍ ثُمَّ أُحْيُوا، وفي ذكر
هذه الآية للنبي ﷺ احتجاج على مشركي العرب وعلى أهل الكتاب من اليهود
والنصارى، لأنه أنبأ أهل الكتاب بما لا يدفعون صِحَّتَهُ، وهو لم يقرأ كتاباً
ﷺ.

فالذين تلا عليهم يعلمون أنه لم يقرأ كتاباً^(١) وأنه أُمي، فلا يَعْلَمُ هذه
الأقاصيص إلا بوحى، إِذْ كَانَتْ لَمْ تُعْلَمَ مِنْ كِتَابٍ فَعَلِمَ مُشْرِكُو الْعَرَبِ أَنَّ كُلَّ
مَنْ قَرَأَ الْكُتُبَ يَصْدُقُهُ ﷺ فِي أَخْبَارِهِ أَنَّهَا كَانَتْ فِي كُتُبِهِمْ، وَيَعْلَمُ الْعَرَبُ
الَّذِينَ نَشَأَ مَعَهُمْ مِثْلَ ذَلِكَ وَأَنَّهُ مَا غَابَ غَيْبَةً يُعْلَمُ فِي مِثْلِهَا أَقَاصِيسَ الْأُمَمِ
وَأَخْبَارَهَا عَلَى حَقِيقَةِ وَصْحَةٍ، وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ أَيْضاً مَعْنَى الْحَثِّ عَلَى الْجِهَادِ،
وَأَنَّ الْمَوْتَ لَا يُدْفَعُ بِالْهَرَبِ مِنْهُ.

وقوله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾.

أي تفضل على هؤلاء بأن أحياهم بعد موتهم فأراهم البصيرة التي لا
غاية بعدها. وقوله عز وجل: يَعْقِبُ هَذِهِ الْآيَةَ:
﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾:

أي لا تهربوا من الموت كما هرب هؤلاء الذين سمعتم خبرهم، فلا
ينفعكم الهرب.

ومعنى قوله عز وجل مع ذكر القتال: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

(١) في ك أمي لم يقرأ كتاباً. والمراد الذين تلا عنهم السجدة هذا القصص من أهل الكتاب يعلمون
أنه لم يقرأ.

أَيَّ إِن قَلْتُمْ كَمَا قَالَ الَّذِينَ تَقْدُمُ ذَكَرَهُمْ بَعْلَةُ الْهَرَبِ مِنَ الْمَوْتِ^(١) سَمِعَ
قَوْلَكُمْ وَعَلِمَ مَا تَرِيدُونَ .

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يقرضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ .

معنى القرض في اللغة البلاء السَّيِّئُ ، والبلاء الحَسَنُ ، والعرب تقول :
لَكَ عِنْدِي قَرْضٌ حَسَنٌ وقَرْضٌ سَيِّئٌ ، وَأَصْلُهُ مَا يُعْطِيهِ الرَّجُلُ أَوْ يَعْمَلُهُ لِيَجْزِيَ
عَلَيْهِ ، وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : لَا يَسْتَقْرِضُ مِنْ عَوَزٍ وَلَكِنَّهُ يَبْلُو الْأَخْبَارَ ، فَالْقَرْضُ كَمَا
وَصَفْنَا ، قَالَ أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ :^(٢) .

لَا تَخْلِطَنَّ خَبِيثَاتٍ بِطَيِّبَةٍ وَأَخْلَعْ ثِيَابَكَ مِنْهَا وَانْجُ عُرْيَانَا
كُلُّ أَمْرٍ سَوْفَ يُجْزَى قَرْضُهُ حَسَنًا أَوْ سَيِّئًا ، أَوْ مَدِينَا كَالَّذِي دَانَا
وقال الشاعر :

وَإِذَا جُوزِيَ قَرْضًا فَاجْزِهِ إِنَّمَا يَجْزِي الْفَتَى لَيْسَ الْجَمَلُ^(٣)
فمعنى القرض ما ذكرناه .

فَاعْلَمْ اللَّهُ أَنَّ مَا يَعْمَلُ وَيَنْفَقُ يَرَادُ بِهِ الْجَزَاءُ فَاللَّهُ يَضَاعِفُهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً .

وَالْقِرَاءَةُ فَيَضَاعِفُهُ ، وَ (قَرَأُوا)^(٤) : فَيَضَاعِفُهُ ، بِالنَّصْبِ وَالرَّفْعِ فَمَنْ رَفَعَ
عَطَفَ عَلَى يَقْرَضُ ، وَمَنْ [عَطَفَ] نَصَبَ عَلَى جَوَابِ الاسْتِفْهَامِ وَقَدْ بَيَّنَّا

(١) إِن تَعَلَّمْتُمْ لَتَرْكِ الْحَرْبِ بِالْخَوْفِ مِنَ الْمَوْتِ كَمَا فَعَلَ هَؤُلَاءِ .

(٢) يَتَصَلُّ نِسْبَةً بِثَقِيفٍ ، وَكَانَ قَدْ اتَّصَلَ بِبَعْضِ الْكُتَّابِيِّينَ فَشَدَّ كَثِيرًا مِنْ قِصَصِ التَّوْرَةِ صَاغَهَا فِي
شِعْرِهِ ، وَوَصَفَ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ وَتَحَدَّثَ عَنِ الْمَلَائِكَةِ وَكَانَ يَتَرَقَّبُ أَنْ يَكُونَ النَّبِيُّ الَّذِي يَبْعَثُ مِنْ
الْعَرَبِ - فَلَمَّا ظَهَرَ النَّبِيُّ قَالَ أُمَيَّةُ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ أَكُونَ ، قَالَ فِيهِ النَّبِيُّ آمَنَ شِعْرُهُ وَكَفَرَ قَلْبُهُ ،
وَالشَّعْرُ فِي دِيْوَانِهِ ٦٣ ، وَاللِّسَانُ (قَرْضُ) وَرَوَاتِهِ هُنَاكَ : أَوْ مَدِينًا مِثْلَ مَا دَانَا .

(٣) كِتَابُ سَيَبَوِيهِ ١ - ٣٧٠ - وَإِذَا «أَقْرَضْتَ» ، وَهُوَ كَمَا ذَكَرْنَا فِي الْعَيْنِيِّ ٤ - ١٧٦ ، وَالْخَزَانَةُ ٤ -
٦٩ - وَهُوَ مِنْ شِعْرِ لَبِيدٍ .

(٤) لَيْسَتْ فِي كِ وَالعَبَارَةُ هُنَاكَ وَالْقِرَاءَةُ فَيَضَاعِفُهُ وَفَيَضَاعِفُهُ بِالنَّصْبِ .

الجَوَابَ بالفاء - ولو كان قرضاً ههنا مصدرأً لكان إقراضاً، ولكن قرضاً ههنا اسم لكل ما يلتمس عليه الجزاء^(١).

فأما قرضته أقرضه قرضاً: فجاوزته، وأصل القرض في اللغة القطع، والقِرَاضُ من هذا أخذ، فإنما أقرضته قطعت له قطعة يجازى عليها. وقوله عز وجل: ﴿وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ﴾.

قيل في هذا غير قول: قال بعضهم: معناه يُقْتَرُّ وَيُوسَّعُ، وقال بعضهم يَسْلُبُ قَوْماً مَا أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ وَيُوسَّعُ عَلَى آخَرِينَ (وقيل معنى يقبض)^(٢) أي يقبض الصدقات ويخلفها، وإخلافها جائز أن يكون ما يعطي من الثواب في الآخرة، وجائز أن يكون مع الثواب أن يخلفها في الدنيا.

وقوله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾. المَلَأُ أشرافُ القوم ووجوههم، ويروى أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَمِعَ رجلاً من الأنصار وقد رجعوا من بدر يقول: ما قتلنا إلا عَجَائِزَ صُلْعاً، فقال ﷺ: أولئك المَلَأُ من قريش، لو حضرت فعالهم لاحتقرت فعلك، والمَلَأُ في اللغة الخُلُقُ، يقال أَحْسِنُوا مَلَأَكُمْ، أي أَخْلَاقَكُمْ قال الشاعر:^(٣)
تَنَادَوْا يَالِ بُهْشَةَ إِذْ رَأَوْنَا فَقُلْنَا أَحْسِنِي مَلَأَ جُهَيْنَا
أي خُلُقًا، ويقال: أَحْسِنِي مَمَالَةً أي مُعَاوَنَةً، ويقال رجل مَلِيءٌ - مهموز - أي بَيْنٌ^(٤) المَلَأَ يا هذا - وأصل هذا كله في اللغة من شيء واحد، فالمَلَأُ الرؤساء إنما سُمُّوا بذلك لأنهم مُلءٌ بما يحتاج إليه منهم. والمَلَأُ الذي

(١) إسم للشيء الذي يقرض - فهو مفعول به وليس مفعولاً مطلقاً.

(٢) العبارة بين القوسين في ك فقط.

(٣) البيت في اللسان «بهث وملاء» وهو لعبد الشارق الجهني - وَبُهِثَ حَيٌّ مِنْ سُلَيْمٍ.

(٤) ظاهر اليسار.

فِي الْخُلُقِ، إِنَّمَا هُوَ الْخُلُقُ الْمَلِيءُ بِمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ، وَالْمَلَأَ: الْمُتَّسَعُ مِنْ الْأَرْضِ غَيْرَ مَهْمُوزٍ، يَكْتُبُ بِالْأَلِفِ - وَالْيَاءِ فِي قَوْلِ قَوْمٍ - وَأَمَّا الْبَصَرِيُّونَ فَيَكْتُبُونَ بِالْأَلِفِ، قَالَ الشَّاعِرُ فِي الْمَلَأِ الْمَقْصُورِ الَّذِي يَدُلُّ عَلَى الْمُتَّسَعِ مِنَ الْأَرْضِ:

أَلَا غَنِيَانِي وَارْفَعَا الصَّوْتَ بِالْمَلَأِ فَإِنَّ الْمَلَأَ عِنْدِي يَزِيدُ الْمَدَى بُعْدًا^(١)

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾.

الْجَزْمُ فِي ﴿نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ الْوَجْهُ عَلَى الْجَوَابِ لِلْمَسْأَلَةِ الَّتِي فِي لَفْظِ الْأَمْرِ، أَيْ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلَ، أَيْ إِنْ تَبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَمَنْ قَرَأَ «مَلِكًا يُقَاتِلُ» بِالْيَاءِ، فَهُوَ عَلَى صِفَةِ الْمَلِكِ وَلَكِنْ نَقَاتِلَ هُوَ الْوَجْهُ الَّذِي عَلَيْهِ الْقِرَاءَةُ، وَالرَّفْعُ فِيهِ بَعِيدٌ، يَجُوزُ عَلَى مَعْنَى فَإِنَّا نَقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَكَثِيرٌ مِنَ النَّحْوِيِّينَ، لَا يُجِيزُ الرَّفْعَ فِي نَقَاتِلَ^(٢).

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا﴾.

أَي لَعَلَّكُمْ أَنْ تَجُنُّبُوا عَنِ الْقِتَالِ، وَقَرَأَ بَعْضُهُمْ: هَلْ عَسَيْتُمْ بِكُسْرِ السِّينِ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ، وَهِيَ قِرَاءَةٌ نَافِعَةٌ، وَأَهْلُ اللُّغَةِ كُلُّهُمْ يَقُولُونَ عَسَيْتُمْ أَنْ أَفْعَلَ وَيَخْتَارُونَهُ، وَمَوْضِعُ ﴿أَلَّا تُقَاتِلُوا﴾ نَضَبٌ أَعْنِي مَوْضِعُ «أَنْ» لِأَنَّ «أَنْ» وَمَا عَمِلَتْ فِيهِ كَالْمَصْدَرِ، إِذَا قُلْتَ عَسَيْتُمْ أَنْ أَفْعَلَ ذَاكَ فَكَأَنَّكَ قُلْتَ عَسَيْتُمْ فَعَلَ ذَلِكَ^(٣).

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قَالُوا وَمَالَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾.

(١) لِلْجَهْنِيِّ اللِّسَانُ (مَلَأَ).

(٢) لِأَنَّ الْفِعْلَ جَوَابَ لِلْأَمْرِ - وَلَا يَصْلَحُ لِلْحَالَةِ - فَهَمْ لَا يَرِيدُونَ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا حَالِ قِتَالِنَا، وَإِنَّمَا يَرِيدُونَ أَنْ تَبْعَثَهُ نَقَاتِلَ.

(٣) فَهُوَ خَيْرٌ عَسَى.

زعم - أبو الحسن الأخفش أنَّ «أنَّ» ههنا زائدة - قال: المعنى وما لنا لا نقاتل في سبيل الله، وقال غيره، وَمَا لَنَا فِي الْأَنْصَاتِلِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَأَسْقَطَ «فِي» وَقَالَ بَعْضُ النُّحَوِيِّينَ إِنَّمَا دَخَلَتْ «أَنَّ» لِأَنَّ «مَا» مَعْنَاهُ مَا يَمْنَعُنَا فَلِذَلِكَ دَخَلَتْ «أَنَّ» لِأَنَّ الْكَلَامَ مَا لَكَ تَفْعَلُ كَذَا وَكَذَا.

والقول الصحيح عندي أنَّ «أنَّ» لا تلغى ههنا، وأنَّ المعنى وأي شيء لنا في أنَّ لا نقاتل في سبيل الله، أي أي شيء لنا في ترك القتال.

﴿وَقَدْ أَخْرَجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا﴾.

ومعنى ﴿وَأَبْنَائِنَا﴾، أي «سُيِّتَ ذُرَارِينَا».

ولكنَّ «فِي» سقطت مع «أَنَّ» لِأَنَّ الْفِعْلَ مُسْتَعْمَلٌ مَعَ أَنَّ دَالًا عَلَى وَقْتٍ مَعْلُومٍ، فيجوز مع «أَنَّ» حذف حرف الجر كما تقول: هربت أن أقول (لك)^(١) كذا وكذا، تريد هربت أن أقول لك كذا وكذا.

وقوله عز وجل: ﴿تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾.

﴿قَلِيلًا﴾ منصوب على الاستثناء، فأما من روى «تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ» فلا أعرف هذه القراءة، ولا لها عندي وجه، لِأَنَّ الْمَصْحَفَ عَلَى النَّصَبِ وَالنَّحْوِ يَوْجِبُهَا، لِأَنَّ الْإِسْتِثْنَاءَ - إِذَا كَانَ أَوَّلَ الْكَلَامِ إِيْجَابًا - نَحْوُ قَوْلِكَ جَاءَنِي الْقَوْمُ إِلَّا زَيْدًا - فَلَيْسَ فِي زَيْدِ الْمُسْتَثْنَى إِلَّا النَّصَبُ^(٢) - وَالْمَعْنَى تَوَلَّوْا أَسْتَثْنِي قَلِيلًا مِنْهُمْ - وَإِنَّمَا ذَكَرْتُ هَذِهِ لِأَنَّ بَعْضَهُمْ رَوَى «فَشَرَبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ» وَهَذَا عِنْدِي مَا لَا وَجْهَ لَهُ.

وقوله عز وجل: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾.

(١) ك فقط.

(٢) أي أن المستثنى منه تام موجب فلا بد من نصب المستثنى وعبرة المؤلف غير جيدة لخلو الخبر من الرابط.

أي قد أجابكم إلى ما سألتكم . من بعث ملك يقاتل ، وتقاتلون معه
 رطالوت وجالوت ودأود . لا تنصرف لأنها أسماء أعجمية ، وهي معارف فاجتمع
 فيها شيثان - التعريف والعجمة ، وأما جاموس فلو سميت به رجلاً لأنصرف ،
 وإن كان عجمياً لأنه قد تمكن في العربية لأنك تدخل عليه الألف واللام ، فتقول
 الجاموس والراقود^(١) .

فعلى هذا (قياس جميع)^(٢) الباب .
 وقوله عز وجل : ﴿أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا﴾ .
 أي من أي جهة يكون ذلك .

﴿ولم يؤت سعة من المال﴾ أي لم يؤت ما تتملك به الملوك .
 فأعلمهم الله أنه ﴿اصطفاه﴾ ومعناه اختاره ، وهو «افتعل» من الصفوة ،
 والأصل استفاه فالتاء إذا وقعت بعد الصاد أبدلت طاء لأن التاء من مخرج
 الطاء ، والطاء مطبقة ، كما أن الصاد مطبقة ، فأبدلوا الطاء من التاء ، ليسهل
 النطق بما بعد الصاد ، وكذلك افتعل من الضرب : اضطرب ، ومن الظلم
 اظطلم ، ويجوز في اظطلم وجهان آخران ، يجوز اظلم بطاء مشددة غير
 معجمة واطلم بطاء مشددة قال زهير :

هو الجواد الذي يعطيك نائلة عفواً ويظلم أحياناً فيظطلم^(٣)
 و «فيظلم» و «فيظلم» .

أعلمهم الله أنه اختاره ، وأنه قد زيد في العلم والجسم بسطة ، وأعلمهم
 أن العلم [هو] الذي به يجب أن يقع الاختيار^(٤) ، ليس أن الله جل وعز : لا

(١) الراقود : دَن كبير يدهن أسفله بالقار ، وسمكة صغيرة . (٢) في ك فقط .

(٣) الديوان ١٥٢ ، اللسان (ظلم) والمقاصد ٥٨٢/٤ . وهو من الشواهد الشائعة . يريد أنه يغضي

عن الانتقام مع سخائه وجوده .

(٤) ك الذي يجب أن يقع به

يُمْلِكُ إِلَّا ذَا مَالٍ، وَأَعْلَمُ أَنَّ الزِّيَادَةَ فِي الْجِسْمِ مِمَّا يَهَيِّبُ بِهِ الْعَدُو، وَأَعْلَمُهُمْ أَنَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ، وَهُوَ جَلٌّ وَعَزٌّ لَا يَشَاءُ إِلَّا مَا هُوَ الْحِكْمَةُ وَالْعَدْلُ.

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

أي يوسع على من يشاء ويعلم أين ينبغي أن تكون السعة.

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ﴾.

أي علامة تملكك الله إياه ﴿أَنْ يَأْتِيَكُمْ التَّابُوتُ﴾.

وموضع ﴿أَنْ﴾ رَفَعَ المعنى: إِنَّ آيَةَ ملكه إتيان التابوت إليكم.

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ مِّنْ رَبِّكُمْ﴾.

أي فيه ما تسكنون به إذا آتاكم، وقيل في التفسير إن السكينة لها رأس كراس الهِر من زبرجد أو ياقوت، ولها جناحان^(١).

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ﴾.

قيل في تفسيره: البقية رضا^(٢) الألواح وأن التوراة فيه وكتاب آخر مع التوراة وعصا موسى. فهذا ما رُوِيَ بِمَّا فِيهِ، والظاهر، أن «فيه بقية» جائز أن يكون بقية من شيء من علامات الأنبياء، وجائز أن يكون البقية من العلم، وجائز أن يتضمنها جميعاً.

والفائدة - كانت - في هذا التابوت أن الأنبياء - صلوات الله عليهم - كانت تستفتح^(٣) به في الحروب، فكان التابوت يكون بين أيديهم فإذا سُمِعَ من جوفه أنين دف التابوت^(٤) أي سار والجميع خلفه - والله أعلم بحقيقة ذلك.

(١) كانوا يحملون هذا الصندوق - التابوت - معهم في الحرب تيمناً به - فلما أخذ منهم قيل لهم أن مما يثبت ملك طالوت أن تستردوا الصندوق، فتسكن به نفوسكم وتطمئن.

(٢) في ك رضا كسر الألواح، أي حطامها.

(٣) تطلب الفتح - تتفأل باصطحابه.

(٤) اهتز واضطرب، وفي ك. سار وسار الجميع.

وروي^(١) في التفسير أنه كان من خشب الشمشار^(٢) وكان قد غلب جالوت وأصحابه عليه فنزلهم بسببه داء، قيل هو الناسور الذي يكون في العنب فعلموا أن الآفة بسببه نزلت، فوضعوه على ثورين فيما يقال، وقيل معنى تحمله الملائكة: إنها كانت تسوق الثورين وجائز أن يقال في اللغة تحمله الملائكة، وإنما كانت تسوق ما يحمله، كما تقول حَمَلَتْ متاعي إلى مكة، أي كنت سبباً لحمله إلى مكة.

ومعنى ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ﴾ .
أي في رجوع التابوت إليكم علامة أن الله ملك طالوت عليكم إذ أنبأكم في قصته بغيث.

﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ أي إن كنتم مصدقين .
وقوله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ﴾ .
معناه مختبركم وممتحنكم بنهر، وهذا لا يجوز أن يقوله إلا نبي، لأن الله عز وجل قال: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ﴾^(٣) ومعنى الاختبار بهذا النهر كان ليعلم طالوت من له نية القتال معه ومن ليست له نية. فقال: ﴿فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي﴾ .

أي ليس من أصحابي ولا ممن تبغي، ومن لم يطعمه .
﴿وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ أي لم يتطعم به^(٤) .
﴿إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ﴾، غُرْفَةً وَغُرْفَةً قرئ بهما جميعاً فمن قال غُرْفَةً

(١) ك ويروى .

(٢) شجر ينبت بالبادية وقيل هو خشب الساج .

(٣) الجن ٧٢ - ٧٦ .

(٤) من الطعام أو من الطعم . لم يذق طعمه . أو يتخذ طعاماً .

كان معناه غرفة واحدة باليد . ومن قال غرفة كان معناه مقدار ملء اليد .

ومعنى ﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾

شربوا منه ليرجعوا عن الحرب ، لأنه قد أعلمهم ذلك .

وذكر في التفسير أن القليل الذين لم يشربوا كان عدتهم ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً كعدد أهل بدر .

وقوله عز وجل : ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُ﴾ .

أي جاوز النهر هو والذين معه . قيل لما رأوا قلتهم ، قال بعضهم لبعض : ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ .

أي لا قوة ، يقال أطق الشيء إطاقه وطوقاً ، مثل أطعت طاعة وإطاعة وطوعاً .

وقوله عز وجل : ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ﴾ .

قيل فيه قولان : قال بعضهم وهو مذهب أهل اللغة - قال الذين يوقنون أنهم ملأقو الله^(١) قالوا ولو كانوا شاكين لكانوا ضللاً كافرين وظننت في اللغة بمعنى أيقنت موجود .

قال الشاعر - وهو دريد :

فقلت لهم ظنوا بالفيء مُدَجَّجٍ سراتهم في الفارسي المسرد^(٢)
أي أيقنوا .

وقال أهل التفسير : معنى ﴿يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ﴾ أي أنهم كانوا يتوهمون أنهم في هذه الموقعة يقتلون في سبيل الله لِقْلَةً عَدِيدِهِمْ ، وعظم عددِ عدوهم ، وهم أصحاب جالوت .

(١) ط «الذين يظنون» وهو سهو من الناسخ .

(٢) تقدم شرح البيت .

وقوله عز وجل: ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ .
أي كم من فرقة، وإنما قيل للفرقة فئة - من قولهم فأوت رأسه بالعصا،
وفأيت إذا شققته، فالفئة الفرقة من هذا.

وقوله عز وجل: ﴿وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ .
(أي أن الله ينصر الصابرين)^(١)، إذا صبروا على طاعته، وما يُزْلَفُ
عنده .

وقوله عز وجل: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ .
أي أصبب علينا الصبر صبا، كما تقول: أفرغت الإناء إذا صببت ما فيه .
وقوله عز وجل: ﴿فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ .
معناه كسروهم وردوهم، وأصل الهزم في اللغة كسر الشيء، وثني بعضه
على بعض، يقال سقاء مهزوم، إذا كان بعضه قد ثنى على بعض مع جفاف،
وقصب مُتهزَم، ومهزوم، قد كسر وشقق، والعرب تقول هزمتُ على زيدٍ أي
عطفْتُ عليه، قال الشاعر:

هزمت عليك اليوم يا بنت مَالِكٍ فجُودِي علينا بالنُّوالِ وأنعِمي^(٢)
ويقال: سمعت هَزَمَةَ الرَّعْدِ! قال الأصمعي كأنه صوتٌ فيه تشقُّقٌ :

وقوله عز وجل: ﴿وَأَتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ﴾ .
أي أتى داود عليه السلام الملك لأنه مَلَكٌ بعد قتله جالوت وأوتي العلم .
ومعنى ﴿وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾ .
قيل مِمَّا عَلَّمَهُ عَمَلُ الدُّرُوعِ ، وَمِنْطِقُ الطَّيْرِ .

(١) ليست في ك . وعبارتها إذا صبروا في طاعته وما يزلف لديه .

(٢) لأبي بدر السلمي - اللسان (هزم) أي عطف .

وقوله عز وجل: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ ..

أي لولا ما أمر الله به المسلمين من حرب الكافرين لفسدت الأرض وقيل أيضاً: لولا دفع الله الكافرين بالمسلمين لكثرت الكُفْر فتزلت بالناس السخطة واستوصل أهل الأرض.

ويجوز ﴿ولولا دفع الله﴾، ولولا دفاع الله .
ونُصِبَ ﴿بعضهم﴾ بدلاً من الناس، المعنى ولولا دفع الله بعض الناس ببعض، ودفع مرفوع بالابتداء، وقد فسرنا هذا فيما مضى .

وقوله عز وجل: ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ﴾ .
أي هذه الآيات التي أنبأت بها وأنبتت، آيات الله أي علاماته التي تدل على توحيده، وتثبت رسالات أنبيائه، إذ كان يعجز عن الإتيان بمثلها المخلوقون .

وقوله عز وجل: ﴿وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ .
أي وأنت من هؤلاء الذين قصصت آياتهم، لأنك^(١) قد أُعْطِيتَ مِنَ الآياتِ مثل الذي أعطوا وزدت على ما أعطوا .

ونحن نبين ذلك في الآية التي تليها إن شاء الله .
وقوله عز وجل: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ .
﴿الرسول﴾ صفة لتلك^(٢) كقولك أولئك الرسل فضلنا بعضهم على بعض إلا أنه قيل تلك للجماعة، وخبر الابتداء ﴿فضلنا بعضهم على بعض﴾ .

ومعنى: ﴿مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ﴾: أي من كلمه الله .

(١) في ك - لأنك - تقول - أعطيت .

(٢) تابع - بدل أو عطف بيان . وسبق أن الزجاج يسمى التابع صفته .

والهاء حُذفت من الصلة لطول الاسم، وهو موسى ﷺ أَسْمَعَهُ (اللَّهُ) (١) كلامه من غير وحي أتاه به عن الله مَلَكٌ.

وقوله عز وجل: ﴿وَأَتَيْنَا عِيسَىٰ بْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ﴾. أي أعطيناه. والبيّنات الحجج التي تدلّ على إثبات نبوته ﷺ من إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى والإنباء بما غاب عنه.

وقوله عز وجل: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾. جاء في التفسير أنه يُعْنَى به محمد ﷺ أُرْسِلَ إلى الناس كافة، وليس شيء من الآيات التي أُعطيها الأنبياء إلا والذي أُعطي محمد ﷺ أكثر منه، لأنه ﷺ كَلَّمَتْهُ الشَّجَرَةُ، وَأَطْعَمَ مِنْ كَفِّ الثَّمَرِ خلقاً كثيراً، وأمر يده على شاة أم معبد فدرت وحلبت بعد جفاف، ومنها انشقاق القمر، فإن النبي ﷺ رأى الآيات في الأرض ورآها في السماء، والذي جاء في آيات النبي كثير.

فأما انشقاق القمر وصحته فقد روينا فيه أحاديث:

حدثني اسماعيل بن إسحق قال: حدثنا محمد بن المنهال، قال حدثنا يزيد ابن زريع عن سعيد عن قتادة عن أنس قال: سأل أهل مكة النبي ﷺ آيةً فأراهم انشقاق القمرِ فرقتين، وحدثني مُسَدَّدٌ يرفعه إلى أنس أيضاً مثل ذلك، ونحن نذكر جميع ما روى في هذا الباب في مكانه إن شاء الله (٢)، ولكننا ذكرنا ههنا جملة من الآيات لنبين بها فضل النبي ﷺ فيما أتى به من الآيات.

ومن أعظم الآيات القرآن الذي أتى به العرب وهم أعلم قوم بالكلام، لهم الأشعار ولهم السجع والخطابة، وكل ذلك معروف في كلامها، فقليل لهم اتوا بعشر سورٍ فعجزوا عن ذلك، وقيل لهم اتوا بسورة ولم يشترط عليهم فيها

(١) لست في ك.

(٢) ذكر ذلك في أول سورة القمر.

أَنْ تَكُونَ كَالْبَقْرَةِ وَآلِ عِمْرَانَ وَإِنَّمَا قِيلَ لَهُمْ اثْنُوا بِسُورَةٍ فَعَجَزُوا عَنْ ذَلِكَ .

فهذا معنى ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ .

وقوله عز وجل : ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلْنَا الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ .

يعني من بعد الرسل : ﴿مَنْ بَعْدَ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ﴾ .

أي من بعد ما وضحت لهم البراهين ، فلو شاء الله ما أمر بالقتال بعد وضوح الحجة ، ويجوز أن يكون «وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا إِقْتَتَلُوا» أي لو شاء الله أن يضطربهم أن يكونوا مؤمنين غير مختلفين لفعل ذلك كما قال : ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهَدْيِ﴾^(١) .

وقوله عز وجل : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾ .

أي أنفقوا في الجهاد وليُعين بَعْضُكُمْ بَعْضًا عليه .

وقوله عز وجل : ﴿مَنْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِي يَوْمَ لَا يَبِيعُ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ﴾ .

يعني يوم القيامة «والخُلَّةُ» الصداقة ، ويجوز لا يبيع فيه ولا خلة ولا شفاعَةٌ ، ولا يبيع فيه ولا خلة ولا شفاعَةٌ ، على الرفع بتنوين والنصب (بغير تنوين)^(٢) ، ويجوز لا يبيع فيه ولا خلة ولا شفاعَةٌ بنصب الأول^(٣) بغير تنوين وعطف الثاني على موضع الأول ، لأن موضعه نصب ، إلا أن التنوين حذف لعله قد ذكرناها ، ويكون دخول «لا» مع حروف العطف مؤكداً ، لأنك إذا عطفت على موضع ما بعد «لا» عطفته بتنوين ، تقول : لا رجلَ وغلاماً لك ، قال الشاعر :

(١) سورة الأنعام / ٣٥ والمحذوف في الآيتين هو مفعول المشيئة وهذا معروف في هذا الفعل .

(٢) ليست في ك .

(٣) كما هي عادته يعبر عن المبني على الفتح بالنصب - وهو يعني فتح اسم لا .

فلا أب وابناً مثل مروان وابنه إذا هو بالمجد ارتدى أو تأزراً^(١)
ومعنى: ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

أي هم الذين وضعوا الأمر غير موضعه وهذا أصل الظلم في اللغة وقوله عز وجل: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾.

يروى عن ابن عباس رحمة الله عليه أنه قال: أشرف آية في القرآن آية الكرسي.

وإعراب ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ النصب بغير تنوين في ﴿إِلَه﴾.

المعنى لا إله لكل مخلوق إلا هو، وهو محمول على موضع الإبتداء
المعنى ما إله للخلق إلا هو، وإن قلت في الكلام لا إله إلا الله جاز، أما
القرآن فلا يقرأ فيه إلا بما قد قرأت القراء به، وثبتت به الرواية الصحيحة، ولو
قيل في الكلام لا رجل عندك إلا زيداً جاز، ولا إله إلا الله جاز ولكن الأجود
ما في القرآن، وهو أجود أيضاً في الكلام، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا
قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾^(٢).

فإذا نصبت بعد إلا فإنما نصبت على الاستثناء.

وقوله عز وجل: ﴿الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾

معنى ﴿الحي﴾ الدائم البقاء، ومعنى ﴿القيوم﴾ القائم بتدبير سائر أمر خلقه،
ويجوز القيّم، ومعناهما واحد.

فهو الله عز وجل قائم بتدبير أمر الخلق في إنشائهم ورزقهم وعلمه

(١) لرجل من بني عبد مناة يمدح مروان بن الحكم وابنه عبد الملك وتأزر: لبس الأزار والرداء ما
فوقه، يعني أنهما لا يباريهما أحد في المجد.

(٢) الصافات ٣٧ - ٢٥.

بأمكنهم وهو قوله عز وجل: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾^(١).

ومعنى: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ﴾ أي لا يأخذه نعاس.
﴿وَلَا نَوْمٌ﴾.

وتأويله أنه لا يغفل عن تدبير أمر الخلق.

ومعنى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾.

أي لا يشفع عنده إلا بما أمر به من دعاء بعض المسلمين لبعض ومن تعظيم المسلمين أمر الأنبياء والدعاء لهم، وما علمنا من شفاعة النبي ﷺ وإنما كان المشركون يزعمون أن الأصنام تشفع لهم، والدليل على ذلك قولهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾^(٢) وذلك قولهم: ﴿وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾^(٣)، فأنبا الله عز وجل أن الشفاعة ليست إلا ما أعلم من شفاعة بعض المؤمنين لبعض في الدعاء وشفاعة النبي ﷺ.

ومعنى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾.

أي يعلم الغيب الذي تقدمهم والغيب الذي يأتي من بعدهم.

ومعنى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ﴾.

أي لا يعلمون الغيب لا مما تقدمهم ولا مما يكون من بعدهم.

ومعنى: ﴿إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾: إلا بما أنبا به ليكون دليلاً على تثبيت نبوتهم.

وقوله عز وجل: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾.

قليل فيه غير قول، قال ابن عباس: كرسية علمه، ويروى عن عطاء أنه

(١) سورة هود ١١ - ٦.

(٢) الزمر (٣٩) آية ٣.

(٣) يونس (١٠١) آية ١٨.

قال: ما السموات والأرض في الكرسي إلا حَلَقَةٌ في فلاة، وهذا القول بين لأن الذي نعرفه من الكرسي في اللغة الشيء الذي يعتمد عليه ويجلس عليه، فهذا يدل أن الكرسي عظيم، عليه السموات والأرضون، والكرسي في اللغة والكراسية إنما هو الشيء الذي ثبت ولزم بعضه بعضاً، والكرسي ما تَلَبَّدَ بعضه على بعض في آذان الغنم ومعادن الإبل. وقال قوم: ﴿كُرْسِيُّهُ﴾ قُدْرَتُهُ التي بها يمسك السموات والأرض، قالوا: وهذا قولك إجعل لهذا الحائط كرسيّاً، أي إجعل له ما يعمِّدُه ويُمسِكُه، وهذا قريب من قول ابن عباس رحمه الله. لأن علمه الذي وسع السموات والأرض لا يخرج من هذا، والله أعلم بحقيقة الكرسي، إلا أن جملة أنه أمر عظيم من أمره - جلّ وعزّ.

ومعنى: ﴿وَلَا يُوَدُّهُ حِفْظُهُمَا﴾.

أي لا يُثقله، فجائز أن تكون الهاء لله عزّ وجلّ، وجائز أن تكون للكرسي، وإذا كانت للكرسي فهو من أمر الله.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾.

﴿إِكْرَاهَ﴾ نصب بغير تنوين، ويجوز الرفع «لَا إِكْرَاهَ» ولا يُقرأ به إلا أن تَبَيَّنَ روايةٌ صحيحةٌ

وقالوا في ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ ثلاثة أقوال: قال بعضهم إن هذه نسخها أمر الحرب في قوله جلّ وعزّ: ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾^(١) وقيل إن هذه الآية نزلت بسبب أهل الكتاب في أن لا يكرهوا بعد أن يؤدوا الجزية، فأما مشركو العرب فلا يقبل منهم جزية وليس في أمرهم إلا القتل أو الإسلام. وقيل معنى ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ أي لا تقولوا فيه لمن دخل بعد حربٍ أنه دخل مكرهاً، لأنه إذا رضي بعد الحرب وصح إسلامه فليس بمكره.

(١) البقرة ٢ آية ١٩١.

ومعنى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ﴾.

قيل الطاغوت مَرَدَّةُ أهل الكتاب، وقيل إن الطاغوت الشيطان، وجملته أن من يكفر^(١) به، وصدق بالله وما أمر به فقد استمسك بالعروة الوثقى، أي فقد عقد لنفسه عقداً وثيقاً لا تحله حجة.

وقوله عز وجل: ﴿لَا انْفِصَامَ لَهَا﴾: لا إنقطاع لها.

يقال فصمت الشيء أَفْصَمَهُ فصماً أي قطعته.

ومعنى: ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

أي يسمع ما يعقد على نفسه الإنسان من أمر الإيمان، ويعلم نيته في ذلك^(٢).

وقوله جل وعز: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾.

يقال قد توليت فلاناً، ووليت فلاناً ولايةً، والولاية بالكسر اسم لكل ما يتولى، ومعنى ﴿وَلِيِّ﴾ على ضروب، فالله ولي المؤمنين في حجاجهم وهدايتهم، وإقامة البرهان لهم لأنه يزيدهم بإيمانهم هداية، كما قال عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾^(٣). ووليهم أيضاً في نصرهم وإظهار دينهم على دين مخالفهم، ووليهم أيضاً بتولي قولهم ومجازاتهم بحسن أعمالهم.

وقوله عز وجل: ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾..

أي يخرجهم من ظلمات الجهالة إلى نور الهدى لأن أمر الضلالة مظلم غير بين، وأمر الهدى واضح كبيان النور، وقد قال قوم ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ يحكم لهم بأنهم خارجون من الظلمات إلى النور، وهذا ليس قول أهل التفسير، ولا قول أكثر أهل اللغة. إنما قاله الأخفش وحده.

(١) في ك: من يكفر بما خالف أمر الله.

(٢) في ك فيه.

(٣) سورة القتال ٤٧ آية ١٧.

والدليل على أنه يزيدهم هدى ما ذكرناه من الآية، وقوله عز وجل: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَرَزَدَتْهُمْ إِيْمَانُهُمْ﴾^(١).

ومعنى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولِيَاءُهُمُ الطَّاغُوتُ﴾.

أي الذين يتولون أمرهم هم الطاغوت «وقد فسرنا الطاغوت» و﴿الطاغوت﴾ ههنا واحد في معنى جماعة، وهذا جائز في اللغة إذا كان في الكلام دليل على الجماعة، قال الشاعر:

بِهَا جِيفُ الْحَسْرَى فَأَمَّا عِظَامُهَا فَيَبُضُّ، وَأَمَّا جِلْدُهَا فَصَلِيبُ^(٢)
جلدها في معنى جلودها.

وقوله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾.

هذه كلمة يوقف بها المخاطب على أمر يعجب منه^(٣)، ولفظها لفظ استفهام، تقول في الكلام: ألم تر إلى فلان صنع كذا وصنع كذا. وهذا مما أعلمه النبي ﷺ^(٤) حُجَّةً على أهل الكتاب ومشركي العرب لأنه نبأ لا يجوز أن يعلمه إلا من وقف عليه بقراءة كتاب أو تعليم معلم، أو بوحى من الله عز وجل: فقد علمت العرب الذين^(٥) نشأ بينهم رسول الله ﷺ أنه أمي، وأنه لم يُعَلِّمُ التوراة والإنجيل وأخبار من مضى من الأنبياء، فلم يبق وجه تعلم منه هذه الأحاديث إلا الوحي.

وقوله عز وجل: ﴿أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾.

أي أتى الكافر الملك، وهذا هو الذي عليه أهل التفسير وعليه يصح

(١) ليست في ك والايه سورة ٩ - ١٢٤.

(٢) تقدم شرحه

(٣) كلمة ﴿ألم تر﴾.

(٤) في ط علمه.

(٥) في ط الذي.

المعنى ، وقال قوم إن الذي آتاه الله الملك إبراهيم عليه السلام وقالوا: الله عز وجل لا يملك الكفار.

وإنما قالوا^(١) هذا لذكره عز وجل: «آتاه الملك» والله قال:
﴿تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ، وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ
مَنْ تَشَاءُ﴾^(٢). فتأويل إيتاء الله الكافر الملك ضرب من امتحانه الذي يمتحن
الله به خلقه، وهو أعلم بوجه الحكمة فيه.

والدليل على أن الكافر هو الذي كان ملكاً أنه قال: ﴿أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾
وأنه دعا برجلين فقتل أحدهما وأطلق الآخر، فلولا أنه كان ملكاً وإبراهيم عليه
السلام غير ملك لم يتهاى له أن يقتل وإبراهيم الملك، وهو النبي عليه السلام.

وأما^(٣) معنى احتجاجه على إبراهيم بأنه يحيى ويميت، وترك إبراهيم
مناقضته في الإحياء والإماتة، فمن أبلغ ما يقطع به الخصوم ترك الإطالة
والاحتجاج بالحجة المُسَكِّتَةِ لأن إبراهيم لما قال له: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ
مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾ كان جوابه على حسب ما أجاب في
المسألة الأولى أن يقول: ^(٤) فإنا أفعل ذلك فتبين عجزه وكان في هذا إسكات
الكافر فقال الله عز وجل:

﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾ وتأويله انقطع وسكت متحيراً، يقال: بُهِتَ الرجل
يَبْهَتُ بُهْتًا إذا انقطع وتحير، ويقال بهذا المعنى «بُهِتَ الرجل يَبْهَتُ»^(٥)، ويقال
بَهَتُ الرجل أَبْهَتَهُ بُهْتَانًا إذا قابلته بكذب.

(١) في ط الذي قالوا.

(٢) سورة آل عمران ٣ آية ٢٦.

(٣) في ك فأما.

(٤) كان مقتضى الإجابة الأولى أن يقول هنا: أنا آتي بالشمس من المغرب، ولكنه لا يستطيع فتبين عجزه.

(٥) عبارة ك: ويقال بهت بهذا المعنى، بهت الرجل وبهت.

وقوله عز وجل: ﴿أَو كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ﴾ .
هذا الكلام معطوف على معنى الكلام الأول، والمعنى - والله أعلم -
أرأيت كالذي مرَّ على قَرْيَةٍ، والقريتم في اللغة سميت قرية لاجتماع الناس
فيها، يقال قَرِيتُ المَاءَ في الحوضِ إِذَا جُمِعَتْهُ .

وقوله عز وجل: ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾ .
معنى ﴿خاوية﴾: خالية - و ﴿عروشها﴾ - قال أبو عبيدة: هي الخِيَامُ وهي
بيوت الأعراب، وقال غير أبي عبيدة: معنى ﴿وهي خاوية على عروشها﴾ بَقِيتْ
حِطَانُهَا لَا سُقُوفَ لَهَا . ويقال خَوَتِ الدار والمدينة تَخْوِي خَوَاءً - ممدود - إِذَا
خَلَّتْ مِنْ أَهْلِهَا، ويقال فيها: «خَوِيتُ» والكلام هو الأول - ويقال للمرأة إِذَا
خَلَا جَوْفُهَا بَعْدَ الْوِلَادَةِ وَلِلرَّجُلِ إِذَا خَلَا جَوْفُهُ مِنَ الطَّعَامِ - قَدْ خَوِيَ وَيَخْوَى
خَوًى - مقصور - وقد يقال فيه خَوَى يَخْوِي - وَالْأَوَّلُ فِي هَذَا أَجُود .

وقوله عز وجل: ﴿أَنِّي يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ .
معناه مَنْ أَتَى^(١) يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا .
وقيل في التفسير إنه كان مؤمناً وقد قيل إنه كان كافراً، ولا ينكر أن
يكون مؤمناً أحبَّ أن يزداد بصيرة في إيمانه فيقول: ليت شعري كيف تُبْعَثُ
الأموات كما قال إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾ .

وقوله عز وجل: ﴿فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾ .
معناه ثم أحياه لأنه لَا يُبْعَثُ وَلَا يَتَصَرَّفُ إِلَّا وَهُوَ حَيٌّ .
وقوله عز وجل: ﴿كَمْ لَبِثْتَ﴾ .

(١) الاستفهام على هذا يعني الاستبعاد - وفي الشرح الآتي فسره بكيف ومعناه التعجب وهو أولى .

يقرأ بتبيين الثاء، وبإدغام الثاء في التاء، وإنما أدغمت لقرب المخرجين.

ومعنى: ﴿قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ أنه كان أميت في صدر النهار ثم بعث بعد مائة سنة في آخر النهار، فظن أن مقدار لبثه ما بين أول النهار وآخره، فأعلمه الله أنه قد لبث مائة عام وأراه علامة ذلك بيلى عظام حماره، وأراه طعامه وشرابه غير متغير وأراه كيف ﴿يُنْشِزُ الْعِظَامَ﴾، وكيف تُكْتَسَى اللَّحْمُ ﴿فَقَالَ:﴾

﴿فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾.

يجوز بإثبات الهاء وبإسقاط الهاء^(١) في الكلام، ومعناه لم تغيره السنون، فمن قال في السنة سانهت فالهاء من أصل الكلمة، ومن قال في السَّنة سَانَيْت فالهاء زيدت لبيان الحركة، ووجه القراءة على كل حال إثباتها والوقوف عليها بغير وصل^(٢) فمن جَعَلَهُ سَانَيْت ووصلها إن شاء أو وقفها على من جعله من سانهت، فأما من قال: إنه من تغير من أَسِنَ الطعام يَأْسِنُ فخطأ. وقد قال بعض النحويين إنه جائز أن يكون من (التغيير)^(٣) من قولك من حمأ مسنون وكأن الأصل عنده «لم يتسنن» ولكنه أبدل من النون ياءً كما قال: تقضي البازي «إذا البازي كَشَرُ»^(٤).

(١) ك من الكلام.

(٢) ك. الوقوف عليها بهاء السكت. أي فإذا وصلت كلامك أسقطتها من لفظك فقلت لم يتسن، وانظر ومن جعله من سنهت أثبت الهاء في لفظه وقف أو وصل.

(٣) ليست في ط.

(٤) المعجاج اللسان. (قضض، ضبب). وانظر ص ٢٣٤ يمدح عمر بن عبد الله بن معمر القرشي:

لقد سما ابن معمر حين اعتمر
إذا الكرام ابسدروا الباع بدر تقضي البازي إذا البازي كشر

يريد تقضض، وهذا ليس من ذاك لأن «مسنون» إنما هو مَصْبُوب على سنة الطريق^(١).

وقوله عز وجل: ﴿وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا﴾.
يقرأ ﴿نُنْشِزُهَا﴾ بالزاي، ونُنْشِرُهَا، ونُنْشَرُهَا [بالراء] فمن قرأ نُنْشِزُهَا كان معناه نجعلها بعد بلاها وهجودها ناشزه ينشز بعضها إلى بعض، أي يرتفع، والنَّشْزُ في اللغة ما ارتفع عن الأرض، ومن قرأ نُنْشِرُهَا، ونُنْشَرُهَا، فهو من أَشَرَ الله الموتى ونشرهم - وقد يقال نشرهم الله أي بعثهم، كما قال: ﴿وإليه النُّشُورُ﴾^(٢).

وقوله عز وجل: ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.
(معناه: فلما تبين له كيف إحياء الموتى. قال: ﴿أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، فإن كان كلما قيل أنه كان مؤمناً، فتأويل ذكره: ﴿أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٣) ليس لأنه لم يكن يعلم قبل ما شاهد ولكن تأويله: أنني قد علمت ما كنت أعلمه غيباً - مشاهدة، ومن قرأ «أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» فتأويله إذا جزم أنه يُقبل على نفسه فيقول: «أَعْلَمُ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» - والرفع على الإخبار^(٤).

وقوله عز وجل: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾.

وأوردها في (ضرب) بالسين. من كسر الطائر يكسر كسرا وكسورا إذا ضم جناحيه حتى ينقض - فإذا ذكرت جناحيه قلت: كسر جناحيه كسراً. يقال: انقض الطائر، وتقضض وتقضى - على التحويل.

(١) تابع الزجاج هنا أبا عبيدة وجمهور المفسرين أنه متن.

(٢) الملك - ١٨.

(٣) ما بين القوسين ليس في ط.

(٤) أي المضارع لإخبار المتكلم عن نفسه أنه قد إقنتع.

موضع ﴿إِذْ﴾ نصب، المعنى أذكر هذه القصة - وقوله ﴿رَبِّ أَرْنِي﴾. أصله أَرَانِي، ولكن المجمع عليه في كلام العرب والقراءة طرح الهمزة، ويجوز ﴿أَرْنِي﴾. وقد فسرنا إلقاء هذه الكسرة فيما سلف من الكتاب، وموضع ﴿كيف﴾ نصب بقوله: ﴿تَحْيِي الْمَوْتَى﴾^(١) أي بأي حال يحيي الموتى وإبراهيم عليه السلام لم يكن شاكاً ولكنه لم يكن شاهداً إحياء ميت، ولا يعلم كيف تجتمع العظام المتفرقة البالية، المستحيلة^(٢)، من أمكنة متباينة فأحب علم ذلك مشاهدة.

ويروى في التفسير أنه كان مرَّ بجيفةٍ على شاطئ البحر والحيتان تخرج من البحر فتتلف من لحم الجيفة، والطيور تحط عليها وتنسِرُ^(٣) منها، ودواب الأرض تأكل منها، ففكر كيف يجتمع ما تفرق من تلك الجيفة فحلَّ في حيتان البحر وطيور السماء ودواب الأرض ثم يعود ذلك حياً، فسأل الله تبارك وتعالى أن يريه كيف يحيي الموتى، فأمره الله أن يأخذ أربعة من الطير، وهو قوله عز وجل:

﴿فَصِرْهُنَّ إِيكَ﴾

وتقرأ فَصِرْهُنَّ إِيكَ - بالضم والكسر -.

قال أهل اللغة: معنى صرهن أَمِلْهُنَّ إِيكَ، وأجمعهن إِيكَ، قال ذلك أكثرهم، وقال بعضهم: صرهن إِيكَ أَقْطَعْنَهُنَّ، فأما (نظير)^(٤) صُرْهُنَّ أَمِلْهُنَّ وأجمعهن فقول الشاعر:^(٥)

(١) أي هي حال.

(٢) التي تحولت إلى هيئة أخرى.

(٣) تقتطع منها نتفاً.

(٤) ك فقط. وعبارتها - ونظير صرهن وأجمعهن قول الشاعر:

(٥) للمعلي بن جمال العبدي وجاء بعده:

يفرق بينها صدع رباع له ظأب كما صخب الغريم

وجاءت خِلْعَةٌ دهسُ صفايا يصور عنوقها أحوى زَنِيم

المعنى أن هذه الغنم يعطف عنوقها هذا الكبش الأحوى.

ومن قال صرت: قطعت، فالمعنى فخذ أربعة من الطير فصرهن أي قَطَّعْهُنَّ، ثم اجعل على كل جبل منهن جزءًا. المعنى إجعل على كل جبل من كل واحد منهن جزءًا. ففعل ذلك إبراهيم عليه السلام ثم دعاهن فنظر إلى الريش يسعى بعضه إلى بعض، وكذلك العظام واللحم.

وقوله عز وجل: ﴿وَأَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿عزیز﴾ أي لا يمتنع عليه ما يريد - حكيم فيما يدبر، لا يفعل إلا ما فيه

الحكمة.

فشاهد إبراهيم عليه السلام ما كان يعلمه غيباً رأي عين، وعلم كيف يفعل الله ذلك. فلما قصَّ الله ما فيه البرهان والدلالة على أمر توحيده. وما آتاه الرسل من البينات حثَّ على الجهاد، وأعلن أن من عانده بعد هذه البراهين فقد ركب من الضلال أمراً عظيماً وأن من جاهد من كفر بعد هذا البرهان فله - في جهاده وننقته فيه - الثواب العظيم، وأن الله عز وجل وعد في الجنة عشر أمثالها من الجهاد. ووعد في الجهاد أن يُضَاعَفَ الواحد بسبع مائة مرة لما في إقامة الحق من التوحيد^(١)، وما في الكفر من عظم الفساد فقال:

﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ، فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ، وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

(اللسان: دهس وجاء فيه في: (ظأب) رواية أخرى هي:

يصوع عنوقها أحوى زَنِيم - له ظأب... وفي (صور) كما هنا ويصوع معناه يسوق أو يجمع - والعنوق جمع عناق: الأنثى من ولد المعز، والأحوى - يقصد به التيس الذي به حوة، وهي سواد يميل إلى الحمرة والزَنِيم - الذي له زَنَم في عنقه. وخلعة: جماعة.

(١) لك أن الواحد يضاعف... لما في الجهاد.

أي جواد لا ينقصه ما يتفضل به من السعة، عليم حيث يضعه .
وقوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾ .
فالمن أن تُمَنَّ بما أعطيت وتعتدَّ به كأنك إنما تقصد به الاعتداد والأذى أن
تؤيخ المعطي .

فأعلم الله عز وجل أن المن والأذى يبطلان الصدقة كما تبطل نفقة المنافق
الذي إنما يعطي وهو لا يريد بذلك العطاء ما عند الله، إنما يعطي ليوهم أنه
مؤمن^(١)، وقال عز وجل:

﴿فَمِثْلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ﴾ .

والصفوان الحجر الأملس وكذلك الصفا .

وقوله عز وجل: ﴿عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ﴾ .

والوابل المطر العظيم القطر - فإذا أصاب هذا المطر الحجر الذي عليه
تراب لم يبق عليه من التراب شيء، وكذلك تبطل نفقة المنافق ونفقة المنان
والمؤذي .

وقوله عز وجل: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ .

أي لا يجعلهم بكفرهم مهتدين، وقيل لا يجعل جزاءهم على الكفر أن
يهديهم، ثم ضرب الله لمن ينفق يريد ما عند الله ولا يمين ولا يؤذي مثلاً . فقال:

﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ .

أي ليطلب مرضاة الله وتثبيتاً من أنفسهم، أي ينفقونها مقرين أنها مما
يثيب الله عليها .

(١) في ط بعد هذا إعادة الجملة . قال: فأعلم الله أن المن والأذى يبطلان الصدقة كما يبطل إنفاق
هذا إعطاؤه .

﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ﴾ بفتح الراء وبربوة . بالضم - وبربوة - بالكسر - وبرباوة ، وهذا وجه رابع .

والربوة ما إرتفع من الأرض ، والجنة البستان ، وكل ما نبت^(١) وكثف وكثر ، وستر بعضه بعضاً فهو جنة - والموضع المرتفع إذا كان له ما يرويه من الماء فهو أكثر ريعاً من المستفل ، فأعلم الله عز وجل أن نفقة هؤلاء المؤمنين تزكو كما يزكونت هذه الجنة التي هي في مكان مرتفع .

﴿أَصَابَهَا وَاِبِلٌ﴾ : وهو المطر العظيم القطر .

﴿فَأَتَتْ أَكْلَهَا﴾ : أي ثمرها ، ويقراً أكلها والمعنى واحد .

﴿ضِعْفَيْنِ﴾ : أي مثلين .

﴿فَإِنْ لَمْ يَصِبْهَا وَاِبِلٌ فَطَلٌ﴾ .

و ﴿الطل﴾ المطر الدائم الصغار القطر الذي لا يكاد يسيل منه المتاعب^(٢) .

ومعنى : ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ .

أي عليم ، وإذا علمه جازى عليه والذي ارتفع عليه ﴿فطل﴾ [أنه] على معنى فإن لم يصبها وابل فالذي يصيبها طل^(٣) .

وقوله جل ثناؤه : ﴿أَيُّودٌ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾ .

هذا مثل ضربهُ الله لهم للآخرة وأعلمهم أن حاجتهم إلى الأعمال الصالحة كحاجة هذا الكبير الذي له ذرية ضعفاء ، فإن احترقت جنته وهو كبير وله ذرية ضعفاء انقطع به ، وكذلك من لم يكن له في الآخرة عمل يوصله إلى

(١) ك : كل نبت كثف .

(٢) الجداول الصغيرة . - جمع متعب .

(٣) أي هو معطوف على الفاعل .

الجنة فَحَسْرَتُهُ فِي الْآخِرَةِ - مع عظيم الحسرة فيها - كَحَسْرَةِ هَذَا الْكَبِيرِ الْمُنْقَطِعِ بِهِ فِي الدُّنْيَا.

ومعنى: ﴿فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ﴾.

الإعصار الريح التي تهب من الأرض كَالْعُمُودِ إِلَى نَحْوِ السَّمَاءِ وهي التي تسميها الناس الزُّوْبَعَةَ، وهي ريح شديدة، لا يقال إنها إعصار حَتَّى تَهَبَّ بِشِدَّةٍ، قال الشاعر:

إِنْ كُنْتَ رِيحًا فَقَدْ لَاقَيْتَ إِعْصَارًا^(١)

ومعنى: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ﴾.

أي كهذا البيان الذي قد تبين الصَّدَقَةُ والجهاد وقصة إبراهيم - عليه السلام - والذي مرَّ على قرية، وجميع ما سَلَفَ من الآيات أي كَمَثَلِ بَيَانِ هَذِهِ الْأَقَاصِيصِ ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ﴾، أي الْعَلَامَاتِ وَالذَّلَالَاتِ الَّتِي تَحْتَاجُونَ إِلَيْهَا فِي أَمْرِ تَوْحِيدِهِ، وَإِثْبَاتِ رِسَالَاتِ رُسُلِهِ وَثَوَابِهِ وَعِقَابِهِ.

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾.

وقوله تبارك اسمه: ﴿أَنْفَقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾.

فالْمَعْنَى أَنْفَقُوا مِنْ جَيِّدِ مَا كَسَبْتُمُوهُ مِنْ تِجَارَةٍ، وَمِنْ وَرِقٍ وَعَيْنٍ، وَكَذَلِكَ مِنْ جَيِّدِ الثَّمَارِ، وَمَعْنَى ﴿أَنْفَقُوا﴾: تَصَدَّقُوا وَكَانَ قَوْمٌ أَتَوْا فِي الصَّدَقَةِ بِرَدَى الثَّمَارِ.

ويروى عن النبي ﷺ أَنَّهُ أَمَرَ السَّعَاءَ لَا يُخْرِصَ الْجُعْرَوْرَ وَمَعَى الْفَارَةِ^(٢)

(١) مثل عربي في اللسان «عصر».

(٢) الجعورور ضرب من التمر صغار لا ينتفع به ومعى الفارة نوع من النخيل رديء الثمر.

وذلك أنها من رديء النخل، فأمر ألا تخرص عليهم لئلا يعتلوا به في الصدقة^(١).

وقوله عز وجل: ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ﴾.
أي لا تقصدوا إلى رديء المال، والثمار فتصدقوا به، وأنتم (تعلمون أنكم)^(٢) لا تأخذونه إلا بالإغماض فيه.

ومعنى: ﴿وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ﴾.
يقول: أنتم لا تأخذونه إلا بوكس^(٣). فكيف تعطونه في الصدقة.

وقوله عز وجل: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾.
أي لم يأمركم بأن تتصدقوا من عوز. ولكنه لاختباركم، فهو حميد على ذلك وعلى جميع نعمه. يقال قد غني زيد يغني غنى - مقصور - إذا استغنى، وقد غني القوم إذا نزلوا في مكان يقيهم، والمكان الذي ينزلون فيه مغنى، وقد غنى فلان غناء إذا بالغ في التطريب في الإنشاد حتى يستغنى الشعر أن يزداد في نعمته، وقد غنيت المرأة غنياً. قال قيس بن الخطيم:

أَجَدُّ بَعْمَرَةَ غُنْيَانُهَا فَتَهَجَّرُ أَمْ شَأْنُنَا شَأْنُهَا^(٤)
غُنْيَانُهَا: غناها. والغواني: النساء، قيل إهن سمين غواني لأنهن غنين بجمالهن. وقيل بأزواجهن.

وقوله جل وعلا: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ﴾.

(١) بخرجون صدقاتهم عنها.

(٢) ط فقط.

(٣) الوكس: النقص ووكس الشيء نقص. أي لا تأخذونه إلا مغبونين منقوصاً حظكم.

(٤) الأغاني ٣ - (١٢ - ١٣) ط دار الكتب. يريد أبطرها الثراء والغنى.

وقيس بن الخطيم بن عدي - فارس فاتك: قتل أبوه وجده - وكان قاتل أبيه من الخزرج: وكان قيس طفلاً فلما كبر ثار لهما - وعمره هذه هي أم النعمان بن بشير عمرة بنت رواحة، ترجمتها في الإصابة ح ٨ ص ١٤٦.

يقال الفقر والفقر جميعاً، والمعنى أنه يحملكم على أن تؤدوا في الصدقة رديء المال يخوفكم الفقر بإعطاء الجيد - ومعنى ﴿يعدكم الفقر﴾: يعدكم بالفقر ولكن الباء حذفت. وأفضى الفعل فنصب كما قال الشاعر: (١)

أمرتُك الخيرَ فافعل ما أمرت به فقد تركتُك ذا مالٍ وذا نَشَب
ويقال وعدته أعدّه وَعَدًا وَعِدَةً وَمَوْعِدًا وَمَوْعِدَةً وَمَوْعُودًا وموعودة.

ومعنى: ﴿وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ﴾.

أَي بَأْنَ لَا تَتَصَدَّقُوا فَتَقَاطَعُوا.

ومعنى: ﴿وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا﴾.

أَي يَعِدُكُمْ أَنْ يُجَازِيَكُمْ عَلَى صَدَقَتِكُم بِالْمَغْفِرَةِ، وَيَعِدُكُمْ أَنْ يُخْلِفَ عَلَيْكُمْ.

ومعنى: ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿واسع﴾ يعطي من سعة، و ﴿عليم﴾ يعلم حيث يضع ذلك، ويعلم الغيب والشهادة.

وقوله عز وجل: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ﴾.

معنى ﴿يؤتي﴾ يعطي، و ﴿الحكمة﴾ فيها قولان: قال بعضهم [هي] النبوة، ويروى عن ابن مسعود أن الحكمة [هي] القرآن، وكفى بالقرآن حكمةً، لأن الأمة به صارت علماء بعد جهل، وهو وصلة إلى كل علم يقرب من الله عز وجل: وذريعة إلى رحمته، ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾.

(١) ينسب لعدد من الشعراء - الأعشى وخفاف بن ندبة وإياس بن عامر وأعشى طرود والعباس بن مرداس - والمشهور أنه لعمر بن معد يكرب الزبيدي.

أنظر الكامل ١ - ٣٣ ت أبو الفضل، والخزانة ١ - ٦٦٤ - ١٦٦ والكتاب ١ - ١٢ - باريس. ١٢ -

١٧ ط القاهرة. وابن الشجري ٢ - ٢٤١ وفي كثير من الكتب.

أَيُّ أُعْطِيَ كُلَّ الْعِلْمِ، وَمَا يُوصلُ إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ، وَ﴿يُؤْتِ﴾ جَزْمٌ بِمَنْ،
وَالْجَوَابُ ﴿فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾

وَمَعْنَى ﴿وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾.

أَيُّ مَا يَفْكَرُ فِكْرًا يَذْكُرُ بِهِ مَا قَصَّ مِنْ آيَاتِ الْقُرْآنِ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ، أَيُّ
ذَوُو الْعُقُولِ. وَوَاحِدُ الْأَلْبَابِ لُبٌّ، يُقَالُ قَدْ لَبَّيْتُ يَا رَجُلٌ^(١) وَأَنْتَ تَلَبُّ، لَبَابَةٌ
وَلُبًّا، وَقُرِئْتُ عَلَى مُحَمَّدٍ بْنِ يَزِيدَ عَنْ يُونُسَ: لَبَّيْتُ لَبَابَةً. وَلَيْسَ فِي الْمَضَاعِفِ
عَلَى فَعُلْتُ غَيْرُ هَذَا^(٢)، وَلَمْ يَرَوْهُ أَحَدٌ إِلَّا يُونُسَ، وَسَأَلْتُ غَيْرَ الْبَصْرِيِّينَ عَنْهُ
فَلَمْ يَعْرِفُوهُ.

وَقَوْلُهُ جَلَّ وَعَزَّ: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾.

أَيُّ مَا تَصَدَّقْتُمْ بِهِ مِنْ فَرَضٍ لِأَنَّهُ فِي ذِكْرِ صَدَقَةِ الزَّكَاةِ وَهِيَ الْفَرَضُ
وَالنَّذْرُ: التَّطَوُّعُ، [و] كُلُّ مَا نَوَى الْإِنْسَانُ أَنْ يَتَطَوَّعَ بِهِ فَهُوَ نَذْرٌ.

﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾: أَيُّ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ فَهُوَ يَجَازِي عَلَيْهِ، كَمَا قَالَ
جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾^(٣) - يُقَالُ نَذَرْتُ النَّذْرَ أَنْذَرُهُ
وَأَنْذَرُهُ^(٤)، وَالْجَمِيعُ النَّذُورُ، وَأَنْذَرْتُ الْقَوْمَ إِذَا أَعْلَمْتُهُمْ وَخَوَّفْتُهُمْ إِنْذَارًا وَنَذِيرًا
وَنَذْرًا. قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرٌ﴾^(٥)، وَقَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ:
﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾^(٦).

النُّذْرُ مِثْلُ التَّنْكِيرِ، وَالنَّذِيرُ مِثْلُ النَّكِيرِ.

(١) كَعَلِمَ يَعْلَمُ.

(٢) إِنْ كَانَ بِمَعْنَى صَارَ ذَا لُبٍّ كَحَسُنَ أَيُّ صَارَ ذَا حَسَنٍ فَهُوَ قِيَاسٌ جَائِزٌ. وَلَكِنْ لَمْ يَأْتِ فِي الْمَصْنُفِ.

(٣) الزَّلْزَلَةُ ٩٨ - ٧.

(٤) كَضَرَبَ وَكَنْصَرَ.

(٥) سُورَةُ الْمَلِكِ ٦٧ - ١٧.

(٦) سُورَةُ الْقَمَرِ ٥٤، ١٦، ١٨، ٣٠.

وقوله عز وجل: ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ﴾.

معنى ﴿إِنْ تُبْدُوا﴾: تُظْهِرُوا، يُقَالُ بَدَأَ الشَّيْءُ يَبْدُو إِذَا ظَهَرَ، وَأَبْدَيْتُهُ أَنَا إِبْدَاءً، إِذَا أَظْهَرْتَهُ، وبدا لي بُدَاءً إِذَا تَغَيَّرَ رَأْيِي عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ، و﴿تُبْدُوا﴾ جُزِمَ بِإِنْ، وقوله: ﴿فَنِعِمَّا هِيَ﴾^(١) الجواب، وروى أبو عُبَيْدٍ أَنَّ أَبَا جَعْفَرٍ^(٢) وَشَيْبَةَ^(٣) وَنَافِعًا وَعَاصِمًا وَأَبَا عَمْرٍو بْنَ الْعَلَاءِ قَرَأُوا: ﴿فَنِعِمَّا هِيَ﴾ «بكسر النون وجزم العين وتشديد الميم»، وروى أَن يَحْيَى^(٤) بْنُ وَثَّابٍ، وَالْأَشْمُسُ وَحَمْزَةُ

(١) في ب نعم.

(٢) هو يزيد بن القعقاع الإمام أبو جعفر المخزومي، تابعي مشهور أحد القراء العشرة، قرأ على عبد الله بن عياش، وعبد الله بن عباس وأبي هريرة، وروى الحديث عنهم، أخضَرَ إِلَى أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وهو صغير فمسحت على رأسه ودعت له بالبركة، وصلى بآبَنِ عَمْرٍو وظل يقرئ بالمدينة قرابة ثمانين عاماً، لأنه أقرأ قبل موقعة الحرة ومات سنة ١٣٠، أو ١٣٢، وممن قرأوا عليه نافع بن أبي نعيم وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وابناه إسماعيل ويعقوب، كما قرأت عليه ابنته ميمونة وزوجها شيبه، لُقِّبَ الْقَارِئُ لأنه كان إمام المدينة في القراءة مدة طويلة، وكان يُقَدِّمُ عَلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ هَرَمَزٍ وهو أيضاً من الْعُبَّادِ - ظل زمناً يصوم يوماً ويفطر يوماً ليروض نفسه على العبادة، وكان يصلي في جوف الليل ثماني ركعات يقرأ في كل ركعة سورة من طوال المفصل، ورؤي على صدره يوم موته دائرة بيضاء في بياض اللين فقال أصحابه إنها نور القرآن، وللناس فيه عقيدة حسنة. وهو مولى ابن، عياش. أنظر غايه النهاية ٣٨٨٢.

(٣) هو شيبه بن نضاح من قراء التابعين، تلميذ أبي جعفر وختنه ومقرئ المدينة معه، كما كان قاضي المدينة.

مولى أم سلمة دعت له هي والسيدة عائشة أن يعلمه الله القرآن، ولفضله وقرآنه قدم ليصلي على السيدة سكينة. أدرك الصحابة، وعرض قراءته على عبد الله بن عباس، وعرض عليه نافع قراءته، كما عرض عليه أبو عمرو بن العلاء وإسماعيل بن جعفر وأخته ميمونة - زوج شيبه. وهو أول من ألف في الوقف في القرآن، وكان كتابه مشهوراً متداولاً، توفي شيبه سنة ١٣٠. في أيام مروان بن محمد. غايه النهاية ١٤٣٨/٥.

(٤) من التابعين والأعلام العباد الكثيري الصلاة روى عن ابن عمر وابن عباس، وتعلم من عبيد بن فضلة آية آية، وعرض عليه من مشهوري القراء، الداني، وأبو عمرو، وأبو عبد الرحمن السلمي. وكان مقرئ أهل الكوفة في عصره، وأشهر قرائها الثلاثة - هو، وعاصم، والأعمش، وكلهم أسديون بالولاء - كان لحسن قراءته إذا قرأ لا تحس بالمسجد حركة كأن

والكسائي قرأوا: «فَنِعْمًا» هي - بفتح النون وكسر العين.

وذكر أبو عبيد أنه روي عن النبي ﷺ قوله لابن العاص: نِعْمًا بالمال الصالح للرجل الصالح. فذكر أبو عبيد أنه يَخْتَارُ هذه القراءة من أجل هذه الرواية.

ولا أحسب أصحاب الحديث ضَبَطُوا هذا، ولا هذه القراءة عند البصريين النحويين جائزة البتة، لأن فيها الجمع بين ساكنين من غير حرف مدٍّ ولين.

فأما ما قرأناه من حرف عاصم رواية أبي عمرو ﴿فَنِعْمًا هِيَ﴾، بكسر النون والعين، فهذا جَيِّدٌ بَالِغٌ لأن ههنا كسرَ العين والنون، وكذلك قراءة أهل الكوفة «نِعْمًا هِيَ» جَيِّدة لأن الأصل في نَعَمَ نَعِمَ وَنَعِمَ. وَنَعَمَ فيها ثلاث لغات، ولا يجوز مع إدغام الميم نِعْمًا هِيَ. و«ما» في تأويل الشيء زعم البصريون أن نِعْمًا هِيَ: نَعَمَ الشيء هِيَ. وقد فسرنا هذا فيما مضى^(١).

ومعنى: ﴿وإن تُخَفُّوْهَا وتُؤْتُوْهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾.

هذا كان على عهد رسول الله ﷺ فكان الإخفاء في إيتاء الزكاة أحسن، فأما اليوم فالناس يُسَيِّثُونَ الظن، فإظهارُ الزكاة أحسن، فأما التَطَوُّعُ فإخفاؤه أحسن، لأنه أدل على أنه يريد الله به وحده، يقال أَخْفَيْتُ الشيءَ إِخْفَاءً إذا سَتَرْتُهُ، وَخَفِي خَفَاءً إذا اسْتَتَرَ، وَخَفِيَّتُهُ أَخْفِيهِ خَفِيًّا إذا أَظْهَرْتُهُ، وأهل المدينة يسمُّون النَّبَاشَ: الْمُخْتَفِيَّ^(٢)، قال الشاعر في خفيته أظهرته:

ليس به أحد. وهو قرأ على علقمة، وعلقمة قرأ على ابن مسعود.

توفي سنة ١٠٣ (غاية النهاية ٣٨٧١ ح ٢ - ٣٨٠).

(١) ص ١٧٢.

(٢) من خَفَى الشيءَ واختفاه خَفِيًّا وخَفِيًّا إذا أظهره واستخرجه - فهو مختفٍ أي مُسْتَخْرَج.

فَإِنْ تَدْفِنُوا الدَّاءَ لَا نَخِفُهُ وَإِنْ تَبْعَثُوا الْحَرْبَ لَا نَقْعُدُ^(١)

وقوله عز وجل: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾.

معناه إنما عليك الإِبلاغ كما قال - جلّ وعزّ - ﴿وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾^(٢).

ومعنى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾.

أي يوفق من يشاء للهداية، وقال قوم: لَوْ شَاءَ اللَّهُ لَهْدَاهُمْ أَي لاضطرهم إلى أن يهتدوا - كما قال: ﴿إِنْ نَشَأْ نُنْزِلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾^(٣). وكما قال - عز وجل - ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى﴾^(٤) وهذا ليس كذلك. هذا فيه: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾. فَلَا مُهْتَدِي إِلَّا بِتَوْفِيقِ اللَّهِ - كما قال: ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ﴾^(٥).

ومعنى: ﴿وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾.

هذا خاص لِلْمُؤْمِنِينَ، أَعْلَمَهُمْ أَنَّهُ قَدْ عَلِمَ أَنَّهُمْ يَرِيدُونَ يَنْفَقَتَهُمْ مَا عِنْدَ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ، لِأَنَّهُ إِذَا أَعْلَمَهُمْ ذَلِكَ فَقَدْ عَلِمُوا أَنَّهُمْ مُثَابُونَ عَلَيْهِ، كَمَا قَالَ: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُؤَفَّفَ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَظْلُمُونَ﴾.

وقوله عز وجل: ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾.

الرفع في ﴿يُكَفِّرُ﴾ والجزم جائزان، ويقرأ - ونُكْفِرُ عَنْكُمْ - بالنون والياء، وزعم سيبويه أَنَّهُ يَخْتَارُ الرفع في وَيُكَفِّرُ، قَالَ لِأَنَّ مَا بَعْدَ الْفَاءِ قَدْ صَارَ بِمَنْزِلَتِهِ

(١) هو لامرئ القيس يتوعد قتلة أبيه. معاني القرآن للفراء ٢ - ١٧٧ أمالي المرتضى ٢ - ١٣ - وابن يعيش - لا تخفه: لا تظهره.

(٢) البقرة / ١٠٨.

(٣) سورة الشعراء ٢٦ - ٤.

(٤) الأنعام ٦ - ٣٥.

(٥) هود ١١ - ٨٨.

في غير الجزاء^(١)، وأجاز الجزم على موضع فهو خير لكم لأن المعنى يكن^(٢) خيراً لكم، وذكر أن بعضهم قرأ: «مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ» بجزم الراء، والاختيار عنده الرفع في قوله «وَيَذَرُهُمْ» وفي «وَنُكْفَرُ» قال: فأما النصب فضعيف جداً، لا يجيزُ ونكفر عنكم^(٣) إلا على جهة الاضطرار، وزعم أنه نحو قول الشاعر^(٤).

سَأَتْرُكُ مَنْزِلِي لِبَنِي تَمِيمٍ وَأَلْحَقَ بِالْحِجَازِ فَأُسْتَرِيحَا
إِلَّا أَنْ النَّصْبَ أَقْوَى قَلِيلاً لِأَنَّهُ إِنَّمَا يَجِبُ بِهِ الشَّيْءُ بِوَجُوبِ غَيْرِهِ فَضَارِعُ
الِاسْتِفْهَامِ وَمَا أَشْبَهُهُ.
هذا قول جميع البصريين وهو بين واضح.

قوله عز وجل: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾.
فقراء جمع فقير مثل ظريف وظرفاء، وقالوا في ﴿أَحْصَرُوا﴾ قولين: قالوا
أَحْصَرَهُمْ فرضُ الجهاد فَمَنْعَهُمْ مِنَ التَّصَرُّفِ^(٥). وقالوا أَحْصَرَهُمْ عَدُوَّهُمْ لِأَنَّهُ
شَغَلَهُمْ بِجِهَادِهِ، ومعنى ﴿أَحْصَرُوا﴾ صاروا إلى أَنْ حَصَرُوا أَنْفُسَهُمْ لِلْجِهَادِ، كما
تقول رَابِطٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

ومعنى: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الْأَرْضِ﴾.

(١) الفاء وقعت في جواب الشرط، فما بعدها لا يستحق أن يجزم لأن الفعل معطوف على ما بعد الفاء.

(٢) في الأصل يكون.

(٣) في الأصل - ويكفر.

(٤) ينسب لرجل من تميم، وهو في كتاب سيبويه ١ - ٤٢٣ بدون نسبة - وقال البغدادي، هو للمغيرة بن حبناء بن عمرو بن ربيعة التميمي - شاعر إسلامي اشتهر بهجائه أخاه صخرًا - وحبناء أمه غلب اسمها على أبيه - المقاصد ٤ - ٣٩٠ وسماء هناك ابن حنين.

(٥) الاضطراب في الأرض للبيع والشراء.

أي قد ألزموا أنفسهم أمر الجهاد فمنعهم ذلك من التصرف وليس لأنهم لا يقدرّون أن يتصرفوا. وهذا كقولك، أمرني المولى أن أقيم فما أقدر على أن أبرح، فالمعنى أنني قد ألزمت نفسي طاعته، ليس أنه لا يقدر على الحركة وهو صحيح سوي، ويقال ضربت في الأرض ضرباً، وضرب الفحل الناقة إذا حمل عليها ضرباً، والضرب الجليد الذي يسقط على الأرض، يقال ضربت الأرض وجلدت الأرض وجلدت الأرض. وروى الكسائي: ضربت الأرض وجلدت، والأكثر ضربت وجلدت^(١).

ومعنى «يَحْسِبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ». أي يحسبهم الجاهل ويخالهم أغنياء من التعفف عن المسألة وإظهار التجميل.

ومعنى: «لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِحْفَافًا». روي عن النبي ﷺ أنه قال «من سأل وله أربعون درهماً فقد ألحف» ومعنى «ألحف» أي اشتمل بالمسألة، وهو مستغن عنها، واللحاف من هذا اشتقاقه لأنه يشمل الإنسان في التغطية.

والمعنى أنه ليس منهم سؤال فيكون منهم إحفاف، كما قال امرؤ القيس.

على لاجب لا يهتدى بمناره إذا سافه العود الديافي جرجرا^(٢) المعنى ليس به منار فيهتدى بها، وكذلك ليس من هؤلاء سؤال فيقع فيه إحفاف.

(١) تكون الجليد على سطحها. وهو الضرب. وفي القاموس جلدت كفرح وأجلدت.
(٢) سافه: شمه - العود المسن من الإبل - الديافي، نسبة إلى دياف قرية بالشام. جرجرا: أخرج شققته وصاح. ويروي النباطي وهو الأكثر بمعنى الضخم الجسيم، واللاحب الطريق الواضح. ديوانه ٧٢ ط السندوبي. وأمالى المرتضى ١ - ١٦٥. وفي ط الديابي.

وقوله عز وجل: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ إلى قوله ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾^(١).

﴿الذين﴾ رفع بالابتداء، وجاز أن يكون الخبر ما بعد الفاء، ولا يجوز في الكلام «زيد فمنطلق» لأن الفاء لا معنى لها، وإنما صلح في الذين لأنها تأتي بمعنى الشرط والجزاء^(١).

وقوله عز وجل: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾.

المعنى الذين يأكلون الربا لا يقومون في الآخرة إلا كما يقوم المجنون، من حال جنونه. زعم أهل التفسير أن ذلك علم لهم في الموقف، يعرفهم به أهل الموقف، يعلم به أنهم أكلة الربا في الدنيا يقال بفلان مس، وهو المس وأولت^(٢) إذا كان به جنون.

وقوله عز وجل: ﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى﴾.

جاز تذكير ﴿جاءه﴾، وقال: [تعالى] في موضع آخر ﴿قد جاءكم موعظة من ربكم﴾^(٣) لأن كل تأنيث ليس بحقيقي فتذكيره جائز ألا ترى أن الوعظ والموعظة معبران عن معنى واحد.

وقوله عز وجل: ﴿فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ﴾.

أي قد صفيح له عما سلف وأمره إلى الله أي الله عليه.

ومعنى: ﴿وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ﴾.

أي من عاد إلى استحلال الربا فهو كافر، لأن من أحل ما حرم الله فهو

(١) ﴿بالليل والنهار سرّاً وعلانية فلهم أجرهم﴾.

(١) يُشَبَّه الموصول بالشرط لعمومه واستقباله، فتأتي الفاء بعده.

(٢) وهذه كلها أسماء للمجنون.

(٣) يونس ١٠ - ٥٧.

كافر، وهؤلاء قالوا: ﴿إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلَ الرِّبَا﴾ ومن اعتقد هذا فهو كافر.

وقوله عز وجل: ﴿وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

نزلت في قوم من أهل الطائف كانوا صولحوا على أن يُضَعَ عَنْهُمْ مَا كَانَ عَلَيْهِمْ مِنَ الرِّبَا، وَجُعِلَ لَهُمْ أَنْ يَأْخُذُوا مَا لَهُمْ مِنَ الرِّبَا وكان لهم على قوم من قريش مال فطالبوهم عند المحل بالمال والرِّبَا فقالت تلك الفرقة^(١) ما بالناس أشقى الناس يؤخذ منا الرِّبَا الذي قد وضع عن سائر الناس، فأمر الله عز وجل - بترك هذه البقية، وأعلم أن من كان مؤمناً قبل عن الله أمره ومن أبى فهو حرب، أي كافر، فقال: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾.

وقال بعضهم فَأَذَنُوا، فمن قال ﴿فَأَذَنُوا﴾: فالمعنى: أيقنوا ومن قال فَأَذَنُوا كان معناه فَأَعْلِمُوا كُلُّ مَنْ لَمْ يتركِ الرِّبَا أَنَّهُ حَرْبٌ. يقال قد آذنته بكذا وكذا، أُوذِنَ إِذَا نَأَى إِذَا أُعْلِمَتْهُ وَقَدْ أُذِنَ بِهِ يَأْذُنُ إِذَا إِذَا عَلِمَ بِهِ.

وقوله عز وجل: ﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾.

أي وإن وقع ﴿ذُو عُسْرَةٍ﴾، ولو قرئت، وإن كان ذا عُسْرَةٍ لجاز، (أي)^(٢) وإن كان المدين الذي عليه الدين ذا عُسْرَةٍ، ولكن (لا يُخَالَفُ المصحف)^(٣) والرفع على [أَنَّ] ﴿إِنْ كَانَ﴾، على معنى «إِنْ وَقَعَ» ذو عُسْرَةٍ - ورفع ﴿فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾ على فعلى الذي تعاملونه نظرة أي تأخير، يقال بعته بيعاً بِنَظَرَةٍ. ومن قال فناظرة إلى ميسرة ففاعلة من أسماء المَصَادِرِ^(٤) نحو ﴿ليس لوقعتها

(١) من قريش، ولعل هذا كان بعد الفتح لأن النبي ﷺ إذا ذاك أعلن أن ربا الجاهلية موضوع، والطائف فتحت بعد فتح مكة كما هو معروف.

(٢) ليست في ك.

(٣) في ك فقط.

(٤) من الأسماء التي تؤدي معنى المصدر أي الحدث المجرد.

كاذبة»^(١) ونحو ﴿تَظُنُّ أَنَّ يُفْعَلُ بِهَا فَاِقْرَءْ﴾^(٢) - وإن شئت قلت إلى «ميسرة»
فأما من قرأ «إلى ميسره» على جهة الإضافة إلى الهاء فمخطيء، لأن «ميسر»
مفعّل وليس في الكلام مفعّل^(٣).

وزعم البصريون أنهم لا يعرفون مفعلاً إنما يعرفون مفعلة.
فأمرهم الله بتأخير رأس المال بعد إسقاط الربا، إذا كان المطالب
مُعْسِراً، وأعلمهم أن الصدقة برأس المال عليه أفضل.

فقال: ﴿وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.
وقوله عز وجل: ﴿وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا
كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

هذا يوم القيامة، ويقال إنها آخر آية نزلت من كتاب الله جلّ وعزّ. كذا
جاء في التفسير.

وقوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَيْتُمْ بِدَيْنٍ﴾.
يقال دَايَنْتُ الرَّجُلَ إِذَا عَامَلْتَهُ بِدَيْنٍ، أَخَذْتُ مِنْهُ وَأَعْطَيْتُهُ. وتَدَايْنَا عَلَى
دَايْنَتِهِ، قال الشاعر: (٤)

دَايَنْتُ لَيْلَى وَالْدُّيُونَ تَقْضَى فَمَطَلْتُ بَعْضاً وَأَدْتُ بَعْضاً

ويقال دَنْتُ وَأَدَنْتُ أَيِ اقْتَرَضْتُ، وَأَدَنْتُ إِذَا اقْرَضْتُ. قال الشاعر:

أَدَانَ وَأَنْبَأَ الْأُولُونَ بِأَنَّ الْمُدَانَ مَلِيٌّ وَفِي (٥)

(١) الواقعة ٥٦ - ١.

(٢) القيامة ٧٥ - ٢٥ - والفارقة. الداهية، الأمر العظيم.

(٣) ورد المصدر على مفعلة فقط نحو مكربة ومقدرة بمعنى تكرم وقدره، ولم يرد مفعّل.

(٤) هو رؤية بن العجاج - والبيت في العيني ٣ - ١٣٩، الخصائص ٢ - ٣٦ ومن شواهد الكشف -

في الآية وفي الكتاب ٢ - ٣٠٠ واللسان (دان).

(٥) لأبي ذؤيب اللسان (دان) وروايته في ديوان الهزليين ٦٥/١ «المليء الوفي» معرفاً.

فالمعنى إذا كان لبعضكم على بعض دينٌ إلى أجل مُسمى فَاكْتُبُوهُ فَأَمَرَ
الله - عز وجل - بكتب الدين حفظاً منه للأموال، وكذلك الإِشهاد فيها
وللناس من الظلم لأن صاحب الدين^(١) إذا كانت عليه الشُّهُودُ والْبَيِّنَةُ قَلَّ
تحديثه نفسه بالطَّمَعِ في إِذْهَابِهِ.

فَأَمَرَ اللهُ - جلَّ وعزَّ - بالإِشهاد والكِتَابِ .
قال بعض أهل اللغة هذا أدب^(٢) من الله عز وجل وليس بأمر حتمٍ كما
قال عز وجل: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾^(٣) - فليس يجب كُلُّمَا يَحِلُّ مِنَ
الإِحرام أَنْ يَصْطَادَ^(٤)، وكما قال: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي
الْأَرْضِ﴾^(٥).

وهذا خلاف ما أَمَرَ اللهُ به في كتاب الدين والإِشهاد لأن هذين جميعاً
إِباحة بعد تحريم^(٦) - قال الله عز وجل: ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ
حُرُمًا﴾^(٧) وقال: ﴿لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ﴾^(٨) ثم أَباحَ لَهُمْ - إِذَا زَالَ
الإِحرام - الصَّيْدَ «وكذلك» قال: ﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا
إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾^(٩) فَأَباحَ لَهُمْ بَعْدَ انْقِضَاءِ الصَّلَاةِ الْإِبْتِغَاءَ مِنْ
فَضْلِهِ، والانتِشَارَ فِي الْأَرْضِ لِمَا أَرَادُوا مِنْ بَيْعٍ وَغَيْرِهِ. وليست آيَةُ الدِّينِ
كَذَلِكَ، وَلَكِنَّ الَّذِي رَخَّصَ فِي تَرْكِ الإِشْهَادِ فِي قَوْلِ قَوْمٍ قَوْلُهُ: ﴿فَإِنْ أَمِنَ
بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُوتِيَ أَمَانَتَهُ﴾^(١٠).

أَيُّ يَكْتُبُ بِالْحَقِّ، لَا يَكْتُبُ لَصَاحِبِ الدِّينِ فَضْلاً عَلَى الَّذِي عَلَيْهِ الدِّينُ
وَلَا يُنْقِصُهُ مِنْ حَقِّهِ - فَهَذَا الْعَدْلُ.

(١) الْمُتَّصِفُ بِهِ، أَيِ الْمَدِينِ.

(٢) فِي الْأَصْلِ إِذْنٌ - وَالْمَثْبُوتُ رَوَايَةُ لُكَّ، ط.

(٣) الْمَائِدَةُ ٥ - ٢.

(٤) فِي الْأَصْلِ يَحْلُونَ - يَصْطَادُوا.

(٥) الْجُمُعَةُ ٦٢ - ١٠ - وَالْأَمْرُ فِيهَا جَمِيعاً لِلْإِبَاحَةِ.

(٦) فِي لُكٍّ بَغِيرِ تَحْرِيمٍ.

(٧) الْمَائِدَةُ ٥ - ٩٦.

(٨) الْمَائِدَةُ ٥ - ٩٥.

(٩) الْجُمُعَةُ ٩.

(١٠) الْبَقَرَةُ ٢ - ٢٨٣.

ومعنى: ﴿وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ﴾.

أي لا يَأْب أن يكتب كما أمره الله به من الحق، وقيل ﴿كما علمه الله فليكتب﴾، أي كما فضله الله بالكتاب فلا يَمْنَعُ المَعْرُوفَ بكتابه. وأبى يَأْبى في اللغة منفرد لم يَأْتِ مثله إلا قَلَى يَقْلَى، والذي أَتَى أبى يَأْبى لا غير - فَعَلَ يَفْعَل، وهذا غير معروف إلا أن يكون في موضع العين من الفعل أو اللام حرف من حروف الحلق، وقد بينهاها، ولكن القول فيه أن الألف في أبى أَشْبَهَتِ الهمزة فجاءَ يَفْعَل مفتوحاً لِهَذِهِ الْعِلَّةِ، وهذا القول لإسماعيل بن إسحق^(١) ومثله قلى يلقي^(٢).

ومعنى قوله عز وجل: ﴿وَلَا يَخْشَى مِنْهُ شَيْئاً﴾ أي لَا يَنْقُصُ مِنْهُ شَيْئاً.

وقوله عز وجل: ﴿فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهاً أَوْ ضَعِيفاً أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ﴾.

السفيه الخفيف العقل، ومن هذا قيل تسفहत الريح الشيء إذا حركته، واستخفته، قال الشاعر: (٣)

مشين كما اهتزت رماح تسفहत أعاليها مر الرياح النواسم

(١) إسماعيل بن إسحق من أسرة آل حماد، موالى آل جرير بن حازم ولد ونشأ بالبصرة ثم استوطن بغداد. جمع علم القرآن والحديث والفقه والكلام وعلوم اللسان - كان من نظراء المبرد في علم كتاب سيويه - كان شيخ المالكية في زمانه - وقال المبرد: لولا اشتغاله برئاسة الفقه والقضاء لذهب برئاستنا في النحو والأدب. ألف كتباً كثيرة وله كتاب في أحكام القرآن ولم يُسَبَقْ إليه، وكتاب في معاني القرآن. توفي سنة ٢٨٠ هـ. له ترجمة في الديباج المذهب ص ٩٢ ط ١٩٢٩، وفي غاية النهاية ١٥٤ - وانظر ص ٩٦ فيما سبق.

(٢) ليست في ك.

(٣) ذو الرمة. والبيت في ديوانه ٦١٦، اللسان «سفه» - يصف نسوة - ورماح: أغصان وتسفहत أمالت - والنواسم الضعيفة والبيت أيضاً في القرطبي ٣ - ٣٨٦.

فالنساء والصبيان^(١) اللاتي لا يميزن تميزاً صحيحاً سفهاء، والضعيف في عقله [سفيه] والذي لا يقدر على الإملاء العبي .

وجائز أن يكون الجهول سفيهاً كهؤلاء .

ومعنى : فليملل وليه بالعدل : أي الذي يقوم بأمره ، لأن الله أمر ألا نؤتي السفهاء الأموال . وأمر أن يقام لهم بها فقال : ﴿وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ﴾^(٢) .

فوليه الذي يقوم مقامه في ماله لو كان مميزاً .

وقال قوم : ولي الدّين . وهذا بعيد : كيف يقبل قول المدعي ، وما حاجتنا إلى الكتاب والأشهاد والقول قوله :

﴿وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ .

معنى رجالكم من أهل ملتكم^(٣) .

وقوله عز وجل : ﴿فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾ .

أي فالذي يشهد - إن لم يكن - رجلان^(٤) - رجل وامرأتان ومعنى ﴿ممن ترضون من الشهداء﴾ ، أي ممن ترضون مذهبه ، ودل بهذا القول أن في الشهود من ينبغي ألا يرضى .

﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾ .

من كسر ﴿أن﴾ فالكلام على لفظ الجزاء ، ومعناه : المعنى في «إن تضل» إن تنسى إحداهما ، تذكرها الذّاكرة فتذكر . و «فتذكر» رفيع مع كسر «إن» لا

(١) ك الصبيان والنساء .

(٢) سورة النساء ٤ - ٥ .

(٣) ك معناه من أهل دينكم .

(٤) ذكر المثني بالرفع على معنى إن لم يوجد .

غير^(١) - ومن قرأ أن تَضِلَّ فتَذَكَّرَ، وهي قراءة أكثر الناس، فزَعَمَ بعض أهل اللغة فيها أن الجزاء فيها مقدَّم (أصله التأخير)^(٢) وقال: المعنى: استشهدوا امرأتين مكان الرجل كي تَذَكَّرَ الذاكرة الناسية. إن نَسِيتُ. فلما تقدَّم الجزاء اتصل بأول الكلام وفتَحَتْ أن وصارَ جوابه مردوداً عليه، ومثله إني لَيُعْجِبُنِي أن يَسْأَلَ السَّائِلَ فيعطى، قال والمعنى إنما يُعْجِبُهُ الإِيعَاءُ إن سَأَلَ السَّائِلَ وزعم أن هذا قول بين.

ولست أعرف لِمَ صار الجزاء إذا تقدَّم - وهو في مكانه^(٣) أو في غير مكانه وجب أن يفتح أن^(٤) [معه].

وذكر سيبويه والخليل وجميع النحويين الموثوق بعلمهم أن المعنى استشهدوا امرأتين لأن تَذَكَّرَ إحداهما الأخرى، ومن أجل أن تَذَكَّرَ إحداهما الأخرى، قال سيبويه: فإن قال إنسان فلم جاز ﴿أن تضل﴾ وإنما أعد هذا للإذكار، فالجواب أن الإذكار لما كان سببه الإضلال جاز أن يذكر ﴿أن تضل﴾، لأن الإضلال هو السبب الذي أوجب الإذكار، قال ومثله: أعددت هذا الجذع أن يَمِيلَ الحائطُ، فأدعمه، وإنما أعددته للدعم لا للميل، ولكن الميل ذكر لأنه سبب الدعم، كما ذكر الإضلال لأنه سبب الإذكار - فهذا هو البين إن شاء الله.

وقوله عز وجل: ﴿وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾.

(١) ورفع المضارع إما لأن جواب الشرط محذوف دل عليه ما تقدم، وإما لأن الفاء واقعة في جواب الشرط - وكلاهما غير جيد، الأول فاسد المعنى والثاني فيه «تذكر» معاملة الأمر وهو ليس أمراً لفظاً.

(٢) ك - فقط.

(٣) في ط وفي غير مكانه.

(٤) الإعتراض على التخريج، وجعله فتح أن للسبب الذي ذكر أما القراءة بفتح أن فواضح أنها للتعليل وتمثيله جيد.

يروى عن الحسن أنه قال: لا يَأْبُ الشَّهَادَةُ إِذَا مَا دُعُوا لابتداء الشهادة،
أي ولا يَأْبُوا إِذَا دُعُوا لإقامتها.

وهذا الذي قال الحسن هو الحق - والله أعلم - لأن الشهادة إِذَا أَبُوا -
وكان ذلك لهم - أَنْ يَشْهَدُوا تَوَيْتَ^(١) حقوقهم وبطلت معاملاتهم فيما يحتاجون
إلى التوثق فيه.

وقال غير الحسن: ﴿لَا يَأْبُ الشَّهَادَةُ إِذَا مَا دُعُوا﴾ - وكانت في أعناقهم
شهادة - أَنْ يَقِيمُوهَا. فأما إِذَا لَمْ يَكُونُوا شُهَدَاءَ فَهُمْ مَخِيرُونَ فِي ابْتِدَاءِ
الشهادة، إِنْ شَاءُوا شَهِدُوا وَإِنْ شَاءُوا أَبَوْا^(٢).

ويدل على تأكيد أَنْ الشاهد ينبغي له إِذَا مَا دَعِيَ ابْتِدَاءً أَنْ يجيب قوله
تعالى: ﴿وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ﴾.

أي لا تملوا أَنْ تكتبوا مَا أَشْهَدْتُمْ عَلَيْهِ، فَقَدْ أَمُرُوا بِهَذَا، فهذا يؤكد أَنْ
أمر الشهادة في الابتداء واجب، وأنه لا ينبغي أَنْ يُمَلَّ ويقال سُمْتُ أَسْأَمَ
سَامَةً. وسَامًا، قال الرَّاجِز:

لَمَّا رَأَيْتَ أَنَّهُ لَا قَامَةَ وَأَنْنِي سَاقٍ عَلَى السَّامَةِ

نَزَعْتُ نَزْعًا زَعَزَعَ الدَّعَامَةَ^(٣)

ومعنى: ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً﴾.

أَكْثَرَ الْقَرَاءِ عَلَى الرَّفْعِ [تِجَارَةً حَاضِرَةً] عَلَى مَعْنَى: إِلَّا أَنْ تَقَعَ تِجَارَةٌ

(١) من التوى وهو البوار والهلاك، أي ضاعت حقوق المتعاملين.

(٢) تكون الشهادة في أعناقهم إِذَا تَعَيَّنَتْ عَلَيْهِمْ وَلَمْ يَكُنْ مِنْ يَشْهَدُ غَيْرُهُمْ.

(٣) اللسان (دعم - قوم) وفيه «أنها لاقامة». والقامة هي البكرة تعلق على فم البئر ويربط الدلو فيها.

حاضرة. ومن نصب تجارة - وهي قراءة عاصم فالمعنى إلا أن تكون المداين
تجارة حاضرة. والرفع أكثر وهي قراءة الناس.

فرخص الله عز وجل في ترك كتابة ما يديرونه بينهم لكثرة ما تقع
المعاملة فيه، وأنه أكثر ما تقع المتاجرة بالشيء القليل، وإن وقع فيه الدين،
ووكّد في الأشهاد في البيع فقال:

﴿وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ وقد بينا ما الذي رخص في ترك، الإِشهاد^(١).

ومعنى: ﴿وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾.

قالوا فيه قولين: قال بعضهم: ﴿لَا يُضَارَّ﴾: لا يضارر^(٢)، فأدغمت الراء
في الراء، وفتحت لالتقاء الساكنين، ومعنى لا يضار لا يكتب الكاتب إلا
بالحق ولا يشهد الشاهد إلا بالحق. وقال قوم: ﴿لَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾: لا
يُدعى الكاتب وهو مشغول لا يمكنه ترك شغله إلا بضرر يدخل عليه، وكذلك
لا يُدعى الشاهد ومجيئه للشهادة يضر به والأول أبين لقوله: ﴿وَإِنْ تَفَعَّلُوا فَإِنَّهُ
فُسُوقٌ بِكُمْ﴾.

فالفاسق أشبه بغير العدل ويمن حُرّف الكتاب منه بالذي دعا شاهداً
ليشهد، ودعا كاتباً ليكتب، وهو مشغول فليس يسمى هذا فاسقاً ولكن يسمى
من كذب في الشهادة ومن حرف الكتاب فاسقاً.

وقوله عز وجل: ﴿فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ﴾.

قرأ الناس «فرهن مقبوضة» و«فرهان مقبوضة» فأما رهن فهي قراءة أبي
عمرو، وذكر فيه غير واحد أنها قرئت: «فرهن» ليفصل بين الرهان في الخيل

(١) في الصفحة السابقة.

(٢) الفعل يصلح مبنياً للمعلوم... «يضارر» أي يضر غيره، ويصلح أن يكون مبنياً للمجهول.
«يضارر» أي يضره غيره.

وبين جَمْع رَهْن في غيرها، ورُهْن ورهان أكثر في اللُّغَةِ، قال الفراء «رُهْن» جمع رِهَانٍ، وقال غيره: رُهْن ورُهْن^(١) مثل سُقْف وسَقْف. وفعل وفُعل قليل إلا أنه صحيح قد جاء؛ فأما في الصفة فكثير، يقال: فرَسٌ وَرْدٌ، وخيل وَرْدٌ، ورجل نَطٌّ وَقَوْمٌ نَطٌّ^(٢)، والقراءةُ على «رُهْن» أعجَبُ إليَّ^(٣) لأنها موافقة للمصحف^(٤)، وما وافق المصحف وصح معناه وقرأت به القراء فهو المُختار، ورِهَانٌ جَيِّدٌ بالغ.

يقال: رَهْنْتُ الرهن وأَرَهَنْتُهُ، وَأَرَهَنْتُ أَقْلَهُمَا، قال الشاعر^(٥) في أَرَهَنْتُ:

فَلَمَّا خَشِيتُ أَظَافِيرَهُمْ نَجَوْتُ وَأَرَهَنْتُهُمْ مَالِكاً

وقال في رَهْنْتُ: أنشدته غير واحد: ^(٦)

(١) أي إن الفراء يعتبر «رُهْن» جمع رهان، ورهان جمع رَهْن فالكلمة إذن جمع الجمع، أما غيره فيرى أنها جمع المفرد.

(٢) رجل نط: ثقیل البطن خفيف الشعر.

(٣) أي يعجب بها أكثر من غيرها، وأعجب صيغة شاذة من تعجب واستعجب - ومن أعجب.

(٤) «رهان مقبوضة» كتبت في الرسم العثماني «رِهْن» بغير ألف فهي مستكملة الشروط الثلاثة لصحة القراءة: موافقة النحو التي بها يصح المعنى، وموافقة الرسم وصحة الرواية. أنظر مقدمة ابن الجزري. (ص ٨).

(٥) هو عبد الله بن همام السلولي، توعده عبيد الله بن زياد ففر إلى الشام مستنجداً بيزيد، ومالك عريفه، تركه لجنود عبيد الله ونجا نفسه، أنظر العيني ٣ - ١٩٠، ومعاهد التنصيص ١ - ٩٦، وأظافير جمع أظفور وظفر، ورواية معاهد التنصيص: (وأرهنهم).

(٦) لأحيحة بن الجلاح شاعر جاهلي توفي سنة ١٣٠ ق، ملام كان سيد الأوس وكان مرابياً واسع الثراء له حصنان: المستظل في المدينة والصخبان خارجها، وكان له مزارع وبساتين، وكان له من بني النجار زوجة خلفه عليها هاشم بن عبد مناف جد رسول الله ﷺ وهي أم عبد المطلب (الأغاني ١٢ - ١١٥)، وأنظر الخزانة ٢ - ٢٣ وأمثال الميداني ١ - ١٣ ورواية البيت الثالث في اللسان: وما يدري، وبيت رابع هو:

وما تدري إذا يُمُتَ أمراً بأي الأرض يدركك المقييل =

فَهَلْ مِنْ كَاهِنٍ أَوْ ذِي إِلَهٍ إِذَا مَا حَانَ مِنْ رَبِّي قُفُولُ
يُرَاهُنُنِي فَيَرَهُنُنِي بَنِيهِ وَأَرْهَنُهُ بَنِي بِمَا أَقُولُ
لَمَّا يَذْرِي الْفَقِيرُ مَتَى غِنَاهُ وَمَا يَذْرِي الْغَنِيُّ مَتَى يُعِيلُ
وقوله عز وجل: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾.

معناه هو خالقهما.

﴿وَإِنْ تُبْذُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾.

معناه إن تظهروا العمل به أو تُسرُّوه يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ، وقد قيل إن هذا منسوخ، روي عن النبي ﷺ أنه قال تُجَوِّزُ لهذه الأمة عن نسيانها وما حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسُهَا.

ولما ذكر الله - جلَّ وعزَّ - فَرَضَ الصلاة والزكاة والطلاق والحيض والإيلاء والجهاد وأَقَاصِصُ الأنبياءِ والذِّينِ والربا، ختم السورة بذكر تعظيمه وذكر تصديق نبيه ﷺ والمؤمنين بجميع ذلك فقال:

﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾.

أي صدق الرسول بجميع هذه الأشياء التي جرى ذكرها وكذلك المؤمنون.

﴿كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ﴾ أي صدَّقَ بِاللَّهِ وملائكته وكتبه.

- وقرأ ابن عباس - وكتابَه وقرأته جماعة من القراء.

فأما كُتِبَ فجمع كتاب، مثل: مِثَالٌ وَمُثَلٌّ، وَجِمَارٌ وَحُمْرٌ، وقيل لابن عباس في قراءته «وكتابه» فقال كتاب أكثر من كتب. ذهب به إلى اسم الجنس

= ويعيل: يفتقر. يَنْشُدُ شخصاً ذا تدين يتحالف معه ليرعى كل أولاد الآخر بعد موته، لأن حال الحياة لا تدوم.

كما تقول: كثر الدرهم في أيدي الناس^(١).

ومعنى: ﴿لَا تُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾.

أي لا نفعل كما فعل أهل الكتاب قبلنا. الذين آمنوا ببعض الرسل وكفروا ببعض، نحو كفّر اليهود بعبسى، وكفّر النصارى بغيره فأخبر عن المؤمنين أنهم يقولون لا نفرّق بين أحدٍ من رُسُلِهِ.

وقوله عز وجل: ﴿وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾.

أي ﴿سَمِعْنَا﴾ سَمِعَ قَابِلِينَ. و﴿أَطَعْنَا﴾: قِيلَنَا مَا سَمِعْنَا، لَأَنْ مَنْ سَمِعَ فَلَمْ يَفْعَلْ قِيلَ لَهُ أَصَمَّ - كما قال جَلَّ وعزَّ: ﴿صُمٌّ - بُكْمٌ - غُمِّيٌّ﴾. ليس لأنهم لَا يَسْمَعُونَ ولكنهم صاروا في ترك القبول بمنزلة من لا يسمع قال الشاعر:

أَصَمُّ عَمَّا سَاءَهُ سَمِيعٌ^(٢)

ومعنى: ﴿غُفْرَانِكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾.

أي أغفر غُفْرَانَكَ، وفُغْلَانٍ مِنْ أَسْمَاءِ الْمَصَادِرِ نحو السُّلْوَانِ والكُفْرَانِ.

ومعنى: ﴿وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ أي نحن مقرّون بالبعث.

وقوله عز وجل: ﴿لَا يَكْلَفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾.

أي إِلَّا قَدَرَ طَاقَتَهَا، لا يكلفها فرضاً من فُرُوضِهِ من صَوْمٍ أو صَلَاةٍ أو صَدَقَةٍ أو غير ذلك إِلَّا بِمَقْدَارِ طَاقَتِهَا.

ومعنى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾.

أي لا يُوَاخِذُ أَحَدًا بِذَنْبٍ غَيْرِهِ - كما قال - جَلَّ وعزَّ: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾^(٣).

(١) في الأصل أكثر الدرهم.

(٢) تقدم أنه في اللسان سمع. ولا يعرف قائله.

(٣) الإسراء ١٧ - ١٥.

ومعنى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾.

قيل فيه قولان: قال بعضهم إنه على ما جاء عن النبي ﷺ (عُفِيَ لَهُذِهِ الْأُمَّةُ عَنْ نِسْيَانِهَا وَمَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا) وقيل: ﴿إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ أي إن تَرَكْنَا. ﴿أَوْ أَخْطَأْنَا﴾: أي كَسَبْنَا خَطِيئَةً وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

إلا أن هذا الدعاء أخبر الله به عن النبي ﷺ والمؤمنين وجعله في كتابه ليكون دعاء مَنْ يَأْتِي بعد النبي ﷺ والصحابه رحمهم الله، وروى عن النبي ﷺ أن الله - جلّ وعزّ - قال في كل فصل من هذا الدعاء فَعَلْتُ فَعَلْتُ أَيِ اسْتَجَبْتُ.

فَهُوَ مِنَ الدُّعَاءِ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يُحْفَظَ وَأَنْ يُدْعَى بِهِ كَثِيرًا.
وقوله جلّ وعزّ: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾.

كل عقد من قرابة أو عهد فهو إَصْرٌ، العرب تقول: مَا تَأْصِرُنِي عَلَى فُلَانٍ أَصْرَةً. أي مَا تَعْطِفُنِي عَلَيْهِ قَرَابَةً وَلَا مِثْلَهُ (١) قال الحطيئة:

عَطَفُوا عَلَيَّ بِغَيْرِ أَصْرَةٍ فَقَدْ عَظُمَ الْأَوَاصِرُ (٢)

أي عطفوا عليّ بغير عهد قرابة، وَالْمَأْصَرُ مِنْ هَذَا مَا أُخُوذُ إِنَّمَا هُوَ عَقْدٌ (٣) ليحبس به، ويقال للشيء الذي تُعَقِّدُ بِهِ الْأَشْيَاءَ الْإِصَارَ (٤).

فَالْمَعْنَى لَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا أَمْرًا يَثْقُلُ كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا نَحْنُ مَا

(١) أي صنيع وأسداء يد.

(٢) ديوانه ص ١٧٤ تحقيق نعمان أمير طه - القاهرة ١٩٥٨ يمدح آل شماس بن بدر بأنهم أووه من غير سابق قرابة.

(٣) كُ إِنَّمَا عَقْدٌ.

(٤) في الأصل الإِصَار «من هذا».

أَمَرَ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ مِنْ قَتْلِ أَنْفُسِهِمْ، أَيْ لَا تَمْتَحِنًا بِمَا يَثْقُلُ. (أَيْضًا) ^(١) نَحْوُ قَوْلِهِ: ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِيُوتِيَهُمْ سُقْفًا مِنْ فِضَّةٍ﴾ ^(٢).

والمعنى لا تمتحنا بمحنة تثقل.
ومعنى: ﴿وَلَا تُحْمَلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾.

أي ما يثقل علينا، فإن قال قائل - فهل يجوز أن يُحْمَلَ اللَّهُ أَحَدًا مَا لَا يَطِيقُ. قيل له: إن أردت ما ليس في قدرته البتة فهذا محال. وإن أردت ما يَثْقُلُ ويخفف فللله عِزٌّ وَجَلٌّ أَنْ يَفْعَلَ مِنْ ذَلِكَ مَا أَحَبَّ. لأن الذي كلفه بني إسرائيل (من) ^(٣) قتل أنفسهم (يَثْقُلُ)، وهذا كقول القائل: ما أُطِيقُ كلام فلان، فليس المعنى ليس في قدرتي أَنْ أَكَلِّمَهُ ولكن معناه في اللغة أنه يثقل عليّ.

ومعنى: ﴿فَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾.
أي أَنْصُرْنَا عَلَيْهِمْ فِي إِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ، وَفِي غَلْبِنَا إِيَّاهُمْ فِي حَرْبِهِمْ وَسَائِرِ أَمْرِهِمْ، حَتَّى تَظْهَرَ دِينُنَا عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ كَمَا وَعَدْنَا.

(١) ك فقط.

(٢) الزخرف ٤٣ - ٣٣.

(٣) ليست في ك

سورة آل عمران

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل: ﴿الْمَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾.

أجمعت القراء على فتح الميم وقد روي عن الرواسي «الم الله» بتسكين الميم، وقد روى هذه القراءة بعضهم عن عاصم والمضبوط عن عاصم في رواية أبي بكر بن عيَّاش وأبي عمرو فتح الميم، وفتح الميم إجماعاً.

وقد شرحنا معنى ﴿الْم﴾^(١).

واختلف النحويون في علة فتح الميم، فقال بعض البصريين: جائز أن يكون الميم فتحاً لالتقاء الساكنين، وجائز أن يكون طرحت عليها فتحة الهمزة لأن نية حروف الهجاء الوقف، وهذا أيضاً قول الكوفيين.

وذكر أبو الحسن الأخفش أن الميم لو كُسرت لالتقاء الساكنين فقليل «الم الله» لجاز، وهذا غلط من أبي الحسن لأن قبل الميم ياء مكسوراً ما قبلها فتحها الفتح لالتقاء الساكنين وذلك لثقل الكسرة مع الياء.

فأما «الْقِيَوْمُ» فقد روي عن عُمَرَ وابن مَسْعُود جميعاً أنها قرءا القِيَام، وقد رويت الْقِيَم، والذي ينبغي أن يُقرأ ما عليه المصحف، وهو الْقِيَوْم بالواو، والقِيَم أيضاً جيد بالغ كثير في العربية، ولكن القراءة بخلاف ما في المصحف لا

(١) انظر أول سورة البقرة.

تُحْزَرُ، لِأَنَّ الْمَصْحَفَ مَجْمَعٌ عَلَيْهِ، وَلَا يَعَارِضُ الْإِجْمَاعَ بِرَوَايَةِ لَا يَعْلَمُ كَيْفَ صَحَّتْهَا.

ومعنى ﴿الْقِيَوْمُ﴾: الْقَائِمُ بِتَدْبِيرِ جَمِيعِ مَا خَلَقَ مِنْ إِحْيَاءٍ وَإِنْشَاءٍ وَرَزْقٍ وَمَوْتٍ.

وأصل قِيَوْمٍ قِيُومٌ، إِلَّا أَنَّ الْيَاءَ إِذَا سَبَقَتْ الْوَاوُ بِسُكُونٍ قُلِبَتْ لَهَا الْوَاوُ وَأُدْغِمَتِ الْيَاءُ فِيهَا وَكَذَلِكَ الْقِيَامُ أَصْلُهُ الْقِيُومُ، وَمَعْنَى الْكِتَابِ مَا كُتِبَ يَقَالُ لِلْقُرْآنِ كِتَابٌ لِأَنَّهُ يُكْتَبُ، وَمَعْنَى يَكْتَبُ فِي اللُّغَةِ يَجْمَعُ بَعْضُهُ إِلَى بَعْضٍ، وَالْكُتُبَةُ فِي اللُّغَةِ الْحَزَزَةُ^(١) وَجَمْعُهَا كُتُبٌ وَالْكُتَيْبَةُ الْقِطْعَةُ مِنَ الْجَيْشِ الْعَظِيمَةِ، إِنَّمَا سُمِّيَتْ لِاجْتِمَاعِ بَعْضِهَا إِلَى بَعْضٍ^(٢).

ومعنى ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أَيُّ لِلْكِتَابِ الَّتِي تَقْدُمُتُهُ وَالرَّسْلِ الَّتِي أُتَتْ بِهَا.

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ﴾ أَيُّ مِنْ قَبْلِ الْقُرْآنِ.

وقَدْ اخْتَلَفَ النُّحَوِيُّونَ فِي «تَوْرَةٍ» فَقَالَ الْكُوفِيُّونَ تَوْرَةٌ يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ «تَفْعَلَةٌ» مِنْ وَرَيْتُ بِكَ زِنَادِي، فَالْأَصْلُ «عِنْدَهُمْ»^(٣). تَوْرِيَّةٌ إِلَّا أَنَّ الْيَاءَ قُلِبَتْ أَلْفًا لِتَحْرِكِهَا وَانْفِتَاحِ مَا قَبْلُهَا. «وَتَفْعَلَةٌ» لَا تَكَادُ تُوجَدُ فِي الْكَلَامِ، إِنَّمَا قَالُوا فِي تَفْعَلَةٍ «تَفْعَلَةٌ»^(٤).

وقال بعضهم يصلح أن يكون تَفْعَلَةٌ مِثْلَ تَوْصِيَةٍ وَلَكِنْ قُلِبَتْ مِنْ تَفْعَلَةٍ

(١) السِّيرِيخْرُزْبِيَّةُ وَهِيَ بِضَمِّ الْكَافِ.

(٢) سَبَقَ هَذَا ص ١٤٤.

(٣) فِي الْأَصْلِ وَكَ. عِنْدَهُ.

(٤) أُنْشِئَ التَّفْعَلُ وَهُوَ الثَّعْلَبُ وَيُقَالُ فِيهِ أَيْضًا تُفْعَلُ بِضَمِّ أَوَّلِهِ وَالْمَعْنَى أَنَّ الْعَرَبَ لَمْ تَقُلْ تَفْعَلُ فِي غَيْرِ هَذِهِ الْكَلِمَةِ.

إِلَى تَفْعَلَةٍ. وَكَأَنَّهُ يَجِيزُ فِي تَوْصِيَةِ تَوْصَاةٍ، وَهَذَا رَدِيٌّ وَلَمْ يَثْبُتْ فِي تَوْفِيَةِ تَوْفَاةٍ،
وَلَا فِي تَوْفِيَةِ تَوْقَاهِ.

وَقَالَ الْبَصْرِيُّونَ: أَصْلُهَا فَوَعَلَةٌ، وَفَوَعْلَةٌ كَثِيرٌ فِي الْكَلَامِ مِثْلُ الْحَوَقْلَةِ،
وَدَوَخْلَةٍ^(١) وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ. وَكُلُّ مَا قَلَّتْ فِيهِ فَوَعْلَتٌ فَمُضَدُّهُ فَوَعْلَةٌ، فَأَصْلُهَا
عِنْدَهُمْ «وَوْرِيَّةٌ» وَلَكِنْ الْوَائِ الْأَوَّلَى قَلَبْتَ تَاءً كَمَا فِي «تَوَلَّجَ»^(٢) وَإِنَّمَا هُوَ فَوَعَلٌ مِنْ
وَلَجَتْ، وَكَمَا قَلَبْتَ فِي تَرَاثٍ. الْيَاءُ الْأَخِيرَةُ^(٣)، قَلَبْتَ أَيْضاً لَتَحْرِكُهَا وَانْفِتَاحَ مَا
قَبْلَهَا بِإِجْمَاعٍ^(٤).

وَأَنْجِيلٌ: إِفْعِيلٌ مِنَ النَّجْلِ وَهُوَ الْأَصْلُ: هَكَذَا يَقُولُ جَمِيعُ أَهْلِ اللُّغَةِ فِي
إِنْجِيلٍ.

وَمَعْنَى: ﴿مِنْ قَبْلِ هُدًى لِلنَّاسِ﴾: أَيُّ مِنْ قَبْلِ الْقُرْآنِ.
وَمَعْنَى: ﴿وَأَنْزَلَ الْقُرْآنَ﴾. أَيُّ مَا فُرِّقَ بِهِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ وَرُوي عَنْ
بَعْضِ الْمَفْسَرِينَ أَنَّ كُلَّ كِتَابٍ^(٥) لِلَّهِ فُرْقَانٌ.
وَمَعْنَى: ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ أَيُّ قَدْ ذَلَّ لَهُ كُلُّ شَيْءٍ بِأَثَرِ صَنْعَتِهِ فِيهِ.
وَمَعْنَى: ﴿ذُو انْتِقَامٍ﴾ أَيُّ ذُو أَنْقَامٍ يَمُنُّ كَفَرُ بِهِ، لِأَنَّ ذِكْرَ الْكَافِرِينَ هَهُنَا
جَرَى.

وَمَعْنَى: ﴿لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾.
أَيُّ هُوَ ظَاهِرٌ لَهُ، وَهُوَ جَلٌّ وَعَزٌّ أَنْشَأَ.

وَمَعْنَى: ﴿يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾.

(١) الدوخلة سفيفة - أي نسيج - من خوص يوضع فيها الثمر . . . بمقدار الزبيب والحلة.
(٢) كناس الوحش.
(٣) أصلها وورية . قَلَبْتَ الْوَائِ فِي أَوَّلِهَا تَاءً وَقَلَبْتَ الْيَاءَ أَلِفاً.
(٤) آثر الزجاج مذهب البصريين.
(٥) فِي الْأَصْلِ - كُلُّ كِتَابِ اللَّهِ، وَالْمَعْنَى فِيهِمَا: كُلُّ كِتَابِ اللَّهِ.

أَيُّ عَلَى مَا يَشَاءُ مِنْ عَظَمٍ وَصَغَرٍ لَوْ، وَضَعْفٍ وَقُوَّةٍ. وَلَهُ - جَلٍّ وَعِزٍّ - فِي ذَلِكَ حِكْمَةٌ كَمَا قَالَ: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

وقوله جَلٍّ وَعِزٍّ: ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾.

روي عن ابن عباس [رضي الله عنه] أنه قال: (١) المحكمات: الآيات في آخر الأنعام. وهي قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ﴾ (٢) إلى آخر هذه الآيات، والآيات المتشابهات آلم والمر وما اشبهه على اليهود من هذه ونحوها.

وقال قوم: معنى ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ﴾، أي أحكمت في الإبانة فإذا سمعها السامع لم يحتج إلى تأويلها لأنها ظاهرة بينة نحو ما أنبأ الله من أقاصيص الأنبياء مما اعترف به أهل الكتاب وما أخبر الله به من إنشاء الخلق من قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾ (٣) فهذا اعترف القوم به وأقروا بأن الله هو خالقهم، وما أخبر الله به من خلقه من الماء كل شيء حي وما خلق لهم من الثمار وسخر لهم من الفلك والرياح وما أشبه ذلك. فهذا ما لم ينكروه، وأنكروا ما احتاجوا فيه إلى النظر والتدبر من أن الله عَزَّ وَجَلَّ يبعثهم بعد أن يصيروا تراباً فقال: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنْبِئُكُمْ إِذَا مُزِقْتُمْ كُلٌّ مَزْقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ﴾ (٤). ﴿وَكُنَّا إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ. أَوْ آبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ﴾ (٥).

(١) ك - أنه قال في المحكمات.

(٢) الأنعام (٦) آية ١٥١ وما بعدها.

(٣) سورة المؤمنون (٢٣) آية ١٤.

(٤) سورة سبأ. (٣٤) آية ٨.

(٥) سورة الواقعة (٥٦) ٤٧ - ٤٨.

فهذا الذي هو المتشابه^(١) عليهم فأعلمهم الله الوجه الذي ينبغي أن يستدلوا به على أن هذا المتشابه عليهم كالظاهر إن تدبروه ونظروا فيه، فقال عز وجل: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ حَلْفَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ. قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ. الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا﴾^(٢). وقال: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ أي إذا كنتم قد أقررتم بالإنسان والابتداء فما تنكرون من البعث والنشور؟ فهذا قول كثير من الناس وهو بين واضح. والقول الأول حسن أيضاً^(٣).

فأما ﴿أَخْرُ﴾ فغير مصروقة. زعم سيبويه والخليل أن ﴿أَخْرُ﴾ فارقت أخواتها والأصل الذي عليه بناء أخواتها، لأن أَخْرَ أصلها أن تكون صفة بالالف واللام. كما تقول الصغرى والصُّغْرَى، والكبرى والكُبْرَى فلما عدلت عن مجرى الألف واللام وأصل ﴿أَفْعَلُ مِنْكَ﴾ وهي مما لا تكون إلا صفة - منعت الصرف^(٤).

وقوله عز وجل: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ﴾.

الزيف: الجور والميل عن القصد، ويقال زاع^(٥) يزيف إذا جار. ومعنى ﴿ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ﴾. أي يفعلون ذلك لطلب الفتنة. ولطلب التَّأْوِيلِ، والفتنة في اللغة على ضروب: فالضُّرْبُ الذي ابتغاه هؤلاء [هو] فَسَادُ ذَاتِ الْبَيِّنِ

(١) ط. متشابه.

(٢) يس (٣٧) آيات ٧٨ - ٨١.

(٣) في ط أحسن أيضاً. والفرق فيهما واضح.

(٤) أي علة منعها من الصرف أنها لم تجر مجرى الصفة فتبع بمن ولا دخلتها إل. كالأحسن والأفضل.

(٥) في ط زاع الرجل يزيف.

في الدين والحروب، والفتنة في اللغة: الاستهتار بالشيء والغلو فيه: يقال فلان مفتون في طلب الدنيا، أي قد غلا في طلبها وتجاوز القُدرة. والفتنة الاختبار كقوله عز وجل: ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾^(١) أي اختبرنا، ومعنى ابتغائهم تأويله أنهم طلبوا تأويل بعثهم وإحيائهم، فأعلم الله أن تأويل ذلك ووقته لا يعلمه إلا الله^(٢).

والدليل على ذلك قوله عز وجل: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلٍ﴾^(٣) أي يوم يرون ما وعدوا به من البعث والنشور والعذاب ﴿يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلٍ﴾^(٤) أي الذين تركوه وتركوا ما أنبأ به النبي ﷺ - عن الله - عز وجل من بعثهم، ومجازاتهم، وقوله - عز وجل -: ﴿قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ (أي قد رأينا ما أنبأتنا به الرسل)^(٥).

فالوقف التام قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ أي لا يعلم أحد متى البعث. (غير الله)^(٦).

ومعنى: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ أي الثابتون.

يقال رسخ الشيء يَرَسُخُ رُسُخاً إذا ثبت. [أي] يقولون صدقنا بأن الله يبعثنا، ويؤمنون بأن البعث حق كما أن الإنشاء حق، ويقولون: ﴿كُلُّ مَنْ عِنْدَ رَبِّنَا﴾^(٧).

(١) سورة الأنعام (٦) آية ٥٣.

(٢) طلبوا معرفة وقته وتحديد موعده.

(٣) الأعراف (٧) - آية ٥٣.

(٤) الأعراف (٧) آية ٥٣.

(٥) ليست في ك.

(٦) ك فقط.

(٧) أي المحكم والمتشابه كل من عند الله فنحن نؤمن به.

ويدل على أن الأمر الذي اشتبه عليهم لم يتدبروه، قوله عز وجل: ﴿وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾: أي ذوو العقول^(١).

أي ما يتذكر القرآن وما أتى به الرسول ﷺ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ قوله عز وجل: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾.

أي لَا تُمِلْهَا عَنْ الْهُدَى وَالْقَصْدِ، أي لَا تُضِلَّنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا، وقيل أيضاً: ﴿لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾ لَا تَتَعَبَّدْنَا بِمَا يَكُونُ سَبَباً لَزِيغِ قُلُوبِنَا وَكِلَاهُمَا جَيِّدٌ.

وقوله عز وجل: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ لَيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ يدل على تأويل قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾ - فقولهم: ﴿إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لَيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ إقرار بالبعث ودليل أنهم خالفوا من يتبع المتشابه لأن الذين ابتغوا المتشابه هم الذين أنكروا البعث.

﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾. لا شك فيه. وقد شرح باستقصاء فيما تقدم (من كتابنا)^(٢).

وقوله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾. جائر أن يكون حكاية عن الموحدين، وجائر أن يكون إخباراً عن الله وجائر «فتح». «أن الله لا يخلف الميعاد»، فيكون المعنى جامع الناس لأنك لا تخلف الميعاد. أي قد أعلمتنا ذلك ونحن غير شاكين فيه.

وقوله جل وعز: ﴿وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ﴾. أي الكفار يعذبون^(٣) وهم وقود أنفسهم، كلما نضجت جلودهم وعظامهم بالانتقاد بدّلوا جلوداً غيرها. فعذبهم بجلودهم وعظامهم.

(١) في الأصل ذو العقول.

(٢) ك فقط. وأنظر ص ٦٩.

(٣) في الأصل وك - يعذبون بهم.

وقوله جلَّ وعزَّ: ﴿كَذَابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾.

أي كشأن آل فرعون، وكأمر آل فرعون، كذا قال أهل اللغة والقول عندي فيه - والله أعلم - إن «دأب» ههنا أي اجتهدهم في كفرهم وتظاهرهم على النبي ﷺ كتظاهر آل فرعون على موسى عليه السلام.

وموضع الكاف رفع وهو في موضع خبر الابتداء، المعنى دأبهم مثل دأب آل فرعون، و﴿كَذَابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾^(١).

يقال دأبت أدأب دأباً ودؤوباً إذا اجتهدت في الشيء، ولا يصلح أن تكون الكاف في موضع نصب بكفروا لأن كفروا في صلة الذين، لا يصلح أن الذين كفروا ككفر آل فرعون لأن الكاف خارجة من الصلة ولا يعمل فيها ما في الصلة^(٢).

وقوله: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ﴾.

وتقرأ سيغلبون، فمن قرأ بالتاء فللحكاية والمخاطبة، أي قل لهم في خطابك ستغلبون. ومن قال سيغلبون فالمعنى بلغهم أنهم سيغلبون. وهذا فيه أعظم آية للنبي ﷺ لأنه أنبأهم بما لم يكن وأنبأهم بغير، ثم بأن تصديق ما أنبأ به لأنه ﷺ غلبهم أجمعين كما أنبأهم.

ومعنى ﴿وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾: بئس المثوى وبئس الفراش.

وقوله عز وجل: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئْتَيْنِ اللَّتَقَتَا﴾.

آية علامة من أعلام النبي ﷺ، التي تدل على تصديقه، والفئة في اللغة

(١) لك: كشأن أمر آل فرعون.

(٢) أي من: ﴿أَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تَغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ﴾، فقد تم الخبر بذكر لن تغني، ولا يعطف على صلة الموصول بعد تمام الجملة.

الفِرْقَة، وهي مأخوذة من قولهم فَأَوْتُ رَأْسَهُ بِالسَّيْفِ وفَأَيْتُهُ إِذَا فَلَقتَهُ ومعنى (١)

فَتَيْنِ فِرْقَتَيْنِ .

﴿فُتَّةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ﴾: الرفع والخفض جائزان جميعاً،
فأما من رفع فالمعنى: إحداهما تُقَاتِلُ في سبيل الله والأخرى كافرة، ومن خَفَضَ
جعل فُتَّةٌ تُقَاتِلُ في سبيل الله وأخرى كافرة بدلاً من فتتين:
المعنى: قد كان لكم آية في فُتَّةٍ تقاتل في سبيل الله وفي أخرى كافرة.

وَأَنشَدُوا بَيْتَ كَثِيرٍ عَلَى جِهَتَيْنِ: (٢)
وَكُنْتُ كَذِي رَجُلَيْنِ رَجُلٌ صَحِيحَةٌ وَرَجُلٌ رَمَى فِيهَا الزَّمَانَ فَشَلَّتْ
وَأَنشَدُوا أَيْضاً: رَجُلٌ صَحِيحَةٌ، وَرَجُلٌ رَمَى فِيهَا الزَّمَانَ.
على البديل من الرجلين (٣).

وقد اختلف أهل اللغة في قولهم «يَرَوْنَهُمْ مِثْلِيهِمْ، رَأْيِي أَلَيْسَ» ونحن نبين
ما قالوه إن شاء الله وما هو الوجه . والله أعلم .
زعم الفراء أن معنى «يَرَوْنَهُمْ مِثْلِيهِمْ» يرونهم ثلاثة أمثالهم قال لأنك إذا
قلت: عندي ألف وأحتاج إلى مثلها فأنت تحتاج إلى ألفين فكأنك قلت أحتاج
إلى مثليها - وإذا قلت عندي ألف وأحتاج إلى مثليها فأنت تحتاج إلى ثلاثة
آلاف، وهذا باب الغلط فيه غلط بين في جميع المقاييس وجميع الأشياء، لأننا إنما
نعقل مثل الشيء ما هو مساو له، ونعقل مثليه ما يساويه مرتين، فإذا جهلنا المثل
فقد بطل التميز، وإنما قال هذا لأن أصحاب النبي ﷺ كانوا ثلاثمائة وأربعة

(١) ك - فالمعنى

(٢) كثير بن عبد الرحمن الخزاعي . ويعرف باسم حبيته عزة، ومن شعراء الشيعة الرافضة - والبيه
من قصيدته - خليلي هذا ربع عزة وهو في الخزانة ٢ - ٣٧٦ ومن الأبيات السائرة .

مجاز أبي عبيدة ١ - ٨٧ معاني الفراء ١ - ١٩٢ ديوان كثير ١ - ٤٦ .

(٣) يريد أن «رجل» تروى بالرفع والجر .

عشر^(١) رجلاً وكان المشركون تسعمائة وخمسين رجلاً فالذي قال يبطل في اللفظ ويبطل في معنى الدلالة على الآية التي تُعْجَز، لأنهم إذا رأوهم على هَيْئَتِهِمْ فليس هذا آية، فَإِنْ زَعَمَ أَنَّ الآيةَ في هذا غلبةُ القليل على الكثير فقد أَبْطَلَ أيضاً لأن القليل يغلب الكثير. موجود ذلك أبداً.

فهذا الذي قال يبطل في اللغة وَفِي الْمَعْنَى وَإِنَّمَا الآيةُ في هذا أَنَّ المشركين كانوا تسعمائة وخمسين وكان المسلمون ثلاثمائة وأربعة عشر فأرى الله -جلَّ وعزَّ- المشركين أَنَّ المسلمين أَقَلُّ من ثلاثمائة والله قد أعلم المسلمين أَنَّ المائة تغلب المائتين فأراهم^(٢) المشركين على قدر ما أعلمهم أنهم يغلبونهم لِيُقَوِّي قلوبهم، وأرى المشركين المسلمين أَقَلَّ من عدد المسلمين، ثم ألقى مع ذلك في قلوبهم الرعب فجعلوا يرون عدداً قليلاً مع رعب شديد حتى غلبوا.

والدليل على صحة هذا القول قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّفَقُّتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾^(٣) فهذا هو الذي فيه آية أن يُرى الشيء بخلاف صورته - والله أعلم -.

ويجوز نصب ﴿فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة﴾، ولا أعلم أحداً قرأ بها. ونصبها من وجهين - أحدهما الجال المعنى التقتا مؤمنة وكافرة^(٤) ويجوز نصبها على أعنى فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة^(٥).

وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿زَيْنٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ﴾.

(١) في الاصول: أربعة وعشرين - والتصحيح من كتب السيرة. ابن هشام وحياة محمد. وفي السيرة الحلبية ثلثمائة وخمسة - وسيذكر هنا قريباً ثلاث مائة وأربعة عشر.

(٢) في ك: هذا - وأراهم.

(٣) الأنفال ٨ - ٤٤.

(٤) صاحب الحال هو فاعل التقتا.

(٥) لم يتقص الأفعال كما وعد - وإنما ذكر - رأي الفراء فقط وفنده.

قيل في ﴿زَيْنَ﴾ قولان: قال بعضهم الله زينها محنة^(١) كما قال:
﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾^(٢)

وقال بعضهم: الشيطان زينها لأن الله قد زهد فيها وأعلم أنها متاع
الغرور.

والقول الأول أجود لأن جعلها زينة محبوبة موجود والله قد زهد فيها بأن
أعلم وأرى زوالها، ومعنى ﴿القناطر﴾ عند العرب الشيء الكثير من المال وهو جمع
قنطار.

فأما أهل التفسير فقالوا أقوالاً غير خارجة من مذهب العرب: قال
بعضهم القنطار ملء مسك^(٣) ثور ذهباً أو فضة وقال بعضهم القنطار ثمانون
ألف درهم. وقال بعضهم: القنطار ألف دينار، وقال بعضهم [ألف] رطل
ذهباً أو فضة.

فهذه جملة ما قال الناس في القنطار.
والذي يخرج في اللغة أن القنطار مأخوذ من عقد الشيء وأحكامه والقنطرة
مأخوذة من ذلك، فكان القنطار هو الجملة من المال التي تكون عقدة وثيقة منه.
فأما من قال من أهل التفسير أنه شيء من الذهب موف^(٤)، فأقوى منه عندي ما
ذكر من أنه من الذهب والفضة، لأن الله - جل وعز - ذكر القناطر فيهما، فلا
يستقيم أن يكون القنطار في إحداها دون الأخرى.

ومعنى ﴿الخيال المسومة﴾^(٥) في اللغة - الخيل عليها السيما والسومة وهي

(١) امتحاناً.

(٢) الكهف «١٨» آية ٧.

(٣) ملء جلده.

(٤) في ط مؤقت.

(٥) في ك المسومة

العلامة، ويجوز - وهو حسن - أن يكون المسومة السائمة، وأُسيِّمَتْ أُرْعِيَتْ.
﴿وَالْأَنْعَامُ﴾ المواشي واحدها نَعَمٌ، أكثر استعمالها في الإبل، ﴿وَالْحَرْثُ﴾ الزرع، وهذا
كله محبَّب إلى الناس كما قال الله - عزَّ وجلَّ^(١): ثم زهد الله في جميعه.

وتأويل التزهيد فيه ليس الامتناع من أن يزرع الناس، ولا من أن يكسبوا
الشيء من جهة، وإنما وجه التزهيد فيه الحث على الصدقة وسلوك سبيل البر التي
أمر بها في ترك الاستكثار من المال وغيره، فهذا وجه التزهيد. فقال جلَّ وعزَّ:
﴿ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي ما يتمتع به فيها.

﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَاَبِ﴾ :

والمآب في اللغة المرجع، يقال آب الرجل يؤوب أوباً وإياباً ومآباً.
وأعلم الله - جلَّ وعزَّ - أن خيراً من جميع ما في الدنيا ما أعدّه لأوليائه
فقال :

﴿قُلْ أُوْنِبْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكَمْ، لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ
تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾.

الرفع [في جنات] القراءة، والخفض جائز على أن تكون ﴿جنات﴾ بدلاً من
خير المعنى أُوْنِبْتُكُمْ بجنات تجري من تحتها الأنهار ويكون، ﴿للذين اتقوا عند
ربهم﴾ من تمام الكلام الأول.

ومعنى ﴿وأزواج مطهرة﴾: أي مطهرة من الأدناس ومطهرة مما يحتاج إليه نساء
أهل الدنيا من الحيض وغيره.

﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ﴾.

أكثر القراءة كسر الراء. وروى أبو بكر بن عياش عن عاصم «ورِضْوَان

(١) أي في الآية السابقة وهي ﴿زين للناس﴾ الخ .

من الله» بضم الراء في كل القرآن، ويقال رَضِيتُ الشيءَ أَرْضَاهُ رضا ومرضاة وِرْضواناً ورُضواناً.

وموضع ﴿الذين يقولون﴾ خفض صفة ﴿للذين اتقوا﴾ المعنى للمتقين القائلين. ﴿ربنا إِنَّا آمَنَّا﴾ وكذلك ﴿الصابرين والصادقين﴾^(١) ولو كانت رفعاً على الاستئناف لجاز ذلك ولكن القراءة لا تجاوز.

ومعنى ﴿القانتين﴾ أي القائمين بعبادة الله، وقد فسرنا القنوت فيما مضى^(٢). ومعنى ﴿المنفقين المتصدقين﴾، وجميع ما في سبيل الله^(٣).

﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾.

السحر الوقت الذي قبل طلوع الفجر. العرب تقول جئتك بأعلى السحر نريد في أول السحر، وهو أول إدبار الليل إلى طلوع الفجر الظاهر البين.

فَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَصَفَ هَؤُلَاءِ بِالتَّصَدِيقِ وَالْإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِهِ وَالْقِيَامِ بِعِبَادَتِهِ، ثُمَّ وَصَفَهُمْ بِأَنَّهُمْ مَعَ ذَلِكَ لِشِدَّةِ خَوْفِهِمْ وَوَجَلِهِمْ يَسْتَغْفِرُونَ بِالْأَسْحَارِ.

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ﴾.

قال أبو عبيدة معنى ﴿شهد الله﴾. قضى الله، وحقيقته أنه عَلِمَ وبين الله، لأن الشاهد هو العالم الذي يبين ما علمه، فالله عَزَّ وَجَلَّ - قد دل على تَوْحِيدِهِ. بجميع ما خلق فَبَيَّنَ أَنَّهُ لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يُنْشِئَ شَيْئاً واحداً مما أَنشَأَ،

(١) الآية كاملة هي:

﴿الذين يقولون ربنا إِنَّا آمَنَّا فَأَنفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقْنَا عَذَابَ النَّارِ، الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾.

(٢) ص ١٩٨.

(٣) ك وجميع ما أنفق في سبيل الله - والمراد كل ما أنفق في سبيل الله صدقة.

وشهدت الملائكة لما علمت من قدرته وشهد أولو العلم بما ثبت عندهم وتبين من خلقه الذي لا يقدر عليه غيره .

وأكثر القراءة ﴿أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ بفتح الألف في ﴿أَنَّهُ﴾ وقد رويت بالكسر عن ابن عباس، وروى «أَنَّ الدين عند الله الإسلام» «بفتح الألف»^(١) والأكثر فتح ﴿أَنَّهُ﴾ وكسر ﴿إِنَّ الدين﴾ .

ومن قرأ ﴿إِنَّهُ﴾ بالكسر فالمعنى شهد الله أن الدين عند الله الإسلام . وأنه لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ^(٢) . والأجودُ الْفَتْحُ كما وصفنا في الأول، لأن الكلام والتوحيد^(٣) والنداء بالإذان ﴿أشهد أن لا إله إلا الله﴾ وأكثر^(٤) ما وقع أشهد على ذكر التوحيد^(٥) وجائز أن يفتح أن الأولى وأن الثانية . فيكون فتح الثانية على جهتين على شهد الله أن لا إله إلا هو وشهد أن الدين عنده الإسلام^(٦) .

وقوله جلّ وعزّ: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ .

لك في ﴿جَاءَهُمُ﴾ الفتح والتفخيم، ولك الإمالة نحو الكسر فأما الفتح فلغة أهل الحجاز، وهي اللغة العليا القدمى وأما جاءهم «بالكسر»^(٧) فلغة تميم، وكثير من العرب وهي جيدة فصيحة أيضاً . فالذي يميل إلى الكسر يدل على

(١) لاحظنا من قبل أن الزجاج يستعمل الألف بمعنى الهمزة .

(٢) لأن شهد تضمن معنى القسم .

(٣) أي النطق بكلمة الشهادة .

(٤) في الأصل فأكثر .

(٥) أي أن الشهادة واقعة على ﴿أَن لا إله إلا هو﴾ فهي في موضع المفعول به . ففتح الهمزة .

(٦) هذا الذي ذكره وجه واحد وهو العطف . أما الوجه الثاني فعلى تقدير حذف الجار . أي لأن الدين .

(٧) بالإمالة .

أن الفعل من ذوات الياء والذي يفتح فلأن الياء قد انقلبت صورتها إلى الألف وفي الألف حظها من الفتح . وكل مصيب .

ونصب ﴿بَغِيًّا﴾ بقوله : «اختلفوا» والمعنى اختلفوا بغياً ، أي للبغي ، لم يختلفوا لأنهم رأوا البصيرة والبرهان .

قال الأخفش : المعنى «وما اختلف الذين أوتوا الكتاب بغياً بينهم إلا من بعد ما جاءهم العلم» ، والذي هو الأجود أن يكون بغياً منصوباً بما دل عليه ﴿وما اختلف﴾ فيكون المعنى اختلفوا بغياً بينهم^(١) .

﴿ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب﴾ أي سريع الحساب له^(٢) . والجزم هو الوجه في ﴿ومن يكفر﴾ وهي القراءة ولو قرئت بالرفع لكان له وجه من القياس^(٣) ولكن الجزم أجود وأفصح في المعنى .

ومعنى ﴿سريع الحساب﴾ أي سريع المجازاة (له)^(٤) كما قال : ﴿وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب﴾^(٥) وقالوا : جائز أن يكون ﴿سريع الحساب﴾ سريع التعريف للعامل عمله - لأنه جل ثناؤه - عالم بجميع ما عملوا لا يحتاج إلى إثبات شيء وتذاكر شيء .

ونصب ﴿قائماً بالقسط﴾ حال مؤكدة لأن الحال المؤكدة تقع مع الأسماء

(١) المعنى يختلف في تقدير العامل - فالأخفش يرى أن في الجملة تقديماً وتأخيراً . والمعنى على رأيه : لم يحملهم البغي على الاختلاف إلا من بعد مجيء العلم - وبهذا يجوز أنهم كان بينهم اختلاف قبل العلم لسبب غير البغي . والمعنى على رأي الزجاج لم يختلفوا إلا بعد مجيء العلم وذلك بسبب البغي .

(٢) أي الرابط محذوف مقدر بما ذكر .

(٣) هو اعتبار محسن ١ - ١ موصولاً .

(٤) ليست في ك .

(٥) سورة النحل - ٧٧ .

في غير الإشارة، تقول إنه زيد معروفاً وهو الحق مصداقاً ولا إله إلا هو قائماً بالقسط.

والقسط في اللغة العدل: قال الله - ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ﴾^(١) أي بالعدل، ويقال أقسط الرجل إذا عدل وقسط إذا جار والعاذل مقسط والجائر قاسط^(٢) - قال الله: ﴿وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾^(٣) أي اعدلوا إن الله يحب العادلين. وقال: ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً﴾^(٤).

فإن قال قائل: فمن أين جاء من لفظ القسط ما معناه الجور وأصله العدل؟ فإنما ذلك كقولك عدل الرجل على القوم يعدل عدلاً ومعدلة، ومعدلة، إذا هو أنصفهم، وَعَدَلَ عَنِ الْحَقِّ عَدْلاً إِذَا جَارَ، فكذلك جاء من لفظ القسط ما معناه الجور كما جاء ما معناه العدل.

وقوله عز وجل: ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ﴾. إن شئت أسكنت الياء [من وجهي] وإن شئت فتحتها فقلت أسلمت وجهي لله، وقد فسرنا أمر هذه الياء فيما سلف، والمعنى أن الله عز وجل، أمر النبي ﷺ أن يحتج على أهل الكتاب والمشركين بأنه اتبع أمر الله الذي هم أجمعون مقرون بأنه خالفهم، فدعاهم إلى ما أقرؤا به، وأراهم الدلالات والآيات التي قد شرحنا ذكرها بأنه رسوله ﷺ.

ومعنى ﴿أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ﴾ أي قصدت بعبادتي إلى الله جل ثناؤه وأقررت أنه لا إله غيره، وكذلك ﴿من أتبعني﴾ ويجوز في اللغة أسلمت وجهي [أي] أسلمت نفسي - قال الله عز وجل - ﴿كُلِّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾^(٥)

(١) الرحمن ٩.

(٢) الهمزة للإزالة.

(٤) الجن ٧٢ - ١٥.

(٥) القصص ٢٨ - ٨٨.

(٣) الحجرات ٤٩ - ٩.

وقال: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ﴾^(١) المعنى ويبقى ربك والمعنى كل شيء هالك إلا الله عز وجل.

﴿ومن اتبعن﴾ لك حذف الياء وإثباتها، والأحسب إليّ في هذا اتباع المصحف لأن اتباعه سنة ومخالفته بدعة، وما حذف من هذه الياءات نحو ﴿ومن اتبعن﴾ ﴿لتن أخرتن إلى يوم القيامة﴾^(٢) ونحو فيقول ﴿رب أكرم﴾^(٣) فيقول: ﴿رب أهانن﴾ فهو على ضربين مع النون، فإذا كان رأس آية فأهل اللغة يسمون أواخر الـاي الفواصل فيجيزون حذف الياءات، كما يجيزونه في قوافي الشعر، كما قال الأعشى: ^(٤)

ومن شائء كاسف وجهه إذا ما انتسبت له أنكرن
وهل يمنعني ارتيادي البلاد من حذر الموت أن يأتين

المعنى أن يأتيني وأنكرني، فإذا لم يكن آخر قافية أو آخر آية فالأكثر إثبات الياء، وحذفها جيد بالغ أيضاً بخاصة مع النونات، إلا أن أصل ﴿اتبعتني﴾ «أتبعي» ولكن النون زيدت لتسلم فتحة العين، فالكسرة مع النون تنوب عن الياء، فإذا لم تكن النون نحو غلامي وصاحبني فالأجود إثباتها، وحذفها مع غير النون أقل منه مع النون إلا أنه جائز، نقول هذا غلام قد جاء، والأجود هذا غلامي قد جاء، وغلامي قد جاء، بفتح الياء وإسكانها. وحذفها جائز لأن الكسرة دالة عليها.

(١) الرحمن ٢٧.

(٢) الإسراء ١٧ - ٦٢.

(٣) الفجر ١٥، ١٦.

(٤) الشائئ المبغض وكاسف وجهه متغير، انكرن: ادعى لكراهته لي أنه لا يعرفني، ورواية البيت في الديوان: ١٦: ومن كاشع ظاهر غمره أي حماقته، وأنظر الكتاب ٢ - ٣١٧، أمالي القالي ٢ - ٢٦٣.

وقوله تبارك اسمه ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَسْلَمْتُمْ﴾.

الذين ﴿أوتوا الكتاب﴾: اليهود والنصارى، والأُمِّيُّون مشركو العرب لأنهم إنما نُسِبُوا إلى ما عليه الأمة في الخلقة، لأن الإنسان يخلق غير كاتب، فهذا معنى الأُمِّيِّين، وقال بعض النحويين معنى أَسْلَمْتُمْ الأمر، معناه عندهم^(١) أَسْلِمُوا - وحقيقة هذا الكلام أنه لفظ استفهام معناه التوقيف والتهديد، كما تقول للرجل بعد أن تأمره وتؤكد عليه «أَقْبَلْتَ.. وإلا فأنت أعلم». فأنت إنما نسأله متوعداً في مسألتك، لعمرى [هذا] دليل أنك تأمره بأن يفعل.

ومعنى: ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاءُ﴾...

أي ليس عليك هدامهم - إنما عليك إقامة البرهان لهم فإذا بَلَغْتَ فقد أَذَيْتَ ما عليك.

وقوله جلَّ وعزَّ: ﴿وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِالْعِبَادِ﴾ أي بصير بما يقطع عذرهم فيما دلهم به على وحدانيته وتثبیت رسله، وقال في أثر هذه الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ أي أعلام الله التي أُتِيَتْهُمْ بِهَا.

﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾:

وقرئت وَيُقَاتِلُونَ، ومعنى ﴿ويقتلون النبيين بغير حق﴾ ههنا قيل فيه قولان: قيل رضاهم بقتل من سلف منهم النبيين^(٢) نحو قتل يحيى^(٣) [عليه السلام] وهذا يحتمل - والله أعلم - وقيل ويقتلون النبيين لأنهم قاتلوا النبي ﷺ وهموا بقتله قال الله - جلَّ وعزَّ، ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ. أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ

(١) يريد الاستفهام للأمر لا للتقرير.

(٢) في ط - من النبيين والمعنى على ما في ط. رضاهم بقتل هؤلاء وذهابهم. والأصل رضاهم بعمل القاتلين.

(٣) في ط: يحيى بن زكريا.

يخرجوك ﴿١﴾ فهذا معنى : ويقتلون النبيين والله أعلم .

وجاز دخول الفاء في خبر إن ﴿٢﴾ ، ولا يجوز أن زيداً فثائم وجاز ههنا .
﴿ فبشرهم بعذاب أليم ﴾ لأن «الذي» يوصل فتكون صلته بمنزلة الشرط للجزاء
فيجاب بالفاء . ولا يصلح ليت الذي يقوم فيكرمك . لأن «إن» كأنها لم تذكر
في الكلام فدخل الجواب بالفاء ، عليها كدخولها على الابتداء والتمني داخل
فزيل معنى الابتداء والشرط ﴿٣﴾ .

وقوله عز وجل : ﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب﴾ معناه حظاً
وافراً منه ﴿٤﴾ .

﴿يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم﴾ . . . أي يدعون إلى كتاب الله الذي
هم به مقرون ، وفيه ذكر النبي ﷺ والإنباء برسالته ﴿ثم يتولى فريق منهم وهم
معرضون﴾ :

أي جمع كثير ، وإنما أعرضوا إلا أنه لا حجة لهم إلا الجحد بشيء قد
أقر به جماعة من علمائهم أنه في كتابهم .

ثم أنبأ الله - عز وجل - بما حملهم على ذلك وخير بما غرهم .
فقال عز وجل : ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَّعْدُودَاتٍ ،
وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ .

(١) سورة الأنفال ٨ - ٣٠ .

(٢) الفاء في قوله ﴿فبشرهم بعذاب أليم﴾ ، والفاء تأتي في جواب الموصول لشبهه بالشرط . في
عمومه واستقباله .

(٣) في هذا المثال لا تأتي الفاء لأن «ليت» غيرت الجملة إلى التمني أما «ان» فلم تغير المعنى
الأصلي . فبقي في الموصول معنى الشرط .

(٤) أي أن في «نصيباً» وصفاً محذوفاً تقديره وافراً وكبيراً .

فموضع ﴿ذلك﴾ رفع المعنى شأنهم ذلك وأمرهم ذلك^(١) بقولهم وبظنهم أنهم لا يعذبون إلا أياماً معدودات.

جاء في التفسير أنهم قالوا إنما نعذب أربعين يوماً عبد آبائنا فيها العجل، فأعلم الله تبارك وتعالى أن ذلك فرية منهم، وأنه هو الذي غرهم^(٢).

وقوله عز وجل: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾.

المعنى - والله أعلم - فكيف يكون حالهم في ذلك الوقت. وهذا الحرف مستعمل في الكلام^(٣)، تقول إنا أكرمك وأنت لم تزرني، فكيف إذا زرتني.

قوله عز وجل: ﴿لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾:

أي لحساب يوم لا شك فيه. وقوله جل شأنه: ﴿قُلْ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ﴾.

أمر الله النبي ﷺ بتقديمه وذكر ما يدل على توحيده، ومعنى ﴿مالك الملك﴾ إن الله يملك العباد ويملك ما ملكوا^(٤).

ومعنى: ﴿تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ﴾.

فيه قولان: - تؤتي الملك الذي هو المال والعبيد والحضرة^(٥) من تشاء وتنزعه ممن تشاء، وقيل تؤتي الملك من تشاء من جهة الغلبة بالدين^(٦) والطاعة، فجعل الله - عز وجل - كل ما في ملكه ملك غير مسلم للمسلمين

(١) أي شأنهم الكفر وقتل الأنبياء.

(٢) هذا الافتراء والظن الكاذب غرهم.

(٣) هذا التعبير.

(٤) ط مالك العاد ومالك ما ملكوا.

(٥) التحضر والثراء.

(٦) أي تجعل من تشاء منهم غالباً بسبب أتباعه الدين الذي أرتضيه.

ملكاً غنيمة، وجعلهم أحق بالأملاك كلها من كل أهل لمن خالفوا دين الإسلام.

وقيل في التفسير أن الله عز وجل - أمر النبي ﷺ في هذه الآيات أن يسأله نقل عز فارس إلى العرب وذلك العرب إلى فارس - والله أعلم بحقيقة ذلك.

فأما إعراب ﴿اللهم﴾ فضم الهاء وفتح الميم، لا اختلاف في اللفظ به بين النحويين، فأما العلة فقد اختلف فيها النحويون فقال بعضهم: معنى الكلام يا الله أم بخير، وهذا أقدم عظيم لأن كل ما كان من هذا الهمز الذي طرح فأكثر الكلام الإتيان به، يقال ويل أمه، وويل أمه^(١)، والأكثر إثبات الهمز، ولو كان كما يقول لجاز أومم، والله أم، وكان يجب أن تلزمه ياء النداء لأن العرب تقول يا الله أغفر لنا، ولم يقل أحد من العرب إلا اللهم، ولم يقل أحد يا اللهم. قال الله عز وجل: ﴿وَإِذَا قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ﴾^(٢)، وقال: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٣).

فهذا القول يطل من جهات: أحدها أن «يا» ليست في الكلام وأخرى أن هذا المحذوف لم يتكلم به على أصله كما نتكلم بمثله وأنه لا يقدم أمام الدعاء هذا الذي ذكره، وزعم أن الضمة التي في الهاء ضمة الهمزة التي كانت في أم، وهذا محال أن يترك الضم الذي هو دليل على النداء للمفرد. وأن يجعل في الله ضمة «أم». هذا الحاد في اسم الله - عز وجل.

(١) هي كلمة تعجب، يقال رجل ويلمه. بضم اللام وكسرهما أي داهية، ويقال للشيء المستجاد ويلمه. والأصل ويل لأمه - أي عجب لها كيف أنجبت هذا، كما يقال لا أب لك بمعنى لا أب ينجب مثلك. وقد ركب «ويل أمه» فجعلت كلمة واحدة. ثم لحقته الهاء مبالغة.

(٢) الأنفال ٨ - ٣٢.

(٣) الزمر ٣٩ - ٤٦.

وَزَعَمَ أَنْ قَوْلَنَا هَلَمْ مِثْلَ ذَلِكَ أَنَّ أَصْلَهَا: هَلْ أُمُّ - وَإِنَّمَا هِيَ لُثْمٌ. وَالْهَاءُ لِلتَّنْبِيهِ، وَقَالَ الْمُحْتَاجُ بِهَذَا الْقَوْلِ: أَنَّ «يَا» قَدْ يُقَالُ مَعَ: «اللَّهُمَّ» فَيُقَالُ: يَا اللَّهُمَّ، وَلَا يَرُوي أَحَدٌ عَنِ الْعَرَبِ هَذَا غَيْرَهُ - زَعَمَ أَنَّ بَعْضَهُمْ أَنْشَدَهُ:

وَمَا عَلَيْكَ أَنْ تَقُولِي كَلِمًا صَلَّيْتُ أَوْ سَبَّحْتُ يَا اللَّهُمَّ مَا
أَرَدَدَ عَلَيْنَا شَيْخُنَا مُسْلِمًا^(١)

وَلَيْسَ يُعَارِضُ الْإِجْمَاعَ وَمَا أَتَى بِهِ كِتَابُ اللَّهِ تَعَالَى وَوَجَدَ فِي جَمِيعِ
دِيَوَانِ الْعَرَبِ بِقَوْلِ قَائِلٍ أَنْشَدَنِي بَعْضُهُمْ، وَلَيْسَ ذَلِكَ الْبَعْضُ بِمَعْرُوفٍ وَلَا
بِمُسَمًّى.

وَقَالَ الْخَلِيلُ وَسَيُويهِ وَجَمِيعُ النُّحَوِيِّينَ الْمُوثِقُ بِعِلْمِهِمْ: أَنَّ «اللَّهُمَّ»
بِمَعْنَى يَا اللَّهُ، وَأَنَّ الْمِيمَ الْمَشْدَدَةَ عَوْضٌ مِنْ «يَا» لِأَنَّهُمْ لَمْ يَجِدُوا يَاءً مَعَ هَذِهِ
الْمِيمِ فِي كَلِمَةٍ، وَوَجَدُوا اسْمَ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ مُسْتَعْمَلًا بَيِّنًا إِذَا لَمْ يَذْكُرِ الْمِيمَ.
فَعَلِمُوا أَنَّ الْمِيمَ مِنْ آخِرِ الْكَلِمَةِ بِمَنْزِلَةِ يَا فِي أَوَّلِهَا، وَالضَّمَّةُ الَّتِي فِي أَوَّلِهَا
ضَمَّةُ الْاسْمِ الْمُنَادَى فِي الْمَفْرَدِ، وَالْمِيمُ مَفْتُوحَةٌ لِسُكُونِهَا وَسُكُونِ الْمِيمِ الَّتِي
قَبْلَهَا.

وَزَعَمَ سَيُويهِ أَنَّ هَذَا الْاسْمَ لَا يُوصَفُ لِأَنَّهُ قَدْ ضُمَّتْ إِلَيْهِ الْمِيمُ، فَقَالَ
فِي قَوْلِهِ جَلَّ وَعَزَّ: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أَنَّ «فَاطِرَ» مُنْصُوبٌ
عَلَى النَّدَاءِ، وَكَذَلِكَ ﴿مَالِكِ الْمَلِكِ﴾ وَلَكِنْ لَمْ يَذْكُرْهُ فِي كِتَابِهِ.

وَالْقَوْلُ عِنْدِي أَنَّ «مَالِكِ الْمَلِكِ» صِفَةُ اللَّهِ، وَأَنَّ «فَاطِرَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ» كَذَلِكَ - وَذَلِكَ أَنَّ الْاسْمَ وَمَعَهُ الْمِيمَ بِمَنْزِلَتِهِ وَمَعَهُ «يَا» فَلَا تَمْنَعُ
الْصِفَةُ مَعَ الْمِيمِ كَمَا لَا تَمْنَعُ «مَعَ» «يَا».

(١) آيَاتٌ لَمْ يَعْرِفْ قَائِلُهَا - وَلَكِنْ جَاءَتْ فِي كُتُبِ النُّحُوِّ وَالْأَدَبِ. الْخَزَانَةُ ١ - ٣٥٩، وَاللِّسَانُ «الهِ»
وَيَأْتِي بَعْدَهَا:

مِنْ حَيْثُمَا وَكَيْفُمَا وَأَيْنُمَا فَلَيْنَا مِنْ خَيْرِهِ لَنْ نَعْدِمَا

فهذا جملة تفسير وإعراب ﴿اللَّهُمَّ﴾ .
ومعنى: ﴿وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّنْ تَشَاءُ﴾ على ما ذَكَّرْنَا في ﴿تُوتِي الْمَلِكَ مَنْ
تَشَاءُ﴾ .

ومعنى: ﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ﴾ .
أي بيدك الخير كله ، خير الدنيا وخير الآخرة .
وقوله جَلَّ وَعَزَّ: ﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ .

المعنى: تدخل أحدهما في الآخر يقال: ولج الشيء إذا دخل يلج
وُلُجًا وَوُلْجَةً ، وَالْوُلْجَةُ شيء يكون بين يدي فناء .
فمعنى: ﴿تولج الليل في النهار﴾ أي تنقص من الليل فتدخل ذلك
النقصان زيادة في النهار ، وتنقص من النهار فتدخل ذلك النقصان زيادة في
الليل .

﴿وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ .
أي تخرج الإنسان من النُطْفَةِ ، والطائر من البَيْضَةِ ، وتخرج للناس
الحب الذي يعيشون به من الأرض الميتة .

﴿وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ .
أي تخرج النطفة من الإنسان ، والبيضة من الطائر .

ومعنى: ﴿وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ .
أي بغير تقتير ، وهذا مستعمل في اللغة ، يقال للذي ينفق موسعاً: فلان
ينفق بغير حساب ، أي يوسع على نفسه ، وكأنه لا يحسب ما أنفقه إنفاقاً .

وذكر الله جَلَّ وَعَزَّ بعد هذا التقديس والتعظيم أمر المنافقين فقال: ﴿لَا
يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ﴾ .

القراءة بالجزم ، وكسر الذال لالتقاء الساكنين ، ولورفعت لكان وجهاً

فقلت: ﴿لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾: المعنى: «أنه» من كان مؤمناً فلا ينبغي أن يتخذ الكافر ولياً لأن ولي الكافر راض بكفره، فهو كافر. قال الله جلَّ وعزَّ: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾^(١). وقال: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾^(٢).

ومعنى: ﴿من دون المؤمنين﴾، أي لا يجعل ولاية لمن هو غير مؤمن، أي لا يتناول الولاية من مكان دون مكان المؤمنين، وهذا كلام جرى على المثل في المكان كما تقول زيد دونك فلست تريد أنه في موضع مستقل وأنت في موضع مرتفع، ولكنك جعلت الشرف بمنزلة الارتفاع في المكان، وجعلت الخسة كالاستقبال في المكان. فالمعنى: أن المكان المرتفع في الولاية مكان المؤمنين.

فهذا بيان قوله: ﴿مَنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٣).

ومعنى: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾. أي من يتولَّ غير المؤمنين فالله بريء منه. ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾.

«وَتَقِيَّةٌ» قرئاً جميعاً. فأباح الله جلَّ وعزَّ الكفر مع القصة^(٤). والتَّقِيَّةُ خوفُ القتل، إلا أن هذه الإباحة لا تكون إلا مع سلامة النية وخوف القتل. ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾.

(١) المائدة آية ٥١.

(٢) التوبة (٩) آية ٧١.

(٣) هذا هو المعنى اللغوي - والآية بمعنى «من غير» أي لا ينبغي للمؤمنين أن يصادقوا الكافرين، ويتركوا صداقة إخوانهم المؤمنين.

(٤) أباح للمؤمن أن ينطق بكلمة الكفر لينجو، ولكن قلبه مطمئن بالإيمان - ومعنى مع القصة أنه ينطق بكلمة الكفر على الحكاية مع سلامة النية.

معنى: ﴿نَفْسَهُ﴾ «إِيَّاهُ» إلا أن النفس يستغنى بها هنا عن «إِيَّاهُ»^(١) وهو الكلام^(٢)، وأما قوله عز وجل: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾^(٣) (فِيمَا بِهِ)^(٤) خوطب العباد على قدر علمهم، ومعناه تعلم ما عندي وما في حقيقتي ولا أعلم ما عندك ولا ما في حقيقتك.

وفي قوله: ﴿تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ﴾ أي تُؤْتِي الملك من تشاء أن تؤتيه، وكذلك ﴿وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ﴾ أن تنزعه منه إلا أنه حذف لأن في الكلام ما يدل عليه.

ونصب: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ﴾ بقوله: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾: كأنه قال ويحذركم الله نفسه في ذلك اليوم، ويجوز أن يكون نصب على قوله: ﴿وَالِىَ اللَّهُ الْمَصِيرُ﴾ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ، والقول الأول أجود. وقوله جل وعز: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ﴾.

القراءة بضم التاء، ويجوز في اللغة: «تَحِبُّونَ». ولكن الأكثر تَحِبُّونَ لأن حبيت قليلة في اللغة وزعم الكسائي أنها لغة قد ماتت فيما يحسب.

ومعنى: ﴿تُحِبُّونَ اللَّهَ﴾، أي تقصدون طاعته وترضون بشرائه والمحبة على ضروب، فالمحبة من جهة الملاذ في المطعم والمشرب والنساء، والمحبة من الله لخلقه عفوه عنهم وإنعامه عليهم برحمته ومغفرته وحسن الثناء عليهم، ومحبة الإنسان لله ولرسوله طاعته لهما ورضاه بما أمر الله به، وأتى به رسول الله ﷺ.

(١) أي التقدير يحذركم إياه.

(٢) المألوف أن يقال هذا.

(٣) المائدة ٦ - ١١٦.

(٤) في ك فقط.

وقوله جلَّ وعزَّ: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾.

القراءة بإظهار الراء مع اللام، وزعم بعض النحويين: أن الراء تدغم مع اللام فيجوز.. ويغفر لكم.. وهذا خطأ فاحش ولا أعلم أحداً قرأ به غير أبي عمرو بن العلاء، (وأحسب الذين زووا عن أبي عمرو ادغام الراء في اللام غالطين)^(١).

وهو خطأ في العربية لأن اللام تدغم في الراء، والنون تدغم في الراء، نحو: (قولك)^(٢) هل رأيت، ومن رأيت^(٣). ولا تدغم الراء في اللام إذا قلت: مر لي بشيء. لأن الراء حرف مكرّر فلو أدغمت في اللام ذهب التكرير. وهذا إجماع النحويين الموثوق بعلمهم.

وقوله عز وجل: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾.

أي أظهروا محبتكم لله إن كنتم تحبونه بطاعته واتباع رسوله^(٤) ومعنى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾.

أي فإن الله لا يحبهم، لأن من تولى عن النبي ﷺ فقد تولى عن الله^(٥).

ومعنى: ﴿لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾. لا يغفر لهم ولا يشي عليهم خيراً.

وقوله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾.

(١) ليست في ك.

(٢) ليست في ك.

(٣) ومثله في القرآن - فإن رجعت الله - قل رب.

(٤) في ط رسله.

(٥) في ط تولى غير الله.

معنى اصطفاهم في اللغة: اختارهم أي جعلهم صفوة خلقه، وهذا تمثيل بما يُرى^(١)، لأنَّ العرب تمثّل المعلوم بالشيء المرئي، فإذا سمع السامع ذلك المعلوم كان عنده بمنزلة ما يشاهده عياناً، فنحن نعين الشيء الصّافي أنه النقيّ من الكدر، فكذلك صفوة الله من خلقه، وفيه ثلاث لغات: صَفْوَة وصِفْوَة وصُفْوَة وهم من لا دنس فيهم من جهة من الجهات في الدّين والخيريّة. وقيل في معنى اصطفاهم قولان:

قال قوم: اصطفى دينهم أي اختاره على سائر الأديان. لأن دين هؤلاء الجماعة الإسلام، وقال الله عز وجل: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾^(٢).

وقال قوم: اصطفى آدم بالرسالة^(٣) إلى الملائكة^(٤) وإلى ولده، وإصطفى نوحاً وإبراهيم وآله بالرسالة. ألا ترى قوله عز وجل: ﴿يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ﴾^(٥). فأمره الله تعالى أن ينبيء عنه ملائكته، وآل عمران هم آل إبراهيم.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾.

المعنى: إصطفى ذرية بعضها من بعض - فيكون نصب «ذرية» على البدل، وجائزاً أن ينصب على الحال المعنى: واصطفاهم في حال كون بعضهم من بعض. و﴿ذرية﴾ قال النحويون: هي فُعْلِيَّة من الذر، لأن الله،

(١) ط بما يروى.

(٢) آل عمران ٣ - ١٩.

(٣) عبارة ك. اصطفى آدم بالرسالة إلى ولده. ألا ترى... الخ. واصطفى نوحاً وإبراهيم وآله برسالة.

(٤) ﴿يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ﴾ - من سورة البقرة (٢) آية ٣٣.

(٥) غير جيد لأن الآية ذكرت آل إبراهيم وآل عمران ولعله يريد من اتبع ملة إبراهيم.

أخرج الخلق من صلب آدم كالذَّرِّ، ﴿وَأَشْهَدُهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ: أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾ (١).

وقال بعض النحويين: ﴿ذَرِيَّةٌ﴾ أصلها ذَرَوْرَةٌ على وزن فُعولة ولكن التضعيف لما كثر أبدل من الرَاءِ الأخيرة فصارت ذُرْوِيَّةٌ ثُمَّ أَذْغَمَتِ الْوَاوُ فِي الْيَاءِ فَصَارَتْ ذُرِّيَّةٌ .
والقول الأول أقيس وأجود عند النحويين (٢).

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِذْ قَالَتْ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾.

قال أبو عبيدة: معناه قالت امرأة عمران و ﴿إِذْ﴾ لغو وكذلك: ﴿وَإِذْ قَالَتْ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ﴾ قال معناه: وقالت: ولم يصنع أبو عبيدة في هذا شيئاً. قال جميع النحويين: إِنَّ ﴿إِذْ﴾ يدل على ما مضى من الوقت فكيف يكون الدليل على ما مضى من الوقت لغواً، وهي اسم مع ما بعدها.

وقال غير أبي عبيدة منهم أبو الحسن الأخفش، وأبو العباس محمد بن يزيد: المعنى اذكروا إذ قالت امرأة عمران.

والمعنى عندي - والله أعلم - غير ما ذهبت إليه هذه الجماعة وإنما العامل في ﴿إِذْ قَالَتْ﴾ معنى الاصطفاء - المعنى - والله أعلم - واصطفى آل عمران ﴿إِذْ قَالَتْ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾، واصطفاهم ﴿إِذْ قَالَتْ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ﴾. فذكر اصطفاكِ يدل على ما وصفنا ومعنى نذرت: يدل على ما وصفنا (٣).

(١) الأعراف (٧) آية ١٧٢.

(٢) لأن الراء ليست حرف علة فقلبها غير جيد.

(٣) لا يتسق هذا مع أول الآية - خاصة بآدم وإبراهيم ونوح. ورأى الأخفش والمبرد في تقدير أذكر

ومعنى ﴿نذرت لك ما في بطني محرراً﴾. أني جعلته خادماً يخدم في متعباتنا، وكان ذلك جائزاً لهم، وكان على أولادهم فرضاً أن يطيعوهم في نذرهم، فكان الرجل ينذر في ولده أن يكون خادماً في متعبده ولعبادهم، ولم يكن ذلك النذر في النساء إنما كان ذلك في الذكورة، فلما ولدت امرأة عمران مريم قالت: ﴿رَبِّ أَنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ﴾ وليست الأنثى مما يصلح للنذر، فجعل الله عز وجل. من الآيات في مريم - لِمَا أَرَادَهُ اللَّهُ مِنْ أَمْرِ عِيسَى - أن جعلها متقبلة في النذر فقال عز وجل: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾.

الأصل في العربية: بتقبل حسن، ولكن قبول محمول على قوله قَبِلَهَا قَبُولًا حَسَنًا، يقال: قَبِلْتُ الشَّيْءَ قَبُولًا حَسَنًا، (ويجوز قُبُولًا) ^(١) إذا رَضِيْتَهُ، وَقَبِلْتُ الرِّيحَ قَبُولًا وهي - تَقْبُلُ، وَقَبِلْتُ بِالرَّجُلِ أَقْبَلَ قِبَالَةً، أي كفلت به، وقد روى قَبِلْتُ بِالرَّجُلِ في معنى كفلت به على مثال فَعِلْتُ ^(٢)، ويقال: سقى فلان إبله قَبَلًا. أي صب الماء في الحوض ^(٣) وهي تشرب منه فأصابها، وكل ما عاينت قلت فيه أتايني قُبَلًا، أي معاينة، وكل ما استقبلك فهو قبل (بالفتح) ^(٤)، وتقول لا أكملك إلى عشر من ذي قَبَلٍ وَقَبَلٍ، المعنى قَبَلٍ إلى عشر مما نشاهده من هذه الأيام، ومعنى «قَبَلٍ» عشر نَسْتَقْبِلُهَا، ويقال: قَبِلْتُ العَيْنَ تَقْبِلُ قَبَلًا إذا أَقْبَلَ النظر على الأنف ^(٥)، وقوله عز وجل: ﴿أَوْ يَأْتِيَهَا الْعَذَابُ قُبَلًا﴾ ^(٦)، وَقَبَلًا وَقَبَلًا: كله جائز، فمن قرأ ﴿قُبَلًا﴾ فهو جمع قَبِيلٍ وَقَبُلٍ مثل رَغِيفٍ

أقيس نحواً وأكمل معنى. وما ذكره الزجاج صحيح معنى: أي أن هذه مواقف فضلوها فيها ووجه الدلالة أنها نذرتها لله فقبلها تعالى. وهذا أصطفاً، ولكنه لا يعارض رأي الأخفش.

(١) ك فقط. (٢) يفتح العين وكسرها.

(٣) في اللسان صب الماء على أفواهاها، والمعنى واحد. (٤) ليست في ك - والمراد فتح القاف.

(٥) وفعله كنصر ومصدره قَبَلًا وَقَبُولًا بضم القاف ويقال قبلت العين كفرح وكنصر وأقبلت أقبلاً، وأقبلت - وهو أقبل بين القبيل كان ينظر إلى طرف أنفه.

(٦) الكهف ١٨ - ٥٥.

ورُغِف، المعنى: أو يأتِيها العذاب ضُروباً ومن قرأ «قَبْلاً» بالكسر فالمعنى: ﴿أَوْ يَأْتِيهِمُ﴾ العذاب معاً، ومن قرأ «قَبْلاً» بالفتح فالمعنى: ﴿أَوْ يَأْتِيهِمُ﴾ العذاب مقابلاً، والقَبْلة: جمع قَبْل شبيهة بالفَلَكَة، أي بفلكة المِغْزَل تكون في القلادة^(١).

ومعنى: ﴿أَنْبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً﴾ أي جعل نشوءها نشوءاً حسناً، وجاء «نباتاً» على غير لفظ أنبت، على معنى نبت نباتاً حسناً.

وقوله عز وجل: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾.

في هذا غير وجه، يجوز: «وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاء» - بالمد -، «كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا، وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا» - بالقصر - «كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا» - بالقصر.

وفي ﴿زَكَرِيَّا﴾ ثلاث لغات هي المشهورة المعروفة - زكرياء بالمد - وزكرياً - بالقصر. غير منون في الجهتين جميعاً، وزكريّ بحذف الألف معرب منون. فإما ترك صرفه فلأن في آخره ألفي التانيث في المد^(٢). وألف التانيث في القصر، وقال بعض النحويين: إنه لم يُصرف لأنه أعجمي، وما كانت فيه ألف التانيث فهو سواء في العربية والعجمية^(٣). لأن ما كان أعجمياً فهو يتصرف في النكرة، ولا يجوز أن تصرف الأسماء التي فيها ألف التانيث في معرفة ولا نكرة لأن فيها علامة التانيث وأنها مصوغة مع الاسم صيغة^(٤) واحدة، فقد فارقت هاء التانيث فلذلك لم تصرف في النكرة، ويجوز كفّلها زكرياء بنصب زكرياء، ويجوز في هذا الموضوع زكريا بالقصر، فمن قرأ كَفَّلَهَا

(١) اسم جنس جمعي على غير القياس مثل كمأة وكم.

(٢) النحويون عادة يقولون ألف التانيث الممدودة، يعنون الهمزة التي قبلها ألف مد، فعبر هنا بألفي التانيث، يعني ما آخره ألف وهمزة.

(٣) ألف التانيث وحدها تكفي للمنع من الصرف.

(٤) في ك. مصنوعة. صنعة.

زكرياء - رفعه بفعله^(١)، فالمعنى فيما ذكر أبو عبيدة ضمنها، ومعناه في هذا ضمن القيام بأمرها. ومن قرأ كفلها زكرياء - بالنصب - فالمعنى: وكفلها الله زكرياء، وأما اللغة الثالثة فلا تجوز في القرآن لأنها مخالفة المصحف، وهي كثيرة في كلام العرب.

وقوله جلّ وعز: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ﴾.

القصر والمدّ في زكريا. والقراءة بهما كثيرة كما وصفنا ﴿المحراب﴾: أشرف المجالس والمقدّم فيها، وقد قيل أن مساجدهم كانت تسمى المحاريب، والمحراب في اللغة الموضع العالي الشريف.

قال الشاعر:

رَبَّةٌ مُحْرَابٌ إِذَا جِئْتَهَا لَمْ أَلْقَهَا أَوْ أُرْتَقَى سَلَمًا^(٢)

ومنه قوله عزّ وجلّ: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَضُمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾^(٣) ونصب كُلمًا بقوله: ﴿وجد﴾ أي يجد عندها الرزق في كل وقت يدخل عليها المحراب - فيكون ما مع دخل بمنزلة الدخول - أي كل وقت دخول^(٤).

وقوله عزّ وجلّ: ﴿قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنِّي لَكَ هَذَا﴾.

أي من أين لك هذا.

﴿قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾.

(١) والفعل مخفف ومشدد - أي قام زكريا بكفالتها.

(٢) البيت لوضاح اليمن - اللسان «حرب» الجمهرة ١ - ٢١٩.

ووضاح هو عبد الرحمن بن إسماعيل بن كلال. له قصص يروى مع أم البنين. يريد أنها شريفة ثرية ذات مكان مرتفع. فلا أقابلها إلا بارتقاء السلم.

(٣) سورة ص (٣٨ - ٢١) أي تسلقوا السور المرتفع.

(٤) هذا تليق بين تقديرين - فهي إما «كلماء» كلمة واحدة فهي ظرفية بمعنى كل وقت. وهو الواضح فيها، وأما كل ما دخل - فهي بمعنى كل دخول دخله عليها.

وإنما سأل زكريا عن الرزق لأنه خاف أن يأتيها من غير جهته فتبين عنده أنه من عند الله، وذلك من آيات مريم، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وجعلناها وابنها آية للعالمين﴾^(١) فمن آياتها أنها أول امرأة قبلت في نذر في المتعبد، ومنها أن الله أنشأ فيها عيسى - عليه السلام - من كلمة ألقاها إليها، ومنها أن الله عز وجل - غذاها برزق من عنده لم يجره على يد عبد من عبيده، وقد قيل التفسير أنها لم تلقم ثدياً قط.

ومعنى ﴿إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

أي بغير تقدير، و﴿حساب﴾. إن شئت فتحت الألف وألزمها جهة الفتح، وإن شئت أملتھا إلى الكسر، لانكسار الحاء، وذلك كثير في لغة العرب.

وقوله عز وجل: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ﴾.

﴿زكريا﴾ - بالمد والقصر على ما وصفنا. المعنى عند ذلك دعا زكريا ربه، أي عندما صادف من أمر مريم، ثم سأل الله أن يرزقه ذرية طيبة، و﴿هنالك﴾ في موضع نصب لأنه ظرف يقع من المكان والأحوال - أحوال الزمان.

والمعنى في ذلك المكان من الزمان ومن الحال - دعا زكريا ربه كما تقول من هنا قلت كذا وكذا، ومن هنالك قلت كذا وكذا أي من ذلك الوجه وتلك الجهة، وهذا في غير المكان على المثل جرى. وكسر لام ﴿هنالك﴾ وقع لالتقاء الساكنين لأن هنالك إشارة إلى مكان متراخ، أو حال من أحوال الزمان نسبتها إلى المكان وقال: ﴿طيبة﴾ للفظ ذرية.

و﴿هنالك﴾ لا يجب أن يعرف في رفع ولا جر لأنه في الإشارة إلى المكان بمنزلة الإشارة في هذا وهذا إلى سائر الأشياء. فهو مضارع للحروف التي جاءت لمعنى^(٢).

(١) سورة الأنبياء من الآية ٩١.

(٢) أشبه الحروف فهو مبني لذلك.

وقوله عز وجل: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ﴾.

و«فناداه الملائكة». الوجهان جميعاً جائزان، لأن الجماعة يلحقها اسم التانيث، لأن معناها معنى جماعة، ويجوز أن يعبر عنها بلفظ التذكير. كما يقال جمع الملائكة. ويجوز أن تقول نادته الملائكة وإنما ناداه جبرائيل وحده لأن المعنى أتاه النداء من هذا الجنس، كما نقول ركب فلان في السفن، وإنما ركب سفينة واحدة، تريد بذلك جعل ركوبه في هذا الجنس.

ويجوز ﴿أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ﴾ و﴿إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ﴾ بفتح إن وكسرهما فمن فتح فالعنى نادته بأن الله يبشرك أي نادته بالبشارة، ومن كسر أراد قالت الملائكة: إن الله يبشرك. وإن بعد القول أبداً مكسورة.

وفي ﴿يُبَشِّرُكَ﴾ ثلاث لغات: (إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ) ^(١) بفتح الباء وتشديد الشين وهي قراءة كثيرة جداً، وَيُبَشِّرُكَ - بإسكان الباء وضم الشين، وقرأ حميد ^(٢)، وحده «يُبَشِّرُكَ» - بضم الياء وإسكان الباء وكسر الشين، فمعنى يُبَشِّرُكَ، وَيُبَشِّرُكَ: البشارة، ومعنى يُبَشِّرُكَ يَسْرُكَ ويفرحك. يقال بَشَّرْتُ الرجلُ أَبْشَرَهُ وَأَبْشَرُهُ إذا أَفْرَحْتَهُ، ويقال بَشَّرَ الرجلُ يَبْشِرُ، وأنشد الأخفش والكسائي وجماعة من النحويين:

وَإِذَا لَقِيتَ الْبَاهِشِينَ إِلَى النُّدَا غُبْرًا أَكْفُهُمْ بِقَاعٍ مُّجِلٍ ^(٣)

(١) ليست في ك.

(٢) هو حميد بن قيس الأعرج أخذ عن مجاهد بن جبير وعرض عليه قراءته ثلاث مرات وروى عنه سفيان بن عيينة وأبو عمرو بن العلاء وآخرون. توفي ١٣٠ هـ.

وهناك ثلاثة آخرون من القراء يسمون باسم حميد - ولكنهم متأخرون منهم من روى عن الكسائي ومنهم من روى عن نافع أو يعقوب والمراد هنا الأعرج - لقدمه وشهرته. فلا ينبغي أن يكون هناك لبس بينهم.

أنظر: غاية النهاية ت ١١٩٨، وأنظرت ١١٩٩ - ١٢٠١.

(٣) الأبيات من قصيدة جيدة في المفضليات ١١٦، وفي اللسان «كرب - بشر - يسر». لعبد قس بن خفاف

فأعنيهم وأبشروا بما نبشروا به وإذا هم نزلوا بضنك فأنزل
فهذا على بشر يبشر إذا فرح، وأصل هذا كله من أن بشرة الإنسان تنبسط
عند السرور، ومن هذا قولهم فلان يلقاني ببشر، أي بوجه منبسط.

ويحيى إسم سماه الله تعالى. تولّى هو - عز وجل - ذلك ولم يسم أحد قبل
يحيى بيحيى، ويحيى لا يتصرف عربياً كان أو أعجمياً، لأنه إن كان أعجمياً فقد
اجتمع فيه العجمة والتعريف ولو كان عربياً لم ينصرف لشبهه بالفعل وأنه
معرفة، [علم].

ونصب ﴿مصدقاً﴾ على الحال.

ومعنى ﴿مصدقاً بكلمة من الله﴾ أي يصدق بأمر عيسى لأن يحيى فريض
عليه - وإن كان يحيى أسن من عيسى - أتباع عيسى^(١).
ومعنى ﴿سيداً وحصوراً﴾.

السيد الذي يفوق في الخير قومه، ومعنى ﴿حصوراً﴾ أي لا يأتي النساء، وإنما
قيل للذي لا يأتي النساء حصور لأنه حيس عما يكون من الرجال، كما يقال في
الذي لا يتيسر له الكلام قد حصر في منطقه، والحصور الذي لا ينفق على
الندامى، وهو ممن يفضلون عليه قال الشاعر^(٢):

البرجي يوزي ابنه - وهو جاهلي من معاصري النابغة. وهذه القصيدة تحوي كثيراً من الخلال
الكريمة والتجارب النافعة.

الباهشون إلى النداء: المتطلعون إليه من بهش: بحث عن الشيء. وغبرا أكفهم: أي مغبرة من كد
السفر - أو هو كناية عن الطاقة وخلو السيد، والمعنى ساعدهم وأفرح بفرحهم - وإذا أصابهم
الضنك فاحتمله معهم.

(١) فرض على يحيى أن يصدق بعيسى وأن يبشر الناس برسالته فهذا معنى التصديق - أما أتباعه فغير
ممكّن لأن عيسى لم يبدأ رسالته إلا بعد قتل يحيى أوحبسه.

(٢) هو الأخطل. (اللسان: سور - حصر). والديوان ١١٦.

يصف نديمه بالأدب وأنه لا يعرب إذا شرب - ويروي سثار بمعنى لا يبقى سؤراً في الكأس. والمريح
الجواد يذبح الإبل للأضياف.

وشاربٍ مُرَبِحٍ بالكاسِ نادمني لا بالحُصُور ولا فيها بسُور

ويروى ولا فيها بَسَّارٌ، أي نادمني وهو كريم منفق على النَّدامي، والسَّوَّار
الْعَرَبِيدُ يُسَاوِرُ نَدِيمَهُ أَي يَثْبُ عَلَيْهِ، والسَّار الذي يُفْضِلُ، في إنائه إذا شرب،
والحُصُور الذي يكتُم السرَّ، أي يحبس السرَّ في نفسه قال جرير:
ولقد تسقطني الوشاة فصادفوا حَصِيراً بِسَرِّكَ يا أُمَيْمَ ضُنِيناً^(١)

والحصير هذا المرمول^(٢) الذي يُجْلِسُ عليه، وإنَّما سمي حصيراً لآنه
دوخل بعضه في بعض في النسيج أي حبس بعضه على بعض، ويقال للسُّجُن
الحصير لأنَّ الناس يُحْصِرُونَ فيه، ويقال حصرتُ الرجلُ إذا حبسته، وأحصره
المرض إذا منعه من السَّير، (والحصير الملك)^(٣) وقول الله - جلَّ وعلا:
﴿وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً﴾^(٤) أي حبساً، ويقال أصاب فلاناً حَصْرًا،
إذا احتبس عليه بطنه، ويقال في البول أصابه أَسْرٌ إذا احتبس عليه بوله.

ومعنى ﴿من الصَّالحين﴾ الصَّالح الذي يُوْدِي إلى الله ما عليه ويُوْدِي إلى
الناس حقوقهم.

وقوله جلَّ وعلا: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ﴾.

أي كيف يكون لي غلام. قال الكميت:

أَنَّى وَمَنْ أَيْنَ أَبْكَ الطَّرْبُ من حيث لا صَبْوة ولا لعب^(٥)

(١) تسقط - حاول أن يستنزل لسانه بكلمة - والضنين بالشيء الحريص عليه. وفي اللسان رجل حصر
كنوم للسر لا يبوح به - والبيت به - (حصر - سقط) ورواية في الأخيرة حَجَّجًا بِسَرِّكَ - من حجَّجَّ
بالشيء كفرح - ضَنَّ به.

(٢) رمل النسيج رقعته، ورمل الحصير والسريز زينه بالجواهر ونحوه وأرملته فهو مرمول ومرمل. أي
منسوج متداخل بعضه في بعض.

(٣) ليست في ك.

(٤) الإسرائ ١٧ - ٨.

(٥) هو الكميت بن زيد الأسدي من مشهوري المتشيعين لبني هاشم وله فيهم قصائد تعرف =

«أَيَّ» كيف ومن أين أبك الطرب^(١).
ويقال غلام بين الغلومية والغلامية والغلومة.
وقوله جلّ وعلا: ﴿وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرُ﴾.

بمعنى قد بلغت الكبر وفي موضع آخر ﴿وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾^(٢)،
وكل شيء صادفته وبلغته فقد صادفك وبلغك.

ومعنى ﴿كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾.
أي مثل ذلك يفعل الله الذي يشاءه. وإنما سأل زكريا لأنه أحب أن يعلم
آيأتيه الولد وامرأته عاقر وهو مُسِنٌّ، أم يجعله الله على هيئة من يُولد له ويجعل
امرأته كذلك، أم يأتيها الولد وهما على الهيئة التي لا يكون معها ولد، فأعلمهما
الله أن ذلك هين عليه كما أنشأهما ولم يكونا شيئاً، وأنه يعطيها الولد وهما في هذا
السن.

ويقال في ﴿عاقر﴾ قد عقرت المرأة وعقرت، وهي عاقر، وهذا دليل أن
عاقراً وقع على جهة النسب^(٣)، لأن فعلت أساء الفاعلين فيه على فعيلة^(٤)،
نحو ظُرُفَتْ فهي ظريفة^(٥)، وإنما عاقر له ذات عقر، ويقال قد عقر الرجل يعقر
عقراً: إذا انقطع عليه الكلام من تعب وكلال. والعقار كل مال له أصل، وقد
قيل إن النخل خاصّة يقال له عقّار. وعقّر دار قوم أصل مُقَامِهِم الذي عليه
مُعَوَّظُهُمْ، وإذا انتقلوا عنه لُنْجَعَةٍ فرجوعهم إليه. ويروى عن علي أنه قال: «ما

بالهاشميات. وهذا البيت من إحداها. وقد توعد هشام بن عبد الملك فاختمى مدة ثم عفا عنه.

الأغاني ١٥ - ١١٣ والبيت في ك مقلوب. صدره عجزه.

(١) ليست في ك. أبك عادللك.

(٢) مريم (١٩) آية ٨.

(٣) هي نسبة مثل تامر ولابن وليست صفة مشبهة.

(٤) يريد الصفات المشبهة باسم الفاعل.

(٥) في القاموس: عقرت كعنى عقارة بفتح العين وضمها، وعقرت من باب ضرب عقراً وعقراً

وعقارة فهي عاقر. اهـ. ملخصاً وعلى هذا تكون عاقر صفة مشبهة ويقال: رجل عاقر وعقير.

غزي قوم في عُقْرِ دارهم إِلَّا ذُلُّوا»، أي ما غُزُوا في المكان الذي هو أصل لمقامهم.

ومعنى ﴿رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾.

أي علامة أعلم بها الوقت الذي تهب له فيه الغلام.

﴿قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيامٍ إِلَّا رَمْزًا﴾.

أي علامة ذلك أن يُمْسِكَ لسانك عن الكلام وأنت صحيح سَوِيٌّ وقال في موضوع آخر: ﴿آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليالٍ سوياً﴾^(١) أي وأنت سَوِيٌّ.

ومعنى الرمز تحريك الشفتين باللفظ من غير إبانة بصوت إنما هو إشارة بالشفتين، وقد قيل أن الرمز هو إشارة بالعينين، أو الحاجبين والفم، والرمز في اللغة كل ما أشرت به إلى بيان بلفظ، أي بأي شيء أشرت، أبضم أم بيد أم بعينين والرمز والترمز في اللغة الحركة والتحريك.

وقوله عز وجل: ﴿وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾.

قيل ﴿سَبِّحْ﴾: صلّ، ويقال فرغت من سبّحتي أي من صلاتي، وإنما سمّيت الصلّاة تسبيحاً لأن التسبيح تعظيم الله وتبرئته من السوء فالصلّاة يوحد الله فيها ويحمد، ويوصف بكل ما يبرّته من السوء فلذلك سمّيت الصلّاة السّبحة.

﴿والإبكار﴾ يقال فيه أبكر الرجل يُبْكَرُ إبْكاراً، وبُكْرٌ يُبْكَرُ تبكيراً وبُكْرٌ يُبْكَرُ في كل شيء يتقدّم فيه، وقول الناس فيما تقدم من الثمار: «قد هَرَفَ» خطأ^(٢)، إنما هي كلمة تبطّئة، وإنما تقول العرب في مثل ذلك: قد بَكُرَ، ويسمّى ما يكون منه^(٣) الباكورة.

(١) سورة مريم ١٩ - ١١ - سوياً حال من المخاطب.

(٢) أي أن العامة تطلق هرف على ما تقدم من الثمار وهو خطأ. وما تقدم منها ما جاء قبل أوانه. وفي القاموس: أهرفت النخلة عجلت إتيانها كهرفت تهريفاً، وهرفوا إلى الصلّاة - بالتشديد - عجلوا. : وأهرف غلط من الجوهري.

(٣) من الثمار.

وقوله عز وجل: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ﴾.

معنى ﴿اصطفاك﴾: اختارك، وقالوا في طهرك - طهرك من الحيض والنفس - ومعنى طهرك - والله أعلم - أي جعلك طاهرة من سائر الأدناس^(١). إلا أن الأول قد جاء في التفسير وقيل إن معنى ﴿اصطفاك على نساء العالمين﴾ أي على نساء أهل دهرها. وجائز أن يكون على نساء العالمين كلهم، أي اختارك لعيسى على نساء العالمين كلهم، فلم يجعل مثل عيسى من امرأة من نساء العالمين^(٢).

ومعنى ﴿اقْبِتِي رَبِّكِ﴾: أي اعبديه بالقول والعمل.

﴿واسجدي واركعي﴾: معنى الركوع قيل السجود المعنى اركعي واسجدي، إلا أن الواو إذا ذكرت فمعناها الاجتماع، وليس فيها دليل أن أحد الشيئين قبل الآخر. لأنها تؤذن بالاجتماع، والعمل، والحال تدل على تقدم المتقدم من الإثنين^(٣).

وقوله عز وجل: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾.

أي الأخبار التي قصصناها عليك في زكريا ويحيى ومريم وعيسى من أنباء الغيب، أي من أخبار ما غاب عنك، وفي هذا دليل على تثبيت نبوة النبي ﷺ لأنه أنبأ بما لا يعلم إلا من كتاب أو وحي وقد أجمعوا أن النبي ﷺ كان أمياً، فإنباؤه إياهم بالأخبار التي في كتبهم على حقيقتها من غير قراءة الكتب دليل على أنه نبي وأن الله أوحى إليه بها.

ومعنى ﴿إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾.

أي هذا أيضاً مما لم تحضره، ومعنى الأقلام ههنا القِدَاحُ وهي قِدَاح جعلوا

(١) أي الأخلاقية، وليس منها الحيض.

(٢) في الأصل وك. من مرة من نساء العالمين، بمعنى أنه لم يحدث مرة أن حملت أنثى من غير زوج كما حصل لك.

(٣) العمل يعني أداء الصلاة، وجعل الركوع فيها أولاً يدل على أن الواو ليست للترتيب، هذا إذا كانت الصلاة إذ ذاك هي صلاتنا بعد الإسلام. وإلا فالمراد مجرد عبادة الله والإذعان له.

عليها علامات يعرفون بها أيهم يكفل مريم على جهة القرعة - وإنما قيل للسهم القلم لأنه يُقْلَم أي يُبْرَى، وكل ما قطعت منه شيئاً بعد شيء فقد قَلَمْتَه، من ذلك القلم الذي يكتب به، وإنما سمي لأنه^(١) قلم مرة بعد مرة، ومن هذا قلمت أظافري.

ومعنى ﴿أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾.

أي لينظروا أيهم تجب له كفالة مريم، وهو الضمان للقيام بأمرها، ومعنى ﴿لديهم﴾ عندهم وبحضرتهم.

﴿إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾:

إذ نصب بقوله ﴿مَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ﴾ و ﴿إِذْ﴾ الثانية معلقة بـيختصمون أي إذ يختصمون إذ قالت الملائكة، فإذا منصوبة بـيختصمون^(٢).

ويكون المعنى أنهم اختصموا بسبب مريم وعيسى، وجائز أن يكون نصب إذ على ﴿وما كنت لديهم﴾.

﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ﴾. هذا أيضاً مما لم يشاهده.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ﴾.

سَمَّى اللَّهُ عزَّ وجلَّ عيسى المسيح، وسَمَّاهُ عيسى، وسمي ابتداءً أمره كَلِمَةً (منه)^(٣) فهو. ﷻ كلمة من الله ألَّفَها إلى مريم، ثم كَوَّنَ تلك الكلمة بشراً.

وقوله جَلَّ وعزَّ: ﴿اسْمُهُ﴾ وإنما جرى^(٤) ذكر الكلمة لأن معنى الكلمة معنى

(١) في ط لأنه قد قلم - يريد سمي قلماً.

(٢) الأقرب ما ذكره من تعلقها بلديهم، فهم لم يختصموا عند نداء الملائكة.

(٣) ليست في ك.

(٤) الضمير المذكور في «اسمه» صح عوده على «الكلمة» وهي مؤنثة لأنها بمعنى الولد. أي يبشرك بولد.

الولد، المعنى أن الله يشارك بهذا الولد، ﴿وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾.

﴿وَجِيهًا﴾ منصوب على الحال، والوجيه الذي له المنزلة الرفيعة عند ذوي القَدْر والمعرفة، ويقال قد وَجَّهَ الرجلُ يَوْجُهُ وَجَاهَةً، ولفلان جَاءَ عند الناس ووجاهة عند الناس، أي منزلة رفيعة. وقال بعض النحويين: ﴿وَجِيهًا﴾ منصوب على القطع من عيسى، وقطع ههنا كلمة محال، لأنه إنما بُشِّرَ به في هذه الحال، أي في حال فضله فكيف يكون قطعها منه، ولم يقل لم نصب هذا القطع، فإن كان القطع إنما هو معنى، فليس ذلك المعنى موجوداً في هذا اللفظ، وإن كان القطع هو العامل فما بَيَّنَّ ما هو، وإن كان أراد أن الألف واللام قُطِعَا منه فهذا محال لأن جميع الأحوال نكرات والألف واللام لمعهود، فكيف يقطع من الشيء ما لم يكن فيه قَطُّ.

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ﴾.

معطوف على وجيهاً، المعنى يشارك به وجيهاً ومكلماً الناس في المهد، وجائز أن يعطف يفعل على فاعل، لمضارعه بفعل فاعل، قال الشاعر: (١)

بات يعيشها بغضب باتر يقصد في أسواقها وجائر
وَكَهْلًا:

أي ويكلم الناس كهلاً، أعلمها الله أن عيسى يبقى إلى حال الكهولة، وقيل إن كهلاً، أي ينزل من السماء لقتل الرجال وهو كهل - والله أعلم.

ومعنى ﴿كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾.

(١) لم يعرف القائل والضمير للإبل، والعضب من أسما السيف والياتر الذي يستأصل بالقطع والأسوق جمع ساق. والشاهد النحوي فيه عطف جائر على يقصد، ومثله في القرآن ألم يروا إلى الطير فوقهم صافات وَيَقْبِضْنَ الملك ٦٧ - ١٩ والبيت في أمالي الشجري ٢ - ١٩٨ ويروى يغشيها بالغين، والمعنى أنه منهار يذبح إبله بكثرة للأضياف فيظل سيفه يعمل فيها مرة يقتصد وأخرى يجور.

أَيَّ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ مِثْلَ ذَلِكَ ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ
وَالْإِنْجِيلَ﴾.

أَيَّ يَعْلَمُهُ ذَلِكَ وَحَيًّا وَإِلَهَامًا.

وَنَصَّبَ ﴿وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ عَلَى وَجْهَيْنِ - أَحَدُهُمَا
وَيَجْعَلُهُ رَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَالْاِخْتِيَارَ عِنْدِي - وَاللَّهُ أَعْلَمُ -

وَيَكَلِّمُ النَّاسَ رَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ ^(١) وَالدَّلِيلَ عَلَى ذَلِكَ أَنَّهُ قَالَ: ﴿إِنِّي
قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾.

فَالْمَعْنَى - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - وَيَكَلِّمُهُمْ رَسُولًا بِأَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ، وَلَوْ
قَرَأْتُ إِنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ - بِالْكَسْرِ - كَانَ صَوَابًا، الْمَعْنَى إِنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ -
أَيَّ بَعْلَامَةً تَثْبِتُ رِسَالَتِي ^(٢).

وَقَوْلُهُ جَلَّ وَعَزَّ: ﴿إِنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ﴾.

يُصْلِحُ أَنْ يَكُونَ خَفَضًا وَرَفْعًا، - فَالْخَفَضُ عَلَى الْبَدَلِ مِنْ ﴿آيَةٍ﴾، الْمَعْنَى
جِئْتُكُمْ بِأَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ ﴿إِنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ﴾
يُخْبِرُهُمْ بِهَذِهِ الْآيَةِ مَا هِيَ ^(٣) أَيَّ أَقُولُ لَكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ.

يُقَالُ إِنَّهُ صَنَعَ كَهَيْئَةَ الْخَفَاشِ وَنَفَخَ فِيهِ فَصَارَ طَيْرًا، وَجَازٌ أَنْ يَكُونَ فَانْفَخَ
فِيهِ لِلْفَتْحِ مِنَ الطِّينِ، وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ ﴿فَتَنْفَخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي﴾ ^(٤)
لِلْفَتْحِ الْهَيْئَةَ.

﴿وَأُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ وَأُخَيِّرُ الْمُؤْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ﴾.

(١) أَيَّ هُوَ حَالٌ - وَهَذَا أَرْجَحُ مِنْ حَذْفِ الْفِعْلِ «وَيَجْلَهُ».

(٢) لَمْ يَشْرَحْ سَبَبَ الْكُسْرِ، وَهُوَ أَمَّا عَلَى الْاِسْتِثْنَاءِ أَوْ عَلَى تَقْدِيرِ قَوْلِ أَيَّ قَائِلًا.

(٣) وَفِي الْحَالَةِ الْأُولَى نَقَرْنَا أَنْ يَفْتَحَ الْهَمْزَةُ، وَفِي الثَّانِيَةِ تَكْسِرُ، إِذْ هِيَ مُسْتَأْنَفَةٌ.

(٤) الْمَائِدَةُ ٥ - ١١٠.

﴿الأكمة﴾ الذي يولد أعمى ، قال الراجز
هرجت فارتد ارتداد الأكمة^(١)

وقوله عز وجل: ﴿وَأَنْبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ﴾ .

أي أخبركم بما تأكلون ، فجائز أن تكون ﴿ما﴾ ههنا في موضع الذي ،
والمعنى أنبئكم بالذي تأكلونه وتدخرونه ، ويجوز أن يكون ما وما وقع بعدها بمنزلة
المصدر . المعنى أنبئكم بأكلكم وادخاركم والأول أجود ، ومعنى تدخرون : جاء
في التفسير : ما تأكلون في غدوكم^(٢) . وتدخرون بالذال والذال . وقال بعض
النحويين إنما أختير تدخرون لأن التاء تدغم في الذال نحو تَذَكَّرُونَ ، فكرهوا
تدخرون لأنه لا يشبه ذلك ، فطلبوا حرفاً بين التاء والذال فكان ذلك الحرف
الذال .

وهذا يحتاج صاحبه إلى أن يعرف الحروف المجهورة والمهموسة :
وهي فيما زعم الخليل ضربان : فالْمُهْجُورَةُ حَرْفٌ أَشْبَعُ الاعتماد عليه في
موضعه ، ومنع النفس أن يجري معه ، والمُهْمُوسُ حَرْفٌ أضعف الاعتماد
[عليه] في موضعه وجرى معه النفس .

وإنما قيل ﴿تَدَخَّرُونَ﴾ وَأَصْلُهُ تَدَخَّرُونَ : أي يفتعلون من الذُّخْر ، لأن الذال
حرف مجهور لا يمكن النفس أن يجري معه لشدة اعتماده في مكانه والتاء
مهموسة ، فأبدل من مخرج التاء حرف مجهور يشبه الذال في جَهْرِها وهو الذال .
فصار تَدَخَّرُونَ . ثم أَدْغَمَتِ الذال في الذال ، وهذا أصل الإدغام أن تُدْغِمَ
الأول في الثاني ، وتَدَخَّرُونَ جائز - فأما ما قال في الملبس فليس تدخرون ملبساً
بشيء .

(١) لرؤية . الديوان ١٦٦ - واللسان «كمه ، هرج» مجاز أبي عبيدة في الآية نفسها - ومعنى هرجت
صحّت . يريد أنه أخافه فصار يتخبط كالأعمى ولم يستطع التقدم أو الهجوم . وأنظر ص ٩١ .
(٢) أي تبقونه للأكل في غدكم .

وقوله عز وجل: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ﴾.
نُصِبَ ﴿مُصَدِّقًا﴾ على الحال، المعنى وجئتكم مصدقاً لما بين يدي أي
للكتاب الذي أنزل قبلي^(١)، فهو أمري أن تتبعوني.

﴿وَلَا حِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ، وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾
أي لم أحل لكم شيئاً بغير برهان، فهو حق عليكم أتباعي لأنني أثبتتكم
ببرهان، وتحليل طيبات كانت حرمت عليكم، ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾: أي
اتبعوني.

قال أبو عبيدة معنى: ﴿وَلَا حِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾.
قال معناه: كل الذي حرم عليكم، وهذا مستحيل في اللغة وفي التفسير
وما عليه العمل. فأما استحالته في اللغة فإن البعض والجزء لا يكون الكل
وأنشد في ذلك أبو عبيدة بيتاً غلط في معناه وهو قول لبيد:
تَرَاكَ مَنْزِلَةً إِذَا لَمْ أَرْضَهَا أَوْ يَعْتَلِقُ بَعْضَ النُّفُوسِ حَمَامُهَا^(٢)
قال: المعنى «أَوْ يَعْتَلِقُ كُلَّ النُّفُوسِ حَمَامُهَا» وهذا كلام تستعمله الناس،
يقول القائل: بعضنا يعرفك يريد أنا أعرفك، فهذا إنما هو تبعيض^(٣) صحيح،
وإنما جاءهم عيسى بتحليل ما كان حراماً عليهم، قال الله عز وجل: ﴿فَبِظُلْمٍ
مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾^(٤) وهي نحو الشحوم وما
يتبعها في التحريم، فأما أن يكون أحل لهم القتل والسَّرِقَةُ والزَّنا فمحال^(٥).

(١) أي التوراة - وهو - أي تصديقه موسى عليه السلام - يجعلهم يتبعونه لأنه لم يعارض ديانته وما
ألفوا من الشرائع.

(٢) معلقة لبيد شرح العشر للزوزني ص ٨٢ البيت ٥٦ والديوان ٣١١. يريد بالنفوس نفسه - أي
إذا رأيت في مكان شيئاً أكرهه غادرت المكان إلا أن يعوقني الموت - ويروي أبو بغيض.

(٣) أي كلمة بعض مستعملة في موضعها - لأن التكلم بعض القوم. ولا حجة لأبي عبيدة.
(٤) النساء ٤ - ١٦٠.

(٥) النص صريح في أنها طيبات كانت حلالاً لهم؛ وليس منها هذه المحرمات.

ومعنى: ﴿هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾.

أي هذا طريق الدين مستويًا^(١).

وقوله عز وجل: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ﴾.

معنى أَحَسَّ في اللغة عَلمَ وَوَجَدَ، ويقال هل أَحَسْتَ في معنى هل
أَحْسَسْتَ ويقال حَسَيْتُ بالشيء إذا عَلمْتُهُ وعرفْتُهُ.
وأنشد الأصمعي:

سِوَى أَنَّ الْعَتَاقَ مِنَ الْمَطَايَا حَسِينَ بِهِ فَهَنْ إِلَيْهِ شُوسُ^(٢)

ويقال حَسَّهُم القَائِدُ، أي قَتَلَهُمْ.

ومعنى: ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾.

جاء في التفسير من أنصاري مع الله، و«إلى» ههنا إنما قاربت «مع»
معنى^(٣) بأن صار اللفظ لو عبر عنه «بمع» أفاد مثل هذا المعنى، لا أن «إلى»
في معنى «مع» لو قلت ذهب زيد إلى عمرو لم يجز ذهب زيد مع عمرو، لأن
«إلى» غاية و«مع» تضم الشيء إلى الشيء فالمعنى: يضيف نصرته إياي إلى
نصرة الله.

وقولهم إِنَّ «إلى» في معنى «مَعَ» ليس بشيء. والحروف قد تقاربت في
الفائدة. فَيُظَنُّ الضعيفُ العِلْمُ باللغة أن معناهما^(٤) واحد.

(١) في الأصول «مستو».

(٢) لأبي زيد الطائي: الطبري ١٦ - ١٣٧ - أَحَسَنَ، وأورده القرطبي ١١ - ٢٤٢ والشجري ١ - ٩٧
كما هنا، يتحدث عن أسد عن لهم لم يره الركب ولكن أحست به الخيل فكانت أعينها تميل إلى
جهته خوفاً، وشوس جمع أشوس وشوساء أي مائل البصر.

(٣) ك و «إلى» ههنا إنما قاربت معنى «مع».

(٤) أي معنى «إلى» و «مع» في هذا الموضع واحد، وليس كذلك.

من ذلك قوله جلّ وعزّ: ﴿وَلَا صَلْبَنَكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ﴾^(١) ولو كانت «على» ههنا. لأدّت هذه الفائدة، لأنك لو قلت لأصلبكم على جذوع النخل كان مستقيماً. وأصل «في» إنما هو للوعاء، وأصل «على» لِمَا مع الشيء، كقولك: الثمر في الجراب. ولو قلت التمر على الجراب لم يصلح في هذا المعنى، ولكن جازَ ﴿وَلَا صَلْبَنَكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ﴾^(١) لأن الجذع يشتمل على المصلوب، لأنه قد أخذه من أقطاره. ولو قلت زيد على الجبل وفي الجبل يصلح، لأن الجبل قد اشتمل على زيد، فعلى هذا مجاز هذه الحروف.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿قَالَ الْخَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾.

قال الحذاق باللغة: ﴿الحواريون﴾: صفوة الأنبياء عليهم السلام الذين خلصوا وأخلصوا في التصديق به ونصرته فسماهم الله جلّ وعزّ: ﴿الحواريون﴾^(٢) وقد قيل أنهم كانوا قَصَارِينَ فسموا الحواريين لتبييضهم الثياب، ثم صار هذا الاسم يستعمل فيمن أشبههم من المصدقين تشبيهاً بهم. وقيل إنهم كانوا ملوكاً وقيل كانوا صيادين، والذي عليه أهل اللغة أنهم الصفوة كما أخبرتك.

ويروى عن النبي ﷺ أنه قال: الزبير ابن عمتي وَخَوَارِئِي من أمتي. ويقال لنساء الأنصار خَوَارِيَاتٌ، لأنهن تباعدن عن قشف الأعرابيات بنظافتهن. وأنشد أبو عبيدة وغيره لأبي جلدة الشكري^(٣)

(١) سورة طه (٢٠) آية ٧١. (٢) هكذا على حكاية اللفظ.

(٣) أبو جلدة شاعر إسلامي كان من أشياع الحجاج وخلصائه ثم انقلب عليه وانضم لابن الأشعث وأخذ يحرض على الحجاج والأمويين ثم ظفر به وقتل ونقل رأسه إلى الحجاج - وجاء قبل هذا البيت:

بكين إلينا خشية أن تبيحها رماح النصارى والسيوف الجوارح
بكين لكيما تمنعوهن منهم وتأبى قلوب أضمرتها الجوانح

انظر المؤتلف والمختلف ٧٩ والأغاني ١١ - ٣١١ - والبيت المستشهد به في الجمهرة ١ - ٢٣٠ ، ٢ -

فقل للحواريات يئكين غيرنا ولا تبكنا إلا الكلاب النوايح

وقال أهل اللغة في المحور وهو العود الذي تدور عليه البكرة قولين، قال بعضهم: إنما قيل له محور للدوران لأنه يرجع إلى المكان الذي زال منه، وقيل إنما قيل له محور لأنه بدورانه ينصقل حتى يصير أبيض، ويقال دقيق حَوَارَى من هذا أي قد أخذ لبابه وكذلك عجين مُحَوَّرٌ (للذي) (١) يمسح وجهه بالماء حتى يصفو، ويقال عين حوراء إذا اشتد بياضها وخلص واشتد سوادها، ولا يقال امرأة حوراء إلا أن تكون مع حور عينها بيضاء، وما روي (٢)، في الحديث: نعوذ بالله من الحَوَرِ بعد الكَوَرِ معناه نعوذ بالله من الرجوع والخروج عن الجماعة بعد الكَوَرِ. أي بعد أن كنا في الكور، أي في الجماعة يقال كَارَ الرجل عمامة إذا لفها على رأسه، وحادر عمامته إذا نقضها، وقد قيل: «بعد الكون» ومعناه بعد أن كنا على استقامة، إلا أن مع الكون محذوفاً في الكلام دليلاً عليه (٣).

وأما معنى قوله: ﴿فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ (٤):

أي اكتبنا مع الذين شهدوا للأنبياء بالتصديق، وحقيقة الشاهد أنه الذي يبين تصحيح دعوى المدعي، فالمعنى صدقنا بالله واعترفنا بصحة ما جاء به النبي ﷺ وثبتنا، فأكتبنا مع من فعل فعلنا.

وقوله عز وجل: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾.

١٤٦ - اللسان (حور) والكشاف الآية نفسها وهو يرمي أهل الشام وأنصار معاوية بالكفر

والتنصر، ويصف نفسه وجماعته أنهم أهل خشونة وبداعة لم تلفتهم الحضارة عن الإسلام.

(١) ليست في ك، وبها «مسح وجهه» -

(٢) في ك وفي الحديث.

(٣) في ك دليل عليه. بمعنى هو دليل عليه.

(٤) لا بد من مجيء فاء بعد أما. ولكنه في غير موضع يقطع الكلام فيترك الخبر أو جواب الشرط...

الْمَكْرُ مِنْ الْخَلَاتِقِ خَبٌّ وَخَدَاعٌ، والمكر من الله المجازاة على ذلك فسمي بإسم ذلك لأنه مجازاة عليه كما قال - عز وجل: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾^(١). فجعل مُجَازَاتِهِمْ على الاستِهْزَاءِ بِالْعَذَابِ، لفظه لفظ الاستِهْزَاءِ. وكما قَالَ جَلَّ وَعَزَّ: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾^(٢) فالأولى سيئة والمجازاة عليها سُمِّيَتْ بِاسْمِهَا، وليست في الحقيقة سَيِّئَةً.

وجائز أن يكون مَكْرُ اللَّهِ اسْتِدْرَاجُهُمْ من حيث لا يعلمون لأن الله سَلَّطَ عليهم فَارِسَ فَعْلَبْتَهُمْ وَقَتَلْتَهُمْ، والدليل على ذلك قوله عز وجل: ﴿آلَمْ غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ﴾^(٣).

وقيل في التفسير أيضاً إن مكر الله بهم كان في أمر عيسى أنه ﷺ كان في بيت فيه كوة فدخل رجل ليقته، ورفع عيسى من البيت وخرج الرجل في شَبَّهه يخبرهم أنه لَيْسَ في البيت فقتلوه.

وجملة المكر من الله مجازاتهم على ما فعلوا.

وقوله عز وجل: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى﴾

﴿عِيسَى﴾ اسم أعجمي عدل عن لفظ الأعجمية إلى هذا البناء، وهو غير مصروف في المعرفة لاجتماع العجمية والتعريف فيه. ومثال اشتقاقه من كلام العرب أن عيسى: فَعْلَى، فالألف يصلح أن تكون للتأنيث، فلا تتصرف في معرفة ولا نكرة، ويكون اشتقاقه من شَيْئَيْنِ، أَحَدُهُمَا الْعَيْسُ، وهو بياض

(١) سورة البقرة (٢) آية ١٥.

(٢) الشورى ٤٢ آية (٤٠).

(٣) سورة الروم (٣٠) - آية ١، ٢. ووجه الاستدلال بالآية أن الغلبة قد تكون لمجرد الخديعة والاستدراج. فالروم غلبوا ثم انتصروا، واليهود دبروا مكايدهم لعيسى وحرصوا عليه الرومان ثم حطمهم الرومان وشردوهم.

الإبل، والآخر من العوس والعِيَاسَة إلا أنه قلبت الواو يا لانكسار ما قبلها^(١).

فأما عيسى عليه السلام فَمَعْدُولٌ من يَشوع - كذا يقول أهل السريانية.

وقال النحويون في معنى قوله عز وجل: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ﴾.

التقديم والتأخير - المعنى أني رافعك ومطهرك ومتوفيك. وقال بعضهم: المعنى على هذا اللفظ كقوله - عز وجل - ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾^(٢) فالمعنى على مذهب هؤلاء - أن الكلام على هذا اللفظ^(٣).

ومعنى ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾.

القراءة بطرح التنوين، والتنوين جائز^(٤)، ولكن لا تقرأ به إلا أن تكون ثبتت بذلك رواية.

ومعنى: ﴿فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾.

فيه قولان: أحدهما أنهم فوقهم في الحجة وإقامة البرهان والآخر أنهم فوقهم في اليد والبسطة والغلبة، ويكون ﴿الذين اتبعوك﴾ محمداً ﷺ ومن اتبعه فهم منصورون عَالُونَ.

وقوله عز وجل: ﴿فَاعْزِبْهُمْ عَذَاباً شَدِيداً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾.

العذاب في الدنيا القتل الذي نالهم وبنالهم، وسبي الذاري وأخذ الجزية، وعذاب الآخرة ما أعده الله لهم من النار.

(١) ك من العوس والعوس السياسة. والعياسة هي الطواف ليلاً لمعرفة الحوادث.

(٢) الزمر (٣٩) - آية ٤٢ - أي يتوفاها عند انتهاء أجلها ومجيء الوقت المحدد لموتها.

(٣) أي على قياس هذا اللفظ، والمعنى إذن: سأمتك عند انتهاء أجلك، لا بأيدي - أعدائك.

(٤) أي جاعل الذين اتبعوك.

﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ .

أي ما لهم من يمنعهم في الدنيا لأن الله - عز وجل - قد أظهر الإسلام على دينهم وجعل الغلبة لأهله، ولا أحد ينصرهم في الآخرة من عذاب الله .

ومعنى : ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ .

أي لا يرحمهم، ويعذبهم ولا يثني عليهم خيراً، هذا معنى البغض من الله، ومعنى المحبة منه الرحمة والمغفرة والثناء والجميل .

وقوله عز وجل : ﴿ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ﴾ .

أي القصيص الذي جرى نتلوه عليك .

﴿مِنَ الْآيَاتِ﴾ .

أي من العلامات البينات الدلالات على تثبيت رسالتك إذ كانت أخباراً لا يعلمها إلا قارئ كتاب أو معلّم أو من أوحيت إليه .

وقد علم أن النبي ﷺ كان أمياً لا يكتب ولا يقرأ الكتب على جهله النظر فيها والفائدة منها . فإنه ﷺ لم يعلمه أحد من الناس فلم يبق إلا الوحي ، والأخبار بهذه الأخبار التي يجتمع أهل الكتاب^(١) على الموافقة بالإخبار بها - من الآيات المعجزات^(٢) .

ومعنى ﴿وَالذِّكْرُ الْحَكِيمُ﴾ : أي ذو الحكمة في تأليفه ونظمه وإبانة الفوائد فيه ويصلح أن تكون ﴿ذلك﴾ في معنى الذي^(٣) ويكون ﴿نتلوه﴾ صلة ، فيكون المعنى

(١) في ك أهل الكتب .

(٢) تقدير الكلام : الإخبار بهذه الأخبار من المعجزات ، لأن أهل الكتاب يجمعون على صحة حدوثها ، وكل ما أخبر به عنها .

(٣) الفرق أعراي فقط . فباعتبار ﴿ذلك﴾ اسم إشارة يكون ﴿نتلوه﴾ خبراً . و﴿من الآيات﴾ تبين في موضع الحال ، وباعتباره موصولاً يكون نتلوه صلة ومن الآيات خبر .

الذي نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم فيكون ذلك ابتداءً، والخبر من الآيات.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾.

﴿آدم﴾ قد بينّا أنه لا ينصرف وأن اسمه مأخوذ من أديم الأرض وهو وجهها، ولذا يقال لذي اللون الذي يشبه لون الأرض آدم. و﴿خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾ ليست بمتصلة بآدم^(١)، إنما هو مبين قصة آدم^(٢) ولا يجوز في الكلام أن تقول مررت بزید قام، لأن زیداً معرفة لا يتصل به قام ولا يوصل به ولا يكون حالاً، لأن الماضي لا يكون حالاً أتت فيها^(٣)، ولكنك تقول: مثلك مثل زيد، تريد أنك تشبهه في فعله. ثم تخبر بقصة زيد فتقول: فعل كذا وكذا. وإنما قيل إن مثله كمثل آدم لأن الله أنشأ آدم من غير أب، خلقه من تراب، فكما خلق آدم من غير أب كذلك خلق عيسى عليه السلام.

ويروى في التفسير أن قوماً من نصارى نجران صاروا إلى النبي ﷺ فقالوا له: إنك سبيت صاحبنا، قال ومن صاحبكم؟ قالوا: عيسى. قال: وما قلت فيه؟ قالوا: قلت إنه عبد. فقال ﷺ: ما ذلك بعار على أخي ولا نقيصة، هو عبد وأنا عبد، قالوا: فأرنا مثله^(٤) فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ﴾ إلى آخر الآية.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾.

مرفوع على [أنه] خبر ابتداء محذوف: المعنى الذي أنبأناك به في قصة عيسى عليه السلام [هو] الحق من ربك.

﴿فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾: أي من الشكّاكين، والخطاب للنبي خِطَاب

(١) في الأصل بمتصل على تقدير شيء أو كلام متصل.

(٢) يريد أن «خلقه» جملة مستأنفة.

(٣) أي حاله واقعة الآن.

(٤) أرنا شخصاً مثله خلق من غير أب.

للخلق، لأن النبي لم يشكك في قصة عيسى، ومعنى ﴿مِنْ رَبِّكَ﴾ أي آتاك من عند ربك.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ﴾: أي في عيسى.

﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾.

قليل له هذا بعد أن أُوحيت إليه البراهين والحجج القاطعة في تثبيت أمر عيسى أنه عبد، فأمر بالمباهلة^(١) بعد إقامة الحجة، لأن الحجة قد بلغت النهاية في البيان فأمر الله أن يجتمع هو والنساء والأبناء من المؤمنين، وأن يدعوهم إلى أن يتجمعوا هم وآباؤهم ونسأؤهم، ثم يبتهلون ومعنى الابتغال في اللغة المبالغة في الدعاء، وأصله الالتعان ويقال بهله الله أي لعنه الله، ومعنى لعنه الله بآداه الله من رحمته، يقال: ناقة باهل وباهلة إذا لم يكن عليها صرار، وقد أهمل الرجل ناقته إذا تركها بغير صرار^(٢) ورجل باهل إذا لم يكن معه عصا. فتأويل البهل في اللغة المبالغة والمفارقة للشيء.

فدعاهم رسول الله ﷺ إلى المباهلة لأمرين كلاهما فيه بيان أن علماءهم قد وقفوا على أن أمر النبي ﷺ حق لأنهم إذ أبوا أن يلاعنوا دل إباؤهم على أنهم قد علموا أنهم إن باهلوه نزل بهم مكروه، وأنهم إذا تركوا المباهلة دل ذلك ضعفهم^(٣). ومن لا علم عنده أن فرارهم من المباهلة دليل على أنهم كاذبون، وأن النبي ﷺ صادق، وقيل إن بعضهم قال لبعض: إن باهلتهم اضطرم الوادي عليكم ناراً ولم يبق نصراني ولا نصرانية إلى يوم القيامة، (ويروى عن النبي ﷺ أنه قال: لو باهلوني لاضطرم الوادي عليهم ناراً، وما بقي نصراني ولا نصرانية إلى يوم القيامة)^(٤).

(١) الملاعة بأن يدعو كل على الآخر أن تصيبه لعنة الله. وقد وفيت في النص، شرحاً.

(٢) صرار الناقة هو شد أخلافها بخيط لثلا يرضعها ولدها - والخيط يسمى، صراراً.

(٣) عبارة غير جيدة - والمراد دل على ضعفهم، وجملة من لا علم عنده كلام مستأنف.

(٤) لم يذكر الحديث في ك.

وهذا مكان ينبغي أن يُنعمَ النظر فيه، ويعلم المؤمنون بيان ما هو عليه، وما عليه من الضلال مَنْ خالفهم، لأنهم لم يروِ أحدٌ أنهم باهلوا النبي ﷺ ولا أجابوا إلى ذلك.

ومعنى قوله عز وجل: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾.

أي إن هذا الذي أوحينا إليك من هذه البينات والحجج التي آتيناك لهو القصص الحق، ويصلح أن تكون [هو] ههنا فصلاً، وهو الذي يسميه الكوفيون عماداً، ويكون القصص خبراً، ويصلح أن يكون [هو] ابتداءً، والقصص خبره، وهما جميعاً خبر ﴿أَنَّ﴾.

ومعنى ﴿مَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ﴾ من دخلت توكيداً. ودليلاً على نفي جميع من إدعى المشركون أنهم آلهة. أي إن عيسى ليس بإله، لأنهم زعموا أنه إله، فأعلم الله عز وجل أن لا إله إلا هو، وأن من آتاه الله آيات يعجز عنها المخلوقون فذلك غير مخرج له من العبودية لله، وتسميته آله كفر بالله.

ومعنى ﴿الْعَزِيزُ﴾: هو الذي لا يعجزه شيء.

و﴿الْحَكِيمُ﴾: ذو الحكمة الذي لا يأتي إلا ما هو حكمة.

وقوله جل وعز ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ﴾: أي فإن أعرضوا عما أتيت به من البيان فإن الله يعلم من يفسد من خلقه فيجازيه على إفساده.

وقوله جل وعز: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾.

معنى ﴿سَوَاءٍ﴾ معنى عدل، ومعنى كلمة كلام فيه شرح قصة وإن طال، وكذلك يقول العرب للقصيدة كلمة.

يروى أن حسان بن ثابت الأنصاري كان إذا قيل له أنشد قال للقاتل:

هل أنشدت كلمة الخويدرة^(١)، يعني قصيدته التي أولها: ^(٢)

بكرت سمية بكرة فتمتعي

ويقال للعدل سواء وسوى وسوى، قال زهير بن أبي سلمى:

أروني خطة لا ضيم فيها يسوي بيننا فيها السواء

فإن ترك السواء فليس بيني وبينكم بني حصن بناء^(٣)

يريد بالسواء العدل كذا يقول أهل اللغة، وهو الحق.

وهو من استواء الشيء، ولو كان في غير القرآن لجاز: سواء بيننا وبينكم، فمن قال سواء جعله نعتاً للكلمة يريد ذات سواء، ومن قال سواء جعله مصدراً في معنى استواء، كأن قال: استوت استواء^(٤).

وموضع ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ﴾. موضع «أن» خفض على البدل من كلمة.. المعنى تعالوا إلى أن لا نعبد إلا الله، وجائز أن تكون أن في موضع رفع، كأن قائلًا قال: ما الكلمة فأجيب فقل هي ألا نعبد إلا الله، ولو كان ألا نعبد ألا الله ولا نشرك به شيئاً لجاز على أن يكون تفسيراً للقصة في تأويل أي كأنهم

(١) شاعر جاهلي مقل، مضري من قيس عيلان اسمه قطبة بن أوس - غلب عليه لقب الخويدرة والحادة. قال صاحب الأغاني كان حسان إذا تنوشدت الأشعار يقول هل أنشدت كلمة الخويدرة. أنظر الأغاني ح ٣ - ٧٣.

(٢) عجز البيت: وغدت غدو مفارق لم تربع.

وبعده:

وتعرضت لك فاستبتك بواضح صلت كمتنص الغزال الأتلع

لم تربع لم ترفق، والغزال الأتلع: الطويل العنق.

والبيت في الخزانة ٤٣٧/٣ ومطلع المفضيلة رقم ٨.

(٣) من همزيتة التي هجا بها آل حصن ثم ندم بعد ذلك ديوانه ١١.

واللسان (سواء). أي خطة يحكم فيها العدل.

(٤) ك. كلمة استوت.

قالوا: أي لا نعبد إلا الله - كما قال عز وجل: ﴿وَأَنْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ آمْسُوا﴾^(١) وقال قوم معنى أن ههنا معنى يقولون إمشوا، والمعنى واحد^(٢) لأن القول ههنا تفسير لما قصدوا له وكذلك «أي» يفسر بها، ولو كان ﴿أَلَا نَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ﴾ بالجزم لجاز على أن يكون «أن» كما فسرنا في تأويل أي، ويكون ﴿لَا نَعْبُدُ﴾ على جهة التهي، والمنهي هو الناهي في الحقيقة كأنهم نهوا أنفسهم.

ومعنى ﴿وَلَا يَتَّخِذْ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾.

أي نرجع إلى أن معبودنا الله، وأن عيسى بشر، كما أننا بشر فلا نتخذ ربا.

ومعنى ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَا مُسْلِمُونَ﴾.

أي مقرر بالتوحيد مستسلمون لما أتنا به الأنبياء من قبل الله عز وجل.

وقوله عز وجل: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ﴾.

في هذا بين حجة على اليهود والنصارى جميعاً، لأن اليهود تدعي أن إبراهيم كان يهودياً والنصارى تدعي أنه كان نصرانياً، وتدفع اليهود عن دعواهم، وليس يدفعون اسم صفة أنه كان مسلماً، وأنه لم يكن اسمه يهودياً ولا نصرانياً ولا مشركاً، والتوراة والإنجيل أنزلا من بعده، وليس فيهما اسمه بواحد من أديان اليهود والنصارى والمشركون، واسم الإسلام له في كل الكتب^(٣)، فدفع بعضهم بعضاً أن يكون مسمى بالأسماء التي هي غير الإسلام دليل بين

(١) سورة ص ٣٨٠ - ٦ - يريد أن أن ليست مصدرية بل مفسرة.

(٢) أي أن مفسرة وهي التي تسبق الكلام فيه معنى القول دون حروفه كما في هذه الآية من سورة (ص ٣٨) - آية ٦ - أو الآية التي معنا - لأن «كَلِمَةً» بها معنى القول دون حروفه.

(٣) أي ثابت له في جميع الكتب.

على نقض قولهم، وبرهان بَيِّنٌ في تبرئة إبراهيم من سائر الأديان إلا دين الإسلام.

ومعنى ﴿حَنِيفاً مُسْلِماً﴾.

معنى الحنف في اللغة إقبال صُدُور القدمين كل واحدة على أختها إقبالاً يكون خلقه لا رجوع فيه أبداً، فمعنى الحنيفية في الإسلام الميل إليه والإقامة على ذلك العقد.

وقوله جل وعز ﴿إِنَّ أَوَّلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ﴾.

يعني محمداً ﷺ أي فهم الذين ينبغي لهم أن يقولوا إنا على دين إبراهيم ولهم ولاية.

﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾. أي يتولى نصرهم لأن حزبهم هم الغالبون، ويتولى مجازاتهم بالحسنى.

وقوله جل وعز: ﴿لَمْ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَسْهَدُونَ﴾.

أي وأنتم تشهدون أنها آيات الله لأنكم كنتم تُخْبِرُونَ بأمر النبي ﷺ قبل مبعثه، وأصل ﴿لَمْ تَكْفُرُونَ﴾، لِمَا تَكْفُرُونَ والمعنى لأي شيء تكفرون، وكذلك ﴿لَمْ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾^(١) وكذلك ﴿عَمِيتَ سَاءَ لَوْنٌ﴾^(٢) و ﴿فَبِمِ يَشْرُونَ﴾^(٣) فإذا وقفت على هذه الحروف وقفت بالهاء، فقلت لمه، وبمه^(٤)، لأن الألف حذفت في هذه الأسماء التي للاستفهام خاصة^(٥) فجوز ذلك^(٦)، ولا يجوز

(١) الصف (٦١) - آية ٢.

(٢) النبأ ٧٨ - ١.

(٣) الحجر (١٥) - آية ٥٤.

(٤) لأنها بعد حذف الألف أصبحت حرفاً مفرداً، فضمت لها هاء السكت.

(٥) هي ما الاستفهامية، والجمع لتكررها في الآيات التي ذكرت ففي كل آية اسم استفهام، أي حذفت في هذه الكلمات.

(٦) في الأصل يجوز ذلك.

ذلك في الموصلة^(١) لأن الألف فيهن ليست آخر الأسماء^(٢) إنما الألف وسط [وحذفها]^(٣) لأن حروف الجر عوض منها، فحذفت استخفافاً، لأن الفتحة دالة عليها، ولا يجوز إسكان هذه الحروف.

وزعم الكسائي أن الأصل كان في «كم» كما، قال: وكنت أشتهي أن تكون مفتوحة لالتقاء الساكنين في قولهم: «كم المال»^(٤) - بالكسر - . وهذا غلط من أبي الحسن، ولو كان كما يقول لكان «كم مالك» كما أنك تقول: «لم فعلت».

وليس هذا القول مما يعرج عليه.

وقوله عز وجل: ﴿لَمْ يَلْبَسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾.

أي لم تغطون الحق بباطلكم وأنتم تعلمون أنه الحق؟ يقال: لبست عليهم الأمر ألبسه. قال الله تعالى: ﴿وَلَلْبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ﴾^(٥).

ويقال: لبست الثوب ألبسته، وقال الله عز وجل: ﴿وَيَلْبَسُونَ ثِيَاباً خُضْراً﴾^(٦).

ولو قيل: «وتكنموا الحق» لجاز، على قولك: لم تجمعون هذا وذاك. ولكن الذي في القرآن أجود في الإعراب^(٧).

(١) لا تحذف الألف في ما الموصولة، لأن الاسم الموصول لا يتم إلا بصلته، فالألف ليست آخر الكلمة ولا يوقف على موصول بدون صلة.

(٢) أي في ما الموصولة في مختلف مواضعها.

(٣) أي في ما الاستفهامية.

(٤) تمنى أن تحرك ميم كم بالفتحة لا كما تنطق بالكسر.

(٥) الأنعام (٦) - آية ٩.

(٦) الكهف (١٨) - آية ٣١.

(٧) النصب يجعل الواو للمعية، ويكون التوبيخ على هذا الجمع، والرفع باعتبار الواو عاطفة، ويدل على أن كل حدث على حدته «من لبس الحق بالباطل» وكتمان الحق، يستحق التوبيخ، فهو أجود.

وقوله عز وجل: ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾

الطائفة الجماعة، وهم اليهود.

﴿آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجَهَ النَّهَارَ﴾

أي أوله. قال الشاعر: (١)

مَنْ كَانَ مَسْرُورًا بِمَقْتَلِ مَالِكٍ فليأتِ نِسْوَتَنَا بِوَجْهِ نَهَارٍ
يَجِدُ النِّسَاءَ قَوَائِمًا يَنْدُبْنَهُ قد جِئْنَ قَبْلَ تَبْلُجِ الْأَسْحَارِ

أي في أول النهار (٢).

وقد قيل في تفسير هذا غير قول، قال بعضهم: [معناه] آمنوا بصلاتهم إلى بيت المقدس وأكفروا بصلاتهم إلى البيت (٣).

وقيل أن علماء اليهود قال بعضهم لبعض: قد كنا نخبر أصحابنا بأشياء قد أتى بها محمد ﷺ فإن نحن كفرنا بها كلها اتهمنا أصحابنا ولكن نؤمن ببعض ونكفر ببعض لنوهمهم أننا نصدقه فما يصدق فيه، ونريهم أننا نكذبه فيما ليس عندنا.

(١) هوريب بن زياد شاعر مخضرم من قيس عيلان كان من ندماء النعمان بن المنذر، وأمه فاطمة بنت الخرشب - أم الكلمة - وهم أربعة أجواد شجعان حكماء، سميت بهذا من أجلهم - وتسمى أم المتنجين، وهويكي مالك بن زهير الذي قتل في عوف بن بدر.

أنظر الأغاني ١٦ ص ١٩ وما بعدها - (الساسى) وأمالى المرتضى ٣-٤٧ - وفي ١٤٩-١٥١ منها، تفاصيل هذه الحوادث، والخزانة ٣- ٥٨٣. وفي اللسان (وجه) وشواهد الكشف ١١٤ والخصائص والأغاني: - حواسراً تبكيه، وفي بعضها يبيكين قبل تلبج الأسحار.

والمعنى من كان مسروراً بمقتله فخليق به أن يسر، لأن حزننا عليه أصابنا بكل هذا. ومعنى حواسراً يندبته أي يكشف عن وجوههن، وأصبحن لا يبالين أن يراهن الأجانب لما حل بهن من المهانة - وهذه الرواية أولى من رواية قوائماً، لأنه جاء بعد هذا البيت:

قد كن يخبان الوجوه تسترا قالان حين بدون للنظار
وقوائماً: أصبحن أي منهمكات في البكاء.

(٢) ك أي أول النهار.

(٣) ك إلى الكعبة.

وقيل انهم أتوا النبي ﷺ في صدر النهار فقالوا له : إنك الذي خُبرنا في التوراة بأنك مبعوث، ولكن أنظرنا إلى العشي لننظر في أمرنا، فلما كان بالعشي أتوا الأنصار فقالوا لها: قد كنا أعلمناكم أن محمداً ﷺ هو النبي الذي هو المكتوب في التوراة، إلا أننا نظرنا في التوراة فإذا هو من (ولد هرون. ومحمد من ولد إسماعيل)^(١) فليس هو النبي الذي عندنا.

وإنما فعلوا ذلك لعل من آمن به^(٢) يرجع فهذا ما قيل في تفسير الآية.

وقوله عز وجل: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبَعَ دِينَكُمْ﴾.

قيل: المعنى لا تجعلوا تصديقكم النبي في شيء، مما جاءكم به إلا لليهود، فإنكم إن قُلتُم ذلك للمشركين كان عوناً لهم على تصديقه.

وقال أهل اللغة وغيرهم من أهل التفسير: ولا تؤمنوا أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتُم إلا لمن تبع دينكم، أي لا تصدقوا أن يعطى أحد من علم النبي ﷺ مثل ما أعطيتُم أو يحاجوكم عند ربكم.

ومعنى ﴿أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾: أي ليس يكون لأحد حجة عند الله في الإيمان به لعلم من عنده. إلا من كان مثلكم.

وقد قيل في المعنى: ﴿قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ﴾.

أي الهدى هو هذا الهدى، لا يؤتى أحد مثل ما أوتيتُم^(٤).

(١) ليست في ك وعبارتها فإذا هو من ولد إسماعيل.

(٢) ط آمن به منهم.

(٣) ك. قيل: المعنى:

(٤) جمع بين رأيين - الأول لا نفي فيه، و﴿الهدى﴾ مبتدأ، و﴿هدى الله﴾ بدل أو عطف و﴿أن يؤتى﴾ خبر - يعني أن الهدى أن يدعو لما أنتم عليه لا لشيء يخالفه. والوجه الثاني ما شرحه. ويجوز أن تكون جملة ﴿أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتُم﴾ توكيداً للأولى.

قال بعض النحويين معنى: «أن» ههنا معنى «لا» وإنما المعنى أن لا يؤتى أحد مثل ما أتيتم، أي «لأن» لا تؤتى فحذف «لا» لأن في الكلام دليلاً عليها، كما قال الله عز وجل: ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ أَنْ تَضِلُّوا﴾^(١) أي لئلا تضلوا.

قال أبو العباس محمد بن يزيد: «لا» ليست مما يحذف ههنا ولكن الإضافة ههنا معلومة، فحذفت الأول وأقيمت الثاني مقامه، المعنى يبين الله لكم كراهة أن تضلوا وكذلك ههنا قال: إن الهدى هدى الله كراهة أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم: أي من خالف دين الإسلام، لأن الله لا يهدي من هو كاذب كفار، فهدى الله بعيد من غير المؤمنين.

وقوله عز وجل: ﴿قُلْ إِنْ الْفَضْلُ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مِنْ يَشَاءُ﴾.

(أي نبوته وهدهاء يؤتيه من يشاء)^(٢).

وقوله عز وجل: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنُهُ بِقِنطَارٍ يُودِّهِ إِلَيْكَ﴾.

اتفق أبو عمرو، وعاصم والأعمش^(٣) وحمزة^(٤) على إسكان الهاء [من يؤده] وكذلك كل ما أشبه هذا من القرآن اتفقوا على إسكان الهاء فيه، نحو ﴿نُضْلِهِ جَهَنَّمَ﴾^(٥) و ﴿نُورِهِ مِنْهَا﴾^(٦) وقوله: ﴿مَا تَوَلَّى﴾^(٦) إلا حرفاً حكى عن

(١) النساء ٤ - ١٧٦. وليست أن إذن بمعنى لا، ولكن في الكلام «لا» محذوفة.

(٢) ك. فقط.

(٣) هو سليمان بن مهران أسدي بالولاء، أصله من بلاد الري نشأ ومات بالكوفة ١٤٨ هـ كان عالماً بالقرآن والفرائض والحديث، ذا ورع وفي أخلاقه عفة وترفع قيل: لم ير الملوك والأغنياء أحقر منهم في حضرته مع فاقته وفقره. . الوفيات ١ - ٢١٣ - تاريخ بغداد ٩ - ١٣.

(٤) هو حمزة بن حبيب - تميمي - قيل صميماً وقيل ولأ - أدرك الصحابة ولعله قابل بعضاً منهم - وهو أحد القراء السبعة - كوفي قرأ على جماعة منهم الأعمش وجعفر الصادق - وكان الأعمش يسميه حبر القرآن - توفي ١٥٦ هـ.

أنظر غاية النهاية ١١٩٠ ص ٢٦١ - ٢٦٤.

(٥) النساء ٤ - ١١٥. وأراد بإسكان الهاء عدم مدّها.

(٦) الشورى ٤٢ - ٢٠.

أبي عمرو. وحكى أبو عبيدة عن أبي عمرو أنه كسر في ﴿الْقَهْ إِلَهُم﴾^(١) ولا فصل بين هذا^(٢) الحرف وسائر الحروف التي جزمها. أما الحكاية عن أبي عمرو فيه وفي غيره فغلط. كان أبو عمرو يختلس الكسرة، وهذا كما غلط عليه في ﴿بَارِئُكُمْ﴾ حكى القراء عنه أنه كان يحذف الهمزة في بارئكم^(٣).

وحكى سيويه عنه - وهو في هذا أضبط من غيره - أنه كان يكسر كسراً خفياً، وأما نافع^(٤) وقراء أهل المدينة فأشبعوا هذه الحروف فكسروا وأثبتوا الياءات مثل ﴿يُؤْذِهِ إِلَيْكَ﴾^(٥) وهذا الإسكان الذي حكى عنه هؤلاء غلط بين لا ينبغي أن يقرأ به لأن الهاء لا ينبغي أن تجزم ولا تسكن في الوصل إنما تسكن في الوقف.

وفي هذه الحُرُوفِ أربعة أوجه، يجوز إثبات الياء^(٦)، ويجوز حذفها^(٧) [تقول] يؤذه إليك بالكسر، ويجوز^(٨) يؤذ هو إليك بالضم بإثبات الواو بعد الهاء، ويجوز حذف الواو وضم الهاء. فأما الوقف فلا وجه له، لأن الهاء حرف خفي بين في الوصل بالواو في التذكير، قال سيويه دخلت الواو في التذكير كما دخلت الألف في التأنيث، (نحو)^(٩) ضربته وضربتها، قال أصحابه أختيرت الواو لأنها من طرف الشفتين والهاء من الحلق، فأبانت الواو

(١) النمل ٢٧ - ٢٨: ﴿أذهب بكتابي هذا فآلقه إليهم﴾. (٢) في الأصل هذه وقد تقدم ذلك.

(٣) أي بحذف حركتها ويسكنها - وبارئكم من البقرة ٢ - ٥٤.

(٤) نافع بن عبد الرحمن، ليثي بالولاء. أصله من أصبهان كان شديد السواد ولكنه صيح الوجه، حسن الخلق فيه دعابة - إنتهت إليه رئاسة القراء بالمدينة وتوفي بها بعد أن أقرأ أكثر من سبعين عاماً. وتوفي ١٦٩ هـ غاية النهاية ٢ - ٣٣٠، ابن خلكان ٢ - ١٥١.

(٥) الياء في مد الهاء من يؤذه.

(٦) في ك إثبات الياء أي القراءة بإثباتها.

(٧) ك حذفها تبعاً.

(٨) ك بالكسر وإثبات الياء.

(٩) ليست في ك.

الهَاءُ، وَإِنَّمَا، تحذف الياء لعلة تقلب الواو إليها، فإذا حذفت الياء بقيت الكسرة فأما في الوقف فلا يجوز البتة^(١).

وقد أكثر الناس في تفسير القنطار، وقد حكينا ما قال الناس فيه. ولم يتفقوا على تحديد في مقدار وزنه إلا أنهم قد اتفقوا في أنه الكثير من المال^(٢).

وقوله عز وجل: ﴿إِلَّا مَا دُمَّتْ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾:
أكثر القراءة ﴿دُمَّتْ﴾ بضم الدال، وقد قرئت «دِمَّتْ» فأما دُمَّتْ فمن قولك، دُمْتُ أَدُومُ إذا بقيت على الشيء مثل قمتُ أقوم، وأما دِمْتُ - بالكسر - فعلى قولهم دِمْتُ تَدَامُ، مثل قولك: خِفْتُ تُخَافُ، ويقال قد ديم بفلان وأديم به بمعنى دِيرَ به وأدير به، [وهو الذي] به دُرَامٌ كقولهم: به دُوَامٌ كقولهم: به دوار. ويقال دام المال إذا سكن يدوم فهو دائم ومنه: «نهى النبي ﷺ أن يُبَالَ في الماء الدائم» أي الساكن، ويقال قد دَوَّمَ الطائر في الجوتدويمًا، وهو يصلح أن يكون من وجهين، من دورانه في طيرانه ويصلح أن يكون من قلة حركة جناحه، لأنه يرى كأنه ساكن الجناح.

ومعنى: ﴿قَائِمًا﴾ أي إلا بدوامك قائمًا على اقتضاء دينك،
وقوله عز وجل: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا﴾:

أي فعلهم ذلك بقولهم: ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيْنَ سَبِيلٌ﴾ أي ليس علينا طريق في أَخْذِ مَا لَهُمْ^(٣).

نذف الياء لوجود الكسرة قبلها أما الواو الساكنة فتقلب ياء بعد الكسرة، وبعد الضمة يجوز نذف الواو أيضاً والممنوع هو الإسكان في حال الوقف.

ص ٣٨٣.

(٣) أي لا عقوبة ولا إثم في أكل مالهم. والأميون أما العرب لأنهم لم يكونوا يقرأون ولا يكتبون فالكلمة من أمي وأما المراد جميع الأمم عدا اليهود من «أمة وأمم» أي الامميون.

وصف الله عز وجل: ﴿أَكَلَهُمُ الشَّجْتُ وَخِيَانَتُهُمْ﴾، وقد قيل في التفسير: إنهم عاملوا قوماً من المشركين فلما انتقلوا إلى الإسلام قالوا ليس علينا لكم سبيل إنما عاملناكم وأنتم على دينكم ذلك. فأعلم الله إنهم يكذبون، قال عز وجل: ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.

أي وهم يعلمون أنهم يكذبون. فرد الله قولهم فقال: ﴿بلى﴾: وهو عندي - والله أعلم - وقف التمام، ثم استأنف فقال عز وجل: ﴿مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾: أي فإن الله يحبه، ويجوز أن يكون استأنف جملة الكلام بقوله بلى لأن قولهم: ليس علينا فيما نفعل جناح. كقولهم نحن أهل تقوى في فعلنا هذا - فأعلم الله أن أهل الوفاء بالعهد والتقى يحبهم الله، وأنهم المتقون، أي الذين يتقون الخيانة والكفر بالنبي ﷺ.

وقوله عز وجل: ﴿أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾:

هذه الجملة خبر إن، ومعنى الخلاق النصيب الوافر من الخير، ومعنى قوله: ﴿لَا يَكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾: في قوله: ﴿لَا يَكَلِّمُهُمُ اللَّهُ﴾ وجهان، أحدهما أن يكون إسماع الله أوليائه كلامه بغير سفير، خصوصية يخص الله بها أوليائه كما كلم موسى فكان ذلك خصوصية له دون البشر أجمعين، وجائز أن يكون ﴿لَا يَكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ﴾ تأويله الغضب عليهم، والإعراض عنهم كما تقول: فلان لا ينظر إلى فلان ولا يكلمه، وتأويله أنه غضبان عليه، وإن كلمه بكلام سوء لم ينقض ذلك.

ومعنى ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾: لا يجعلهم طاهرين ولا يثني عليهم خيراً، ومعنى عذاب أليم: أي موجه.

وقوله عز وجل: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُؤُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ﴾.

هذه اللام في ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا﴾ تؤكد الكلام زيادة على توكيد «إن» لأن

«إن» معناها تأكيد الكلام، ولذلك صار لضم يوصل بها في الإيجاب، تقول: والله أن زيدا قائم، وكذلك تصل الضم باللام، فيقول والله لزيد قائم ولا تلي هذه اللام «إن» لا يجوز «إن لزيداً قائم» بإجماع النحويين كلهم وأهل اللغة.

ومعنى «يلوون ألسنتهم بالكتاب»: أي يحرفون الكتاب، أي يعدلون عن القصد، (ويجوز يُلَوَّن - بضم الياء والتشديد)^(١) «لَتَحْسِبُوهُ» ولَتَحْسِبُوهُ - بكسر السين وفتحها - يقال حَسِبَ يَحْسِبُ وَيَحْسِبُ، جميعاً، ويقال لويت الشيء إذا عدلته عن القصد ليا ولويت الغريم لِيَاناً إذا مَظَلَّته بدينه قال الشاعر:^(٢)

قد كنت داينت بها حساناً مخافة الإفلاس والليانا
وقوله عز وجل: «ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله»

أي أن الله لا يصطفى لنبوته الكذبة، ولو فعل ذلك بشر لسلبه الله عز وجل: آيات النبوة وعلاماتها ونصب «ثم يقول»: على الاشتراك بين أن يؤتيه وبين يقول، أي لا يجتمع لنبي أتيان النبوة والقول للناس كونوا عباداً لي. «ولكن كونوا ربانيين» والربانيون أرباب العلم. والبيان. أي كونوا أصحاب علم، وإنما زيدت الألف والنون للمبالغة في النسب، كما قالوا للكبير للحية لحياني ولذي الجملة الوافرة جُماني.

وقد قرئ - «بما كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الكتاب» - «وتَعَلِّمُونَ» - بضم التاء وفتحها، «وبما كنتم تدرسون» أي بعلمكم ودرسكم عَلِّمُوا الناس وَيُبَيِّنُوا لهم. وجاء في

(١) ليست في ك.

(٢) هو رؤية والآيات في ملحقات ديوانه ١٨٧ وفي ابن يعيش ٦ - ٦٥ والكتاب ١٩١ وتنسب لزياد العنبري المعنى بعث الإبل بالدين لحسان ثقة في وفائه وخوفاً من مماطلة غيره وإفلاسه - اللين: المماطلة.

التفسير ﴿كونوا ربانيين﴾ أي: «علماء فقهاء» ليس معناه كما تعلمون فقط، ولكن ليكن هديكم ونيتكم في التعليم هدى العلماء والحكماء، لأن العالم إنما ينبغي أن يقال له عالم إذا عمل بعلمه، وإلا فليس بعالم، قال الله: ﴿وَلَقَدْ عَلَّمُوا لَنِ اشْتَرَاهُ مَالَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ﴾^(١) ثم قال: ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ أي لو كانوا وفوا العلم حقه - وقد فسرنا ما قيل في هذا في مكانه.

ومعنى: ﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا﴾:

أي ولا يأمركم أن تعبدوا الملائكة والنبيين لأن الذين قالوا: إن عيسى عليه السلام إله عبده واتخذوه رباً، وقال قوم من الكفار إن الملائكة أربابنا، ويقال إنهم الصابئون، ويجوز الرفع في ﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ﴾ أي لا يأمركم الله^(٢). وقوله عز وجل: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ﴾.

موضع ﴿إِذْ﴾ نصب - المعنى - والله أعلم - واذكر في أقاصيصك ﴿إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ﴾^(٣) - إلى قوله ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾. «ما» ههنا على ضريين: - يصلح أن يكون للشرط والجزاء وهو أجود الوجهين، لأن الشرط يوجب أن كل ما وقع من أمر الرسل فهذه طريقته، واللام دخلت في ما كما تدخل في «إن» التي للجزاء^(٤) إذا كان في جواب القسم، قال الله عز وجل:

(١) البقرة ٢ - ١٠٢.

(٢) الرفع على أنه مستأنف والنصب على أنه معطوف على أن يؤتبه.

(٣) تكملة الآية: ﴿لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾.

(٤) اللام في ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ﴾ جاءت في جواب ما الشرطية لأنها مسبوقه بلام قسم - وعند اجتماع الشرط والقسم يحذف جواب المتأخر منهما ويكتفى بجواب الأول منهما. كما في الآية التي ذكرت.

﴿وَلَيْتُنَّ شِئْنَا لَنذَهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ - وقال : ﴿قُلْ لَّيْنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ﴾^(١).

فاللام في «إن» دخلت مؤكدة موطدة للام القسم . ولام القسم هي التي لليمين لأن قولك : والله لئن جئتني لأكرمك . . . إنما حلفك على فعلك إلا أن الشرط معلق به^(٢) فلذلك دخلت اللام على الشرط فإذا كانت ما في معنى الجزاء فموضعها نصب بقوله ﴿لَمَّا آتَيْتُكُمْ﴾ والجزاء قوله ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ﴾ ويجوز أن يكون في معنى الذي ويكون موضعها رفعاً^(٣).

المعنى أخذ الله ميثاقهم أي استحلّفهم للذي آتيتكم ، والمعنى آتيتكموه ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ﴾ فتكون ما رفعاً بالابتداء ويكون خبر الابتداء لتؤمنن به ، وحذفت الهاء من ﴿لَمَّا آتَيْتُكُمْ﴾ لطول الاسم . فأعلم الله - عز وجل : أنه عهد إلى كل رسول أن يؤمن بغيره من الرسل فصار العهد مشتملاً على الجماعة أن يؤمن بعضهم ببعض وأن ينصر بعضهم بعضاً .

ومعنى قوله : ﴿فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ : أي فتبينوا لأن الشاهد هو الذي يصحح دعوى المدعي وشهادة الله للنبين تبينه أمر نبوتهم بالآيات المعجزات . ويجوز^(٤) - وقد قرئ به - «لَمَّا آتَيْتُكُمْ» فتكون اللام المكسورة معلقة بقوله أَخَذَ^(٥) المعنى أخذ الميثاق لاتيانكم الكتاب والحكمة ، وقرأ بعضهم ، لَمَّا آتَيْنَاكُمْ من كتاب وحكمة أي لما آتيناكم الكتاب والحكمة أَخَذَ الميثاق ويكون الكلام يؤول إلى الجزاء - كما تقول : لما جئتني أكرمتك .

(١) الإسراء ١٧ - ٨٦ - ٨٨ .

(٢) القسم عليه معلق بالشرط . أي الإكرام معلق بالمجيء .

(٣) ويقدر العائد محذوفاً أي الذي آتيتكموه . ولا داعي لهذا إذا كانت شرطية .

(٤) ك وقد يجوز .

(٥) ك . معلقة بقوله أخذ الميثاق والمعنى أخذ الميثاق لإتيانه إياكم به .

وقوله عز وجل: ﴿فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ﴾ :

ذلك إشارة إلى أخذ الميثاق بالمعنى: ﴿فمن تولى﴾ أي أعرض عن الإيمان بعد أخذ الميثاق على النبيين، وأخذ الميثاق على النبيين مشتمل على الأخذ على أهمهم^(١)، أي فمن تولى بعد أخذ الميثاق وظهور آيات النبي «فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ» :

أي الذين خرجوا عن القصد وعن جملة الإيمان.

ويصلح أن تكون ﴿هُم﴾ ههنا اسماً مبتدأ، و﴿الفاسيقون﴾ خبره و«هم» «مع» الفاسقون خبر أولئك. وصلاح أن يكون «الفاسيقون» مرتفعاً^(٢) بأولئك «وهم» فصل - وهو الذي يسميه الكوفيون العماد.

وقوله عز وجل: ﴿أَفْغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ﴾: أي أفغير دين الله يطلبون، لأنه قد بين أنه دين الله وإنهم كفروا وعاندوا وحسدوا بغياً - كما فعل إبليس.

وقوله عز وجل: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً﴾: . . . جاء في التفسير أنه أسلم من في السموات كلهم طوعاً، وأسلم بعض من في الأرض طوعاً وبعض كرهاً. لما كانت السنة فيمن فرض قتاله من المشركين أن يقاتل حتى يسلم سمي ذلك كرهاً، وإن كان يسلم حين يسلم طائعاً، إلا أن الوصلة كانت إلى ذلك بكراهية، ونصب ﴿طَوْعاً﴾ مصدراً، وضع موضع الحال. كأنه^(٣) أسلموا طائعين ومكرهين، كما تقول جئتكم ركضاً ومشياً^(٤)، وجئت راکضاً ومشياً، ويجوز أن يكون والله أعلم - على معنى ﴿وله أسلم من في السموات والأرض طَوْعاً وَكَرْهاً﴾ - أي خضعوا من جهة ما فطهرهم عليه ودبرهم به، لا

(١) لك من تبعهم.

(٢) في الأصول كلها مرتفعين. وسبق للزجاج مثل هذا - أعاد الضمير بمعنى القوم الفاسقين.

(٣) كان الكلام والتعبير.

(٤) على أن المصدر بمعنى اسم الفاعل، كما تقول: جئتكم سعيّاً على القدم.

يَمْتَنِعُ مَمْتَنِعٌ مِنْ جَبَلَةٍ عَلَيْهَا^(١) وَلَا يَقْدِرُ عَلَى تَغْيِيرِهَا، أَحَبُّ تِلْكَ الْجَبَلَةِ أَوْ كَرِهَهَا. ﴿وَالِيهِ يَرْجِعُونَ﴾ يدل على تصديق هذا القول.

لأن المعنى انه بدأكم على إرادته شئتم أو أبيتم، وهو يبعثكم كما بدأكم. فالتأويل: أتبعون غير الدين الذي هذه^(٢) صفته، ثم أمر الله - عز وجل - النبي ﷺ وأمته أن يقولوا آمناً بالله وما أنزل علينا، وأن يقولوا ويعتقدوا أنهم لا يفرقون بين جميع الرسل في الإيمان بهم. لا يكفرون ببعضهم كما فعلت اليهود والنصارى، وأعلم الله أنه لا يقبل ديناً غير دين الإسلام ولا عملاً إلا من أهله. فقال عز وجل: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ - وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾:

﴿يَبْتَغِ﴾ جزم بمن - وقوله: ﴿فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ الجواب.

ومعنى ﴿من الخاسرين﴾ أي ممن خسر عمله، والدليل على ذلك قوله عز وجل: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾^(٣) وقوله عز وجل: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْماً كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرُّسُولَ حَقٌّ﴾:

يقال إنها نزلت في قوم ارتدوا ثم أرادوا الرجوع إلى الإسلام ونيتهم الكفر. فأعلم الله أنه لا جهة لهدايتهم لأنهم قد استحقوا أن يضلوا بكفرهم، لأنهم قد كفروا بعد البينات التي هي دليل على صحة أمر النبي ﷺ، وقيل إنها نزلت في اليهود لأنهم كفروا بالنبي بعد أن كانوا - قبل مبعثه - مؤمنين. وكانوا يشهدون بالنبوة له فلما بعث عليه السلام - وجاءهم بالآيات المعجزات وأنبأهم بما في كتبهم مما لا يقدرُونَ على دفعه، وهو - ﷺ أُمِّي - كفروا به بغياً وحسداً،

(١) فطرة برأه الله عليها.

(٢) في الأصل «هو».

(٣) القتال - ١.

فَاعْلَمْ اللَّهُ أَنَّ جَزَاءَهُمُ اللَّعْنَةُ، فَقَالَ: ﴿أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾.

ومعنى لعن الناس (أجمعين)^(١) لهم أن بعضهم يوم القيامة يلعن بعضاً ومن خالفهم يلعنهم، وتأويل لعنة الله لهم تبيده إياهم من رحمته^(٢) وثنائه عليهم بكفرهم^(٣).

ومعنى: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾.

(أي) فيما توجهه اللعنة أي^(٤) في عذاب اللعنة ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ أي لا يؤخرون عن الوقت.

وقوله عز وجل: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا﴾.

أي أظهروا أنهم كانوا على ضلال وأصلحوا ما كانوا أفسدوه وغرؤا به من اتبعهم بمن لا علم عنده ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

أعلم الله عز وجل أن من سعة رحمته وتفضله أن يغفر لمن اجتراً عليه هذا لاجترأ لأن هذا ما لا غاية بعده، وهو أنه كفر بعد تبين الحق.

وقوله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ اِزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴾.

يقال في التفسير أن هؤلاء [هم] النفر^(٥) الذين ارتدوا بعد إسلامهم ثم أظهروا

(١) أجمعين ليست في ك.

(٢) ط ولعن الله لهم.

(٣) أي تبيدهم من ثنائه عليهم، وفي ك ثناؤه وهو خطأ.

(٤) أي ليست في ك.

(٥) قدرنا كلمة «النفر» هي الخبر لخلو الجملة من الخبر وهو تقدير لكلام الزجاج وهو بعيد، لأن الخبر كما هو ظاهر - جملة - ﴿لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾.

أنهم يريدون الرجوع إلى الإسلام، فأظهر الله أمرهم لأنهم كانوا يظهرُونَ أنهم يرجعون إلى الإسلام وعندهم الكفر - والدليل على ذلك - قوله - عز وجل: ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴾ لأنهم لو حققوا في التوبة لكانوا غير معتدين، ويدل على ذلك قوله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا﴾.

لأن الكافر الذي يعتقد الكفر ويظهر الإيمان عند الله كمظهر الكفر لأن الإيمان [هو] التصديق والتصديق لا يكون إلا بالنية.

ومعنى: ﴿فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا﴾. أي لو عمل من الخير وقدم ملء الأرض ذهباً يتقرب به إلى الله لم ينفعه ذلك مع كفره.

قال أبو إسحق. وكذلك لو افتدى من العذاب بملء الأرض ذهباً لم يقبل منه. فأعلم الله عز وجل أنه لا يُشْبِهُهُمْ على أعمالهم بالخير ولا يقبل منهم الفداء من العذاب^(١).

وقال بعض النحويين إن الواو مسقطه - قال المعنى فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهباً لو افتدى به - وهذا غلط لأن الفائدة في الواو بيّنة^(٢) وليست الواو مما يلغي^(٣).

(١) يفهم هذا أن الآية تنص على عمليين مختلفين، الصدقة في الدنيا والافتداء في الآخرة وليس الأمر كذلك. إذ المعنى أنه لا يقبل منهم افتداء بملء الأرض ذهباً وهم لا يستطيعون ذلك - حتى لو استطاعوه ما نفعهم - وهي حديث عن يوم القيامة للنص ﴿وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ أما في هذه الدنيا فلهم أن يتوبوا.

(٢) إذ هي تفيد أن ذلك أمر مستبعد - فهو لا يستطيع أن يقدم هذا ولو استطاعه ما قبل منه.

(٣) ليست من الحروف التي يقدر عدها مثل لا في القسم. وعبرة الفراء الواو ههنا قد يستغنى عنها فلو قيل ملء الأرض ذهباً لو افتدى به كان صواباً. والزجاج يريد، أن الواو أفادت المبالغة.

يقال ملأت الشيء أَمْلؤهُ مَلْئاً، المصدر بالفتح لا غير - قال سيويوه والخليل: المَلءُ - بفتح الميم - الفعل. وتقول: هذا ملءٌ هذا أي مقدار ما يملؤه، كما يقال: رَعَيْتُ رَعِيّاً والمال في الرعي فهذا فرق بين (١).

وقال بعض النحويين: يقال مَلَأْتُ مَلْئاً ومُلْئاً (٢) وهذا غلط بين لأن الموصوف ههنا إنه لو ملك مقدار ما يملأ الأرض ما قبل منه، وليس يقال: إن قدر أن يفعل، أي أن يملأ الأرض، إنما المتقرب به الذهب الذي هو ملء الأرض، لا أن يملأ:

يقال ملأت الشيء مَلْئاً وقد مَلِيَءَ فلان مَلأً وهو مملوءٌ إذا زكَمَ (٣) والمَلأُ أشراف القوم، وتقول أنت أَمْلأُ بهذا أي أثري وأوثق، ورجل مَلِيءٌ بين الملاعة، يا هذا فأما ما يكتبه الكتاب، أنت المَلِيءُ بالياء فخطأ وهم مجمعون عليه، هذا غلط. والمَلَاءَةُ التي تلبس، ممدود، والمَلَاوَةُ من الدهر القطعة الطويلة، ومن هذا قولهم: أبل جديداً (٤) وتَمَلَّ حَبِيْباً أي عَش مع حبيبك دهرأ طويلاً، و«ذهباً» منصوب على التمييز - قال سيويوه وجميع البصريين: إن الاسم المخفوض قد حال بين الذهب وبين المَلء أن يكون جرأ - وحقيقة تفسيره: أن المعنى ما يملؤه من الذهب وكذلك إذا قلت: عندي عشرون درهماً أي ما يُعَادِلُ هذا المقدار من الدراهم، وجائز أن يكمن - والله أعلم قوله - عز وجل -: «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ

(١) رعيّاً في رعيّة رعيّاً مصدر. أما في المال في الرعي فهي اسم أي الماشية في الكلاء. والمصدر هو عمل الشيء وأحداثه أما الاسم فهو للشيء الذي حدث. والعمل لا يفتدي به إنما يفتدي بالمال.

(٢) بضم الميم وفتحها.

(٣) الملاة بالضم كالمتمعة والملاة والملاء الزكام يصيب من امتلاء المعدة. وملوء فهو مَلِيءٌ وأملأه الله أَمْلأه أي أركمه فهو مملوء - على غير قياس، إذ قياس الرباعي مفعّل لا مفعول.

(٤) ط تجديد. دعوة بطول العمر وإفناء الشباب.

ازْدَادُوا كُفْرًا لَّنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ ﴿١﴾، يعني اليهود لأنهم كانوا تائبين في وقت إيمانهم بالنبي ﷺ قبل مبعثه، فأعلم الله أن تلك التوبة وذلك الإيمان ليس بمقبول، لأنهم كفروا بعده وزادوا كفرًا، فإن كفرهم بما كان ينزل على النبي ﷺ وقتاً بعد وقت زيادة في الكفر - وكذلك الإقامة (١) عليه زيادة فيه.

وقوله عز وجل: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾.

قال بعضهم: إن كل ما يُتَقَرَّبُ به إلى الله من عمل خير فهو إنفاق، وروي عن ابن عمر أنه اشترى جارية كان هويها فلماً ملكها أعتقها ولم يُصِبْ منها. فقيل له: أعتقتها بعد أن كنت هويتها ولم تصب منها. فتلا هذه الآية ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾. وفعل ابن عمر هذا ينبغي أن يقتدي به الناس في أن لا يضمنوا بجليل ما يملكونه في التقرب به إلى الله تعالى

وقوله عز وجل: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾.

أي فإن الله يجازي عليه لأنه قال: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (٢) فإذا عمله جوزي عليه.

وتأويل ﴿ما﴾ تأويل الشرط والجزاء، وموضعها نصب «بتنفقوا» المعنى، وأي شيء تنفقوا فإن الله عليم به والفاء جواب الجزاء.

وقوله جل وعز: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ﴾.

موضع «ما» نصب، المعنى إلا الطعام الذي حرّمه إسرائيل على نفسه، ويروى: أنه وجد وجعاً، وقيل في التفسير: إن ذلك الوجع كان عرق النساء

(١) في ط إقامة زيادة.

(٢) سورة الزلزلة ٩٩ - ٧.

فَنذِرُ إِنْ أَبْرَأَهُ^(١) اللَّهُ^(٢) أَنْ يَتْرَكَ أَحَبَّ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ إِلَيْهِ. وَكَانَ أَحَبَّ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ إِلَيْهِ لِحَوْمِ الْإِبِلِ وَالْبَنَانِهَا، فَحَرَّمَ اللَّهُ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ بِمَعَاصِيهِمْ كَمَا قَالَ: ﴿فَبُظِّلِم مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾^(٣).

وَأَعْلَمَ اللَّهُ أَنَّ الَّذِي حَرَّمَهُ إِسْرَائِيلَ عَلَى نَفْسِهِ كَانَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَنْزِلَ التَّوْرَةُ، وَفِي أَعْظَم آيَةٍ لِلنَّبِيِّ لِأَنَّهُ أَنْبَأَهُمْ بِأَنَّهُمْ يَدْعُونَ أَنْ فِي كِتَابِهِمْ مَا لَيْسَ فِيهِ، وَدَعَاهُمْ مَعَ ذَلِكَ إِلَى أَنْ يَأْتُوا بِكِتَابِهِمْ فَيَتْلُوهُ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ كَذِبَهُمْ فَأَبَوْا، فَكَانَ إِبَاءُوهُمْ دَلِيلًا عَلَى عِلْمِهِمْ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَدْ صَدَقَ فِيمَا أَنْبَأَهُمْ بِهِ، وَلَوْ أَتَوْا بِهَا لَمْ يَكُونُوا يَخْلُونَ مِنْ أَحَدٍ أَمْرَيْنِ: إِمَّا أَنْ يَزِيدُوا فِيهَا مَا لَيْسَ فِيهَا فِي ذَلِكَ الْوَقْتُ فَيَعْلَمُ بَعْضُهُمْ أَنَّهُ قَدْ زِيدَ، أَوْ يَنْزِلُ اللَّهُ بِهِمْ عَقُوبَةً تَبَيِّنُ أَمْرَهُمْ، أَوْ أَنْ يَأْتُوا بِهَا عَلَى جَمَلَتِهَا فَيَعْلَمُ بِظُلَانِ دَعْوَاهُمْ مِنْهَا. فَقَصَّتْهُمْ فِي هَذِهِ الْآيَةِ كَقِصَّةِ النَّصَارَى فِي الْمَبَاهِلَةِ.

وَقَوْلُهُ جَلَّ وَعَزَّ: ﴿فَمَنْ افْتَرَى عَلَى الْكَذِبِ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾. أَيُّ مَنْ بَعْدَ مَا ذَكَرْنَا مِنْ ظُهُورِ الْحُجَّةِ فِي افْتِرَائِهِ: ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنْ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾.

قِيلَ: إِنَّهُ أَوَّلَ مَسْجِدٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ، وَقِيلَ: إِنَّهُ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلْحَجِّ. وَيُقَالُ: إِنَّهُ الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ وَأَنَّ الْمَلَائِكَةَ كَانَتْ تَحْجُّهُ مِنْ قَبْلِ آدَمَ، وَإِنَّهُ الْبَيْتُ الْعَتِيقُ. فَأَمَّا بِنَاؤُهُ فَلَا شَكَّ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ بَنَاهُ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾ أَيُّ يَقُولَانِ: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ

(١) كَ إِنْ أَبْرَأَ مِنْهُ - وَلَا يُقَالُ عَرَقَ النِّسَاءَ - وَهَذَا مِمَّا عَابَهُ الزَّجَّاجُ عَلَى ثَعْلَبٍ فِي كِتَابِهِ «الْفَصِيحُ».

انْظُرِ الْمَعْجَمَ ١ - ١٣٩.

(٢) كَ جَازَى عَلَيْهِ أَنْ يَتْرَكَ.

(٣) النِّسَاءَ ٤ - ١٦٠.

منا»^(١). فأما المقدس فسلیمان بنه. وخبر [إن] [هو] «لَلَّذِي بِيَكَةِ». وهذه لام التوكيد، وقيل: إن بكة موضع البيت وسائر ما حوله مكة. والإجماع أن بكة ومكة الموضع الذي يحج الناس إليه، وهي البلدة، قال الله - عز وجل: «يَبْطِنُ مَكَّةَ»^(٢) وقال: «لَلَّذِي بِيَكَةِ مُبَارَكًا».

فأما اشتقاقه في اللغة: فيصلح أن يكون الاسم اشتق من إلبك، وهوبك الناس بعضهم بعضاً في الطواف أي دفع بعضهم بعضاً، وقيل: إنما سميت ببكة لأنها تبك أعناق الجبابرة. ونصب «مُبَارَكًا» على الحال. المعنى: الذي بمكة في حال بركته.

«وَهْدَى لِلْعَالَمِينَ» يجوز أن يكون «هَدَى لِلْعَالَمِينَ» في موضع رفع. المعنى: وهو هدى للعالمين.

«فَأَمَّا مَكَّةُ» بالميم فتصلح أن يكون اشتقاقها كاشتقاق بكة والميم تبدل من الباء، يقال: ضربة لازب ولازم، ويصلح أن يكون الاشتقاق من قولهم: «امْتَلَكْ الْفَصِيلَ» ما في ضرع الناقة إذا مص مصاً شديداً حتى لا يُبْقِي فيه شيئاً. فتكون سميت بذلك لشدة الازدحام فيها - والقول الأول أعني البدل أحسن^(٣).

ومعنى «أَوَّلُ» في اللغة - على الحقيقة ابتداء الشيء فجائز أن يكون المبتدأ له آخر، وجائز أن لا يكون له آخر فالواحد أول العدد والعدد غير متناه، ونعيم الجنة أول وهو غير منقطع، وقولك: هذا أول مال كسبته جائز ألا يكون

(١) البقرة ٢ - ١٢٧. وإبراهيم لم ينشئ البيت وإنما جده أو أعلاه وكان موجوداً من قبل فاختر جواره مقاماً لابنه إسماعيل وقال: «ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم، ربنا ليقيموا الصلاة». (إبراهيم ١٤ - ٣٧).

(٢) الفتح ٤٨ - ٧٤.

(٣) إبدال الميم من الباء.

بعده كسب، ولكن إرادتك: «هذا ابتداء كسبي». ولو قال قائل: أول عبد أم لك فهو حر فملك عبداً أعتق ذلك العبد^(١)، لأنه قد ابتداء الملك فجائز أن يكون أول بيت هو البيت الذي لم يكن الحج إلى غيره.

وقوله عز وجل: ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾.

قد رويت عن ابن عباس أنه قرأ «آية بينة مقام إبراهيم» جعل مقام إبراهيم هو الآية، والذي عليه الناس: ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾ والمعنى: فيه آيات بينات: تلك الآيات مقام إبراهيم، ومن الآيات أيضاً: أَمِنُ من دخله، لأن معنى ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ يدل على أن الأمان فيه.

فأما رفع ﴿مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾ فعلى أن يكون على إضمار هي مقام إبراهيم. قال النحويون: المعنى فيها مقام إبراهيم وهذا كما شرحنا، ومعنى أَمِنُ من دخله: أن إبراهيم عليه السلام سأل الله أن يؤمن سكان مكة فقال: رب اجعل هذا بلداً آمناً. فجعل الله عز وجل أَمِنُ مكة آية لإبراهيم وكان الناس يتخطفون حول مكة، قال الله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيَتَخَفَتِ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾^(٢) فكان الجبار إذا أراد مكة قصمه الله، قال الله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾^(٣) وكانت فارس قد سبت أهل بيت المقدس^(٤) فأما أهل مكة فلم يطمع فيهم جبار.

ويقال: قد أمن الرجل يأمن أَمْنًا وأماناً. وقد رويت إِمْنًا، والأكثر الأَفْصَحُ: «أَمِنَ» بفتح الألف قال الله [عز وجل] ﴿وَلَيَبْذُلْنَهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾^(٥).

(١) ك لعتق. (٢) العنكبوت ٥٩ - ٦٧.

(٣) الفيل ١ - ١٠٥.

(٤) الذين سبهم هم البابليون. ولكنهم وقعوا بعد ذلك تحت سيطرة فارس أيضاً.

(٥) النور ٢٤ - ٥٥.

وقوله عز وجل: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾ .
 يقرأ بفتح الحاء وكسر الحاء والأصل الفتح: يقال: حججت الشيء
 أحجته حجا إذا قصدته. والحج اسم العمل - بكسر الحاء.
 وقوله عز وجل: ﴿مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ .
 موضع مَنْ خفض على البدل من «الناس» المعنى: ولله على من
 استطاع من الناس حج البيت [أن يحج].

وقوله جل وعز: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ .
 قيل فيه غير قول: قال بعضهم من كفر: من قال إن الحج غير مفترض،
 وقال بعضهم: من أمكنه الحج فأدخره إلى أن يموت. وهو قادر عليه فقد
 كفر. وقيل: إنها إنما قيلت لليهود لأنهم قالوا: إن القصد إلى مكة غير واجب
 في حج أو صلاة. فأما الأول فمجمع عليه. ليس بين الأمة اختلاف في أن من
 قال: إن الحج غير واجب على من قدر عليه كافر.
 وقوله عز وجل: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ
 تَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ :

أي تبغون لها العوج، يقال في الأمر والدين عوج وفي كل شيء مائل
 عوج، والعرب تقول: ابغني^(١) كذا وكذا، أي أطلبه لي، وتقول: أبغني كذا
 وكذا بفتح الألف تريد^(٢) أعني على طلبه أي أطلبه معي كما تقول:
 أعكميني^(٣) وأحلبيني أي أعني على العكم والحلب.

ومعنى: ﴿وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ أي وأنتم تشهدون بما قد ثبت في نفوسكم أن
 أمر النبي حق والله غير غافل عن عملكم.

(١) في ك... ابغ.

(٢) من بغى بمعنى طلب، وأبغاه أعانه على بغيه.

(٣) العكم: حزم المتاع في ثوب ونحوه، كضرب، والعكم - بكسر العين - ما عكم به، كالعكام
 والحبل الذي يربط به عكام.

وقوله عز وجل: ﴿إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾.

يعني بالفريق الصنف الذين كفروا، أي إن قلدتموهم ردوكم كافرين، أي وإن كنتم على غير دينهم وكنتم في عقدكم ذلك كافرين فكذلك إن أطعتموهم واتبعتموهم فأنتم كافرون.

وقوله عز وجل:

﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ﴾. أي على أي حال يقع منكم الكفر وآيات الله التي أتى بها النبي ﷺ دالة على توحيد الله ونبوة النبي ﷺ تتلى عليكم وفيكم رسوله يبين لكم هذه الآيات، وجائز أن يقال فيكم رسوله والنبي شاهد، وجائز أن يقال لنا الآن فيكم رسول الله لأن آثاره وعلاماته والقرآن الذي أتى به فينا وهو من الآيات العظام.

وقوله جل وعز: ﴿وَمَنْ يَعْصِمْ بِاللَّهِ﴾.

أي من يمتنع بالله، ويستمسك بحبل الله ﴿فقد هدى إلى صراط مستقيم﴾، و«يعصم» جزم بمن. والجواب: ﴿فقد هدى﴾، ومعنى اعتصمت بكذا وكذا في اللغة: استمسكت وامتنعت به من غيره^(١) وكذلك ﴿لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾^(٢) ومعنى: ﴿سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ﴾^(٣) أي يمنعني من الماء أي لا إذا عصمة ولا إذا امتناع من الله^(٤).

وقوله جل وعز: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾.

أي اتقوه فيما يحق عليكم أن تتقوه فيه، قال بعضهم ﴿حق تقاته﴾: أن يطاع

(١) أي احتमित وصنت نفسي به من ضرر يلحقني إذا لم امتنع به.

(٢) هود ١١ - ٤٣.

(٣) الآية نفسها.

(٤) تفسير «لا عاصم اليوم» بأنه صيغة نسب نحو لابن وتامر أي ذولين وتامر. أي شخص حلت به العصمة.

فلا يعصي وأن يذكر فلا ينسى، ومعنى يذكر فلا ينسى: أن يذكر عند ما يجب من أمره فلا يتجاوز أمره، وقال بعضهم هذه الآية منسوخة نسخها قوله جلّ وعزّ: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾^(١) وقوله جلّ وعزّ: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾^(٢) وتقاة: أصلها وقاة وهي من وقيت إلا أن الواو لم تأت في هذا المثال على أصلها، ولم يقل في هذا المثال شيء إلا والتاء فيه مبدلة من الواو وكذلك قالوا تخمة إنما هي من الوخامة، وكذلك قالوا: في فعال نحو التراث والتجاه، وتجاه في معنى المواجهة.

وهذا المثال فيه أوجه: إذا بنيت فُعَلَةٌ من وقيت قلت تقاة وهو الذي يختاره النحويون، ولم يأت في اللغة على هذا المثال شيء إلا وقد أبدلت التاء من واوه.

ويجوز أن يقال وقاة، وأقاه لأن الواو إذا انضمت وكانت أولاً فأنت في البديل منها بالخيار، إن شئت أبدلت منها همزة، وإن شئت أقررتها على هيئتها، وأن شئت في هذا المثال خاصة أبدلت منها التاء.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾.

لفظ النهي واقع على الموت والمعنى: واقع على الأمر بالإقامة على الإسلام. المعنى: كونوا على الإسلام فإذا ورد عليكم الموت صادفكم على ذلك. وإنما جاز هذا لأنه ليس في الكلام لبس، لأنه يعلم منه أنهم لا ينهاون عما لا يفعلون، ومثله في الكلام، «لَا أُرِيَنَّكَ هَهْنًا» فالنهي واقع في اللفظ على المخاطبة والمعنى: لا تكونن ههنا فإن من كان ههنا رأيته ولكن الكلام قصد به إلى الإيجاز والاختصار إذ لم يكن فيه نقص معنى.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾.

(١) التغابن ٦٤ - ١٧.

(٢) البقرة ٢ - ٢٨٦.

﴿جميعاً﴾ منصوب على الحال المعنى: كونوا مجتمعين على الإعتصام به، وتفسير ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ﴾، أي استمسكوا بعهد الله، والحبل في لغة العرب: العهد. قال الأعشى^(١).

وإذا أجوز بها حبال قبيلة أخذت من الأخرى إليك حبالها

ومعنى ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا﴾: أي تناصروا على دين الله^(٢) وأصل تفرقوا تفرقوا إلا أن التاء حذفت لاجتماع حرفين من جنس واحد في كلمة، والمحذوفة الثانية لأن الأولى دالة على الاستقبال فلا يجوز حذف الحرف الذي يدل على الاستقبال^(٣) وهو مجزوم بالنهي، الأصل ولا تفرقون فحذفت النون لتدل على الجزم.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿وَادْكُرُوا اللَّهَ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾.

ذكّرهم الله بعظيم النعمة عليهم في الإسلام لأنهم كانوا في جاهليتهم يقتل بعضهم بعضاً، ويستبيح كل غالب منهم من غلبه فحظر عليهم الإسلام الأنفس والأموال إلا بحقها، فعرّفهم الله - عزّ وجلّ - ما لهم من الحظ في العاجل في الدخول في الإسلام.

(١) يصف مسيراً له، والضمير للناقة، أي إذا جاوزت بها حماية قبيلة أخذت عهداً بالحماية من قبيلة أخرى. ورواية البيت في اللسان (حبل): وإذا تجور بها حبال، وأيضاً في الديوان ٢٩ ت محمد حسين والقصيدة من جياذ شعره - يمدح بها عمرو بن معد يكرب.

(٢) تفسير بالمعنى اللازم - والمعنى الأصلي: لا تختلفوا وتتباعدوا بعضكم عن بعض فيذهب منكم الناصر.

(٣) هي تا المضارعة - تدل على مضارعة الفعل - والاستقبال هذا مفهوم من النهي والتحويون على جواز حذف أي منهما، والمضارعة ما زالت مفهومة. وقد سبق هذا.

وقيل نزلت في الأوس والخزرج. لأنهم كانت بينهم في الجاهلية حروب دائمة قد أتت عليها السنون الكثيرة، فأزال الإسلام تلك الحروب وصاروا إخواناً في الإسلام متوادين على ذلك، وأصل الأخ في اللغة أن الأخ مقصده مقصد أخيه، وكذلك هو في الصداقة أن تكون إرادة كل واحد من الأخوين موافقة لما يريد صاحبه والعرب تقول: فلان يتوخى مساراً فلان أي يقصد ما يسره.

وقوله جلّ وعلا: ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ﴾. أي كنتم قد أشرفتم على النار^(١) وشفا الشيء، حرفه مقصور يكتب بالألف، وثنيته شفوان، وقال- ﴿فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا﴾، ولم يقل منه لأن المقصود في الخبر النار. أي فأنقذكم منها بالنبى ﷺ.

وقوله جلّ وعلا- ﴿كَذَلِكَ يَبِينُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ﴾. الكاف في موضع نصب. المعنى مثل البيان الذي يتلى عليكم بين الله لكم آياته.

ومعنى ﴿أَلْعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾: أي لتكونوا على رجاء هدايته.

وقوله جلّ وعلا: ﴿وَلِتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾.

اللام مسكنة وأصلها الكسر، الأصل ولتكن منكم ولكن الكسرة حذفت لأن الواو صارت مع الكلمة كحرف واحد وألزم الحذف^(٢)، وإن قرئت

(١) أما نار جهنم لأنهم كانوا كفاراً وهو غير جيد لأنهم كانوا أهل جاهلية ولكن وجب عليهم الإسلام بظهور النبي محمد ﷺ والمراد بالنار الهلاك والفناء بسبب طول العداء وكثرة القتلى، وقيل لولا ظهور الإسلام لفنيت القبيلتان.

(٢) أي حذف الكسرة.

ولتكن - بالكسر - فجيد على الأصل، ولكن التخفيف أجود وأكثر في كلام العرب.

ومعنى - ﴿ولتكن منكم أمة﴾ - والله أعلم - ولتكونوا كلكم أمة تدعون إلى الخير وتأمرون بالمعروف، ولكن «من» تدخل هنا لتخص المخاطبين من سائر الأجناس^(١) وهي مؤكدة أن الأمر للمخاطبين ومثل هذا من كتاب الله ﴿فاجتنبوا الرجس من الأوثان﴾^(٢) ليس يأمرهم باجتنب بعض الأوثان، ولكن المعنى اجتنبوا الأوثان فإنها رجس^(٣) ومثله من الشعر قول الشاعر:

أخو رغائب يعطيها ويسألها يأبى الظلامة منه النوفل الزفر^(٤)
أي هو النوفل الزفر، لأنه قد وصفه بإعطاء الرغائب، والنوفل الكثير الإعطاء للنوافل، والزفر الذي يحمل الأثقال.

والدليل على أنهم أمروا كلهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قوله جلّ وعلا: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾.

ويجوز أن تكون أمرت منهم فرقة، لأن قوله ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير﴾ ذكر الدعاة إلى الإيمان، والدعاة ينبغي أن يكونوا علماء بما يدعون إليه

(١) هو تجريد نحو ليكن منك عالم أي كن أنت كذلك.

(٢) الحج ٢٢ - ٢٠.

(٣) «من» إذن تجريدية - أي اجتنبوا الأوثان - والظاهر أنها بيانية: اجتنبوا الرجس الذي هو عبادة الأوثان. والتجريد أوضح في البيت والبيانية أوضح في الآية.

(٤) الزفر: السيد: أي لديه ما يشتهي الناس ويجود به ويسأله من يريد وهو سيد لا يجسر أحد أن يعتدي عليه. اللسان (فقر. زفر) قيل البيت لأعشى قيس وقيل لأعشى باهلة أنظر الكامل ١ - ٥٧ ت (أبو الفضل) وفي الخزانة ١ - ٩٠ شرح للقصيدة كلها منسوبة لأعشى باهلة وهي مراثيته أخاه لأمه المنتشر بن وهب الباهلي. وليست في ديوان أعشى قيس ت محمد حسين وأعشى باهلة شاعر جاهلي اسمه عامر بن الحرث من عامر بن عوف بن وائل وكان المنتشر من هذه القبيلة أيضاً - فارساً شجاعاً - وأنظر أمالي المرتضى ٣ - ١٠٨.

وليس الخلق كلهم علماء والعلم ينوب فيه بعض الناس عن بعض، وكذلك الجهاد.

وقوله جلّ وعلا: ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

أي والذين ذكرناهم المفلحون، والمفلح الفائز بما يغتبط به. و﴿هم﴾ جائز أن يكون ابتداءً و﴿المفلحون﴾ خبر^(١) أولئك وهم فصل، وهو الذي يسميه الكوفيون العماد.

وقوله جلّ ثناؤه: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾.

أي لا تكونوا كأهل الكتاب، يعني به اليهود والنصارى وكتابهم جميعاً التوراة، وهم مختلفون، كل فرقة منهم - وإن اتفقت في باب النصرانية أو اليهودية - مختلفة أيضاً، كالنصارى الذين هم نسطورية ويعقوبية وملكانية، فأمر الله بالإجتماع على كتابه، وأعلم أن التفرق فيه يخرج أهله إلى مثل ما خرج إليه أهل الكتاب في كفرهم، فأعلم الله أن لهم^(٢) عذاباً عظيماً، فقال: ﴿وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

ثم أخبر بوقت ذلك العذاب فقال: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾.

أي يثبت لهم العذاب ذلك اليوم، وابيضاضها إشراقها وإسفارها، قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مَسْفُوفَةٌ ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ﴾^(٣) أسفرت واستبشرت لما تصير إليه من ثواب الله ورحمته، ﴿وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ اسودادها لما تصير إليه من العذاب، قال الله: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ غَبَرَةٌ﴾^(٣).

(١) إذا كان «هم» مبتدأ فالمفلحون خبره، والجملة خبر أولئك، وإذا كان «هم» فصلاً، فالمفلحون خبر أولئك.

(٢) في الأصل أنه لهم عذاب.

(٣) سورة عبس وتولى (٨٠ - ٣٩).

والكلام^(١). تسود وتبيض بفتح التاء - الأصل «تسودد» و«تبييض» إلا أن الحرفين إذا اجتمعا وتحركا^(٢) ادغم الأول في الثاني. وكثير من العرب تكسر هذه التاء من تسود وتبيض والقراءة بالفتح والكسر قليل إلا أن كثيراً من العرب يكسر هذه التاء ليُبين أنها من قولك أبيض وأسود فكأن الكسرة دليل على أنه كذلك في الماضي^(٣).

وقرأ بعضهم «تَسَوَادٌ وَتَبْيَاضٌ» وهو جيد في العربية إلا أن المصحف ليست فيه ألف فأننا أكرهها لخلافه على أنه قد تحذف ألغات في القرآن نحو ألف إبراهيم وإسماعيل ونحو ألف الرحمن^(٤) ولكن الإجماع على إثبات هذه الألفات المحذوفة في الكتاب في اللفظ، وتبييض وتسود إجماع بغير ألف فلا ينبغي أن يقرأ بإثبات الألف.

وقوله جلّ وعلا: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾.

تدل على أن القراءة تسود، ومن قرأ بالألف تسواد وتبياض وجب أن يقرأ: فأما الذين اسوادت وجوههم.

وجواب أما محذوف^(٥) مع القول. المعنى فيقال لهم: ﴿أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾، وحذف القول لأن في الكلام دليلاً عليه وهذا كثير في القرآن، كقوله عز وجل: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾^(٦) المعنى يقولون:

(١) الكلام العربي في جملته. انظر المزهر ١ - ١٠٤. (٢) في الأصل: وتحركا الفعل ولا معنى له. (٣) الكسر لغة أسد (ضحى الإسلام) ٢ - ٢٤٣ وأما قوله أنه من أبيض وأسود أي مكسور العين (٤) معتلها ببيض وسود.

من الوجهة الإملائية يجوز في إبراهيم وإسماعيل - حذف الألف وإثباتها - أما الرحمن فتحذف ألفها إذا كانت في اسم أو بسملة. (٥) في الأصل محذوفة.

(٦) الرعد - ١٣ - ٢٤.

﴿سَلامٌ عَلَيْكُمْ﴾ وكذلك قوله: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾^(١) المعنى يقولان ربنا تقبل منا - هذه الألف لفظها لفظ الاستفهام ومعناها التقرير والتوبيخ . وإنما قيل لهم ﴿أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ لأنهم كفروا بالنبي ، وقد كانوا به مؤمنين قبل مبعثه .

وهذا خطاب لأهل الكتاب :

وقوله جلّ وعلا: ﴿فَإِنِّي رَحْمَةُ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ .

أي في الثواب - الذي أصارهم الله إليه برحمة - خالدون .

أُعْلِمَ أَنَّهُ إِنَّمَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِهِ وَإِنْ اجْتَهِدَ الْمَجْتَهِدُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ لَأَنَّ نِعَمَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ دُونَ الْجَنَّةِ لَا يَكْفِئُهَا اجْتِهَادُ الْآدَمِيِّينَ .

وقال في رحمة الله وهو يريد ثواب رحمة الله كما قال: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾ المعنى أهل القرية ، كما تقول العرب بنو فلان يطؤون الطريق ، المعنى يطؤون مارة الطريق .

وذكر ﴿فيها﴾ ثانية على جهة التوكيد .

وقوله جلّ وعلا: ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ﴾ .

أي تلك التي قد جرى ذكرها حُجِّجُ اللَّهُ وعلاماته نتلوها عليك أي نعرفك إياها ﴿وما الله يريد ظلماً للعالمين﴾ أي من أعلم الله أنه يعذبه فباستحقاق يعذبه .

وقوله جلّ وعلا: ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ .

ولو كانت «وإليه تُرْجَعُ الْأُمُورُ» لكان حسناً ولكن إعادة اسم الله أفخم وأوكد ، والعرب إذا جرى ذكر شيء مفخم أعادوا لفظه مظهراً غير مضمراً ، أنشد النحويون قول الشاعر:

(١) البقرة ٢ - ١٢٧ .

لا أرى الموت يسبق الموت شيءً نغص الموت ذا الغني والفقير^(١)

فأعادوا ذكر الموت لفخامة في نفوسهم .

وقوله جلّ وعلا: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ .

يعني به أمة محمد ﷺ وقيل في معنى «كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ» كُنتُمْ عند الله في اللوح المحفوظ - وقيل كُنتُمْ منذ آمَنتُمْ خير أمة وقال بعضهم معنى ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ هذا الخطاب أصله أنه خوطب به أصحاب النبي ﷺ وهو يعم سائر أمة محمد، والشريطة في الخيرية ما هو في الكلام وهو قوله عز وجل: ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ .

أي توحدون الله بالإيمان برسوله لأن من كفر بالنبي لم يوحد الله، وذلك أنه يزعم أن الآيات المعجزات التي آتت بها النبي ﷺ من ذات نفسه، فجعل غير الله يفعل فعل الله .

وآيات الأنبياء، لا يقدر عليها إلا الله عز وجل .

ويدل على أن قوله: ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ : تقولون^(٢) أن محمداً ﷺ نبي الله، قوله عز وجل: ﴿وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ .

فأهل الكتاب كفروا بالنبي ﷺ فصاروا كفاراً بالله فأعلم الله أن بعضهم وهو القليل منهم آمن بالله فقال :

﴿مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ .

والفاسق الذي خرج عن أمر الله .

(١) البيت في الخزائن ١ - ١٨٣، وشواهد المغني ٢٩٦ - واللسان - (نغص) وينسب لعدي بن زيد،
ولسواده ابنه، ولأمية بن أبي الصلت. فالأعلم الشتمري نسبة لسواده بن زيد، والشجري
نسبة لعدي، وفي شرح شواهد المغني ١٨٦ لأي منهما - وأنظر سيبويه ١ - ١٨٣ .

(٢) في ك والأصل : أي تقولون أن محمداً .

ووعده الله النبي ﷺ والمؤمنين في أهل الكتاب أنهم منصورون عليهم، وأنه لا ينالهم من أهل الكتاب اصطلام ولا غلبة فقال: ﴿لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى﴾.

أي يؤذونكم بالبهت والتحريف، فأما العاقبة فتكون للمؤمنين، قال الله - عز وجل -: ﴿وَلَيْنَ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلِّنَ الْأَذْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾^(١) يعني به أهل الكتاب، وأعلمهم في هذه الآية أنهم إن قاتلوهم ولوهم الأدبار وسلبوا النصر وكذلك كان أمر اليهود.

وقوله جلّ وعلا: ﴿ضَرَبَتْ عَلَيْهِمُ الدَّلَّةُ أَيْتَانَا تُقْفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ﴾.

والحبل العهد. فأعلم الله أنهم بعد عز كانوا فيه يبلغون في الدلة ما لا يبلغه أهل مكة، وكانوا ذوي منعة ويسار، فأعلم الله أنهم يذلون أبداً إلا أن يعزوا^(٢) بالذمة التي يعطونها في الإسلام. وما بعد الاستثناء، ليس من الأول^(٣) أنهم أذلاء إلا أنهم يعتصمون بالعهد إذا أعطوه.

وأعلم الله أنهم جعلت عقوبتهم هذه العقوبة الغليظة في الدنيا والآخرة لتغليظ ما ركبه^(٤) فقال - جلّ وعلا: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾.

وضع ذلك رفع بالابتداء المعنى أمرهم ذلك وحققهم ذلك بكفرهم، وقتلهم الأنبياء وأعاد ذكر ذلك ثانية فقال: ﴿ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾.

(١) الحشر: ٥٩ - ١٢.

(٢) في ط يقرأوا.

(٣) أي إنه استثناء منقطع ولا داعي لهذا إذ المستثنى منه عموم الظرف أي في أي مكان إلا مكاناً يعتزون فيه بحبل الله - وعلى تقدير المستثنى منه هو الدلة - ويكون تقديره كما ذكر.

(٤) ما ارتكبه من أفعال ذميمة.

الاعتداء المجاوزة في كل شيء - مجاوزة القدر - المعنى حقها بكفرهم -
فأعلم الله أنهم غير متساوين فقال:
﴿لَيْسُوا سَوَاءً﴾ وهذا وقف التمام .
أي ليس الذين ذكرنا من أهل الكتاب سواءً .

قال أبو عبيدة: ﴿ليسوا سواءً﴾ جمع ليس، وهو متقدم كما قال [القائل]:
أكلوني البراغيث^(١) وكما قال: ﴿عموا وضموا كثير منهم﴾^(٢) وهذا ليس كما قال
لأن ذكر أهل الكتاب قد جرى، فأخبر الله أنهم غير متساوين فقال ليسوا سواءً .
ثم أنبأ بافتراقهم فقال: ﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾ .

قال أهل اللغة معنى قائمة مستقيمة، ولم يبينوا حقيقة هذا وذكر الأخفش
المعنى أمة قائمة، أي ذو أمة قائمة والأمة الطريقة من أمت الشيء إذا قصدته .
فالمعنى والله أعلم: من أهل الكتاب أمة قائمة، أي ذوو طريقة قائمة .

قال النابغة الذبياني:

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة وهل يأتعن ذو أمة وهو طائع^(٣)
أي هل يأتعن ذو طريقة من طرائق الدين وهو طائع . فإنما المعنى أنه لا
يستوي الذين قتلوا الأنبياء بغير حق والذين يتلون آيات الله آناء الليل وهم ذوو
طريقة مستقيمة .

(١) عبارته في مجاز القرآن «العرب تجوز في كلامهم مثل هذا أن يقولوا -: أكلوني البراغيث، قال أبو عبيدة: سمعتها من أبي عمرو الهزلي . . وفي القرآن «عموا وضموا كثير منهم» وقد يجوز أن نجعله كلامين، فكأنك قلت: «ليسوا سوا من أهل الكتاب، ثم قلت أمة» وخطأ أبي عبيدة واضح في كلا التقديرين . وقد خطأه القرطبي بما ذكره الزجاج . وكلام الفراء في تفسيره (١) - ٢٣٠ يتفق في بعض وجوهه مع أبي عبيدة .

(٢) المائدة ٥ - ٧١ .

(٣) سبق شرحه ص ٢٨٤ والمذكور في ك هنا هو الشطر الثاني فقط .

ومعنى ﴿آناء الليل﴾ ساعات الليل، قال أهل اللغة واحد آناء الليل إني وآناء
مثل، نَحَى وَأَنْحَاءُ وَأَنْشَلُ أَهْلُ اللُّغَةِ فِي ذَلِكَ قَوْلُ الشَّاعِرِ: (١)

حُلُوْ وَمُرُّ كَطَعَمِ الْقَدَحِ مِرَّتُهُ بِكُلِّ إِنِّي حَدَاهُ اللَّيْلُ يَتَّعِلُ
قالوا واحدها إني مثل مِغْيِ وَأَمْعَاءِ، وَحَكَى الْأَخْفَشُ «إِنُّو». وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾.

معناه وهم يصلون لأن التلاوة ليست في السجود، وإنما ذكرت الصلاة
بالسجود لأن السجود نهاية ما فيها من التواضع والخشوع والتضرع.

ومعنى يَتَلَوْنَ فِي اللُّغَةِ يُتَبَعُونَ بَعْضَ الشَّيْءِ بَعْضًا، وَقَدْ اسْتَلَاكَ الشَّيْءُ إِذَا
جَعَلَكَ تَتَبَعُهُ قَالَ الشَّاعِرُ: (٢).

قَدْ جَعَلْتَ دَلَوِي تَسْتَلِينِي وَلَا أَحَبُّ تَبَعَ الْقَرِينِ
إِنْ لَمْ يُرِدْ سَمَاحَتِي وَلِينِي
وقال بعض أهل اللغة: المعنى منهم أمة قائمة وأمة على غير ذلك، وأنشد
في ذلك قول الشاعر: (٣)

عَصَائِي إِلَيْهَا الْقَلْبُ أَنِي لِأَمْرِهِ سَمِيعٌ فِيمَا أَدْرِي أُرْشِدُ طَلَابَهَا
وَلَمْ يَقُلْ أَمْ هُوَ فِي غَيٍّ لَّانَ فِي، الْكَلَامُ دَلِيلًا عَلَيْهِ، قَالَ: وَالْعَرَبُ تَضْمُرُ
هَذَا. إِذَا عَرَفْتَ مِثْلَ هَذَا - عَرَفْتَ الْمَعْنَى (٤).

(١) هو المنتخل الهذلي مالك بن عويمر - من شعراء هذيل وفصحائهم، وقصيدته هذه جيدة رثى
بها ابنه «أثيلاً» قتله بنو سعد في خبر طويل ذكره صاحب الأغاني وجزءاً من القصيدة به هذا
البيت. الأغاني ٢٠ - ١٤٥ - وما بعدها. وأنظر ديوان الهذليين ٢ - ٣٥ والخزانة ٢ - ١٣٨،
وفي الديون: كعطف القدح، أي طوى كما طوى القدح، ومرته قتلته. والقدح السهم.

(٢) اللسان (تلا) الأول والثاني فقط - وفيه ولا أريد تبع القرين.

(٣) أبو ذؤيب الهزلي، في ١ - ٧١ ديوان الهزليين كما هنا، وفي معاني الفراء (١ - ٣٠) عصيت
إليها، والبيت من شواهد النحو الشائعة.

(٤) ك. إِذَا عَرَفْتَ الْمَعْنَى.

وهذا الذي قال خطأً فاحش في مثل هذا المكان، لأن ذكر أهل الكتاب قد جرى في هذه القصة بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله، ويقتلون الأنبياء بغير حق، فأعلم الله جلّ وعزّ أن منهم المؤمنين الذين هم أمة قائمة، فما الحاجة إلى أن يقال غير قائمة وإنما المبدوء به ههنا ما كان من فعل أكثرهم من الكفر والمشاقة للنبي ﷺ فذكر من كان مبايناً هؤلاء وذكر في التفسير أن هذا يعني به عبد الله بن سلام وأصحابه: (١)

ومعنى ﴿وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ ههنا أي يأمرُونَ باتباع النبي ﷺ ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾: عن الإقامة على مشاقته ﷺ. وقوله عز وجل: ﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ﴾.

قرئت بالياء والتاء وكلاهما صواب - كما قال الله عز وجل: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (٢) - فالخطاب لسائر الخلق ومن قال فلن تكفروه فهو لهؤلاء المذكورين وسائر الخلق داخل معهم في ذلك.

وموضع ﴿يَفْعَلُوا﴾ جزم بالشرط (٣)، وهو ﴿مَا﴾ والجواب ﴿فَلَنْ يُكْفَرُوهُ﴾. قوله جلّ وعزّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾.

أي لا تمنعهم أولادهم مما هو نازل بهم، لأنهم مالوا إلى الأموال في معاندتهم النبي ﷺ لأن الرياسة إنما قامت لهم - أعني - رؤساء اليهود - بمعاندتهم النبي ﷺ.

(١) أي لا يدل سياق الآية على أنها جاءت لتبين أنهم قسمان - وإنما سياقها أن تبين أن منهم طائفة صالحة. والقسم الأول علم نصاً، ويفهم الثاني بالضرورة لكنه ليس ما جاءت الآية لبيانها.

(٢) سورة الزلزلة ٩٩ - ٧.

(٣) ك وهي ما.

والدليل على أنهم كسبوا بذلك قوله جلّ وعزّ: ﴿فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً، فويل لهم مما كتبت بأيديهم وويل لهم مما يكسبون﴾^(١).

ثم أعلم الله عزّ وجلّ أن مثل ما ينفقونه في تظاهرهم على النبي ﷺ في الضرر لهم: ﴿كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾ - والصر البرد الشديد، ﴿أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ﴾ - أي زرع قوم ظلموا أنفسهم. فعاقبهم الله بإذهاب زرعهم - فأهلكته^(٢). فأعلم أن ضرر نفقتهم عليهم كضرر هذه الريح في هذا الزرع وقيل أنه يعني به أهل مكة حين تعاونوا وأنفقوا الأموال على التظاهر على النبي ﷺ وقال بعضهم: ﴿مثل ما ينفقون﴾، أي مثل أعمالهم في شريكهم كمثلاً، هذه الريح.

وجعل فيها صر أي صوت، وهذا يخرج في اللغة^(٣). وإنما جعل فيها صوتاً لأنه جعل فيها ناراً كأنها نار أحرقت الزرع - فالصر على هذا القول صوت لهيب النار، وهذا كله غير مُمتنع، وجملته أن ما أنفق في التظاهر على عداوة الدين مضر مهلك أهله في العاجل والآجل.

قوله جلّ وعزّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾.

«البطانة» الدخلاء الذين يستبطنون ويتبسط إليهم، يقال فلان بطانة لفلان أي مُدَاخِل له ومُؤَانِس، فالمعنى أن المؤمنين أمروا ألا يداخلوا المنافقين ولا اليهود، وذلك أنهم كانوا لا يبقون غاية في التلبيس على

(١) البقرة ٢ - ٧٩ وفي الأصل كتاب الله.

(٢) نص الآية: ﴿مثل ما ينفقون في هذه الدنيا كمثّل ريح فيها صر أصابت حرت قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته، وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون﴾.

(٣) أي يأتي هذا المعنى في اللغة: يقال ريح صرّ وصرّصر: أي شديدة البرد والصرور.

المؤمنين . فأمرُوا بألا يَدْخُلُوهم لئلا يفسدوا عليهم دينهم . وأخبر الله المؤمنين بأنهم لا يُالونهم خبالاً ، أي لا يُبْقُونَ غاية في إلقائهم فيما يضرهم ، وأصل الخبال في اللغة ذهاب الشيء قال الشاعر : (١) .

ابني سليمي لستم ليد إلا يدا مخبولة العضد (٢)
أي قد ذهبت عضدها .

﴿وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ﴾ .

أي ودوا عنتكم ، ومعنى العنت إدخال المشقة على الإنسان ، يقال فلان متعنت فلاناً ، أي يقصد إدخال المشقة والأذى عليه ، ويقال قد عنت العظم يََعْنُ عَنَتاً إذا أصابه شيء بعد الجبر ، وأصل هذا كله من قولهم : «أَكْمَةُ عُنُوتٌ» إذا كانت طويلة شاقة المسلك ، فتأويل أعنت فلاناً ، حَمَلْتُهُ على المشقة .

قوله عز وجل : ﴿هَا أَنْتُمْ أَوْلَاءُ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ﴾ .

خطاب للمؤمنين ، أعلموا فيه أن منافقي أهل الكتاب لا يحبونهم وأنهم هم يصحبون هؤلاء المنافقين بالبر والنصيحة التي يفعلها المحب وإن المنافقين على ضد ذلك .

فأعلم الله جل وعز المؤمنين ما يسره المنافقون وهذا من آيات النبي ﷺ ، قال بعض التحويين : العرب إذا جاءت إلى اسم مكنى قد وصف «بهذا» جعلته بين «ها» و«ذا» ، فيقول القائل أين أنت فيقول المجيب : هأنذا ،

(١) هوقيس بن الخطيم .

(٢) كتاب سيبويه ٢ - ٣١٧ ت هرون - والفراء ١ - ٣١٧ والديوان ٢١ وفي ابن يعيش ٢ - ٩٠ البيت لطرفة ويروي ابني لبني - ويروى إلا يدا ليست لها عضد . وهذا هو الصحيح لأن القافية فيه بالرفع - ومنها .

ابني لبيني إن أمكنتم أمة وإن أباكم عبداً

قال وذلك إذا أرادوا جهة التقريب، قال فإنما فعلوا ذلك ليفصلوا بين التقريب وغيره^(١).

ومعنى التقريب عنده أنك لا تقصد الخبر عن هذا الاسم فتقول هذا زيد^(٢).

والقول في هذا عندنا أن الاستعمال في المضممر أكثر فقط، أعني أن يفصل بين «ها» و«ذا» لأن التنبيه أن يلي المضمَرَّ اِثْنَيْنِ، فإن قال قائل: ها زيد ذا، وهذا زيد، جاز، لا اختلاف بين الناس في ذلك، وهذا عندنا على ضربين: - جائز أن يكون «أولاً» في معنى الذين كأنه قيل: هأنتم الذين تحبونهم ولا يحبونكم، وجائز أن يكون تحبونهم منصوبة على الحال وأنتم ابتداءً وأولاء الخبر. المعنى: أنظروا إلى أنفسكم محبين لهم. نهوا في حال محبتهم إياهم.

ولم يشرحوا لم كسرت ﴿أولاء﴾، وأولاء أصلها السكون لأنها للإشارة، ولكن الهمزة كسرت لسكونها وسكون الألف ﴿وتؤمنون﴾ عطف على تحبون.

ومعنى ﴿تؤمنون﴾ بالكتاب كله.

أي تصدقون بكتب الله كلها.

﴿وَإِذَا لَقَوْكُمْ قَالُوا آمَنَّا﴾. أي نافقوكم.

﴿وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾.

فأنبأ الله عز وجل - بنفقاتهم ههنا كما أنبأ به في قوله [تعالى] ﴿وَإِذَا

(١) اسم الإشارة أما للقریب نحو هانذا، وأما للبعید نحو هانذلك.

(٢) اسم الإشارة ليس خيراً - ففي الآية الخبر ﴿تحبونهم﴾ ولو حذف اسم الإشارة ما ضر ذلك بالمعنى. وهذا غير ما يراه الزجاج.

لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بِعَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ﴿١﴾.

ويقال عَضَضْتُ أَعْضُ، ويقال رجل عِضٌ إذا كان ملازم خصم، أي يُصِرُّ على المخاصمة، والفعل منه عَضَضْتُ. والعَضُّ علف الأمصار (٢) الذي تعلفه الإبل نحو النوى والقت والكسب، وإنما قيل له عض لأنه أكثر لبثاً في المال وأبقى شحماً (٣) والأنامل واحداً أُنْمَلَةٌ (٤) وهي أطراف الأصابع ولم يأت على هذا المثال بغير هاء ما يعني غَيْرَ الواحد إلا قولهم قد بلغ أشدَّهُ، أما الجمع فكثير فيه أو نحو أكعب وأفلس وأيمن وأشمل.

قوله عز وجل: ﴿إِنْ تَمَسَسْكُمُ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ﴾.
أي إِنْ تَظْفَرُوا وَتُخَصِّبُوا سَاءَهُمْ ذَلِكَ.
﴿وَإِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا﴾.

أي: إِنْ نَالَكُمْ ضِدٌّ ذَلِكَ فَرَحُوا، ﴿وَإِنْ تَصِيبُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً﴾.

ضمن الله - جلَّ وعزَّ - للمؤمنين النصر إن صبروا وأعلمهم أن عدوانهم وكيدهم غير ضار لهم. و «لَا يَضُرُّكُمْ» الأجود فيه الضم لالتقاء الساكنين الأصل لا يضرركم، ولكن كثيراً من القراء والعرب يدغم في موضع الجزم، وأهل الحجاز يظهرون التضعيف وهذه الآية جاءت فيها (٥) اللغتان جميعاً - فقوله [تعالى]: ﴿إِنْ يَمَسُّكُمْ﴾ على لغة أهل الحجاز، وقوله: ﴿لَا يَضُرُّكُمْ﴾

(١) البقرة ٢ - ٧٦.

(٢) العَضُّ - بضم العين - العجين تعلفه الإبل.

(٣) كأنه يعض بجسمها ويثبت فيها.

(٤) بثلاث الهزرة والميم - تسع لغات.

(٥) في الأصل فيه.

على لغة غيرهم من العرب وكلا الوجهين حسن، ويجوز «لَا يَضُرُّكُمْ» «ولا يُضِرُّكُمْ» فمن فتح فلأن الفتح خفيف مستعمل في التقاء الساكنين في التضعيف، ومن كسر فعلى أصل التقاء الساكنين، وقد شرحنا هذا فيما سلف من الكتاب.

وقرئت: لَا يَضُرُّكُمْ من الضَّيْر، والضَّيْر والضَّرُّ جميعاً بمعنى واحد، وكذلك الضَّرُّ - وقد جاء في القرآن: ﴿قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾^(١) وَجَاءَ: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهَهُ﴾^(٢) وقد ذكر الفراء أَنَّ الكسائي سمع بعض أهل العالية يقول: «ما تَضُورُنِي» فلو قرئت على هذا لَا يَضُرُّكُمْ جاز.

وهذا غير جائز^(٣) ولا يقرأ حرف من كتاب الله مخالف فيه الإجماع على قول رجل من أهل العالية.

وقوله جَلَّ وَعَزَّ: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ﴾. روى أَنَّ النبي ﷺ رأى في منامه كَأَنَّ عَلَيْهِ دُرْعاً حَصِينَةً. فأولها المدينة، فأمر ﷺ المسلمين - حين أَقْبَلَ إِلَيْهِمُ الْمُشْرِكُونَ^(٤) بالإقامة بها إلى أَن يوافيهم المشركون فتكون الحرب بها فَذَلِكَ تَبَوُّيَةُ الْمَقَاعِدِ لِلْقِتَالِ. قال بعضهم معناه مَوَاطِنَ لِلْقِتَالِ والمعنى واحد. والعامل في «إِذْ» معنى اذكر - المعنى أَذْكَرُ إِذْ غَدَوْتَ، والعامل في «إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا» [تُبَوِّئُ] ^(٥) المعنى كانت التبوئة في ذلك الوقت، ومعنى «تَفْشَلَا» تَجَبَّنَا وَتَخَوَّرَا. ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾: أَي هَمَّتْ بِذَلِكَ وَاللَّهُ نَاصِرُهُمَا.

(١) سورة الأعراف ٧ - ١٢٥. (٢) سورة الإسراء ١٧ - ٦٧.

(٣) غير جائز في القرآن. (٤) حين قدم المشركون لحربهم يوم أحد.

(٥) مما اضطرنا لزيادته إذ لا يتم معنى الجملة بدونه، وما بعده يؤيده. ويجوز أن يكون العامل إذ محذوفة أيضاً.

وقوله جل وعز: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَانْتُمْ أَذَلَّةٌ﴾.

معنى ﴿أَذَلَّةٌ﴾. عَدَدُكُمْ قَلِيلٌ، وكان المسلمون في تلك الحرب ثلاثمائة وبضعة عشر وكانوا في يوم أحد سَبْعَمِائَةٍ، والكفار في يوم أحد ثلاثة آلاف، وكانوا^(١) في يوم حنين إثني عشر ألفاً فأعلم الله - جل وعز - أنهم حينما ألزموا الطاعة أنه ينصرهم، وهم قليل وعدوهم أضعافهم، وفي يوم أحد نزل بهم ما نزل لمخالفة أمر النبي ﷺ في أن جاوزوا ما أمروا به، فجعل الله ذلك لهم عُقُوبَةً لئلا يَجْبُتُوا^(٢) وجاء في بعض الخبر: «الفرار من الزحف كفر». ومعناه عندي والله أعلم - من فعل الكفار، لا أنه يخرج الإنسان من الإيمان إلى الكفر. وقد عفا الله فيه، فقال: ﴿وَمَنْ يُؤْلَهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبْرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ. وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ﴾^(٣).

وأذلة جميع دليل، والأصل في فعيل إذا كان صفة أن يجمع على فعلاء، نحو ظريف وظرفاء، وشريك وشركاء، ولكن فعلاء أجنب في التضعيف. لو قيل جللاء وقللاء في جليل وقليل، لاجتمع حرفان من جنس واحد، فعدل به إلى أفعله من جمع الأسماء في فعيل، نحو جريب وأجربة، وقفيز وأقفزة^(٤).

وقوله جل وعز: ﴿وَيَأْتُواكُمْ مِنْ قَوْرِهِمْ هَذَا﴾.

(١) المسلمون.

(٢) لأنهم إن جنبوا أصابهم مثل ذلك.

(٣) سورة الأنفال، والاستشهاد غير جيد - لأن ذلك لا يعد فراراً ولأن الآية لا تدل على عفو عن الفارين، والأقرب في هذه الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ ال عمران ٢ - ١٢٢.

(٤) الجريب من الطعام والأرض مقدار معلوم - عشرة أقفزة كل قفيز منها عشرة أعشر - الجريب مكيال قدره أربعة أقفزة - وقال أبو زيد لا أحسب الجريب كلمة عربية. وفي القاموس: القفيز مكيال ثمانية مكايك ومن الأرض قدره مائة وأربعة وأربعون ذراعاً. والمكوك كتثور مكيال يسع صاعاً ونصفاً. أو نصف رطل إلى ثمان أواق، أو نصف الوبة... الخ.

أَيَّ مِنْ وَجْهِهِمْ، وَ «هَذَا»^(١) نَعْتَ لِفُورِهِمْ، وَ «يُمَدِّدُكُمْ» جَوَابُ
الْجَزَاءِ^(٢) يُقَالُ أَمَدَّتِ الْجَيْشَ بَعْدَ، وَأَمَدَّ الْجَرْحَ إِذَا صَارَتْ فِيهِ الْمِدَّةُ، يُمَدُّ
فَهُوَ مُمَدَّدٌ، وَمَدَّ النُّهْرَ وَمَدَّ نُهُرَ آخِرِ.

وَقَوْلُهُ جَلَّ وَعَزَّ: «مُسَوِّمِينَ» قَرِئَتْ مُسَوِّمِينَ وَمُسَوِّمِينَ وَمَعْنَى مُسَوِّمِينَ:
أَخَذَ مِنَ السُّوْمَةِ، وَهِيَ الْعَلَامَةُ، كَانُوا يَعْلَمُونَ بِصُوفَةٍ أَوْ بِعِمَامَةٍ أَوْ مَا أَشْبَهَ
ذَلِكَ، وَمُسَوِّمِينَ: مُعَلِّمِينَ. وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ مُسَوِّمِينَ: قَدْ سَوَّوْا خِيْلَهُمْ
وَجَعَلُوهَا سَائِمَةً.

وَقَوْلُهُ جَلَّ وَعَزَّ: «وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ».

وَمَا جَعَلَ ذِكْرَ الْمَدَدِ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتُمْكِنُوا فِي حَرْبِكُمْ
وَقَوْلُهُ جَلَّ وَعَزَّ: «لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا».
أَيَّ لِيَنْقُلَ قِطْعَةً مِنْهُمْ.
«أَوْ يَكْتَبَتُهُمْ».

أَيَّ يَهْزِمُهُمْ، قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: يُقَالُ كَتَبَهُ اللَّهُ لَوَجْهِهِ أَيَّ صَرَعَهُ اللَّهُ
لَوَجْهِهِ، وَالْخَائِبُ الَّذِي لَمْ يَنْلُ مَا أَمَلَ^(٣).

وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: «لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ
فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ».

أَنْزَلَ عَلَيْهِ ذَلِكَ ﷺ لِأَنَّهُ فِي يَوْمِ أُحُدٍ شَجَّ وَكُسِرَتْ رِبَاعِيَّتُهُ فَقَالَ وَهُوَ
يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ: كَيْفَ يَفْلَحُ قَوْمٌ فَعَلُوا هَذَا بِنِيهِمْ وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى
رَبِّهِمْ، فَأَعْلَمَهُ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ- أَنَّ فَلَاحَهُمْ لَيْسَ إِلَيْهِ وَأَنَّهُ لَيْسَ لَهُ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ

(١) كَلِمَةُ «هَذَا» صِفَةٌ لِأَنَّهُا بِمَعْنَى الْمَشَارِ إِلَى، فَهِيَ مُشْتَقَّةٌ مَعْنَى.

(٢) الْجَوَابُ الَّذِي يَفِيدُ جَوَابَ الشَّرْطِ.

(٣) نَصُّ الْآيَةِ: «أَوْ يَكْتَبَتُهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ».

إِلَّا أَنْ يَبْلُغَ الرِّسَالَةَ وَيَجَاهِدَ حَتَّى يَظْهَرَ الدِّينَ، وَأَنْ ثَوَابَهُ عَلَى اللَّهِ - جَلَّ وَعَزَّ - فِي ذَلِكَ.

ونصب ﴿أَوْ يَتُوبَ﴾ على ضريين: جائز أن يكون عطفاً على قوله: ليقطع طرفاً من الذين كفروا أو يكتبهم أو يتوب عليهم أو يعذبهم. والوجه الثاني على النصب بأو إذ كانت في معنى إلا أن. فالمعنى: ليس لك من الأمر شيء أي ليس يؤمنون إلا أن يتوب الله عليهم، أو حتى يتوب الله عليهم.

وقوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافاً مُضَاعَفَةً﴾.

﴿الرِّبَا﴾ قليلة وكثيرة قد حُرِّمَ في قوله - جلَّ وعزَّ - ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾^(١)، وإنما كان هذا لأن قوماً من أهل الطوائف كانوا يُربون. فإذا بلغ الأجل زادوا فيه وضاعفوا الربا.

وقال قوم [معناه] لا تضاعفوا أموالكم بالربا.

ومعنى ﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ﴾.

أي لتكونوا على رجاء الفلاح، والمفلح [هو] الذي أدرك ما أمَّل من الخير، واشتقاقه من فَلَحَ الحديد إذا شقه، فإنما هو مبالغة في إدراك ما يوصل.

وقوله عز وجل: ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾.

أي اتَّقُوا أَنْ تُحَلُّوا ما حَرَّمَ اللَّهُ، فَإِنَّ مِنْ أَحَلَّ شيئاً مما حرم الله فهو كافر بإجماع.

وقوله عز وجل: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

أي لمن اتَّقَى المحارم، وروي عن النبي ﷺ أَنَّ بَيْنَ مِصْرَاعِي بَابِ

(١) البقرة ٢ - ٢٧٥.

الجنة مسيرة أربعين عاماً، وليأتين عليه يومٌ يزدحمُ عليه الناس كما تزدحم الإبل وردت خِمَصاً ظمَاءً^(١).

وقوله عز وجل: ﴿وَالْكَافِرِينَ الْغِيَظُ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾.

أي أعدت للذين جرى ذكركم وللذين يكظمون الغيظ، ويروى عن النبي ﷺ ما من جرعة يتجرعها الإنسان أعظم أجراً من جرعة غيظ في الله. يُقال كَظُمْتُ الغيظَ أَكْظَمُهُ كَظْماً إذا أَمْسَكْتُ على ما في نفسي^(٢) منه، ويقال كظم البعير على جرته إذا ردها في حلقه، وكظم البعير والناقة كظوماً إذا لم يجتر، قال الراعي:

فأفْضَنَ بعدَ كُظومهنَّ بجرةٍ من ذي الأباطِحِ أذْرعينَ حقيلاً^(٣)
والْكُظَامَةُ سير يشد به الوتر على سية القوس العربية، والكظمية، والكظائم حفاثر تحفر من بثر إلى بثر ليجري الماء من بعضها إلى بعض وكاظمة موضع بالبادية.

وقوله عز وجل: ﴿وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾.

الرفع محمول على المعنى، والمعنى وأي أحدٍ يغْفِرُ الذُّنُوبَ؟ ما يغفرها إلا الله.

﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا﴾، الإصرار الإقامة على الشيء، وقوله جل وعز: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ﴾.

(١) الخُمْصُ والخميصُ والخُمْصَانُ الضامر البطن. أي وردت جائعة ظامئة فهي تتسابق على الماء.

(٢) ك أمسكت على ما في نفسك.

(٣) أنظر لأميته آخر ديوان جرير ط القاهرة ١٣٧٣ هـ. يصف الإبل صبرت طويلاً ثم أفاضت بحرارها. والحقل نبت، ومكان بالبادية. فالمراد إما: حين رعين هذا النبت أو حين ارتعين في هذا المكان. وقد تقدم هذا البيت.

معنى قد خلت قد مضت، ومعنى سُنَنُ أَهْلُ سُنَنِ أَي أَهْلُ طَرَائِقَ،
وَالسُّنَّةُ الطَّرِيقَةُ، وقول الناس: فلان على السُّنَّةِ معناه على الطَّرِيقَةِ، ولم
يحتاجوا أن يقولوا على السُّنَّةِ المستقيمة لَأَنَّ فِي الْكَلَامِ دَلِيلًا عَلَى ذَلِكَ، وَهَذَا
كَقَوْلِنَا «مُؤْمِنٌ» معناه مصدق وفي الْكَلَامِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ مُؤْمِنٌ بِأُمُورِ اللَّهِ
عَزَّ وَجَلَّ - التي أمر بالإيمان بها، والمعنى إِنْكُمْ إِذَا سِرْتُمْ فِي أَسْفَارِكُمْ عَرَفْتُمْ
أَخْبَارَ قَوْمٍ أَهْلَكُوا بِتَكْذِيبِهِمْ.

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.
أَي لَا تَضْعَفُوا، يُقَالُ وَهِنَ يَهِنُ إِذَا ضَعُفَ فَضَمِنَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ - النَّصْرَ
بقوله: ﴿وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ﴾.

وقوله جَلَّ وَعَزَّ: ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ﴾.
﴿قَرْحٌ﴾ جميعاً يقرأان، وهما عند أَهْلِ اللُّغَةِ بمعنى واحد ومعناه الجراح
وَالْمُهَا يُقَالُ قَدْ قَرِحَ قَرْحٌ يَقْرَحُ قَرْحًا، وَأَصَابَهُ قَرْحٌ، قَالَ بَعْضُهُمْ كَأَنَّ الْقَرْحَ
الْجُرْحُ، وَكَأَنَّ الْقَرْحَ الْأَلَمَ.

﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَدَاوُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾.
أَي نَجْعَلُ الدُّوْلَةَ فِي وَقْتٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذَا
عَصَوْا فِيمَا يُؤْمَرُونَ بِهِ، مِنْ مُحَارَبَةِ الْكُفَّارِ، فَأَمَّا إِذَا أَطَاعُوا فَهُمْ مَنْصُورُونَ
أَبَدًا، كَمَا قَالَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(١).

ومعنى ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ﴾.
أَي لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يُقِيمُ عَلَى الْإِيمَانِ بَعْدَ أَنْ تَنَالَهُ الْغَلْبَةُ، أَيِ يَجْعَلُ لَهُمُ
الدُّوْلَةَ فِي وَقْتٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ لِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ.

(١) سورة المجادلة ٥٨ - ٢٢.

وتأويل وليعلم الله الذين آمنوا - والله عز وجل - قد علمهم قبل ذلك :
معناه يعلم ذلك واقعاً منهم - كما قال عز وجل - ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ
الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ﴾^(١).

أي ليقع ما علمناه غيباً مشاهدة للناس ، ويقع منكم . وإنما تقع المجازاة
على ما علمه الله من الخلق وقوعاً لا على ما لم يقع وما لم يعلموه - قال الله
عز وجل : ﴿وَأِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾^(٢) . وقال : ﴿إِنَّمَا تَجْزُونَ مَا
كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(٣).

وقوله عز وجل : ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾.

المعنى جعل الله الأيام مداولة بين الناس ليمحص المؤمنين بما يقع
عليهم من قتل في حربهم ، أو ألم أو ذهاب مال ، ويمحق الكافرين :
ليستأصلهم . وجائز أن يكون يمحقهم يحبط أعمالهم ، وتأويل ، المحص في
اللغة التَّنْقِيَةُ والتخليص ، - قال محمد بن يزيد - رحمه الله - يقال مَحَصَ
الحبل مَحْصاً ، إِذَا ذَهَبَ مِنْهُ الْوَبَرُ حَتَّى يَمْلَصَ وَحَبْلٌ مَحِصٌ أَوْ مِلَصٌ بمعنى
واحد ، قال وتأويل قول الناس : مَحِصٌ عَنَّا ذُنُوبُنَا : أَي أَذْهَبَ عَنَّا مَا تَعَلَّقَ بِنَا
من الذنوب .

وأخبرنا محمد بن يزيد أن حُنَيْفَ الْحَنَاتِمِ وَرَدَ مَاءٌ يُقَالُ لَهُ «طَوِيلِع»^(٤)
فقال : «والله أنك لم تحص الرشا بعيد المستقي مظل على الأعداء ، ولو سألتني
أعناق الإبل لأعطيتك» أي لو تقطعت أعناق الإبل إليك لقصدتك . ومعنى
محص الرشاء أي هو طين حر ، فالرشا تتملص من اليد . فمعنى يمحص

(١) سورة القتال ٤٧ - ٣١ .

(٢) سورة آل عمران ٣ - ١٥٨ .

(٣) سورة الطور ٥٢ - ١٦ .

(٤) اللسان عن الأزهرى - طويلع ركية عادية بناحية الشواجن عذبة الماء قرية الرشاء .

الذين آمنوا: يخلصهم من الذنوب. وقال محمد بن يزيد - رحمه الله - أيضاً وغيره من أهل اللغة مَحَصَ الظبي يَمَحَص إذا عدا عدواً شديداً، وقال هو وحده: تأويله أنه لا يخلط حدثه في العدو ونياً ولا فتوراً.

وقال غيره مَحَصَ الظبي يَمَحَص ومَحَصَ بمعنى واحد: إذا عدا عدواً يكاد أن ينفد^(١) فيه من شدته. ويقال: وُسْتُحِب من الفرس أن تُمَحَص قوائمه أي تخلص من الرهل^(٢).

قال أبو إسحق: وقرأت عليه أيضاً عن الخليل: المَحَصُ التخليص يقال مَحَصَت الشيء أَمَحَصَه مَحْصاً إذا خلصته وقال بعض أهل اللغة: ﴿وليمحس الله الذين آمنوا﴾ أي وليمحس الله ذنوب الذين آمنوا - ولم يُخْبَرُوا بحقيقة المحص ما هو^(٣).

وقوله عز وجل: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾.

وقرأها الحسن: ويعلم الصَّابِرِينَ بالكسر على العطف ومن، قرأ ويعلم الصابرين فعلى النصب بالواو. المعنى ولما يقع العلم بالجهاد والعلم بصبر الصابرين، ولما يعلم الله ذلك واقعاً منهم. لأنه جل وعز يعلمه غيباً، وإنما يجازيهم على عملهم، وتأويل «لَمَّا» أنها جواب لقول القائل قد فعل فلان فجوابه لَمَّا يَفْعَل^(٤) وإذا قال، فَعَل فجوابه لَم يَفْعَل، وإذا قال: لقد فجوابه مَا

(١) انفذ انقطع أي يكاد يقتل من شدة الجهد.

(٢) أي الدهن والشحم. قال: محص الشوي معصوبة قوائمه.

(٣) أي يخلصهم منها كما يخلص الفرس من الرهل - وذلك بعفوه سبحانه، أو بتوفيقهم إلى مثل هذا العمل الذي يرفع درجاتهم عند الله ويزيل سيئاتهم.

(٤) إذا قال «قد فعل» - ففي كلامه بعض تأكيد - فيجواب بلما - وهي تدل أنه لآن لم يفعل - وينتظر وقوعه - وإذا قال «فعل» - فهو خال من التوكيد فيجواب بلم وهي تدل أنه لم يحدث في

يفعل، كأنه قال: واللّه هو يفعل، يريد ما يُستقبل فجوابه لَنْ يفعل ولا يفعل. هذا مذهب النحويين.

وقوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّونَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ﴾.

أي كنتم تمنّون القتال، هو سبب الموت، والمعنى ولقد كنتم تمنّون سبب الموت، وذلك أنهم كانوا يتمنّون أَنْ يُطْلَقَ لهم القتال - قال الله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كَفُوا أَيَدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾^(١).

وقوله عز وجل: ﴿فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾.

قيل فيه غير قول. قال الأخفش معناه التوكيد، وقال بعضهم وأنتم تنظرون إلى محمد ﷺ.

والمعنى - والله أعلم - فقد رأيتموه وأنتم بصراء كما تقول: قد رأيت كذا وكذا، وليس في عينيك عمّة^(٢) أي قد رأيته رؤية حقيقية، وهو راجع إلى معنى التوكيد.

وقوله عز وجل: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾. أي قد مضت من قبله الرسل، المعنى أنه يموت كما ماتت الرسل قبله.

﴿أَفَأَنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾.

أي ارتدّدتم عن دينكم - وروي أن بعض من كان في يوم أحد ارتدّد^(٣)،

الماضي. أما إذا قال لقد فعل - ففيه مزيد توكيد. لأنه باللام وقد، فيجاء بتوكيد مثله - ما فعل.

(١) النساء ٤ - ٧٨.

(٢) أي ليس بعينيك عمي بحجب رؤيته. وفي الأصول «علمه» ولا يناسب ما بعده.

(٣) ارتد أي رجع قبل أن يصل إلى ميدان الحرب، وكان النبي ﷺ رفض مساعدة اليهود، إذ لا =

ويعضهم مضى مسافة ثلاثة أيام، فأعلم الله جلّ وعزّ أن الرسل ليست باقية في أممها أبداً وأنه يجب التمسك بما أتت به، وإن فقد الرسول بموت أو قتل.

وَألف الاستفهام دخلت على حرف الشرط ^(١) ومعناها الدخول على الجزاء، المعنى أتقلبون على أعقابكم إن مات محمد أو قُتل، لأن الشرط والجزاء معلق أحدهما بالآخر فدخلت ألف الاستفهام على الشرط وأنبأت عن معنى الدخول على الجزاء، كما أنك إذا قلت هل زيد قائم فإنما تستفهم عن يامه لا من هو، وكذلك قولك ما زيد قائماً إنما نفيت القيام ولم تنف زيدا، لكنك أذخلت «ما» على زيد لتعلم من الذي نفى عنه القيام، وكذلك قوله عز وجل: ﴿إِن مِّمَّنْ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾ ^(٢).

وقوله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾.
المعنى ما كانت نفس لتموت إلا بإذن الله، وقوله عز وجل: ﴿كِتَابًا مُّؤَجَّلًا﴾.

على التوكيد، المعنى كتب الله ذلك كتاباً مؤجلاً أي كتاباً ذا أجل، والأجل هو الوقت المعلوم، ومثل هذا التوكيد قوله - عز وجل: ﴿كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ ^(٣) لأنه لما قال: ﴿حَرَمْتُ عَلَيْكُمْ أَمْهَاتِكُمْ وَبَنَاتِكُمْ﴾ ^(٤) دل ذلك على أنه مفروض عليهم فكان قوله: ﴿كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ توكيداً، وكذلك قوله عز وجل: ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتَقَنَ كُلُّ شَيْءٍ﴾ لأنه لما قال: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا

يستعان بمشرك على مشرك، ورجع حليفهم عبد الله بن أبي بعد ذلك ومعه ثلث المحاربين اليهود.

(١) في ط، ب، حروف الشرط.

(٢) في ط، ب، حروف الشرط.

(٣) الأنبياء ٢١ - ٢٤.

(٤) النساء ٤ - ٢٤ - ٢٣.

جَامِدَةً وَهِيَ تَمْرٌ مَرَّ السَّحَابِ ﴿١﴾، دل ذلك على أنه خَلَقَ اللَّهُ وَصُنْعُهُ، فقال: ﴿صُنِعَ اللَّهُ﴾ وهذا في القرآن في غير موضع - وهذا مجراه عند جميع النحويين .

وقوله عز وجل: ﴿وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾ .

أي من كان إنما يقصد بعمله الدنيا أُعطي منها، وكل نعمة فيها العبد فهي تفضل من الله إعطاءً منه . ومن كان قصده بعمله الآخرة آتاه الله منها، وليس في هذا دليل أنه يحرمه خير الدنيا، لأنه لم يقل ومن يرد ثواب الآخرة لم نُؤْتِهِ إِلَّا مِنْهَا، والله عز وجل ذو الفضل العظيم .

وقوله عز وجل: ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ﴾ .

تفسيرها «كم من نبي»، وفيها لغتان جيدتان بالغتان يقرأ بهما جميعاً . يقرأ وكَايْنٍ بتشديد وكاَيْنٍ على وزن فاعل . وأكثر ما جاء الشعر على هذه اللغة قال جرير: (٢)

وكائن بالأباطح من صديق يراني لو أَصَبْتُ هو المصابا

وقال الشاعر أيضاً: (٣)

(١) النمل ٢٧ - ٨٨ .

(٢) من بانيته له في مدح الحجاج . الخزانة ٢ - ٤٥٥ ، ابن يعيش ٣ - ١١٠ وشواهد المغني ٧١٨ الأباطح جمع أبطح ، وبطحاء . كل مكان يتسع ، ويقصد هنا منشأ بالصحراء أي إن له أصدقاء يرونه كأنفسهم إذا مسه ضر الموال له كأنه بهم .

(٣) هو عمر بن شاس من فحول الجاهليين المخضرمين عده ابن سلام من شعراء الطبقة العاشرة أدرك الإسلام شيخاً وقال ابن حجر (الإصابة ٥٨٦٨) إنه شهد موقعة القادسية . وأنظر الأغاني ١٠ - ٦٣ ، بولاق وأمالى المرتضى ١ - ٢٩٧ ورواية البيت بهما يردي المقنعا ١ - ٢٩٧ أي يقتله وفي هذه الرواية يردي مقنعا - أي يقتل ، يريد رددناه بالقتل رغم ما هو فيه من سلاح .

وكائن رَدَدْنَا عَنْكُمْ مِنْ مَدَجَجٍ يَجِيءُ أَمَامَ الْأَلْفِ يُرَدِّي مَقْنَعًا
ومثل التشديد قوله :

كَأَيِّنْ فِي الْمَعَاشِرِ مِنْ أَنْاسٍ أَخُوهُمْ فَوْقَهُمْ، وَهُمْ كِرَامٌ^(١)
أَعْلَمَ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ أَنْ كَثِيرًا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ قَاتَلَ مَعَهُ جَمَاعَةٌ فَلَمْ يَهْنُوا - فَقَالَ
اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿رَبِّيُونَ كَثِيرٌ﴾ .

﴿فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا﴾ .
معنى ﴿فَمَا وَهَنُوا﴾ فما فَتَرُوا ، ﴿وَمَا ضَعُفُوا﴾ : وما جَبُنُوا عَنْ قِتَالِ عَدُوِّهِمْ ،
ومعنى ﴿مَا اسْتَكَانُوا﴾ : مَا خَضَعُوا لِعَدُوِّهِمْ وَتَقَرَّأُوا - وَهُوَ الْأَكْثَرُ^(٢) رَبِّيُونَ بِكُسْرِ
الرَّاءِ ، وَبَعْضُهُمْ يَقْرَأُ رَبِّيُونَ - بِضَمِّ الرَّاءِ .

وقيل في تفسير رببون . كثيراً أنهم الجماعات الكثيرة، وقال بعضهم
الرَّبْوَةُ عَشْرَةُ آلَافٍ^(٣) وقيل الرببون العلماءُ الْأَتْقِيَاءُ : الصُّبْرُ عَلَى مَا يُصِيبُهُمْ فِي
اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - وَكَلَا الْقَوْلَيْنِ حَسَنٌ جَمِيلٌ ، وَتَقَرَّأُ : قَتَلَ مَعَهُ ، وَقَاتَلَ مَعَهُ ، فَمَنْ
قَرَأَ قَاتَلَ الْمَعْنَى إِنَّهُمْ قَاتَلُوا وَمَا وَهَنُوا فِي قِتَالِهِمْ ، وَمَنْ قَرَأَ قُتِلَ ، فَالْأَجُودُ أَنْ
يَكُونَ «قَتَلَ» لِلنَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْمَعْنَى . وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَتَلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ فَمَا
وَهَنُوا بَعْدَ قِتَالِهِ^(٤) ، لِأَنَّ هَؤُلَاءِ الْفَرِيقَ وَهَنُوا كَانُوا تَوَهَّمُوا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَتَلَ ، فَأَعْلَمَ
اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - أَنَّ الرِّبَانِيِّينَ بَعْدَ قِتَالِ نَبِيِّهِمْ مَا وَهَنُوا . وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ قَتَلَ
لِلرِّبَانِيِّينَ ، وَيَكُونَ فَمَا وَهَنُوا ، أَيَّ مَا وَهَنَ مِنْ بَقِيٍّ مِنْهُمْ .

(١) المعاشر جمع معشر وهم أهل الشخص - والمعشر الجماعة يستعمل للرجال دون النساء ، لا
واحد له من لفظه . المعاشر جماعات الناس يريدون يرفعون نزيلهم عن كرم خُلُقٍ وطيب نفس
لا عن مراعاة وتضجر .

(٢) ك وهي الأكثر .

(٣) في الأصول عشرة ألف وهو خطأ .

(٤) ليس بجيد لخلو الجملة من واو الحال . وإنما هو قتل ممن معه ، كما تقول : أصاب له ولدًا
وقتل له صديقًا .

وقوله جلّ وعزّ: ﴿وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ .

تقرأ ﴿قولهم﴾ بالنصب ويكون الاسم: ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾ فيكون المعنى ما كان قَوْلُهُمْ إِلَّا استغفارُهم، أي قولهم اغفر لنا - ومن قرأها بالرفع جعل خبر كان ما بعد إلا، والأكثر في الكلام أَنْ يكون الاسم هو ما بعد إلا - قال الله عزّ وجلّ ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾^(١) ﴿وَمَا كَانَ حُجَّتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾^(٢) .

ومعنى: ﴿وَبُيِّنَتْ أَقْدَامَنَا﴾ أي ثبتنا على دينك . وإذا بُتِّهَتْهم على دينهم ثبتوا في حربهم - قال الله عزّ وجلّ - ﴿فَتَنَزَّلَ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا﴾^(٣) المعنى تَزَلُّ عن الدين .

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَاتَّاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا﴾ .
أي ظفّرهم وغنّمهم . ﴿وَحَسُنَ ثَوَابُ الْآخِرَةِ﴾ .
المغفرة وما أعد لهم من النعيم الدائم .
وقوله جلّ وعزّ: ﴿بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ﴾ .
أي هو وليكم، وإذا كان وليهم فهو ناصرهم ﴿إِلَّا إِنْ حَزَبَ اللَّهُ هُمْ الْغَالِبُونَ﴾ .

وقوله جلّ وعزّ: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ .
يروى عن النبي ﷺ أنه قال: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وقال يُرْعَبُ مِنِّي عَدُوِّي من مسيرة شهر، وقال الله عزّ وجلّ: في سورة الحشر: ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾^(٤) .

(١) النمل ٢٧ - ٥٩ .

(٢) الجاثية ٤٥ - ٥ . ذلك لأن المصدر المذول من أن والفعل أولى أن يكون مبتدأ .

(٣) النحل ١٦ - ٢٤ .

(٤) الحشر الآية (٢) .

وقوله عز وجل: ﴿بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾.

أي أشركوا به ما لم يُنزل به حُجَّةٌ، والسلطان في اللغة الحجة ومثله ﴿ما أغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه﴾^(١) أي ذهبت عني حجيتي.

وقوله جل وعز: ﴿إِذْ تَحْسُونَهُمْ بِإِذْنِهِ﴾.

معناه تستأصلونهم قتلاً، يقال حسهم القائد يحسهم حساً إذا - قتلهم، ويقال هل حسست كذا وكذا أي هل رأيته أو علمته. ويقال ما حسست فلاناً، وهل حسست له - والكسر أكثر - أي ما رفقت عليه ولا رحمته ويقال جيء به من حسك ويسك، أي من حيث ما كان ولم يكن، كذلك لفظ الأصمعي، وتأويله جيء به من حيث تدركه حاسة من حواسك، أو يدركه تصرف من تصرفك، ومعنى ﴿بِإِذْنِهِ﴾ بعلمه.

وقوله جل وعز: ﴿حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ﴾.

أي جبنتم عن عدوكم، ﴿وتنازعتم﴾ اختلقتن من بعد ما أراكم ما تحبون: لأنهم أعطوا النصر فخالفوا فيما قيل لهم في حربهم فعوقبوا بأن ديل منهم^(٢).

وقوله جل وعز: ﴿مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا﴾.

أي منكم من قصده الغنيمَةُ في حربه ﴿ومِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾. أي يقصد بحربه إلى ما عند الله.

وقوله جل وعز: ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ تُصْعِدُونَ﴾...

وتصعدون جميعاً، قد قرئ بهما، فمن قال تُصْعِدُونَ فهو لكل من

(١) الحاقة ٦٩ - ٢٩.

(٢) ذهبت الدولة منهم وانتصر عدوهم عليهم.

ابتداً مسيراً من مكان فقد أصعد، والصعود إنما يكون من أسفل إلى فوق، ومن قرأ تَصْعَدُونَ فالمعنى إذ تَصْعَدُونَ في الجبل ولا تَلَوُّونَ على أحد.

وقوله عز وجل: ﴿فَأَنَابُكُمْ غَمًّا بَغَمٍّ﴾، أي أتابكم بأن غمتم النبي ﷺ أن نالكم غم - بما عوقبتم به للمخالفة وقال بعضهم غمًا بغم إشراف خالد بن الوليد عليهم بعد ما نالهم.

وقوله جل وعز: ﴿لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ﴾ من غنيمة.
﴿وَلَا مَا أَصَابَكُمْ﴾.

أي ليكون غمكم بأن خالفتم النبي ﷺ فقط^(١).
وقوله جل وعز: ﴿ثُمَّ أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنٌ نُعَاسًا﴾.

أي أعقبكم بما نالكم من الرعب أن أمنكم أمناً تنامون معه، لأن الشديداً الخوف لا يكاد ينام. و﴿أَمْنٌ﴾ اسم تقول أمن الرجل أمناً وأمناً، إذا لم ينله خوف. و﴿نُعَاسًا﴾: منصوب على البدل من أمنة، ويقراً يغشى وتغشى طائفة منكم فمن قرأ يغشى - بالياء - جعله للنعاس ومن قرأ تغشى بالتاء جعله للأمنة. والأمنة تؤدي معنى النعاس.

وإن قرىء يغشى جاز - وهذه الطائفة هم المؤمنون، ﴿وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ وهم المنافقون.

وقوله جل وعز: ﴿يُظَنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ﴾، أي يظن المنافقون أن أمر النبي ﷺ مضمحل.

﴿ظَنُّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾: أي هم على جاهليتهم في ظنهم هذا والقراءة، ﴿وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ - قال سيويو: المعنى إذ طائفة قد أهتمهم وهذه واو

(١) أي حزنكم لأنكم خالفتم النبي - أنساكم الحزن على فوات الغنيمة والحزن على ما نالكم من الهزيمة، وفقد رجال منكم.

الحال، ولو قرئت: ﴿وطائفة قد أهمتهم أنفسهم﴾، على إضمار فعل [أهم] الذي ظهر تفسيره كان جائزاً. المعنى وأهمت طائفة أنفسهم، وجائز أن يرتفع على أن يكون الخبر يظنون ويكون قد أهمتهم نعت طائفة، المعنى وطائفة تهمهم أنفسهم يظنون، أي طائفة يظنون بالله غير الحق.

وقوله عز وجل: ﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ﴾.

تقرأ ﴿بُيُوتِكُمْ﴾ بضم الباء وكسرها، وروى أبو بكر بن عياش عن عاصم بكسر الباء، قال أبو إسحق: وقرأناها بإقراء أبي عمرو عن عاصم بُيُوتِكُمْ بضم الباء، والضم الأكثر الأجود - والذين كسروا «بُيُوت» كسروها لمجيء الياء بعد الباء و«فِعُول» ليس بأصل في الكلام، ولا من أمثلة الجمع، فالاختيار «بُيُوت» مثل قلب وقلوب وفلس وفلوس.

وقوله عز وجل: ﴿لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ﴾.

معنى «برزوا» صاروا إلى براز، وهو المكان المنكشف أي لأوصلتهم الأسباب التي عنها يكون القتل إلى مضاجعهم.

وقوله عز وجل: ﴿وَلِيَتْلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ﴾.

أي يختبره بأعمالكم لأنه علمه غيباً فيعلمه شهادة^(١) لأن المجازاة تقع على ما علم مشاهدة، أعني على ما وقع من عامله، لا على ما هو معلوم منهم.

وقوله عز وجل: ﴿قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾.

فمن نصب فعلي توكيد ﴿الأمْر﴾ ومن رفع فعلي الابتداء - و﴿لِلَّهِ﴾ الخبر ومعنى ﴿الأمْر كله لِلَّهِ﴾ أي النصر وما يلقي من الرعب في القلوب لِلَّهِ، أي كل ذلك لِلَّهِ.

(١) ك مشاهدة.

وقوله جلَّ وعزَّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾.

هذا خطاب للمؤمنين خاصة .

﴿إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾.

أي لم يتولَّوا في قتالهم على جهة المعاندة، ولا على الفرار من الزحف
رغبة في الدنيا خاصة، وإنما أذكروهم الشيطان خطايا كانت لهم فكروها لقاء
الله. إلا على حال يرضونها، فلذلك عفا عنهم^(١) وإلا فأمر الفرار والتولي في
الجهاد إذا كانت العدة أقل من المثلين، أو كانت العدة مثلين، فالفرار أمر
عظيم^(٢).

قال الله عز وجل: ﴿وَمَنْ يُؤَلِّهْ يَوْمَئِذٍ دُبْرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا
إِلَى فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ﴾^(٣) وهذا يدل أن أمر الوعيد
لأهل الصلاة^(٤) أمر ثابت، وأن التولي في الزحف من أعظم الكبائر.

وقوله عز وجل: ﴿أَوْ كَانُوا غُرَى﴾.

القراءة وما ثبت في المصحف على القصر وفعل جمع فاعل نحو

(١) هذا رأي الزجاج خاصة، وقد نقله عنه بعض المفسرين منسوبا إليه، ويظهر أن الذي وجهه إليه
أن بعض الصحابة الكبار أمثال عثمان بن عفان، كانوا من الفارين. ولكن حالهم لا تدل على
ذلك، فهم فروا مهزومين خائفين، ثم إن الشيطان لا يأتي الناس بهذه العظة وهي التخويف من
الذنوب إنما هو يغويهم ويحرضهم على فعلها.

والواضح من الآية أن ﴿استزلهم﴾ أي وقعهم في الزلل، والزلة السقطة، ومما اكتسبوه في هذا
الموقف مخالفة أمر النبي ﷺ حيث أمرهم ألا يبرحوا مكانهم ففارقوه. وقد عفا الله عنهم لأنهم
لم يكونوا ذوي قصد سيء.

(٢) أي إذا كان عدد العدو ضعف المسلمين أو أقل، وهذا هو الحكم الفقهي أخذا من الآية ﴿إِنْ
يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾، وإن يكون منكم ألف يغلبوا ألفين ﴿(الأنفال ٨ - ٦٦)﴾.

(٣) الأنفال ٨ - ١٦.

(٤) أي أن المسلمين ينالون عقوبة في جهنم كالكفار، إلا أنهم لا يخلدون وهو يرد على من زعموا
أن المسلمين ليسوا كذلك.

ضارب، وضرب، وشاهد وشهد، ويقع على فَعَال نحو حارب وحُراب، وضارب وضُراب. وغَزَاء. يجوز إلا أنه لا يكون في القراءة لأنه ممدود^(١).

وقوله عز وجل: ﴿لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾.

أي ليجعل ظنهم أنهم لو لم يحضروا - وإذا لم يحضروا - الحرب اندفع عنهم ما كتب عليهم. فحسرتهم فيما ينالهم أشد.

﴿وَاللَّهُ يُخَيِّي وَيُمِيتُ﴾.

أي ليس الإنسان يمنعه تحضره من إتيان أجله على ما سبق في علم الله.

وقوله عز وجل: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾.

«ما» بإجماع النحويين وهنا صلة لا تمنع الباء من عملها فيما عملت. المعنى فبرحمة من الله لنت لهم. إلا أن «ما» قد أحدثت بدخولها تأكيد المعنى، ولو قرئت فيما رحمة من الله جاز، المعنى فيما هو رحمة^(٢) كما أجازوا... ﴿مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً﴾^(٣) ولا تقرأ بها، فإن القراءة سنة [و] لا يجوز أن يقرأ قارئ بما لم يقرأ به الصحابة أو التابعون أو من كان من قراء الأمصار المشهورين في القراءة.

والمعنى أن لينك لهم مما يُوجب دخولهم في الدين لأنك تأتيهم بالحجج والبراهين مع لين وخلق عظيم.

﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾.

(١) أي ولم تثبت قراءة بالمد.

(٢) أي أن ما موصولة وصدر الصلة محذوف.

(٣) أجازوه إعراباً لا قراءة، والآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾.

الْفَظُّ: الغليظُ الجانبُ السيِّءُ الخُلُقُ، يقالُ فَظَّظْتُ تَفَظُّ فَظَاطَةً، وفَظَظًا، إِلَّا أَنْ فَظَاطَةً أَكْثَرُ لِثَقُلِ التَّضْعِيفِ، وما كان من الأسماءِ على «فَعَلٍ» في المضاعفِ فغير مدغم نحو المَدَدُ والشرَرُ، وما كان على «فَعَلٍ» فمدغم على كل حال نحو رجل صب، وأصله صَبَبٌ وكذلك فظ وأصله فَظَظٌ، ومثله من غير المضاعف. قد فَرَّقْتَ تفرق، فَرَقًا، وَأَنْتَ فَرِقٌ، وإذا اضطر شاعر رد فَعَلًا إلى أصله في المضاعف قال الشاعر:

مهلاً أعاذل قد جربت من خلقي . أني أجود لأقوام وقد ضننوا^(١)

«والفظ ماء الكرش، والفرت وسمي فظاً لغلظ مشربه».

وقوله عز وجل: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾.

أي شاورهم فيما لم يكن عندك فيه وحي، فأما ما فيه أمر من الله جلَّ وعزَّ ووحى فاشتراك الآراء فيه ساقط.

وإنما أراد الله عز وجل - بذلك السنة في المشاورة، وأن يكرم أصحابه بمشاورته إياهم، ثم أمر بعد الإجماع على الرأي ﷺ بالتوكل على الله - عز وجل - قال: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾.

أي لَا تَظَنَّ أَنَّكَ تَنَالُ مَنَالًا تَحِبُّهُ إِلَّا بِاللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ.

وقوله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ﴾.

وأن «يُغَلَّ» قرئنا جميعاً.

فمن قرأ ﴿أَنْ يَغُلَّ﴾ فالمعنى: وما كان لنبي أن يخون أُمَّتَهُ وتفسير ذلك أن

(١) اللسان (ضمن) شرح شواهد المغني ٣٢٦ كتاب سيبويه ١٦٥ باريس، الخصائص ١٦٠ وهو لقعنب بن أم صاحب بن ضمرة من غطفان شاعر إسلامي توفي في سنة ٩٥ هـ ويسمى أيضاً قعنب الفزاري لأن فزارة من غطفان، التبريزي ٤ - ١٢ والبيت من الشواهد النحوية على فك ما يستحق الإدغام.

النبي ﷺ جمع الغنائم في غزاة، فجاءه جماعة من المسلمين فقالوا: ألا تقسم بيننا غنائمنا فقال ﷺ لو أن لكم عندي مثل أحد ذهباً ما منعكم درهماً أتروني أغلکم مغنمکم، ويروى عن النبي ﷺ أنه قال: ألا لا أعرفن رجلاً يأتي يوم القيامة ومعه شاة قد غلّها لها ثغاء، ألا لا أعرفن رجلاً يأتي يوم القيامة ومعه بعير قد غله له رغاء، ألا لا أعرفن رجلاً يأتي يوم القيامة ومعه فرس قد غله له حمّمة.

ومن قرأ أن يُغلّ فهو جائز على ضريين: أي ما كان لنبي أن يغله أصحابه، أي يخونوه - وجاء عن النبي ﷺ لا يحبس أحدكم خيلاً ولا مخيلاً.

وأجاز أهل اللغة أن يُغلّ أن يُخون^(١) ويقال: أغلّلت الجلد إذا سلخته فأبقيت فيه شيئاً من الشحم، وقد غل الرجل يغلّ إذا خان لأنه أخذ شيئاً في خفاء، فكل ما كان من هذا الباب فهو راجع إلى هذا، من ذلك الغال وهو الوادي الذي ينبت الشجر وجمعه غُلان، ومن ذلك الغلّ وهو الحقد، وتقول قد أغلّت الضيعة فهي مُغلّة إذا أتت بشيء وأصلها باق - قال زهير:

فَتَغْلِلْ لَكُمْ مَا لَا تَغِلُّ لِأَهْلِهَا قرى بالعراق من قفيز ودرهم^(٢)
والغلالة: الثوب الذي يُلبس «تحت الثياب»^(٣) والذي يلبس تحت
الدرع - درع الحديد - غلالة، وتغلّلت بالغالية «وتغلّيت»^(٤) إنما هو جعلها في

(١) هذا هو الوجه الثاني - أي لا ينبغي أن يخونوه، ولا أن يتهموه بالخيانة.

(٢) من معلقته - والضمير يعود على الحرب التي ذكرت في بيت سابق:

(وما الحرب إلا ما عرفتكم وذقتموا)

يقول إنها لا تنتج لهم ما تنتج الأرض الزراعية من ثمار وأموال ولكن تنتج لهم فتياناً مشائب

كأحمر ثمود، ديوانه - ٢٠ وفي شرح العشر للتبريزي فتنتج.

(٣) ليست في ك. وفي ط - الذي يلبس تحت الثياب.

(٤) ليست في ك. وتغلّيت أصله تغلّلت - قلبت اللام ياء - كما في تفضي البازي. والغالية نوع

من الطيب يدهن به، وتغلّيت بها تطيبت.

أصول الشعر. والغُلُّ الماء الذي يجري في أصول الشجر.

ومعنى «وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى».

معنى إذا ههنا ينوب عما مضى من الزمان وما يستقبل جميعاً والأصل في «إِذَا» الدلالة على ما مضى، تَقُولُ أَتَيْتَكَ إِذْ قُمْتَ وَأَتَيْتَكَ إِذَا جِئْتَنِي، ولم يقل ههنا «إِذَا ضَرَبُوا» في الأرض، لأنه يريد شأنهم هذا أبداً، ومثل ذلك في الكلام: فلان إِذَا حَدَثَ صَدَق، وَإِذَا ضُرِبَ صَبِر. «فَإِذَا» لِمَا يُسْتَقْبَل، إِلَّا أَنَّهُ لم يحكم له بهذا المستقبل إلا بما خبر منه فيما مضى.

وقوله جَلَّ وَعَزَّ: «وَشَاوَرَهُمْ فِي الْأَمْرِ».

يقال شاورت الرجل مُشَاوَرَةً وشواراً، وما يكون من ذلك فاسمه المَشُورَة، وبعضهم يقول المشورة. يقال فلان حسن الصورة والمشورة أي حسن الهيئة واللباس وإنَّهُ لَشَيْرٌ (صَيِّنٌ)^(١) وحسن الشارة والشوار متاع البيت، ومعنى شاورت فلان أظهرت في الرأي ما عندي وما عنده، وشُرَّت الدابة أشورها إِذَا امْتَحَنَتْهَا فَعَرَفْتَ هَيْئَتَهَا فِي سِيرِهَا. ويقال شُرَّت العسل وأَشْرَتْ العسل إِذَا أَخَذَتْهُ مِنْ مَوَاضِعِ النَحْلِ وَعَسَلَ مَشُور، قال الأعشى^(٢).

كَأَنَّ الْقَرْنَفَلَ وَالزَّنَجِيلَ بَاتَا بِفِيهَا وَأَرِيَا مَشُورَا

«وَالْأَرِيَّ الْعَسْلُ، وَيُقَالُ عَسَلَ مُشَارٌ، قَالَ الشَّاعِرُ:

وَعَنَاءُ يَأْذَنُ الشَّيْخَ لَهُ وَحَدِيثٌ مِثْلُ مَاذِي مُشَارٍ^(٣)

(١) ليست في ك. وفي ط - الذين يلبس ويلبس تحت الثياب.

طيب يَدْمَنُ بِهِ، وَتَغْلِيَتْ بِهَا تَطْيِئْتُ.

(٢) فِي اللِّسَانِ (شُور): كَانَ جَبِيئاً مِنَ الزَّنَجِيلِ بَاتَ بِفِيهَا وَقَالَ: أَشْرَتْهُ لَغَةً.

(٣) عَدِي بْنُ زَيْدٍ - اللِّسَانُ (شُور) وَقَبْلَهُ:

وَقَلَاهُ قَدْ تَلْهَيْتُ بِهَا وَقَصُرْتُ الْيَوْمَ فِي بَيْتِ عِذَارِي
وَيَأْذَنُ بِمَعْنَى يَسْتَمَعُ.

قوله جَلَّ وَعَزَّ: ﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ﴾.

يقرأ رضوان بكسر الراء، ورضوان بضم الراء، وقد رويتا جميعاً عن عاصم.

﴿كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ﴾.

يروى أن النبي ﷺ حين أمر المسلمين في أحد باتباعه، اتبعه المؤمنون وتخلف عنه جماعة من المنافقين، فأعلم الله جَلَّ وَعَزَّ: أن من اتبع النبي ﷺ فقد أتبع رضوان الله، ومن تخلف عنه فقد بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ ومعنى بَاءَ ذنبه: احتمله، وصار المذنب مأوى الذنب، ولذلك^(١) بَوَاتُ فُلَاناً منزلاً أي جعلته ذا منزل.

وقوله جَلَّ وَعَزَّ: ﴿هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ﴾.

أي المؤمنون ذوو درجة رفيعة، والكافرون ذوو درجة عند الله وضيعة^(٢) ومعنى ﴿هُمْ دَرَجَاتٌ﴾: هم ذوو درجات، لأن الإنسان غير الدرجة «كما تقول: الناس طبقات أي ذوو طبقات»^(٣) وأنشد سيبويه.

أُنْصِبَ لِلْمَنِيَةِ تَعْتَرِيهِمْ رَجَالٌ أَمْ هُمُودُ رَجِ السَّيُولِ^(٤)

(١) ك، وط ولذلك باء بذنبه. (٢) الكلمة غامضة في الأوصل، وأصلحناها كذلك.

(٣) عن ك فقط.

(٤) من شواهد سيبويه عن يونس - وروايته رجالي. ويروى أيضاً: أرجعاً للمنون يكون قمصي لريب الدهر. . ونصّب بضم النون أي هدف - ودرج السيول المنحدر الذي يجرف فيه السيول والبيت لابن هرمة - إبراهيم بن علي بن سلمة بن هرمة بن هذيل - وهم الخوارج انتسبوا إلى قريش ورفعوا نسبهم إلى فهر فلم يقبله عمر، وقبله عثمان وفرض لهم. ابن هرمة شاعر جيد - كان مشهوراً بالإسراف في شرب النبيذ، يشكو كثرة الفانين منهم كأنهم هدف الموت أو يَمْتَحِدِرُ قد تساقطوا.

أنظر الأغاني ٩ - ١٠١، الخزائن ١ - ٢٤٠.

اللسان - (درج).

اي هم ذوو درج، ويجوز أم همو درج السيول على الظرف.
وقوله جل وعز: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾.

بعث الله محمداً ﷺ رسولاً وهو رجل من الأميين لا يتلو كتاباً ولا يخطه بيمينه، وبعثه بين قوم يخبرونه ويعرفونه بالصدق والأمانة وأنه لم يقرأ كتاباً ولا لُقنه فتلاً عليهم أقاصيص الأمم السالفة، والأنبياء الماضية لا يدفع أخباره كتاب من كتب مخالفته، فأعلم الله أنه من على المؤمنين بإرساله من قد عُرِف أمره، فكان تناول الحجة والبرهان وقبول الأخبار والأقاصيص سهلاً من قبله، وفي ذلك أعظم المنة.

وقد جاء في التفسير أنه يراد رسول من العرب ولو كان القصد في ذلك -والله أعلم- أن أمره إنما كانت فيه المنة أنه من العرب لكان العجم لا حجة عليهم فيه^(١).

ولكن الأمر -والله أعلم- أن المنة فيه أنه قد خُبر أمره وشأنه وعِلِمَ صدقه، وأتى بالبراهين بعد أن قد علموا أنه كان واحداً منهم.

وقوله جل وعز: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا﴾.
هذه الواو واو النسق، دخلت عليها ألف الاستفهام فبقيت مفتوحة على ميئتها قبل دخولها، ومثل ذلك في الكلام قول القائل: تكلم فلان بكذا وكذا، فيقول قائل مجيباً له أو هو ممن يقول ذلك^(٢).

وقيل في التفسير إن هذه المصيبة عنى بها ما نزل بهم يوم أحد،

(١) لكان هي جواب لو، المعنى لو كانت المنة بالنبي أنه عربي ما كان هناك منة على غير العرب لأنه ليس منهم - مع أنه منة على كل من استفاد من الإسلام عربياً أو غير عربي وأيضاً الآية . . .
﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ ولم يقل على العرب.

(٢) الأشهر بين النحويين أنها واو العطف قدم عليها حرف الاستفهام لأن الاستفهام له الصدارة ومنه أفتطمعون، أو لم ير الذين كفروا.

﴿أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا﴾ أَصَبْتُمْ لِي يَوْمَ أَحَدٍ مِثْلَهَا وَأَصَبْتُمْ يَوْمَ بَدْرٍ مِثْلَهَا، فَأَصَبْتُمْ مِثْلِي مَا أَصَابَكُمْ.

﴿قُلْتُمْ أَنِّي هَذَا﴾: أَيُّ مِنْ أَيْنَ أَصَابْنَا هَذَا.

﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ أَيُّ أَصَابَكُمْ بِمَعْصِيَتِكُمُ النَّبِيِّ ﷺ وَمَا مِنْ قَوْمٍ أَطَاعُوا نَبِيَّهُمْ فِي حَرْبِهِمْ إِلَّا نُصِرُوا، لِأَنَّهُمْ إِذَا أَطَاعُوا فَهُمْ حِزْبُ اللَّهِ، وَحِزْبُ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ.

وقوله جَلَّ وَعَزَّ: ﴿فَيَاذَنَ اللَّهُ﴾ أَمَا أَصَابَكُمْ كَانَ يَعْلَمُ اللَّهُ.

﴿وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا﴾:

أَيُّ لِيُظْهِرَ إِيْمَانَ الْمُؤْمِنِينَ بِشُبُوتِهِمْ عَلَى مَا نَالَهُمْ، وَيُظْهِرَ نِفَاقَ الْمُنَافِقِينَ بِفُشْلِهِمْ وَقِلَّةِ الصَّبْرِ عَلَى مَا يَنْزِلُ بِهِمْ فِي ذَاتِ اللَّهِ.

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾.

القراءة بالرفع ﴿بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ وَلَوْ قُرِئَتْ بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَجَازَ الْمَعْنَى أَحْسَبُهُمْ أَحْيَاءٌ وَقِيلَ فِي هَذَا غَيْرُ قَوْلٍ: قَالَ بَعْضُهُمْ لَا تَحْسَبُهُمْ أَمْوَاتًا فِي دِينِهِمْ بَلْ هُمْ أَحْيَاءٌ فِي دِينِهِمْ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأُحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ﴾^(١).

وقال بعضهم: لَا تَحْسَبُهُمْ كَمَا يَقُولُ الْكُفَّارُ إِنَّهُمْ لَا يَبْعَثُونَ بَلْ يَبْعَثُونَ.

﴿بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾.

وقيل إنَّ أَرْوَاحَهُمْ تَسْرَحُ فِي الْجَنَّةِ وَتَلَذُّ بِنَعِيمِهَا، فَهُمْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ، قَالَ بَعْضُهُمْ: أَرْوَاحُهُمْ فِي حَوَاصِلِ طَيْرٍ خَضِرٍ تَسْرَحُ فِي الْجَنَّةِ، ثُمَّ تُصَوَّرُ إِلَى قَنَادِيلٍ تَحْتَ الْعَرْشِ.

(١) الأنعام ٦ - ١٢٢.

وقوله جلّ ثناؤه: ﴿وَيَسْتَبِشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ﴾ .
أي لم يلحقوا بهم في الفضل إلا أن لهم فضلاً عظيماً بتصديقهم
وإيمانهم أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

فموضع «أن» خفض : المعنى يستبشرون بأن لا خوف عليهم ولا هم
يحزنون .

وقوله عز وجل : ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ .

﴿إن﴾ في موضع خفض المعنى ويستبشرون بأن الله لا يضيع ويجوز . .
﴿وإن الله لا يضيع أجر المؤمنين﴾ ، على معنى والله لا يضيع أجر المؤمنين ،
وكذلك هي في قراءة عبد الله «والله لا يضيع» . فهذا يقوى وإن بالكسر .

وقوله جلّ وعزّ : ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ
الْقَرْحُ﴾ .

أي من بعد ما أصابهم الجرح ، ومن قرأ القرح فمعناه ألم الجرح ،
﴿الذين﴾ جائز أن يكون في موضع خفض على النعت للمؤمنين ، والأحسن
أن يكون في موضع رفع بالابتداء ويكون خبر الابتداء للذين أحسنوا منهم
وإتقوا أجر عظيم .

وقوله جلّ وعزّ : ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ﴾ .

يقال في التفسير إن قاتل هذا نعيم بن مسعود الأشجعي^(١) بعثه أبو
سفيان وأصحابه يُبْطُونَ النبي ﷺ وأصحابه عن لِقِيهِمْ ، وكان بين المسلمين
وبين المشركين في يوم أحد موعد للقاء بيدر الصغرى ، فلم يلتفت المسلمون

(١) ويكنى أبا سلمة الأشجعي . أسلم في موقعة الخندق وهو الذي أوقع الخلف بين حي قريظة
وغطفان . وقتل في موقعة الجمل وقيل مات قبل ذلك في خلافة عثمان الإصابة : ٨٧٨٠ .

إلى تخويف نعيم وعزموا على لقاء القوم وأجابوه بأن قالوا: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾. وتأويل حسبنا الله أي: الذي يكفينا أمرهم الله.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿فَزَادَهُمْ إِيمَانًا﴾.

أي زادهم ذلك التخويف ثبوتاً في دينهم وإقامة على نصرة نبيهم، وصاروا إلى بدر الصغرى، وألقى الله في قلوب المشركين الرعب فلم تغفلوهم.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ﴾.

المعنى فلم يخافوا ما خافوا، وصاروا إلى الموعد الذي وعدوا فيه، فانقلبوا بنعمة، أي انقلبوا مؤمنين قد هرب منهم عدوهم. وقيل في التفسير إنهم أقاموا ثلاثاً واشتروا أذماً وزبيياً ربّحوا فيه، وكل ذلك جائز، إلا أن انقلابهم بالنعمة هي نعمة الإيمان والنصر على عدوهم.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿إِنَّمَا ذَلِكَ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾.

أي ذلك التخويف الذي كان فعل الشيطان، أي هو قوله^(١) للمخوفين، يخوف أوليائه، قال أهل العربية: معناه يخوفكم أوليائه، أي من أوليائه، والدليل على ذلك قوله جلّ وعزّ:

﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُواْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾.

أي كنتم مصدقين فقد أعلمتكم أنني أنصركم عليهم فقد سقط عنكم الخوف، وقال بعضهم يخوف أوليائه، أي إنما يخاف المنافقون، ومن لا حقيقة لإيمانه، فلا تخافوهم، أي لا تخافوا المشركين.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَنَّمَا نُضِلُّهُمْ خَيْرٌ لَّأَنفُسِهِمْ﴾.

(١) ك أي الشيطان سوله للمخوفين - وقوله هنا بمعنى كلامه.

وقرئت ولا تحسبن الذين كفروا إنما نملي لهم خيراً وقد قرئت ولا
تحسبن الذين كفروا إنما نملي لهم .

معنى ﴿نملي لهم﴾ ، نؤخرهم - وهؤلاء ، قوم أعلم الله النبي ﷺ أنهم لا
يؤمنون أبداً ، وأن بقاءهم يزيدهم كفراً وإثماً .

فأما الأعراب - فقال أبو العباس محمد بن يزيد : إن من قرأ بالياء
يحسبن فتح أن ، وكانت تنوب عن الاسم والخبر^(١) تقول حسبت أن زيدا
منطلق ، ويصح الكسر مع الياء - بفتح : ولا يحسبن الذين كفروا إنما نملي
لهم بكسر إن . وهو جائز على قبحه ، لأن الحسبان ليس بفعل حقيقي فهو
يبتل عمله مع أن ، كما يبتل مع اللام ، تقول حسبت لعبد الله منطلق ،
وكذلك قد يجوز على بعد : حسبت أن عبد الله منطلق .

ومن قرأ ولا تحسبن الذين كفروا لم يجز [له] عند البصريين إلا كسر
إن ، المعنى : لا تحسبن الذين كفروا ، إملأونا خير لهم ودخلت أن مؤكدة .

وإذا فتحت أن صار المعنى ولا تحسبن الذين كفروا إملأنا^(٢) قال أبو
إسحق وهو عندي في هذا الموضع يجوز على البدل من الذين ، المعنى لا
نحسبن إملأنا للذين كفروا خيراً لهم وقد قرأ بها خلق كثير .

ومثل هذه القراءة من الشعر قول الشاعر :^(٣)

فما كان قيسٌ هُلكهُ هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهلماً

(١) أي تسد مسد مفعولي حسب .

(٢) فالجملة إذن ناقصة ولهذا منعه البصريون . . وقدره الزجاج بدلاً مفعولاً أول والثاني هو «خيراً» .

(٣) هو عبده بن الطيب . يرثي قيس بن عاصم من ميمته المعروفة .

عليك سلام الله قيس بن عاصم ورحمته ما شاء أن يترحمها

والبيت في ابن يعيش ٣ - ٦٥ .

جعل هلكه بدلاً من قيس، المعنى فما كان هلك قيس هلك واحد.

وقوله عز وجل: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾.

يروي في التفسير أن الكفار قالوا للنبي ﷺ تخبرنا بأن الإنسان في النار حتى إذا صار من أهل ملتك قلت إنه من أهل الجنة. فأعلم الله عز وجل - أن حكم من كفر أن يقال له: إنه من أهل النار، ومن آمن فهو - ما آمن وأقام على إيمانه وأدى ما افترض عليه - من أهل الجنة وأعلم أن المؤمنين وهم ﴿الطَّيِّبُ﴾^(١) مُمَيِّزُونَ من ﴿الخبِيث﴾ أي مخلصون.

وقوله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظِلَّكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾.

أي ما كان الله ليعلمكم من يصير منكم مؤمناً بعد كفره، لأن الغيب إنما يطلع عليه الرُّسُل لإقامة البرهان، لأنهم رسل وأن ما أتوا به من عند الله، وقد قيل في التفسير: ما بالنا نحن لا نكون أنبياء، فأعلم الله أن ذلك إليه، وأنه يختار لرسالاته من يشاء.

وقوله عز وجل: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾.

هذا يعني به علماء اليهود الذين بخلوا بما آتاهم الله من علم نبوة النبي ﷺ. ومشاقة وعداوة وقد قيل إنهم الذين يبخلون بالمال فيمنعون الزكاة. قال أهل العربية: المعنى، لا يحسبن الذين يبخلون البخل هو خيراً لهم. ودل ﴿يبخلون﴾ على البخل. و﴿هو﴾ ههنا فصل، وهو الذي يسميه الكوفيون العماد، وقد فسرناه إلا أنا أغفلنا فيه شيئاً نذكره ههنا:

(١) أي المقصودون بكلمة «الطيب» في الآية ﴿حتى يميز الخبيث من الطيب﴾.

زعم سيبويه أن هو، وهما، وهم، وأنا، وأنت، ونحن وهي، وسائر هذه الأشياء إنما تكون فصولاً^(١) مع الأفعال التي تحتاج إلى اسم وخبر^(٢) ولم يذكر سيبويه الفصل مع المبتدأ والخبر، ولو تأول متأول أن ذكره الفصل ههنا يدل على أنه جائز في المبتدأ أو الخبر كان ذلك غير ممتنع^(٣).

قال أبو إسحق والذي أرى أنا في هذه، ولا يحسن الذين - ييخلون بالياء. ويكون الاسم محذوفاً^(٤). وقد يجوز ولا تحسن الذين ييخلون على معنى ولا تحسن بخل الذين ييخلون، ولكن حذف البخل من ههنا فيه قبح^(٥)، إلا أن حذفه مع قولك: ولا يحسن الذين ييخلون قد دل ييخلون [فيه] على البخل، كما تقول من كذب كان شراً له، والقراءة بالتاء عندي لا تمنع، فيكون مثل ﴿واسأل القرية﴾ أي أهل القرية، فكذلك يكون معنى هذا: لَا تُحَسِّنُ بُخْلَ الباخلين خيراً لهم.

وقوله عز وجل: ﴿وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

أي الله يغني أهلها فيغنيان بما فيهما، ليس لأحد فيهما ملك فخطوب لقوم بما يعقلون، لأنهم يجعلون ما رجع إلى الإنسان ميراثاً إذا كان ملكاً له.

وقوله عز وجل: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنَاءُ﴾.

هوؤلاء رؤساء أهل الكتاب لما نزلت ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً﴾

(١) تقع ضمير فصل.

(٢) النواسخ التي تدخل على مبتدأ أو خبر.

(٣) ولكنه مستبعد لوجود ﴿لا يحسن﴾ ويجوز أن الجملة قبل دخول حسب: ما آتاهم الله من فضله هو خير. وحيء بالفصل لبعد الخبر عن المبتدأ.

(٤) تقديره «يخلهم».

(٥) لأنه صدر الجملة والمضاف إليه ليس بمعناه فلا يسد مسده.

فِيضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً»^(١) قالوا نرى أن إله محمد يَسْتَقْرِضُ مِنَّا فنحن إذن أغنياء وهو فقير، وقالوا هذا تَلْيِيسٌ عَلَى ضَعْفَتِهِمْ، وهم يعلمون أن الله عز وجل: لا يستقرض من عَوَزٍ، ولكنه يَتْلُو الْأَخْيَارَ فهم يعلمون أن الله سَمَّى الْإِعْطَاءَ وَالصَّدَقَةَ قَرْضًا، يؤكد به أن أضعافه ترجع إلى أهله، وهو عز وجل يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ أَي يوسع ويقتُر.

فأعلم الله عز وجل أنه قد سَمِعَ مَقَالَتَهُمْ، وأعلم أن ذلك مُثَبَّتٌ عَلَيْهِمْ، وأنهم إليه يَرْجِعُونَ فيجَازِيهِمْ عَلَى ذَلِكَ وأنه خَيْرٌ بِعَمَلِهِمْ.

وقوله عز وجل: ﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾.

ومعنى ﴿عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ أي عَذَابٌ مُحْرَقٌ بِالنَّارِ، لأنَّ الْعَذَابَ يَكُونُ بِغَيْرِ النَّارِ. فأعلم أن مجازاة هؤلاء هذا الْعَذَابُ.

وقوله ﴿ذُوقُوا﴾ هذه كلمة تقال للشيء يُوَثِّسُ مِنَ الْعَفْوِ يقال ذُقْ مَا أَنْتَ فِيهِ أَي لَسْتَ بِمَتَخَلِّصٍ مِنْهُ.

وقوله جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا﴾.

هذا من نعت «العبيد»^(٢) الَّذِينَ قَالُوا ﴿حَتَّى تَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ﴾، أَي عَهِدَ إِلَيْنَا إِلَّا نُوْثِنُ لِرَسُولٍ حَتَّى تَكُونَ آيَةُ هَذِهِ الْآيَةِ. فَأَعْلَمَ اللَّهُ -عَزَّوَجَلَّ- أَنَّ أَسْلَافَهُمْ قَدْ أَتَتْهُمْ الرُّسُلُ بِالْبَيِّنَاتِ. وَيَا لَذِي طَلَبُوا^(٣). فَقَتَلُوهُمْ. فَقَالَ: ﴿فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ﴾.

(١) البقرة ٢ - ٢٤٥.

(٢) فِي ط مِنْ نَعْتِ الْيَهُودِ.

(٣) الْمَعْجَزَاتِ الَّتِي طَلَبُوهَا وَهِيَ الْقُرْبَانِ تَأْكُلُهُ النَّارُ.

وهم لم يكونوا تَوَلَّوْا القتل، ولكن رَضُوا بقتل أولئك الأنبياء فشركوهم في القتل.

وقوله عز وجل: ﴿وَالزُّبُرِ وَالكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾.

الزبر جمع زبور والزبور كل كتاب ذو حكمة. ويقال زبرت إذا كتبت. وزبرت إذا قرأت.

وقوله عز وجل: ﴿وَإِنَّمَا تُوفُونَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾.

ولا يجوز أجوركم على رفع الأجور وجعل ما في معنى الذي^(١)، لأن يوم القيامة يصير من صلة ﴿توفون﴾، وتوفون من صلة ما فلا يأتي ما في الصلة بعد أجوركم^(٢) و﴿أجوركم﴾ خبر.

وقوله عز وجل: ﴿فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ﴾.

أي نُحِّيَ وأزيلَ ﴿فَقَدْ فَازَ﴾ يقال لكل من نجا من هلكة وكل من لقي ما يغبط به: قد فاز، وتأويله تباعد من المكروه ولقي ما يحب

ومعنى قول الناس مفاضة إنما هي من مهلكة، ولكنهم تفاءلوا بأن سموا المهلكة مفاضة. والمفاضة المنجاة، كما تفاءلوا بأن سموا اللديغ السليم، وكما سموا الأعمى بالبصير.

وقوله عز وجل: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾.

معناه لَتُخْتَبَرَنَّ أي تقع عليكم المحن، فيعلم المؤمن من غيره، وهذه

(١) تقدم أن «ما» في ﴿إنما حرم عليكم الميتة﴾، يمكن أن تكون موصولة وهي لا تجوز هنا لما يترتب على ذلك من عمل الصلة في اسم ذكر بعد الخبر.

(٢) إذا حلت «إنما» فصارت «إن ما» فما اسم موصول صلة توفون، وأجوركم خبر: «أي أن الذي توفونه يوم القيام أجوركم» لكن يوم القيامة مؤخر عن الخبر - فقد جاء معمول الصلة بعد تمامها وهذا لا يجوز.

النون دخلت مؤكدة مع لام القسم وضُمَّت الواو لسكونها وسكون النون. ويقال للواحد من المذكرين: تَبْلِيْنٌ يا رجل، وللأثنين تَبْلِيَانٌ يا رجلان، ولجماعة الرجال: تَبْلُونُ. وتُفْتَحُ الياء من تَبْلِيْنٍ في قول سيبويه لسكونها وسكون النون، وفي (١) قول غيره تبنى على الفتح لضم النون إليها كما يبنى ما قبل هاء التأنيث (٢)، ويقال للمرأة تَبْلِيْنٌ، يا امرأة، وللمرأتين تَبْلِيَانٌ يا امرأتان ولجماعة النساء تَبْلِيْنَانٌ يا نسوة، زيدت الألف لاجتماع النونات.

وقوله عز وجل: ﴿وَلَتَسْمَعُنَ مِنَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا﴾.

روي أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه سمع رجلا من اليهود يقول: «إن الله فقير ونحن أغنياء» فلطمه أبو بكر فشكا اليهودي ذلك إلى النبي ﷺ فسأله النبي: ما أراد بلطمك فقال أبو بكر سمعت منه كلمة ما ملكت نفسي معها أن لطمته، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَلَتَسْمَعُنَ مِنَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا﴾، وأذى مقصور يكتب بالياء، يقال قد أذَى فلان يأذى أذى، إذا سمع ما يسوءه.

وقوله عز وجل: ﴿لَتَبَيِّنَنَّ لِلنَّاسِ﴾.

وليبيِّنَه، بالياء والتاء، فمن قال ليبيِّنَه بالياء، فلأنهم غيَّب (٣)، ومن قال بالتاء حكى المخاطبة التي كانت في وقت أخذ الميثاق، والمعنى أن الله أخذ منهم الميثاق ليبيِّن أمر نبوة النبي ﷺ.

﴿فَبَدَّوْهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾:

(١) في ط ومن.

(٢) الإختلاف في علة الفتح. فهي عند سيبويه فتحت لالتقاء الساكنين وغيره يعتبر النون جزءاً من الكلمة ألحقت بها كالتاء من المؤنث.

(٣) جمع غائب - أي غائبون.

معنى ﴿نَبَذُوهُ﴾ رَمَوْا بِهِ يقال للذي يطرح الشيء ولا يَعْْبَأُ به: قد جعلت هذا الأمر بظهر، وقد رميته بظهر. قال الفرزدق^(١):

تَمِيمَ بْنَ قَيْسٍ لَا تَكُونَنَّ حَاجَتِي بظهر، فلا يعيا علي جوابها
أَيَّ لَا تَتْرَكْنَهَا لَا يُعْبَأُ بِهَا.

وَأَنْبَأَ اللَّهُ عَمَّا حَمَلَ الْيَهُودَ الَّذِينَ كَانُوا رُؤَسَاءَ عَلَى كَتْمَانِ أَمْرِ النَّبِيِّ ﷺ
فَقَالَ: ﴿وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾:

أَيَّ قَبِلُوا عَلَى ذَلِكَ الرِّشَاءَ، وَقَامَتْ لَهُمْ رِيَاسَةٌ اكْتَسَبُوا بِهَا، فَذَلِكَ حَمَلُهُمْ
عَلَى الْكُفْرِ بِمَا يَخْفُونَهُ^(٢).

وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَا تُحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ
يَفْعَلُوا﴾.

هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ دَخَلُوا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَخَرَجُوا مِنْ عِنْدِهِ
فَذَكَرُوا لِمَنْ كَانَ رَأَاهُمْ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَدْ أَتَاهُمْ بِأَشْيَاءَ قَدْ عَرَفُوهَا،
فَحَمِدَهُمْ مِنْ شَاهِدِهِمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى ذَلِكَ، وَأَبْطَنُوا خِلَافَ مَا أَظْهَرُوا وَأَقَامُوا
بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى الْكُفْرِ، فَأَعْلَمَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - النَّبِيَّ ﷺ أَمْرَهُمْ وَأَعْلَمَهُ أَنَّهُمْ
لَيْسُوا بِمَقَازَةِ مِنَ الْعَذَابِ أَيَّ لَيْسُوا بَبَعْدٍ مِنَ الْعَذَابِ.

(١) وجه به إلى تميم بن زيد القيني من قضاة. كان عاملاً للحجاج على السند وكان معه ولد يقال
له خنيس وأمه رقوب أي ليس لها غيره فلما طالت إقامتهم في البعث استغاثت بقبر غالب، أبي
الفرزدق، فكتب له أبياتاً منها هذا البيت وبعده.

وَهَبْ لِي خَنِيْسًا وَاحْتَسِبْ فِيهِ مَنَةً لِحَاجَةٍ أَمْ مَا يَسُوءُ شَرَابِهَا
أَتُتْنِسِي وَعَاذْتَ يَا تَمِيمُ بِغَالِبٍ وَبِالْحَفْزَةِ الشَّوَايِ عَلَيْهَا تَرَابِهَا
ولم تكن الكتابة منقوطة في هذا الوقت فلم يعرف تميم من المراد أخنيس أم حبيش - وكان في
الجيش خمسة يسمون بأحد هذين الاسمين فسرّحهم جميعاً. أنظر ذيل الأمالي ٧٧٠، والأمالي
٧٧/٣، والكامل ٢٩١/١ (التجارية).

(٢) حملهم على إنكار الحق الذي يخفونه.

ووقعت ﴿فَلَا تُحْسِبْنَهُمْ﴾ مكررة لطول القصة. والعرب تُعيدُ إذا طالت القصة [في] حسبت وما أشبهها، إعلماً أن الذي جرى متصل بالأول، وتوكيداً^(١) للأول، فنقول: لا تظننَّ زيداً إذا جاءك وكلمك بكذا وكذا - فلا تظننه صادقاً، تعيد - فلا تظنن توكيداً - ولو قلت لا تظن زيداً إذا جاءك وحدثك بكذا وكذا صادقاً جاز، ولكن التكرير يؤكد وأوضح للقصة.

وقوله عز وجل: ﴿وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

أي هو خالقهما^(٢)، ودليل ذلك قوله - عز وجل: ﴿خالق كل شيء﴾^(٣) و﴿خلق السموات والأرض﴾^(٤) وأعلم أن في خلقهما واختلاف الليل والنهار آيات^(٥) ﴿أولى الآيات﴾ أي ذوي العقول. والآيات العلامات، أي من العلامات فيها دليل على أن خالقهما واحد ليس كمثله شيء.

وقوله عز وجل: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ﴾.

هذا من نعت ﴿أولى الآيات﴾، أي فهؤلاء يستدلون على توحيد الله - عز وجل - بخلقه السموات والأرض وإنهم يذكرون الله في جميع أحوالهم ﴿قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ﴾.

معناه ومضطجعين، وصلح في اللغة أن يعطف «بعلى» على - ﴿قِيَاماً وَقُعُوداً﴾ لأن معناه ينبىء عن حال من أحوال تصرف الإنسان، تقول: أنا أسير

(١) لأن الفصل بين الفعل والمفعول قد طال.

(٢) في ط خالقها.

(٣) الأنعام ١٠٢/٦.

(٤) في آيات أنظر سورة ١/٦.

(٥) في ط الآيات.

إلى زيد ماشياً وعلى الخيل . المعنى ماشياً وراكباً . فهؤلاء المستدلون على حقيقة توحيد الله يذكرون الله في سائر هذه الأحوال .

وقد قال بعضهم : ﴿ يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ﴾ ، أي يُصَلُّونَ على جميع هذه الأحوال على قدر إمكانهم في صحتهم وسقمهم .

وحقيقته عندي - والله أعلم - أنهم موحدون الله في كل حال .
﴿ ويتفكرون في خلق السموات والأرض ﴾ .

فيكون ذلك أزيد في بصيرتهم ، لأن فكرتهم ^(١) تُريهم عظيم شأنها ، فيكون تعظيمهم لله على حسب ما يقفون عليه من آثار رحمته .

وقوله عز وجل : ﴿ ربنا ما خلقت هذا باطلاً ﴾ .

معناه يقولون ﴿ ربنا ما خلقت هذا باطلاً ﴾ أي خلقتة دليلاً عليك ، وعلى صدق ما أتت به أنبيأؤك . لأن الأنبياء تأتي بما يعجز عنه المخلوقون . فهو ^(٢) كالسموات والأرض في الدليل على توحيد الله .

﴿ سُبْحَانَكَ ﴾ : معناه براءة لك من سوء وتنزيهاً لك من أن تكون خلقتهما باطلاً .

﴿ فَمَقْنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ :

أي فقد صدقنا رسلك وأن لك جنة وناراً فمقنا عذاب النار .

﴿ ربنا وآتانا ما وعدتنا على رسلك ﴾ :

معناه والله أعلم - على السن رسلك .

وقوله - عز وجل : ﴿ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ .

(١) أي تفكيرهم .

(٢) ما أتت به الأنبياء من المعجزات .

أي قد صدقنا يوم القيامة فلا تخزنا، والمُخْزَى في اللغة المذلل المحقور بأمر
قد لزمه بحجة، وكذلك أَخْزَيْتُهُ. أي أَلْزَمْتُهُ حُجَّةً أَذَلَّتْهُ بِهَا.

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّكَ لَا تُخْلَفُ الْمِيعَادَ﴾ :

أي قد وعدت من آمن بك ووحدك الجنة.

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ﴾.

المعنى فاستجاب لهم ربهم بأنِّي لا أُضِيعُ عمل عامل منكم من ذَكَرٍ أو
أُنْثَى. وإن قرئت إِنِّي لا أُضِيعُ عمل عامل منكم جائز بكسر إن ويكون المعنى
قال لهم ربهم: إِنِّي لا أُضِيعُ عمل عامل منكم.

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ثَوَابًا﴾:

مصدر مؤكد، لأن معنى ﴿لَا دُخْلَ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾
﴿لَا تُبَيِّنُهُمْ﴾ ومثله ﴿كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾^(١) لأن قوله عَزَّ وَجَلَّ ﴿حَرَمْتُ عَلَيْكُمْ
أَمْهَاتِكُمْ وَبَنَاتِكُمْ...﴾^(٢).

معناه: كتب الله عليكم هذا «فكتاب الله - مؤكد - وكذلك قوله
عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي
أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾^(٣) قد علم أن ذلك صنع الله.

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَا يَغُرُّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ﴾.

خطاب للنبي ﷺ وخطاب للخلق في هذا الموضع، المعنى لا يغرنكم أيها
المؤمنون، ويروى أن قوماً من الكفار كانوا يتجرون ويربحون في أسفار كانوا
يسافرونها، فأعلم الله عَزَّ وَجَلَّ - أن ذلك مما لا ينبغي أن يُغْبَطُوا به، لأن

(١) سورة النساء (٤) - آية ٢٤.

(٢) سورة النساء (٤) - آية ٢٣.

(٣) سورة النمل (٢٧) آية ٨٨، وقد سبق هذا التمثيل.

مصيرهم بكفرهم إلى النار ولا خير بخير بعده النار، فقال عز وجل:

﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَاوَاهُمْ جَهَنَّمُ﴾:

أي ذلك الكسب والريح الذي يربحونه متاع قليل. وأعلم جل وعز أن من أراد الله واتقاه فله الجنة فقال:

لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نَزْلاً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ.

نُزْلاً مُؤَكَّدٌ أَيْضاً، لِأَن خُلُودَهُمْ فِيهَا إِنْزَالُهُمْ فِيهَا. وواحد الأبرار بَارٌّ وأبرار، مثل صاحب وأصحاب ويجوز أن يكون بَرٌّ وأبرار، على فَعْلٍ وأفْعَالٍ، تقول بررت والدي فأنا بَرٌّ، وأصله بَرَر، لكن الراء أَدْغَمَتْ لِلتَّضْعِيفِ.

وقوله عز وجل: ﴿خَاشِعِينَ لِلَّهِ﴾.

أي من عند أهل الكتاب من يؤمن خاشعاً لله^(١).

﴿لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾.

وإنما ذكر هؤلاء لأن ذكر الذين كفروا جرى قبل ذكرهم فقال: ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾.

أخبر - جل وعز - بما حمل اليهود على الكفر، وأخبر بحال من آمن من أهل الكتاب وأنهم صدقوا في حال خشوع ورغبة عن أن يشتروا بآيات الله ثمنًا قليلاً.

وقوله جل وعز: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا﴾.

أي على دينكم، ﴿وَاصْبِرُوا﴾: أي عدوكم ورابطوا: أقيموا على جهاد

(١) بينهم قوم خضع.

عدوكم بالحرب والحجة، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في كل ما أمركم به، ونهاكم عنه.

﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ﴾.

ولعل ترج، وهو ترج لهم، أي ليكونوا على رجاء فلاح - وإنما قيل لهم ﴿لعلكم تفلحون﴾: أي لعلكم تسلمون من أعمال تبطل أعمالكم هذه، فأما المؤمنون الذين وصفهم الله جل ثناؤه فقد أفلحوا. قال الله جل وعز: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ إلى آخر وصف المؤمنين. فهؤلاء قد أفلحوا لا محالة وإنما يكون الترجي مع عمل يتوهم أنه بعض من العمل الصالح.



الفهارس

- بحوث لغوية ونحوية
- الأعلام
- الأبيات الشعرية
- أنصاف الأبيات
- الأمثال
- المحتويات



بحوث لغوية ونحوية

البحث	رقم الصفحة
«اسم» اشتقاق الكلمة واللغات التي وردت فيها	٣٩
رحمان ورحيم ودلالة... إعلان	٤٣
تفسير عالم	٤٦
مجاراة أبي عبيدة في أن الاسم هو المسمى ص ٤٣، وانظر	١١١
ما جاء على حرف واحد فحكمه الفتح عدا الباء واللام	٤٢، ٤١
فتح نون الجماعة، الفتح لالتقاء الساكنين	٤٦
معنى الدين	٤٧
رأى الزجاج في «إيا»	٤٩، ٤٨
ما في ضمير الغائب نحو «فيه» و «يؤده» من اللغات	٤٣٢، ٤٣١
إعراب حروف الهجاء	٥٥
ذلك وذانك وتصريفهما وبيان أن الكاف في ذلك حرف اجتماع اللام	
مع الهاء في اسم الإشارة، رأي الزجاج	٦٧، ٦٦
«لا» النافية للجنس والنافية للوحدة، ص ٦٨ - ٦٩ وانظر	٣٣٧، ٣٣٦
حروف الحلق لا تدغم	٧٠
إعراب الموصول المثني، (من مجاراته الكوفيين)	٧١
ضمير الفصل مع النواسخ، ٧٤ وانظر	٤٩٢
مادة «فلح» - صيغة فعالة ودلالاتها	٧٦، ٧٥
حكم الهمزتين المجتمعيتين	٧٨، ٧٧
فعال في غير المفاعلة	٨٢
قليل وغيض واللغات فيهما	٨٧

معنى «سفه»، «نحن»	٨٩
حركة واو الجماعة	٨٨، ٢٩٠، ٣١٩
جمع «فعل» على فعل وفعلان	٩٣، ٩٤
كلمة «صيب»	٩٤، ٩٦
يخطف أبصارهم	٩٥، ٩٦
ذهب به واذهب به	٩٦
نداء ما فيه «أل» ٩٨، وانظر	٢٢١، ٣٩٣
رأى الأخفش في نداء «أيها»	٩٨، ٩٩
حذف الجار من المصدر المؤول وحكمه بعد الحذف	١٠١، ٣٠٩
زيادة حرف الجر	١٠٣، ١٠٤
إعراب «ماذا» واعتبارها اسماً واحداً أو اثنين	١٠٥، ٢٨٧
معنى عهد الله	١٠١، ١٤٧
معنى استوى إلى السماء	١٠٧
رد رأي أبي عبيدة في زيادة «إذ» وانظر	١٠٨، ٤٠٠
معنى سفك نسبح سبحان الله الطهارة والقدس	١٠٨، ١٠٩، ١١٠، ١٦٤
كلمة «ملك» واشتقاقها	١١٢، ١٨٣
«آدم» اشتقاق الكلمة ومعنى السجود لآدم	١١٢
إبليس	١١٣
مادة زل	١١٥
معنى «الحين»	١١٥، ١١٦
إضافة المقصور نحو «هدى»	١١٨
حركة ياء المتكلم	١٢٠، ١٣٥
أوفى ووفى	١٢٢
الإمالة فيما عدا حروف الاطباق معنى «لبس»	١٢٤
الظن بمعنى اليقين وانظر	١٢٦، ٣٣١

رأي للزجاج خاصة في تانيث الفعل قبل المؤنث الحقيقي	١٢٩ ، ١٣٠
تصريف «ابن» و «دم»	١٣٠
وعد ووعد - من معجزات النبي ﷺ اخباره بأخبار السابقين	١٣٣
معنى البلاء	١٣٢
الفرقان	١٣٤ ، ٣٧٥
معنى «البرية» واللغات فيها	١٣٥ ، ١٣٦
قراءة أبي عمرو إلى «بارئكم» ورد نسبتها إليه	١٣٦
تصريف خطايا	١٣٩
معنى الرجز الفسوق	١٤٠
اثنا عشر عينا	١٤٠
مادة عثا	١٤٢
الجزم في جواب الأمر	١٤٢
معنى «الفوم»	١٤٣
الذلة والمسكنة	١٤٤
«نبي» اشتقاق الكلمة وجمعها	١٤٥
معنى نصارى ونصراني	١٤٦ ، ١٤٧
اعتداء السبت - معنى عوان - مادة القول	١٥١
جواز إسكان الهاء من «فهي» ووجهه	١٥٦
تفجر الماء من الحجارة	١٥٧
معنى «الأمي»	١٥٩
«لن» عملها ورأي الكسائي والخليل في اشتقاقها	١٦٠ - ١٦١
معنى أخذ الميثاق من الله على بني إسرائيل	١٦٢
«اليتيم» - معنى الكلمة	١٦٣
الأفعل والفعل والمعنى قولوا للناس حسناً	١٦٤
أسير وأسرى	١٦٦

البحث	رقم الصفحة
مادة «خزي» ومعانيها	١٦٧
قلوب غلف	١٦٩
معنى اللعن	١٦٩
الكتب والكتيبة والقرآن، المعنى العام ورأي قطرب	١٧٠
نعم وبئس واللغات التي فيها	١٧٢ - ٣٥٣
رأي الخليل وسيبويه	١٧٢
معنى «باء»	١٧٤
تخطئة نحو «هوزيد قائماً»	١٧٤
عدم جواز نصب الاسم بعد ضمير الشأن	١٧٩ ، ١٨٠
كلمة «ود» واستعمالاتها، «جبريل» واللغات التي فيها	١٧٩
«ميكائيل» وما في الكلمة من اللغات	١٨٠
مادة نبذ	١٨١
السحر	١٨٣ ، ١٨٤
معنى كلمة «الخلاق»	١٨٦
اجتماع الشرط والقسم ودخول اللام بعدهما	١٨٧
لا تقولوا راعنا	١٨٨
معنى النسخ، ومعنى فلا تنسى	١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩١
«سأل» ووجوه قراءتها	١٩٢
معنى «ملة»	١٩٦
معنى قانت	١٩٨
نصب الفعل بعد حتى وبعد لام الجحود يكون بأن كلام العرب	
إذا اتفق لفظه فأكثره مشتق من بعض	٢٠١
المقام والمقامة	٢٠٢
ابتلاء إبراهيم	٢٠٤
طاف عكف الركع السجود المنسك والنسيكة	٢٠٧

البحث	رقم الصفحة
تفسير المسلم	٢٠٨
«سفه نفسه» والآراء التي جاءت في تفسيرها	٢٠٩ ، ٣٦١
معنى الحنف والحنيف	٢١٣ ، ٢١٤
معنى صبغة الله	٢١٥ ، ٢١٦
«قل أتحاجوننا في الله» قبول قراءة «أتحاجونا»	٢١٦ ، ٢١٧
الأسباط	٢١٧
معنى الأمة	٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤
معنى «لتكونوا شهداء على الناس»	٢١٩ ، ٢٢٠
«شطر»	٢٢٢
«لئن» هل تجاب بجواب «لو»	٢٢٣ ، ٢٢٤
وجهه وجهه	٢٢٥
«أينما» وعملها	٢٢٦
«كما» جواب لما قبلها	٢٢٧
ندابا أيها، مذهب سيويه والخليل ورأي الأخفش	
معنى الهاء	٢٢٩
فتح «أما» قبل نون التوكيد	٢٣٠
معنى الصلاة واشتقاق الكلمة	٢٣١
معنى يلعنهم اللاعنون ورأي ابن عباس	٢٣٥
حركة همزة الوصل في الخماسي	٢٤٠
خطوة وخطوات	٢٤١
معنى الباغي والعادي	٢٤٣ ، ٢٤٤
إعراب ذلك في أول الجملة ذلك بأن الله هو الحق	٢٤٦
البأس ومادته	٢٤٧ ، ٢٤٨
الحنف	٢٥١
معنى الدعا	٢٥٥

٢٧٠ ، ٢٦٩ ، ٢٥٦	معنى الرفث و «هن لباس لكم»
٢٥٧	معنى حدود الله
٢٥٩ ، ٢٥٨	اسماء الهلال وأوقاته
٢٦٣	الخميس
٢٦٤	الفتنة ومادة نقف
٢٦٦ ، ٢٦٥	الهلاك والتهلكة
٢٦٦	معنى العمرة، واعتمر
٢٦٧	معنى حصر وأحصر
٢٦٩	أشهر الحج
٢٧١ ، ٢٧٠	اسم «لا» وإعرابه
٢٧٢	الإفاضة ومعانيها
٢٧٢	إعراب جمع المؤنث
٢٧٤	معنى الخلاق
٢٧٥	معدود ومعدودات
٢٧٧	ألد الخصام
٢٧٨ ، ٢٧٧	معنى الحرث والنسل
٢٧٨	مادة «شرى»
٢٧٩	السلم وكافة
٢٨٠	مادة «زل»
٢٨٢	معنى يرزق بغير حساب
٢٨٣	«أمة» (أنظر ص ٢١٩)
٢٨٦ ، ٢٨٥	«زلزل» والمضعف من الأفعال
٢٨٦	نصب الفعل بعد حتى
٢٨٨ ، ٢٨٧	إعراب «ماذا» (وانظر فيما سبق ص ١٠٥)

البحث	رقم الصفحة
الخمر ومادة «خمر»	٢٩٢ ، ٢٩١
العفو ومادة «عفا»	٢٩٣
كلمة «ذلك» في مخاطبة الجمع	٢٩٤
العنت ومادة «عنت»	٢٩٥ ، ٢٩٤
المحيض ومادة «حاض»	٢٩٧ ، ٢٩٦
حرف الجر قبل «أن»	٣٠٠ ، ٢٩٩ ، ٢٩٨
اليمين اللغو ومادة «لغا»	٢٩٩
الإيلاء ومادة «ألى»	٣٠١ ، ٣٠٠
مادة «طلق» ووصف المذكر والمؤنث	٣٠٢ ، ٣٠١
القرء ومعانيه	٣٠٣ ، ٣٠٢
بعل وبعولة	٣٠٦
معنى «حدود الله» (انظر فيما سبق ٢٥٧)	٤٠٨ ، ٣٠٧
«العضل» ومادة «عضل»	٣١١ ، ٣١٠
مادة «رضع» والوصف منها	٣١٣ ، ٣١٢ ، ٣١١
إعراب «والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن»	٣١٤
الصلاة الوسطى	٣٢٠
القانت ومادة «قنت»	٣٢١ ، ٣٢٠
القرض وتفسير المادة منه	٣٢٥ ، ٣٢٤
معنى الملاء	٣٢٦ ، ٣٢٥
شرح «ومالنا ألا نقاتل»	٣٢٧ ، ٣٢٦
إبدال تا الافتعال طاء	٣٢٨ ، ٣٢٧
الظن بمعنى اليقين (سبق ص ١٢٦)	٣٣٢ ، ٣٣١
معنى الكرسي	٣٣٧ ، ٣٣٦
لا إكراه في الدين	٣٣٨
الطاغوت	٣٣٩

البحث	رقم الصفحة
معنى «جهت»	٣٤١
«يتسنه»	٣٤٢
مادة نشر	٣٤٤
معنى «فصرهن إليك»	٣٤٦، ٣٤٥
إبطال الصدقات بالمن والأذى	٣٤٧
مادة «غني»	٣٥٠
نعم ونعما، (انظر ص ١٧٢ - ١٧٣)	٣٥٤، ٣٥٣
معنى «ضربا في الارض» الضريب، الضراب	٣٥٧، ٣٥٦
الإلحاف ومادة لحف	٣٥٧
المس والألمس والأولق	٣٥٨
الدين ومادة «دان»	٣٦٠
مادة أبي	٣٦٢
مادة سفه (أنظر ص ٢٠٩ - ٢٠١)	٣٦٢
تفسير «أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى»	٣٦٤، ٣٦٣
مادة «سثم»	٣٦٥
مادة «رهن» واستعمالاتها	٣٦٨، ٣٦٧
جمع فعل على فعل قليل في الأسماء لا في الصفات	٣٦٧
معنى الإصر والإصار	٣٧١، ٣٧٠
«ألم الله» شكل الميم وتخطئة الأخفش	٣٧٣
معنى «قيوم»	٣٧٣
تعريف «توراة» ومذهب البصريين فيها	٣٧٤
الفرقان (أنظر ص ١٣٤)	٣٧٥
المحكم والمتشابه	٣٧٧ - ٣٧٦
آخر وآخر	٣٧٧
شرح «ابتغاء الفتنة»	٣٧٨ - ٣٧٧

معنى «كذاب آل فرعون»	٣٨٠
رأي القراء في «يرونهم مثليهم» وتخطئته	٣٨٣
معنى «الخييل المسومة» ومادة «سام»	٣٨٤ - ٣٨٣
معنى القنطار	٣٨٣
معنى «وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم»	٣٨٦
معنى سريع الحساب	٣٨٧
حذف النون من نحو «ومن اتبعني»	٣٨٩ - ٣٨٨
دخول الفاء في خبر الموصول	٣٩١
إعراب «اللهم»	٣٩٣
أحب وحب	٣٩٧
عدم إدغام الراء في اللام	٣٩٨
اصطفى - صفوة	٣٩٩ ، ٣٩٨
ذرية اشتقاق الكلمة ولغاتها	٤٠٠ ، ٣٩٩
نذر، قبل - واللغات التي تستعمل بها	٤٠١ ، ٤٠٠
«زكريا» وما فيه من اللغات	٤٠٣ ، ٤٠٢
معنى «المحراب»	٤٠٣
بشر ولغاتها	٤٠٥
الحصور ومادة «حصر»	٤٠٦
«عقر» ومشتقاتها	٤٠٨
شرح «العشي والإبكار»	٤٠٩
معنى «الأكمة»	٤١٣ - ٤١٤
تخطئة أبي عبيدة في كلمة «بعض»	٤١٥
معنى «من أنصاري إلى الله»	٤١٦
معنى «الحواريين»	٤١٧
شرح «ومكروا ومكر الله»	٤١٩ ، ٤١٨

البحث	رقم الصفحة
اسم «عيسى» وتعريفه	٤١٩
المباهلة وتفسير مادتها	٤٢٣
«لم» و «بم» و «كم»	٤٢٨ ، ٤٢٧
معنى «وجه النهار»	٤٢٩
ضمير الغائب في نحو «يؤده»	٤٣١
مادة «دام»	٤٣٣
معنى «يلوون ألسنتهم بالكتاب»	٤٣٥
معنى الرباني	٤٣٦ ، ٤٣٥
معنى «وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً»	٤٣٨
معنى ملء الأرض وتفسير المادة	٤٤٢
شرح «إلا ما حرم إسرائيل على نفسه»	٤٤٣
مكة وبكة واشتقاق الكلمة	٤٤٥
مادة «آمن»	٤٤٦
معنى تبغونها عوجاً ومادة «بغى»	٤٤٧
كلمة «نقا» وتصريفها	٤٤٩
لام الأمر وحركتها، ومعنى «ولتكن منكم أمة»	٤٥٢ ، ٤٥١
«تبيض» و «تسود» وحركة حرف المضارعة	٤٥٤
معنى «الأمة» (أنظر ص ٢١٩)	٤٥٨
معنى «آناء الليل»	٤٥٩
معنى «الصر - البطانة»	٤٦١
معنى «عنت» وتفسير المادة	٤٦٢
شرح «ها أنتم هؤلاء»	٤٦٣
مادة «عض»	٤٦٤ ، ٤٦٣
فعل وفعلاء	٤٦٦
مد، وأمد	٤٦٧

٤٦٧	مسومين والسومة
٤٦٨	أكل الربا أضعافاً مضاعفة
٤٦٩	كظم الغيظ . وشرح مادة «كظم»
٤٧٠	شرح «قد خلت من قبلكم سنن» وشرح المادة
٤٧٢ ، ٤٧١	معنى «وليمحص الله الذين آمنوا» ومادة «محص»
٤٧٣	معنى «أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم»
٤٧٤	شرح «كتاباً مؤجلاً» ومشابهاتها في القرآن
٤٧٥	شرح «وكأين من نبي»
٤٧٨	معنى «إذ تحسونهم»
	شرح «فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا
٤٨٣ ، ٤٨٢	من حولك»
٤٨٤ ، ٤٨٣	«وما كان لنبي أن يغفل»
٤٨٥	«شاور» وشرح المادة
٤٨٨ ، ٤٨٧	«أو لما أصابتكم مصيبة»
٤٨٨	«ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم»
٤٩١ ، ٤٩٠	«ولا يحسبن الذين كفروا إنما غملي لهم خيراً»
٤٩٢	«الذين ييخلون بما آتاهم الله من فضله»
٤٩٤ ، ٤٩٣	«الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء»
٤٩٦ ، ٤٩٥	شرح «لتبطلون في أموالكم وأنفسكم»
٤٩٧ ، ٤٩٦	«فنبذوه وراء ظهورهم»
٤٩٧	«لا تحسبن الذين يفرحون بما أوتوا»
٤٩٨	«ما عند الله خير للأبرار»



الأعلام الذين لهم تراجم في حواشي الكتاب

رقم الصفحة

النحويون واللغويون :

١٨١	أبو الأسود الدؤلي
٤٠	أبو زيد الأنصاري
٤٣	أبو عبيدة (معمر بن المثنى)
٤٣	أبو عمرو بن العلاء
٥٥	الأخفش (سعيد بن مسعدة)
٥٥	حفص بن سليمان
٣١	حمزة الأصفهاني
٤٢	الخليل بن أحمد
١٦٣	(الرياشي العباسي بن الفرج)
٦٦	الرؤاسي (محمد بن الحسن)
٤١	سيبويه (عمرو بن عثمان)
٦٤	عبد الله بن أبي إسحق
٦٤	عيسى بن عمر
٥٥	قطرب (محمد بن المستنير)
٢١٦	المازني (بكر بن محمد)
١٦٣	المبرد (حمد بن يزيد)
١٦١	هشام بن معاوية الضرير
٣٢	يحيى بن المنجم

يونس بن حبيب ٤٢

الفقهاء والمحدثون والقراء :

أبو جعفر المدني ٣٥٣

أبو عبيد (القاسم بن سلام) ٨١

إسماعيل بن إسحاق ٣٦٢ - ١٢٦

أم سلمة (هند أم المؤمنين) ٣٠٣

الحسن البصري ٦٣

حمزة بن حبيب ٤٣١

زيد بن عدي بن نفيل (من الأحناف) ٢٨٣

زيد بن أسلم ١٢٦

الشعبي (عامر بن شرحبيل) ٥٦

شيبه بن نصاح ٣٥٣

عاصم ٦٦

الاعمش ٤٣١

فاطمة بنت أبي حبيش ٣٠٢

مالك بن الحرث ٣٠٤

معقل بن يسار ٣١٠

نعيم بن مسعود (صحابي) ٤٨٩

الشعراء والرجاز :

ابن هرمة (إبراهيم) ٤٨٦

أبو الأحرز الحاني ١٤٧

أبو جلده الشكري ٤١٧

أبو ذؤيب الهزلي ٢٧٢

أبو النجم العجلي ٦٠

أعشى باهلة ٤٥٢

١١٠	أعشى. قيس (ميمون بن جندل)
٣٢٤	أمية بن أبي الصلت
٤٩	جرير
٥٢	الخطيئة
٤٢٥	الحويدرة
٦٦	خفاف بن ندبه
١٢٦	دريد بن الصمة
٨٨	الراعي النميري
٤٢٩	الربيع بن زياد
٢٧٠	سعد بن مالك
٢٣٢	السفاح بن بكير
١٦٩	الشماخ
١٢٢	طفيل الغنوي
٧٦	عبيد بن الأبرص
٨٤	عبد الله بن الزبيري
١٠٢	عبد بن الطبيب
١١٢	عدي بن زيد
٨٣	علقمة الفحل
٧٦	عمرو بن أحر الباهلي
١٧٠	عمرو بن كلثوم
٢١٦، ٨٦	عمرو بن معد يكرب
٤٨٣	قعب بن أم صاحب
٢٢٢	قيس بن خويلد
٣٨١	كثير بن عبد الرحمن
١٨٠	كعب بن مالك

٤٠٧	الحميت بن زيد
٧٥	ليبد بن ربيعة
٤٥٩	المنخل الشكري
٤٨	المثقب العبدى
٨٣	المسيب بن زيد الغنوي
٣٥٦	المغير بن حبناء
٩٢	النابعة الجعدي
١٣٥	النابعة الذبياني
٢٥٦	نفيلة الأشجعي (أبو النبال)
٤٠٣	وضاح اليمن
٦٢	الوليد بن عقبة
٦١	يزيد بن الحكم
٤٧	يزيد بن عمرو الكلابي
٢٧٨	يزيد بن مفرغ



الأبيات الشعرية

أول البيت	القافية	رقم الصفحة
	حرف الهمزة	
وجبريل	كفاء	١٨٠
بادت	هباء	٢٥٤
أروني	السواء	٤٢٥
فإن	بناء	٤٢٥
	حرف الباء	
أخوك	جانبه	٦٩
أفلح	الأريب	٧٦
بها جيف	صليب	٨٣
كأنه	تذبيب	٨٣
وكيف	مرحب	٩٣
كأنهم	دبيب	٩٤
فلست	يصوب	١١٢
وداع	مجب	٢٥٥
أمرتك	نشب	٣٥١
أني	لعب	٤٠٧
عصائي	طلا بها	٤٥٩
وكائن	المصابا	٤٧٦
تميم	جوابها	٤٩٧

حرف التاء

وكنت فشلت ٣٨١

حرف الحاء

ألستم راح ١١٠
 وجمال السفيح ١٥٤
 من فر براح ٢٧٠
 شنتت الرياح ٣٠٤
 ساترك فاستريحا ٣٥٦
 قفل للحوازيات النوايح ٤١٨
 يا ليت ربحاً ٨٤

حرف الدال

وإن قال ردوا ٥٢
 تباعد بعدا ٥٤
 إلا الأواري الجلد ١٣٥
 أتيا نديد ٩٩
 فقلت لهم المُسرّد ١٢٦
 يسعى بها الفرصاد ١٥١
 ألا أيهذا مخلدي ١٦٥
 يحج مأمومة المغاريد ٢٣٤
 فقمنا حدادها ٣٠٨
 الاغنياني بعدا ٣٢٦
 فإن تدقنوا نقعد ٣٥٥
 ابني العضد ٤٦٢

حرف الراء

٧٦	خمارا	لها رطل
٨٢	منقر	لعمر ك
٨٣	منجحر	كأنه
١١٠	الفاخر	أقول
١٧٦	حاضره	وشر
٢١٠	القدور	نغالي
٢٢٢	محسور	إن العسير
٢٥٦	إزاري	ألا أبلغ
٢٨٣	القبور	ثم بعد الفلاح
٣١٦	تجارا	فطاقت
٣٣٦	نأزرا	فلا أب
٣٥٧	جرجرا	على لاحب
٣٧٠	الأواصر	عطفوا
٤٠٧	سوار	وشارب
٤٠٧	ضنينا	ولقد تسقطني
٤٢٩	نهارا	من كان
٤٢٩	الأسحار	يحجد النساء
٤٨٥	مشورا	كأن القرنفل
٤٨٥	مشار	وغناء
٤٥٢	الزفر	أخور غائب
٤٥٦	الفقيرا	لا أرى الموت

حرف السين

٢٥٦	لباسا	إذا ما الضجيع
-----	-------	-------	---------------

رقم الصفحة	القافية	أول البيت
٤١٦	شوس	سوى أن

حرف العين

٨٧	هجوم	أمن ربحانة
١٠٣	تصدعوا	فبكى بناتي
٧٦	تبعا	نحل
٢٣١	مضطجعا	عليك
٢٣٢	مطاع	صلّى
٢٧٢	يصدع	وكأنهن
٢٨٤	طائع	حلفت
٢٨٦	مجاشع	فيا عجباً
٣١٧	القصاص	ويحرم
٤٢٥	لم تربع	بكرت
٤٧٦	المقنعا	وكائن

حرف الفاء

١٤٧	لم تحف	فكلتاها
-----------	--------	---------

حرف القاف

٢٨٨	طليق	عدس
٣٠٢	طارقة	أيا جارتا

حرف الكاف

٦٦	ذلکا	أقول له
٣٠٤	نسائكا	مورثة
٣٦٧	مالكا	فلما

حرف اللام

٤٦٩	حقيلاً	فَأَفْضَنَ
٦١	جدال	إذا
٣٦٨	قفول (ثلاثة أبيات)	فهل من كاهن
١٢٨	نوافله	ويوماً
١٣٢	يلو	جزى الله
١٣٦	واغل	فاليوم
٤٨٦	السيول	انصب
١٥٠	صُعْل	إذا لقحت
٢٠٦	الفعل	وفيهم
٢٤١	الهزل	ولما
٢٤٣	مثلي	أنا الزائد
٢٤٤	الأذيال	والبغايا
٢٧٣	عال	تتورثها
٤٥٠	حباها	وإذا
٣٢٤	الجميل	وإذا
٤٥٩	ينتقل	حلو
٢٩٧	مقيلاً	بنيت

حرف الميم

٤٩	مستقيم	أمير المؤمنين
٢٧٨	هامه	وشريت
٦١	وميمها	أهاجتك
٨٨	لما	قريشي
١٧٣، ٩٧	تكروما	واغفر

رقم الصفحة	القافية	أول البيت
١٥٤	المتهدم	مالي
١٨٠	أمامها	شهدنا
٢٠٦	يقومها	ولافي
٢٣٢	اللجما	خيل
٢٧٠	التماثم	لا يمنعنك
٢٧٥	دما	لنا الجففات
٢٨٢	الأمم	وإن معاوية
٣١٥	أن يتقدما	لعلي
٣٢٨	فيظطلم	هو الجواد
٣٣٢	وأنعمي	هزمت
٣٤٦	زنيـم	وجاءت
٣٦٢	النواسم	مشين
٤٠٣	سلما	ربة محراب
٤١٥	حامها	تراك
٤٧٦	كرام	وكائن
٤٨٤	درهم	فتغلل
٤٩١	تهدما	فما كان

حرف النون

٤٨	تدان	واعلم
٤٨	وديني	تقول
٥٤	آمينـا	يارب
١٦٥ ، ١٣١	اليقين	فلو أنا
١٤٦	يصطحبان	تعال
٨٢	بثمان	لعمرك
٨٣	شجينا	لا تنكري

رقم الصفحة	القافية	أول البيت
١٦٩	اللجين	وماء
١٧٠	اللعين	ذعرت
٢١٦	فليني	تراه
٢٦٥	الجاهلينا	ألا لا يجهلن
٢٨٨	فنبثيني	دعي
٢٩١	لمكانها	دع الحمر
٢٩٢	بلبانها	فالا
٣٠٥	الكاشحينا	تريك
٣٠٥	جنينا	ذراعي
٤٠٧	ضنينا	ولقد
٣٢٤	عريانا	لا تخطن
٣٢٤	دانا	كل امرئ
٤٨	ديني	تقول
٣٢٥	جهينا	ننادوا
٣٥٠	شانها	أجد
٣٨٩	أنكرن	رمن
٤٨٣	ضننوا	مهلاً

حرف الياء

٤٤	غاويها	وكل
٤٤	نخليها	الظاعنين
١٢٢	حاديها	أما ابن عوف
١١٨	أق	نشري



أنصاف الأبيات

رقم الصفحة

٤٢٥	فتمتعي	بكرت
٦٠	طاسماً	كافاً
٦١	وميمها	كما بينت
٣٦٩ ، ٢٤٢ ، ٨٢	سميع	أصم
١٧٠	جنيئاً	هجان اللون
٣٠٣	الحائض	له قروء

الرجز

٦٢	أَلَا تَا	نَادَوْهُمُو
٦٣	أَلَا فَا	قالوا
٦٣	فدعا	إن شت
٦٣	فَا	بالخير
٦٣	تَاء	ولا
٣٦٠	تقضى	داينت
٣٦٠	بعضاً	فمطلت
٧٦	الصحيح	قد علمت
٧٦	يفلح	إن
٢٧٠	الطبخ	تالله
٢٧٠	مستصرخ	بي
١٦٨	آدا	من

٤١٢	باتر	بات
٤١٢	وجائر	يقصد
٩٥	كاسر	ومسحه
٢٦٦	اعتمر	لقد
٢٦٦	وضبر	مغزى
٣٤٣	كشر	تقضى
١٤٠	مبزي	كم
١٤٠	بالرجز	حتى
٢٦٣	حمس	وكم
٦٠	كالخزف	أقبلت
٦٠	مختلف	تخط
٦٠	لام ألف	تكتبان
٦٢	قاف	قلنا
٦٢	الإيجاف	لا تحسبى
٢١٤	رجله	والله
٢١٤	هزله	ودقه
٢١٤	مثله	ما كان
٣٩	سمه	باسم
٦٠	طاسها	كافا
٩١	مهمه	ونخفق
٩١	العمه	ومهمه
٢٦٩	التكلم	عن
٣٩٤	كلها	وما عليك
٣٩٤	ما	صليت
٣٩٤	مسلمها	أررد

١٩٩ قطني	امتلأ
٤٥٩ تستتبني	قد جعلت
٤٥٩ القرين	ولا
٤٥٩ وليني	إن

الأمثال

٤٨ إذا بلغ الرجل الستين
٧٦ إن الحديد
٣٤٩ إن كنت ريحاً
٤٧ كما تدين تدان



فهرس المواضيع

أ	كتب الزجاج
ج	مخطوطات الكتاب
هـ	مراجع عن الزجاج
ز	الأقواس ودلالاتها
و	الزجاج
٢٩	مآخذ على الكتاب
٣٩	كتاب معاني القرآن وإعرابه
٤٥	ومن سورة الحمد
٥٥	ومن سورة البقرة
٣٧٣	سورة آل عمران
	الفهارس:

٥٠٥	- بحوث لغوية ونحوية
٥١٦	- الأعلام
٥٢٠	- الأبيات الشعرية
٥٢٧	- أنصاف الأبيات
٥٢٩	- الأمثال